





[Abd Allāh ibn ʿUmar, al-Baiḍāwī

[Commentary on the Koran]

[illegible]

[illegible]

الجزء الرابع

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة رحمه الله وأسكنه من الفردوس أعلاه آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة التاسعة ﴾

(طبع بمطبعة)
دار الكتب العربية الكبرى
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

 (قوله لان ألفات أسماء التهجي يا آت) لانهم قالوا الألف فى الاسماء المتمكنة الامقلوبة عن واو أو ياء قال العلامة الطيبي من جعل أصله الياء أمالها ومن فخم تصوران عين الفعل منقلبة عن الواو كالباب والدار لان الالف اذا وقعت عينا وجهلت حالها فالواجب أن يعتقد انها منقلبة (٢) عن الواو (قوله فانه مشتمل عليه) ان أول كهيعص بالسورة أو القرآن يكون مشتملا على ذكر زكريا فيصح أن يجعل خبراله توسعا والتقدير فيه ذكر زكريا (قوله على أن الرحمة فاعله على الاتساع) بان يكون اسناد الذكر الى الرحمة مجازا عقليا (قوله بدل منه أو عطف بيان له) فالاول بتقدير أن يكون العبد غير مقصود بالذكر بل المقصود زكريا والثانى على تقدير العكس فان المحققين قالوا فى الفرق بين البدل أى بدل الكل وعطف البيان انه ان كان ذكر المتبوع مقصودا بالذات فالتابع بيان وان كان الامر بالعكس فالتابع بدل (قوله قال رب انى وهن العظم منى) قال علماء المعانى انما لم يقل وهن عظمى ليكون تفصيلا بعد الاجمال ويمكن أن يقال لو قيل كذلك لم تكن فيه اللام المفيدة للاشارة الى الجنس (قوله ثم أخرج مخرج الاستعارة) أى أخرج الاشتعال مخرج الاستعارة بان يراد بالاشتعال الانتشار والفشو (قوله مبالغة) لافادة ان اشتعال الشيب يفضى الى اشتعال الرأس (قوله واكتفى باللام عن الاضافة الخ) أى لم يقل رأسى لما ذكر (قوله على أن المدعو له) المراد من المدعو له وجود يحيى (قوله وهو متعلق بمحذوف) وهو فعل المقدر المضاف الى الموالى فيكون فى قوله أى خفت فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى لف ونشر مرتب (قوله أى الذين يلون الامر من ورائى) فيكون الظرف متعلق بيلون لا بخفت لانه لا معنى للخوف بعد الموت

﴿سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان أو تسع وتسعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص) أمال أبو عمرو الهاء لان ألفات أسماء التهجي يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وأبو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها (ذكر رحمت ربك) خبر ما قبله ان أول بالسورة أو بالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أى هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر (عبده) مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد (زكريا) بدل منه أو عطف بيان له (اذ نادى ربه نداء خفيا) لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء أشد اخباتا وأكثر اخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبر أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم أو لان ضعف الهرم أخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون (قال رب انى وهن العظم منى) تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن وأصل بنائه ولانه أصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن ووهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث (واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال الى الرأس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد (ولم أكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وأنه تعالى عوده بالاجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه (وانى خفت الموالى) يعنى بنى عمه وكانوا أشرار بنى اسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته و يبدلوا عليهم دينهم (من ورائى) بعد موتى وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالى أى خفت فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى وقرئ خفت الموالى من ورائى أى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين

(قوله فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت) ظاهره انه يتعين ذلك التعلق ولا يصح جعله متعلقا بالموالى لانه لو كان كذلك لكان المعنى انه درج الذين كانوا يلون الامر من قدامى وليسوا كذلك لانهم لم يكونوا يلون الامر وفيه نظر لان هذا المحذور لازم سواء كان الظرف متعلقا بالموالى أو بخفت فالوجه أن يقال ان الظاهر أن يكون الظرف متعلقا بالفعل لكن لما كان على التقادير السابقة لاوجه لجعل الظرف متعلقا به اذ لا معنى لخفت من ورائى اذ لا وجه للخوف من بعد الموت فيكون متعلقا بالموالى أو بمقدر وأما على هذه القراءة وهو قراءة خفت بمعنى قلت فيصح أن يكون الظرف متعلقا به فالاولى الاقتصار عليه (قوله صفتان له) فان قيل كيف يكونان صفة لولى والحال أن يحيى قتل قبل زكريا عليهما السلام على ماذكر فى التواريخ المعتبرة فلزم عدم استجابة دعاء زكريا فى الوراثة وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم كل نبى يجاب قلنا استجابة دعاء الانبياء ليس عاما فى كل دعوة قال العلامة الطيبى الصحيح ان الانبياء ان كانوا مستجابى الدعوة لكن ليس كل ما

دعوه استجيب لهم لان قضاء الله لايدفع ألا ترى الى ابراهيم ودعائه فى أبيه والى دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم على ماروينا عن الترمذى والنسائى عن خباب بن الارت انه قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قبل قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنين ومنعنى واحدا (قوله واو يرث بالتصغير) فان قيل يجب أن يكون تصغير ولرث وايرث بتقديم الواو على الهمزة لاأويرث بالعكس فان الواو مقدم فى الاصل فيجب أن يكون التصغير كذلك قلنا ان قاعدة التصغير ان ألف اسم الفاعل فى ضارب مثلا قلبت الى الواو فيقال فى تصغير ضارب ضويرب فيكون تصغير وارث وويرث لكن قاعدة الصرف ان الواوين المتحركين اذا اجتمعا فى أول الكلمة قلبت الاولى همزة فيقال فى تصغير واصل أويصل (قوله لانه جرد عن المذكور أولا) اذ التقدير يرثنى به أو منه وارث من آل يعقوب هكذا قدره العلامة الطيبى فجرد عن الولى الذى هو المذكور وارث مع ان المراد من الوارث هو الولى فكأنه جرد واخرج عن شخص شخصا آخر (قوله لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم) أى اسم الجنس الذى يشتركان فيه (قوله وانما استجيب الولد الخ) استجابه لماذكر دال على أن الايلاد ليس من شأنهما فيكون محض قدرة وليس للاب والام مدخل فى الولادة بل يمكن وجود الشخص من غير الابوين لانه لافرق بين حصول الولد من الابوين اللذين ليس من شأنهما الايلاد وبين حصول شخص من غير الابوين فدل هذا على الغاء الوسائط اذ لافرق بين الاب والام اللذين هما واسطة الولد وبين غيرهما من الوسائط (قوله ويجوز أن يكون الخ) هذا على تقدير أن يكون فاعل قال الاولى الملك فيكون المعنى قال الملك ربك قال ذلك القول (قوله وذلك اشارة الى مبهم الخ) هذا متفرع على قوله ويجوز أن يكون الخ

الذين بعدى أو خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) لاتلد (فهب لى من لدنك) فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لا نصلح للولادة (وليا) من صلبى (يرثنى ويرث من آل يعقوب) صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائى على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من أحد الضميرين وأو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان لانه جرد عن المذكور أولا مع أنه المراد (واجعله رب رضيا) ترضاه قولا وعملا (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر أنه أعجمى وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش و يعمر وقيل سمى به لانه حيى به رحم أمه أو لان دين الله حيى بدعوته (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا فى المفاصل وأصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استجيب الولد من شيخ فان وعجوز عاقرا اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك (قال) أى الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له (كذلك) الامر كذلك و يجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال فى (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم يفسره (هو على هين) و يؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين

(قوله وهو على ذلك يهون على) أى هو مع ذلك أى حصول ولدك مع ما ذكر من كبرك وعقر امرأتك يهون على (قوله أو كما وعدت وهو على هين الخ) ان قيل الظاهر انه زائد اذ يلزم منه التكرار ولا يناسبه قوله وهو على ذلك يهون على وفى الكشاف المعنى الامر كما قلت وهو على ذلك يهون على أو يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله وهذا يؤيد ما ذكرنا فالجواب أن المراد انه على تقدير أن يكون المعنى ان الامر كما وعدت (٤) يمكن أن يفسر قوله وهو على هين بالتفسير الاول و بالتفسير الثانى أيضا وأما اذا كان المعنى ان الامر كما قلت يكون معنى قوله تعالى وهو على هين المعنى الاول فتأمل (قوله ومفعول قال الثانى محذوف الخ) على التقدير الاول تقدير وجود الواو والتقدير قال ربك هو على هين حذف لدلالة المذكور عليه (قوله وفيه دليل الخ) هذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (قوله علامة أعلم بها وقوع ما بشرتنى به) الظاهر ان المراد بما بشرتنى به الحبل وكذا فسر فى سورة آل عمران (قوله سوى الخلق) فيكون حالا من فاعل تكلم (قوله من المصلى أو من الغرفة) بيان للمحراب (قوله وقيل النبوة الخ) قال الامام الاقرب هذا أى تفسير الحكم بالنبوة لانه تعالى ذكر مناقب شريفة ليحيى على سبيل المدح لارتياب ان أشرفها النبوة فوجب حمله عليها و روى الواحدى عن ابن عباس ان الحكم النبوة

أى الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون على أو كما وعدت وهو على هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك (قال رب اجعل لى آية) علامة أعلم بها وقوع ما بشرتنى به (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوى الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن (فخرج على قومه من المحراب) من المصلى أو من الغرفة (فأوحى اليهم) فأومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض (أن سبحوا) صلوا أو نزهوا ربكم (بكرة وعشيا) طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح و يأمر قومه بان يوافقوه وأن تحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة (يايحيى) على تقدير القول (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة أحكم الله عقله فى صباه واستنبأه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه أو رحمة وتعطفا فى قلبه على أبويه وغيرهما عطف على الحكم (وزكاة) وطهارة من الذنوب أو صدقة أى تصدق الله به على أبويه أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبا عن المعاصى (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) عاقا أو عاصى ربه (وسلام عليه) من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار وهول القيامة (واذكر فى الكتاب) فى القرآن (مريم) يعنى قصتها (اذ انتبذت) اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها أو بدل الكل لان المراد بمريم قصتها و بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمتك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة (من أهلها مكانا شرقيا) شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى أتت (فاتخذت من دونهم حجابا) سترا (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض متحجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هى فى مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب أمرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت انى أعوذ بالرحمن منك) من غاية عفافها (ان كنت تقيا) تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أى فانى عائذة منك أو فتتعظ بتعويذى أو فلا تتعرض لى و يجوز أن يكون للمبالغة أى ان كنت تقيا متورعا فانى أتعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما أنا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما) أى لأكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع و يجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة أبى عمرو والاكثر عن نافع و يعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب

(قوله لان المراد بمريم قصتها الخ) فيكون التقدير واذكر فى الكتاب قصة مريم انتباذها من أهلها فى الزمان المذكور (قوله كقولك أكرمتك اذ لم تكرمنى) يعنى أكرمتك لان لم تكرمنى أى لعدم اكرامك اياى للردعليك (قوله أو ظرف لمضاف مقدر) أى واذكر فى الكتاب حال مريم اذ انتبذت (قوله و يجوز أن يكون حكاية لقول الله عزوجل) والتقدير قال ربك أرسلت الرسول اليك لأهب لك ومحصول الكلام ههنا ان فاعل الهبة المذكورة ليس جبريل حقيقة بل هو الله تعالى غاما أن

يكون أهب مجازا أو يكون على الحقيقة و يكون قول الله عز وجل (قوله لانه للمبالغة أو للنسب كطالق) التعليل الثانى ظاهر لانهم قالوا اذا لم يقصد باسم الفاعل الحدوث بل قصد به الاطلاق فهو بمعنى النسبة وان كان على صورة الفاعل كلابن وتامر ولا تدخله التاء لان الدخول على الصفة فرع الدخول على الفعل فاذا كانت الصفة بمعنى الحدوث كانت بمعنى الفعل فدخلت عليها التاء واذا لم يقصد بها الحدوث لا تكون مشابهة للفعل فلم يدخل عليها التاء وأما التعليل الاول ففيه نظر (ه) اذ التاء تدخل على بناء المبالغة كعلامة ونسابة

والجواب ان التاء الداخلة فى مثل علامة ونسابة ليست للتأنيث وانما هى تأكيد المبالغة وكلامه فى تاء التأنيث واعلم أن المفهوم من كلامه ان تاء التأنيث لا تدخل على صيغة المبالغة ولعل سببه ان دخول تاء التأنيث على الصفة كما ذكر لاجل مشابهة المشتق للفعل ولكن الفعل لا يفيد المبالغة فالصفة التى تفيد المبالغة لا تشبه الفعل كال المشابهة فلا تدخل التاء للتأنيث كما لا تدخل التاء على الصفة التى لا يقصد بها الحدوث بل النسبة كتامر (قوله تدوس بنا الجماجم) الجمجمة عظم فوق الرأس والتريب عظم الصدر أى تدوس خيولنا جماجم الاعداء وترائبهم ونحن على ظهورها والمعنى ههنا فانتبذت ملتبسة به أى انتبذت وهو فى بطنها (قوله لكن خص به فى الاستعمال) أى خص أجاء بالجأ فى الاستعمال كآتى فانه مخصوص باعطى ولا يقال آتيت المكان وآتيه (قوله وكانت كالمتعالم عند الناس الخ) لا يخفى ان المعهود هو الذى يكون معهودا بين المتكلم والمخاطب لكن النخلة ليست كذلك اذ هى ليست معهودة بين الذى هو المتكلم و بين الذى هو المخاطب لكنه أجرى عليه الحكم للعهد اذ لما لم يكن غيرها فى ذلك الموضع فكأنها معهودة والاولى أن يقال المعهود بمعنى المعروف المعلوم ويؤيده قوله وكانت كالمتعالم عند الناس فكأنه قال فأجاءها المخاض الى جذع النخلة التى عرفها الناس وتعينت عندهم بسبب من الاسباب (قوله ينسؤه أهله) أى يدفعه (قوله نسى الذكر) فالاول من شأنه أن لا يذكر وهذا يحتمل أن يكون مذكورا والثانى ما لا يذكر أصلا (قوله أى لا تحزنى) فيكون أن مفسرة (قوله بان لا تحزنى)

الذنوب أو ساميا على الخير أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه أما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك و يعضده عطف قوله (ولم أك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أو للنسب كطالق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله) أى ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم و برهانا على كمال قدرتنا (ورحمة منا) على العباد يهتدون بارشاده (وكان أمرا مقضيا) أى تعلق به قضاء الله فى الازل أو قدر وسطر فى اللوح أو كان امرا حقيقا بان يقضى و يفعل لكونه آية ورحمة (فحملته) بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكان مدة حملها سبعة أشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله

* تدوس بنا الجماجم والتريبا * والجار والمجرور فى موضع الحال (مكانا قصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار (فأجاءها المخاض) فألجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى فى أعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس أو للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها و يطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت ياليتنى مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمى به وقرئ به و بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته (منسيا) منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها أسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على أن فى نادى ضميرا أحدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة (ألا تحزنى) أى لا تحزنى أو بان لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه الصلاة والسلام (وهزى اليك بجذع النخلة) وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلى الهز والامالة به أو هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى

على تقدير أن تكون ان ناصبة (قوله لما فيه من المعجزات) أى لما فيما ذكر لا يخفى أن المعجزة أمر خارق مقرون بالتحدى ولا تحدى فى ذلك الوقت فالاولى أن يقال لما فيها من الارهاصات (قوله بعد أن أخبرتكم بنذرى) لك أن تقول هذا من جملة التكلم مع الانسى بعد نذر عدم التكلم فلزم نقض النذر الا أن يقال هذا عندهم من تتمة النذر أو يقال هذا مستثنى للقرينة العقلية لانها لو لم تخبر لكان موجبا لها صرف الناس عنها لعدم جوابها لكلامهم (قوله وكان زائدة) انما حكم بزيادتها لانها دالة على أنه صبى قبل ذلك الزمان لا فى الحال وليس كذلك بل هو فى الحال المذكور صبى وعلى هذا فالظرف وهو قوله فى المهد متعلق بيكون ليفيد الحالية لكن يرد هذا على ماذكره من كونها تامة واعلم انه ذكر هذا الترديد الذى لم يذكره صاحب الكشاف وترك شيأ ذكره

أسقطت وقرئ تساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع (رطبا جنيا) تمييز أو مفعول روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) أى من الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما أحزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه (فاما ترين من البشر أحدا) فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به أو صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم (فلن أكلم اليوم انسيا) بعد أن أخبرتكم بنذرى وانما أكلم الملائكة وأناجى ربى وقيل أخبرتهم بنذرها بالاشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام فانه قاطع فى قطع الطاعن (فأتت به) أى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) أى بديعا منكرا من فرى الجلد (يا أخت هرون) يعنون هرون النبى عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به (ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش (فاشارت اليه) الى عيسى عليه الصلاة والسلام أى كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما أو بمعنى صار (قال انى عبد الله) أنطقه الله تعالى به أولا لانه أول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته (آتانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا (أينما كنت) حيث كنت (وأوصانى) وأمرنى

بالصلاة

ترفع به الشبهة قال ان كان لايقاع مضمون الجملة فى زمان ماض مبهم يصلح للقريب والبعيد وهو ههنا للقريب لقرينة خاصة وتوضيح رفع الشبهة بان يقال ان لفظ كان يفيد المبالغة لانه اذا لم يصح التكلم مع من كان فى الزمان الماضى صبيا فالاولى أن لا يصح مع من يكون فى الحال صبيا واعلم انه نقل العلامة الطيبى عن الزجاج ان الاجود أن تكون من بمعنى الشرطية أى من يكن فى المهد صبيا كيف نكلمه قال ابن الانبارى هذا كما يقال كيف أعظ من لا تقبل موعظتى أى من يكن لا تقبل موعظتى فالماضى بمعنى المستقبل فى باب الجزاء واعلم ان الشبهة واردة فيما اذا كانت تامة كما مر دودة فيه مامر واما جعلها دائمة فالاشكال ظاهر لان المراد من الدوام الدوام فى ممتنع الازمنة كما صرح به ابن الحاجب حيث قال كان تكون ناقصة لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا ولا وجه للدوام بهذا المعنى ههنا (قوله لانه أول المقامات) أى كون الشخص عبد الله من أول مقامات الكاملين لانه عبارة عن كون العبد مطيعا لاوامر الله ونواهيه ولا يتجاوز عنه أصلا (قوله وللرد على من زعم ربوبيته) الاولى أن يقال للرد على من زعم انه ابن الله فتأمل وقال الشيخ الكامل فى الفتوحات ما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودية المحضة فالملأ الاعلى يقول أتجعل فيها من يفسد فيها والمعصوم من العبث يقولون ربنا ظلمنا أنفسنا ويقولون رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ويقولون ان تهلك هذه العصابة فلن

نعبد فى الارض من بعد اليوم وهذا كلمة استعجال لكون الانسان عجولا هذه عبارته و يفهم منه ان العبودية أن لا يتصرف الشخص بنفسه ولا يدعو شيأ ولا يستفهم شيأ بل فوض الامر كله الى سيده فعلى هذا اذا كان الشخص على هذه الحالة فى بعض الاوقات دون بعض كان عبدا فى تلك الحال دون غيرها وان كان على تلك الحال فى جميع الاحوال والاوقات كان عبدا فى جميعها لكن كون الشخص عبدا فى جميع الاوقات لا يعرف بل لعله لم يكن فان أكابر الملأ الأعلى والمعصومين فترت عنهم العبودية المحضة كما ذكر الشيخ فان قيل الطائفة المهيمون عباد محضة لانهم لم يتكلموا بشئ من قبل هذه الأمور بل تهيموا فى تجلى الله تعالى حتى غفلوا عن ذواتهم مطلقا ولم يعلموا غير الله تعالى قلنا العبد المحض من عرف الاشياء لكن لم يتصرف فيها بشئ تفويضا للامر الى الله تعالى (٧) وأما المهيمون فليس لهم تفويض الامر

(بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل (مادمت حيا وبرا بوالدتى) وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصانى أى وكلفنى برا و يؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عند الله من فرط تكبره (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى (ذلك عيسى ابن مريم) أى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا مايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله موصوفا باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم (قول الحق) خبر محذوف أى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر و يعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يمترون) فى أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم فان من اذا أراد شيأ أوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق الى الحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم) اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله و يعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وآرابهم وأرجلهم بالكفر والفسق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وأمه (أسمع بهم وأبصر) تعجب معناه أن أسماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا أو التهديد بما سيسمعون و يبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم

بل فى عز الجبرياء والكبرياء والله أعلم (قوله ويؤيده القراءة بالكسر والجر) أى يؤيد ماذكر قراءة برا بهما أى بكسر الباء وجر الآخر ووجه التأييد انه على تقدير الجر متعلق بأوصانى فهو يناسب نصبه بفعل دل عليه أوصانى (قوله والتعريف للعهد) أى السلام الذى كان على يحيى يكون على ومن هذا يعلم تولد يحيى قبل عيسى عليهما السلام (قوله حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه) فانهم وصفوا عيسى بأنه ابن الله وماذكر الله تعالى انه خلق من مريم بسبب جبريل وهو عبد من عباده ونبيه وغير ذلك ثم عكس الحكم أى حكم بعكس ماذكره أدمن فى أمر عيسى بان صفات الموصوف عيسى فانه مبعوث ماذكروه من أنه قدم الموصوف ليس برسولا

(قوله أو لتمام القصة) أى لآخرها وهو قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم (قوله مصدر مؤكد) أى مصدر مؤكد لمضمون جاء عكس عيسى بن مريم (قوله ولان) فيكون معطوفا على قوله تعالى اذا قضى اذ كانه قيل ما كان لله أن يتخذ من ولد لانه اذا قضى أمرا من وجه يقول له كن فيكون ولان الله ربى وعلى هذا يكون معنى الكلام قل يا محمد ما كان لله أن يتخذ من ولد فان قيل كون الله رب كل شئ والامر بعبادته لا ينافى اتخاذ الولد قلنا لا خفاء ان المقصود الامر بعبادته دون غيره ولو كان له تعالى ابن لوجب عبادته أيضا كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قوله أو التهديد بما سيسمعون) فعلى الاول التعجب من سماعهم وابصارهم يوم يأتوننا وعلى الثانى سيسمعون و يبصرون يوم يأتوننا فهذا تخويف لانهم سيسمعون و يبصرون أمورا عظيمة كما قال

ولتعلمن نبأه بعد حين فان قيل لا يفهم من المعنى الذى ذكره أولا وثانيا كون الجار والمجرور فاعلا بل المراد على الاول ان شأنهم أن يتعجب الناس من اسماعهم وابصارهم وقس عليه المعنى الثانى قلنا أراد أن الجار والمجرور كان فاعلا فى الاصل فان أفعل بزيد على مذهب سيبويه فعل وفاعل والباء زائدة ولا يلزم أن يكون فاعلا نظرا الى المعنى المراد كما فى ما أحسن زيدا

و يبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه (اذ قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة (وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بانذرهم أى أنذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة للتعليل (انا نحن نرث الارض ومن عليها) لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه (والينا يرجعون) يردون للجزاء (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) ملازما للصدق أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله (نبيا) استنبأه الله (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا (لابيه يا أبت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا أبتى و يقال يا أبتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حالك و يسمع ذكرك و يرى خضوعك (ولا يغنى عنك شيأ) فى جلب نفع أو دفع ضر دعاه الى الهدى و بين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح و يأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغى أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال (يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا) ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون أعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم أن المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم و ينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال (يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى اللعن والعذاب تليه و يليك أو ثابتا فى موالاته فانه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء همته فى الربانية أو لانه ملاكها

زيد امفعول فى الاصل لكن اذا قصد معنى التعجب لم يكن كذلك ولذا قال بعضهم ان التقدير المذكور لتمهيد الاعراب أى لتسهيل طريقة الفهم فى الاصل قبل النقل الى التعجب لا لبيان انها بذلك المعنى فى هذه الحال لانها الآن لانشاء التعجب والحاصل انه اذا اعتبر أن الصيغتين المذكورتين كانتا فى الاصل على الاعراب المذكور ثم نقلتا الى معنى التعجب يكون بهم فاعلا نظرا الى المعنى الاصلى على ما هو مذهب سيبويه كما مر وأما اذا لم يعتبر معنى التعجب كان بهم مفعولا (قوله والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع الخ) المراد من الاول الوجهان المذكوران أولا ومن الثانى ما قاله بقوله وقيل لان المعنى حينئذ أسمعهم وأبصرهم (قوله حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين) أى كائنون فيه حال كونهم فى غفلة (قوله بدل من ابراهيم على هذا التقدير) لم يكن اذ ظرفا بل لمجرد الزمان فاما على التقدير بن الاخيرين فهو ظرف (قوله لا يقال يا أبتى) لاجتماع العوض والمعوض وأما يا أبتا فهو باشباع فتحة التاء (قوله فانه أكبر الخ) أى موالاة الشيطان ورضاه أكبر من كل واحد من العذاب لان رضاه منشأ كل سخط وعذاب كما ان رضوان الله تعالى منشأ كل نعيم وثواب (قوله اما للمجاملة) أى لحسن العشرة والمخاطبة فان الخوف عدم الجزم بالعذاب وهو يفيد ما ذكر او

وكذا المس وتنكير العذاب يدل بحسب الظاهر على الخفة والقلة (قوله أولخفاء العاقبة) يعنى يمكن ان ابراهيم لم يعلم فى ذلك الوقت عاقبة حال أبيه وان العذاب لاحق به ألبتة ولذا قال أخاف ولم يعلم ان عذابه عظيم أولا لكن الغالب على الظن ان مثل أبيه لايخلو من عذاب ما على أى حال فلذا قال بالمس وتنكير العذاب (قوله ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته الخ) أى لم يذكر انه عدو لبنى آدم ومغويهم يريد دخولهم فى النار وغير ذلك بل اقتصر من جناياته وقبائح أعماله على مجرد العصيان للرحمن لارتقاء همته فى الربانية أى لتعلق همة ابراهيم بالرب تعالى ومايتعلق به دون أحوال بنى آدم أولانه ملاكها أى لان العصيان ملاك الجنايات أولانه من حيث انه الخ أولان العصيان نتيجة معاداته آدم لان عصيانه

ترك السجود مع الامر به فذكر ابراهيم عليه السلام ان الشيطان عدو لآدم وأولاده فلا ينبغى ان يتبعه (قوله لانكار نفس الرغبة) لان الانكار يتوجه الى مايلى الهمزة (قوله وان ملاك الامر خاتمته) وهو ليس بمعلوم اذ الانبياء عليهم السلام يعلمون الاشياء بالوحى ولعل هذا الامر غير معلوم فى تلك الحالة وان كان كلهم مأمون العاقبة (قوله والمراد باللسان مايوجد به) أى الكلام الذى يوجد باللسان وصدر منه (قوله واضافته الى الصدق الخ) لانه اذا كان ثناؤهم صادقا وعليا كانوا أحقاء بماذكر وما هو صادق علىّ يثبت بقاؤه على مرور الدهر (قوله فانبأهم عنه) أى المراد من قوله تعالى نبيا أنبأ صفات الله تعالى وشرائعه للمبعوث اليهم (قوله ولذلك قدم رسولا مع انه أخص وأعلى) أى قدم رسولا على نبيا المذكور وهوان كونه رسولا مقدم على انبائه للخلق مع ان الرسول أخص من النبى اذ كل رسول نبى ولاعكس وكذا الرسول أعلى من النبى اذ الرسول يشتمل على كمالات النبى لانه نبى وكونه أخص وأعلى يقتضيان التقديم من وجه ويمكن أن يقال انه قدم رسولا على نبيا المذكور مع ان الرسول أخص من النبى وأعلى وهذان يقتضيان تقديم النبى على الرسول من وجه آخر اذ يقال عالم نحرير ولا يقال نحرير عالم (قوله بان تمثل له الكلام من تلك الجهة) أى من الجهة التى فيها اليمين أعم من أن تكون يمينا هى جهة حقيقية معينة أولا وفيه غاية ايهام والاولى أن يقال من ناحية اليمنى أومن جهة الميمون لان كلامه تعالى لايختص بجهة دون جهة كما ان صاحب الكلام كذلك وسيجىء فى تفسير سورة طه فى كلام المصنف انه قيل لما نودى قال من المتكلم قال انى

أولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال أراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم) قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل ياأبتى بيابنى وأخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لايرغب عنها عاقل ثم هدده فقال (لئن لم تنته) عن مقالك فيها أو الرغبة عنها (لارجمنك) بلسانى يعنى الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد منى (واهجرنى) عطف على مادل عليه لارجمنك أى فاحذرنى واهجرنى (مليا) زمانا طويلا من الملاوة أومليا بالذهاب عنى (قال سلام عليك) توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أى لاأصيبك بمكروه ولاأقول لك بعد مايؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربى) لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لمايوجب مغفرته وقد مر تقريره فى سورة التوبة (انه كان بى حفيا) بليغا فى البر والالطاف (وأعتزلكم وماتدعون من دون الله) بالمهاجرة بدينى (وأدعو ربى) وأعبده وحده (عسى أن لاأكون بدعاء ربى شقيا) خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وأن ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء أولانه أراد أن يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد (وكلا جعلنا نبيا) وكلا منهما أو منهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة والاموال والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان مايوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بمايثنون عليهم وأن محامدهم لاتخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أوأسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى (وناديناه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى أومن جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه)

تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته (نجيا) مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روى أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا) من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا (أخاه) معاضدة أخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من أهلى فانه كان أسن من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعيض (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف بأشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكوة) اشتغالا بالاهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل أهله أمته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامة أقواله وأفعاله (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبى نوح عليهم السلام واسمه أخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة (أولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس عليهم السلام (الذين أنعم الله عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين) بيان للموصول (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم أعم من الانبياء وأخص من الذرية (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية (وممن هدينا) ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) للنبوة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبى عليه الصلاة والسلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء (فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (أضاعوا الصلوة) تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله عنه فى قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شرا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

أو جزاء غى كقوله تعالى يلق أثاما أو غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم يستعيذ منه أوديتها (الا من تاب وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية فى الكفرة (فأولئك يدخلون الجنة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل (ولا يظلمون شيأ) ولا

أنا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بانى أسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء وهذا القول يقوى الوجه الثانى بل يعينه (قوله أو بدل) أى بدل من المقدر اذ التقدير ووهبنا له شيأ من رحمتنا فيكون أخاه بدلا من شيأ وان كان ظاهر عبارته يفيد ان أخاه بدل من الحرف الذى هو من الذى للتبعيض الا أن يقال ان من التبعيضية اسم كالكاف بمعنى المثل لكن ما رأيناه فى كلامهم (قوله عطف بيان له) انما اختاره هذا على البدل لان أخاه مقصود بالذات لان عظم النعمة بجعل أخيه نبيا لا بجعل الشخص المسمى بهارون نبيا فهذا من دقائق العربية

ينقصون

(قوله لانه المضاف اليه فى العلم) توضيحه ان عدن علم لان جنات عدن معرفة لاتصافها بالموصول الذى هو من المعارف وهو قوله تعالى التى وعد الرحمن وليس تعريفها الا باضافتها الى عدن وتعريف عدن ليس الا لكونه علما اذ لا يصح أن يكون شيأ من أقسام المعارف الا العلم فقوله لانه المضاف اليه فى العلم معناه ان عدنا مضاف اليه الجنات التى هى علم أى فى حكمه لان تعريفها بسبب علمية ما اضاف هى اليه (قوله أو علم للعدن بمعنى الاقامة) فعلى الوجه الاول يكون العدن علم الشخص الذى هو الجنة المخصوصة وعلى الثانى يكون علم الجنس (قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك الآية) فان قلت ما وجه الارتباط بين هذه الآية و بين ما تقدم عليها قلت والله أعلم لعل وجهه انه لما ذكر حال طوائف بنى آدم من النبيين والعاصين والتائبين أو المتقين ناسب أن يذكر حال باقى ذوى العقول من الملائكة بالنسبة الى خالقهم وقال بعضهم فى وجه الارتباط تلك الجنة وان كانت من خلق الرحمن فحقها ان يرحم بها مقيم الصلاة وتاركها ومتبع الشهوات ومجتنبها هى التى نفرت من غير المتقى من عبادنا وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا من كان تقيا ٧ فانه يأخذ نسبته وتصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة ولا يبعد التخصيص فى الرحمة العامة مع وقوعه فى الرحمة الخاصة فان منها انزال الملائكة على الانبياء ولا يعم جميع أوقاتهم بل اختص ببعضها وما نتنزل الا بأمر ربك هذا كلامه ولا يخفى ما فيه من التكلف البعيد (قوله وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات) أى الصبر يتعدى بعلى دون اللام فتعديته ههنا باللام لاجل تضمن معنى الثبات وكانه قيل اصبر ثابتا لعبادته

ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما أضيف اليه بقوله (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) أى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بايمانهم بالغيب (انه) ان الله (كان وعده) الذى هو الجنة (مأتيا) يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من أتى اليه احسانا أى مفعولا منجزا (لا يسمعون فيها لغوا) فضول كلام (الا سلاما) ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى أن التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة أقوى لفظ يستعمل فى التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو أطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد (وما نتنزل الا بأمر ربك) حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا أن يوحى اليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم أى وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله (رب السموات والارض وما بينهما) بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له أن ينساك أو اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد

(قوله ولا يستحق العبادة غيره) لا يعلم من تخصيص تسميته بالله دون غيره عدم استحقاق الغير للعبادة و يمكن أن يقال لما كان هذا الاسم الشريف دل على غاية الكمال وقد حفظ عن الشركة دل على ان المسمى فى غاية الكمال محفوظ عن الشركة فى العبادة (قوله المراد الجنس باسره) اذا كان كذلك لزم قول كل واحد واحد من أفراد الانسان وليس كذلك وأما الاستشهاد بالمثال المذكور ففيه انه يجوز أن يراد بنى فلان بعضهم أو كلهم باعتبار ان البعض باشر الفعل وآخرون رضوا به فكان كلهم قتلوه والمعنى بنو فلان صاروا سبب قتله و يمكن أن يقال مراده انه يراد بهذه الكلمة وهى الانسان العموم

والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك (هل تعلم له سميا) مثلا يستحق أن يسمى الها أو أحدا سمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور أحديته تعالى وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أى اذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشقها (و يقول الانسان) المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبى بن خلف فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولا يذكر الانسان) عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه و بين العاطف مع أن الاصل أن يتقدمهما للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل (فوربك لنحشرنهم) أقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والشياطين) عطف أو مفعول معه لما روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم) ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا و ينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة و يزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم (جثيا) على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب وأهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل أمة جاثية على المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بكسر الجيم (ثم لننزعن من كل شيعة) من كل أمة شاعت دينا (أيهم أشد على الرحمن عتيا) من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على أنه تعالى يعفو كثيرا

لكن قدر مضاف وهو البعض وكانه قيل و يقول بعض من كل هذا الجنس ومحل الكلام ههنا انه اما ان يراد بالانسان الجنس والعموم و يقدر مضاف أو يراد به المعهود ولا يخفى ما فيه (قوله على الخبر) أى على الخبر بحسب الظاهر اذ لا يصدر بكلمة الاستفهام والا فعلى التقدير الاول خبر لانه فى معنى الانكار (قوله مع ان الاصل أن يتقدمهما) أى يتقدم المعطوف عليه والمعطوف يعنى أو يقول الانسان الخ انما كان الاصل ذلك لان القول المذكور منكر فالاصل أن تدخل همزة الانكار عليه حتى يكون الجميع فى حيز الانكار (قوله ساغ نسبته الى الجنس) اذ يصح أن يقال ان كل الجنس يحشر مع الشياطين لان كلهم يحشرون معا

(قوله من كل أمة شاعت دينا) لا يخفى من ان هذه العبارة شاملة لطوائف المؤمنين أيضا ولا يناسب ما اتصل به وهو أيهم أشد على الرحمن عتيا والاولى أن يفسر بما فسره صاحب الكشاف بان يقال المراد من الشيعة الطائفة التى شايعت أى تبعت غاويا من الغواة (قوله وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من أهل الكبائر) فيه انه لا يلزم من نزع الاشد عتيا ترك غير الاشد والعفو عنه ولو لزم فلا يلزم أيضا اذا خص بالكثرة الا أن يقال ظاهر التركيب واختصاص الاشد بالذكر يفيد ما ذكر وأما اذا خص بالكثرة فيعلم من خارج ان غير

الاشد معـفوعنـه (قوله فالمراد انه يميز طوائفهم الخ) هـذا التفسـير لا يلائم ظاهر الآية لانها تدل على انه تعالى ينزع من كل طائفة أعتاهـم فيكون المنتزع بعض كل طائفـة لا الطائفـة ولذا قال صاحب الكشاف يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد اعصاهـم فاعصاهم وأعتاهـم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار نقدم أولاهم فاولاهم بالعذاب (قوله ومرفوع عند غيره امابالابتـداء الخ) لما كان كونه معربا يقتضى أن يكون منصوبا بننـزعن بين وجـه رفعـه اولا بكونه مبتـدأ ووجه ابتداءه بوجوه ثلاثة أحدها كون الجملة محكية الثانى كونها معلقا عنها الفعل الثالث كون الجملة مستأنفة وثانيا بكونه فاعل شيعة (قوله أومستأنفة) الظاهر ان المراد من كونها مسـتأنفة ان يكون كلاما مستقلا لا ان تـكون جوابا السؤال اذ الـكلام فى ان أيهـم للاستفهام نعم لولم يجعل أيهـم استفهاما لامكن ان يجعـل جوابا للسؤال ولذا قال صاحب الـكشاف ويجوز أن يكون النزع

من أهـل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فاعتاهم و يطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التى تليق به وأيهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل و بعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره امابالابتداء على أنه استفهامى وخبره أشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة وامابشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلى أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف اضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) ومامنكم التفات الى الانسان ويؤيده أنه قرئ وان منهم (الاواردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل أهـل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا أوجبه الله على نفسه وقضى به بان وعـد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه (ثم ننجى الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائى و يعقوب ننجى بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء أى هناك (ونذر الظالمين فيها جثيا) منهارا بهم كما كانوا وهو دليـل على أن المراد بالورود الجثو حوالها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعـد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهـم على هيآتهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم أو معهم (أى الفريقين) المؤمنين والكافرين (خـير مقاما) موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم أى موضع اقامة ومنزل (وأحسـن نديا) مجلسا ومجتمعا والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها

واقعا على كل شيعة والمعنى لننزعن بعض كل شـيعة فكان قائلا قال من هـم فقال أيهم أشد على الرحمن عتيا ولم يتعرض لكونه اسـتفهاما (قـوله واما بشيعة) عطف على قوله امابالابتـداء أى رفـع امابالابتـداء وامابفاعلية شـيعة لانها بمعنى تشـيع لايخـفى ان هـذا وان صـح من حيث التركيب لـكن لا يظهر له معنى يقبله الطبع ولذا لم يذكره غـيره ويحتمل ان يقال مراده انه مرفوع بما يستفاد من شيعة وهو يشيع فكأنه قيل ثم لننزعن عن بعض كل شـيعة يشيع دينه أيهم أشد (قوله وعـلى للبيان الخ) هـذا متعلق بجميع ماذكر فيكون التقـدير أيهم أشد عتيا وكأن سائلا قال على من أشـد عتيا قيـل على الرحمن (قوله وكذا الباء فى قوله الخ) أى الباء فى قوله تعالى بها (قوله أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصـلى) هـذا بناء على تقـدير ان يكون بها للبيان لانه اذا قيـل الذين هـم أولى بالصـلى كان سائلا قال باى شئ الصلى فقيـل بالنار والثانى على تقدير ان تـكون الباء متعلقة باولى (قوله التفات الى الانسان) أى الخطاب مع الانسان المذكور قبـل فى قوله أولا يذكر الانسان (قوله وهو دليـل على ان المراد بالورود الجثو حوالها) يرد عليه انه يدل على الجثو فيها لا الجثو حواليها ومثله يرد على عبارة الكشاف ووجهه العلامة الطيبى بانه قد سبق ان المراد بالورود اما الدخول أو الجواز عـلى الصراط أو القرب والدنو من جهنم أو الجثو حولها والذى يدل على ظهور الوجه الاخير قوله ونذر الظالمين فيها جثيا لما قلنا ان ننجى ونذر تفصيل لقوله وان منكم الا واردها ولا بد على هذا الوجه من تقدير مضاف أى نذر الظالمين فى حول جهنم انتهى كلامه ولا يخفى ان هـذا الجواب لا يجرى فى كلام المصنف اذ لم يسبق

والدخل عليها أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي أهل كل عصر قرنا أي مقدما من قرن الدابة وهو مقدمها لانه يتقدم من بعده وهم أحسن صفة لكم وأثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها أو على أنه من الري الذي هو النعمة وقرأ أبو بكر رييا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين أن تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما أخرجه على لفظ الامر ايذانا بأن امهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي قالوا أي الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال (فسيعلمون من هو شر مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (وأضعف جندا) أي فئة وأنصارا قابل به أحسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين أن امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل أراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار اليه بقوله (وخير مردا) والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على أصلها في التعقيب والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في أسد أو لغة فيه كالعرب والعرب (أطلع الغيب) أقد بلغ من عظمة شانه الى أن ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أو اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه

(قوله فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله الخ) ولانهم استدلوا بحسن حالهم في الدنيا على حسن حالهم عند الله فرد عليهم بان القرون المتقدمة أحسن حالا في الدنيا منهم مع اهلاكهم من الله تعالى بالعذاب والاستئصال (قوله لانه يتقدم من بعده) كما ان قرن الحيوان يتقدمه (قوله والجملة محكية بعد حتى) أي حتى هذه هي حتى التي يحكى بعدها الجمل وتستأنف لا حتى التي تجر أو تنصب ولا حتى العاطفة (قوله لانه في معنى الخبر الخ) فلا يلزم من عطف يزداد عليه عطف الخبر على الانشاء (قوله ويزيد المقابل له هداية) بهذا التقدير يحصل الربط بين الشرط والمعطوف على الجزاء (قوله والخير ههنا الخ) أي ليس المراد من الخير ية الانفعية بالنسبة الى مراد الكفرة حتى يلزم أن يكون هو أيضا نافعا بل المراد من الخير ههنا الذي فيه أصل النفع والزيادة عليه (قوله والفاء على أصلها من التعقيب) والاصل فأرأيت بمعنى فأخبر فقدمت الهمزة وأخرت الفاء لصدارة الاستفهام (قوله وتألى عليه) أي حلف عليه الحلف يستفاد

(كلا) ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه (سنكتب مايقول) سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ماانتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتابة لاتتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد (ونمد له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب مايستاهله أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلت عظمته ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه) بموته (مايقول) يعنى المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لايصحبه مال ولاولد كان له فى الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز أى ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة فى عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أى يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب ألف الاطلاق فى قوله * أقلى اللوم عاذل والعتابن * أو على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده أى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء (تأزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة (فلاتعجل عليهم) بأن يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعدلهم) أيام آجالهم (عدا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجمعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها (وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لايرده الا لعطش أو كالدواب التى ترد الماء (لايملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ماوعد الله تعالى أو الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به ومحله الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أى الا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لايملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز أن ينسب اليهم (لقد جئتم شيئا ادا) على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى

من قوله لاوتين اذ اللام لام القسم (قوله فان نفس الكتابة لاتتأخر عن القول) هذا دليل على ان سنكتب ليس على معناه الحقيقى والالزم أن يكون المعنى بعد ذلك نكتب مايقول فى زمان الحال فيلزم تأخر الكتابة عن القول مع ان قوله مايلفظ من قول الخ يراد به ان الملك الموكل يكتب فى الحال مايقول (قوله أو جعل الخ) عطف على يؤيد الاول أى جعل الواو للاصنام ويؤيده ماذكر أو جعل الضمير للكفرة (قوله أو على الاستثناء) أى على الاستثناء من الضمير (قوله والضمير يحتمل الوجهين) أى يحتمل أن يعود الى الناس جميعا والى الكافرين المعهودين وفى الاحتمال الاول ماتقدم (قوله جاز أن ينسب اليهم) الوجه هو الوجه الثانى وهو ان ينسب الى الكفرة ولا وجه لان ينسب الى جميع الناس شامل للمؤمن والكافر (قوله على الالتفات للمبالغة فى الذم) فان ذم الشخص بطريق المخاطبة فى الحضور أشد من ذمه بالغيبة

الامر وآدني أثقلني وعظم علي (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائي بالياء (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر و يعقوب ينفطرن والاول أبلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان أصل التفعل التكلف (وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) تهد هدا أو مهدودة أو لانها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه اداو المعنى أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم و بددقوائمه غضبا على من تفوه بها (أن دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد أو لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء في منه والرفع على أنه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك أن دعوا أو فاعل هدا أي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل مادعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى أصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله (ان كل من في السموات والارض) أي مامنهم (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد أحصاهم) حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته (وعدهم عدا) عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فان كل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض والسين امالان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام أو لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافي صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان أنزلناه بلغتك والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن يسرنا معنى انزلناه أي أنزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدا) اشداء الخصومة آخذين في كل لديد أي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من أحد) هل تشعر باحد منهم وتراه (أو تسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به و يحيي ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها و بعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

﴿ سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طه) فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص و يعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده أبو

(قوله والمعنى ان هول هذه الكلمة الخ) الاولى أن يقال ان هذه الكلمة من الهول بحيث لو تسمع السموات والارض لانفطرت ولا انشقت (قوله تعالى أو تسمع لهم ركزا) انما خص الخفي بالركز لانه اذا لم يسمع منهم الصوت الخفي فبالاولى أن لا يسمع الغير الخفي لان أصل الصوت وأكثره يكون خفيا والجهارة قد تعرض له والاولى ان يقال تخصيصه بالذكر للتنبيه على ان الاثر الظاهر لم يبق لهم فهل يبقى الاثر الخفي

﴿سورة طه﴾

عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون وهما من أسماء الحروف وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل أصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها فى خلائقكم * لاقدس الله أخلاق الملاعين

ضعيف لجواز أن يكون قسما كقوله حم لاينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أوقلبت فى يطأ ألفا كقوله *لاهناك المرتع* ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيارجل أوا كتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أو القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية أو اسمية باضمار مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا أن تبلغ أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به (الا تذكرة) لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أو القرآن أو مفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة

(قوله فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار) أى جعلوا يا طا وحذفوا اذا من هذا فبقى طه قال صاحب الكشاف كانهم فى لغتهم قالبون الهاء طاء أى كأن عكا جرى فى لغتهم قلب الهاء طاء (قوله لجواز أن يكون قسما) أى بعضهم استدل على ان طاها بمعنى يارجل بما ذكر فى البيت فقال ان طاها المذكور فى البيت يجوز أن يكون قسما فلا يلزم أن يكون بمعنى يارجل (قوله وقلبت فى يطأ ألفا الخ) أى يطأ مهموز اللام فقلبت همزته ألفا ثم بنى عنه الامر فبقى مجرد حرف الطاء ثم ضم اليه هاء السكت فصار طه أمرا وهذا متفرع على ما ذكر من أنه قرئ طه بلا ألف وضم اليه هاء السكت (قوله وعلى هذا الخ) أى على هذا التقدير وهو أن يكون طه أمرا يمكن أن يكون طاها وهو قراءة قالون وابن كثير وابن عامر وحفص كما ذكر أولا وقراءة الباقين من القراء السبعة كما ذكر ثانيا والثاً أمرا أيضا وتكون الالف طامقلوبة من الهمزة وهاضمير راجع الى الارض وفيه أنه لو كان كذلك لزم كتابتها بطاها بان تكون الالف فى آخرهما مكتوبا (قوله أوا كتفى بشطرى الكلمتين) أى اكتفى عن طا بمجرد حرف الطاء وعن الضمير بمجرد حرف الهاء لكن عبر عنهما أى تلفظ بهما بالاسمين لا بصورتى الحرفين لانهما مسميان (قوله والقرآن فيه واقع موقع العائد) هذا على التقديرين المذكورين فكأنه قيل طه ما أنزلنا عليك لتشقى (قوله أو استئناف الخ) لانه لما قيل طأ الارض بقدميك وكأنه قيل لم أمرتنى بذلك فقيل ما أنزلنا الخ والاولى أن تجعل الاستئناف استئنافا نحويا لا بيانيا حتى يشمل الصورة الثالثة وكون طه جملة فعلية بان يكون أمرا لم يقدر عليه شئ واسمية بان يكون أمرا واقعا خبرا عن المبتدأ بالتأويل فكأنه قال أنت طه (قوله من رائض المهر) بفتح الميم وسكون الهاء (قوله والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تاسفك

على كفر قريش الخ) انما قيد بذلك احترازا عما سيجئ من انه يمكن أن يكون المعنى ما أنزلنا اليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه (قوله ولعله عدل اليه الخ) أى لعله عدل عن قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب الى قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (قوله لاختلاف الجنسين) كذا فى الكشاف ويرد عليه أن البدل والمبدل منه لا يلزم أن يكونا من جنس فان الثوب فى قولك سلب زيد ثوبه ليس من جنس المبدل منه ولذا قال بعض المعلقين على الكشاف ان ما قاله ليس بجواب مفهوم والجواب أن يقال المبدل منه لابد من أن لا يكون فى الكلام مقصودا والمقصود هو البدل ولهذا يجوز اطراحه الاحيث لا يستقيم بقية الكلام بغيره ونقل الطيبى عن صاحب الكشاف لا يجوز البدل لان التذكرة ليست من الشقاوة فى شئ ليس هى اياه ولا بعضه ولا مشتملا عليه أقول التذكرة تستلزم الشقاوة بمعنى التعب لان التذكرة بين أظهر الكافرين المصرين على الكفر لا تخلو عن تعب وان كان التذكر لمن يخشى وهذا كاف فى بدل الاشتمال

القرآن أى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى) لمن فى قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به (تنزيلا) نصب باضمار فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا أو معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه (ممن خلق الارض والسموات العلى) مع مابعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى أصول العالم وقدم الارض لانها أقرب الى الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم أشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له مافى السموات ومافى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غنى عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الالوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على أنه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه و يجوز أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل مانزل (اذ رأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى أمه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال (لاهله امكثوا) أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا ههنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها (انى آنست نارا) أبصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار مايؤنس به (لعلى آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق أو يهدينى أبواب الدين فان أفكار الابرار مائلة اليها فى كل مايعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه اصوق بمكان يقرب منه (فلما أتاها) أى النار وجد نارا

(قوله لان الشئ لا يعلل بنفسه) أى اذا كان تنزيلا بدلا عن تذكرة وهى مفعول له لزم أن يكون تنزيلا أيضا مفعولا له فلزم تعليل انزال القرآن بتنزيله فلزم تعليل الشئ بنفسه لان الانزال والتنزيل واحد (قوله لا يعلل بنفسه ولا بنوعه) الاول على تقدير ان الانزال والتنزيل بمعنى واحد والثانى على أن يكون الانزال أعم من التنزيل بان يكون الانزال أعم من أن يكون دفعة واحدة أو على التدريج (قوله على الترتيب الذى هو عند العقل) فان العقل يدرك أولا أفعاله تعالى ويستدل منها على صفاته (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته) كمال الارادة مستفاد من قوله بان قصد العرش الخ لان كمالها بان يكون من مبدأ العالم الى آخره تحت تصرفها وفهم من الكلام المذكور وهو قوله الرحمن الخ ماذكرنا (قوله و يجوز أن يكون أنزلنا الخ) فعلى هذا لا يكون التفاتا من التكلم الى الغيبة (قوله و يجوز أن يكون خبرا ثانيا) يعنى ان قوله تعالى الرحمن اذا وقع على المدح يجوز أن يكون فاعلا لا فعل مقدر و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو الرحمن وعلى هذا يكون على العرش استوى خبرا ثانيا

(قوله تعالى نودى ياموسى الخ) الظاهر انه اذا فتح همزة ان كان ياموسى بيانا لنودى ولا يصح أن يكون فاعلا لنودى لان الجملة لا يصح أن تقام مقام الفاعل كما صرح به صاحب الكشاف بل ما يقوم مقامه هو المصدر أى نودى نداء وأما اذا كسرت همزته كان التقدير نودى فقيل ياموسى انى أنا ربك (قوله وهو اشارة الى أنه عليه السلام يتلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا الخ) أراد أن روح موسى عليه السلام أدرك معانى الالفاظ الواردة عليه ثم نقل تلك المعانى بصورة الالفاظ فحصل فى الحس المشترك الذى هو قوة تدرك جميع ما تدركه الحواس فتدرك الالوان والاصوات ولما حصل فى الحس المشترك لم يختص بجهة دون

(١٩)

أخرى ولا يخلو هذا الكلام عن ابهام فالاولى أن يحمل على ظاهره لانه تعالى قادر على أن يجعل لكل عضو قوة سامعة تدرك الصوت والنداء ولما حصل الادراك لكل عضو لم يكن ادراك الاصوات مختصا بجهة دون أخرى كما لا يخفى وقد صرح بعض أكابر العارفين رضى الله عنهم انه قد يحصل لبعض الاكابر أن يدرك بكل قوة ما تدركه القوة الاخرى (قوله والمقدس يحتمل المعنيين) أى يحتمل أن يكون المقدس بمعنى المنزه عن النقص المعظم وهو مناسب لما قال أولا من أن الحفوة تواضع ويحتمل أن يكون بمعنى الطاهر من النجاسة وهو مناسب ما قيل من انه أمر بذلك لنجاسة نعليه وههنا نظر اذ لا يخفى أن هذا الكلام لا يظهر ارتباطه بل لو قيل نودى موسى بانى ربك حصل الارتباط الظاهر ودفعه بان يقال أن ياموسى خبر مبتدأ محذوف والتقدير نودى نداء هو ياموسى و يكون بانى أنا ربك متعلقا بنودى (قوله دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم الخ) قد تكرر فى كلامه أن التوحيد منتهى العلم وأوردنا عليه ان منتهى العلم أن يعلم صفاته وأفعاله تعالى على حسب الطاقة والاولى أن يقال انه دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو أول الواجبات العلمية ومطلق الطاعة وتخصيص الصلاة بالذكر التى هى أشرف الاعمال (قوله أو باخفيها على المعنى الاخير) فيكون أكاد أزيل خفاءها بل أظهرها وأوجدها لتجزى كل نفس وأما المعانى المتقدمة فلا يخفى انه لا يناسب أن يتعلق ليجزى بها (قوله تنبيها على أن فطرته السليمة الخ) يعنى يفهم من نهى الكافر بحسب الظاهر أن موسى لو امتنع عن الصلاة كان بسبب صد الكافر لا منه نفسه

بيضاء تتقد فى شجرة خضراء (نودى ياموسى انى أنا ربك) فتحه ابن كثير وأبو عمرو وأى بانى وكسره الباقون باضمار القول أو اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى أنا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بانى أسمعه من جميع الجهات و بجميع الاعضاء وهو اشارة الى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمره بذلك لان الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى نداءين أو قدس مرتين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك (فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك أو للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل (وأقم الصلاة لذكرى) خصها بالذكر وأفردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالثناء أو لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى (ان الساعة آتية) كائنة لا محالة (أكاد أخفيها) أريد اخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه اذا سلب خفاءه و يؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا أظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة أو عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهى الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغى أن يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه (واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (وما تلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة

القرآن أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى) لمن فى قلبه خشية ورقة
تتأثر بالانذار أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به (تنزيلا) نصب باضمار
فعله أو بيخشى أو على المدح أو البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا أو معنى
فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه ولا بنوعه (ممن خلق الارض والسموات العلى) مع ما بعده الى قوله له
الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذى هو
عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى أصول العالم وقدم الارض لانها أقرب الى الحس
وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم أشار الى وجه احداث الكائنات
وتدبير أمرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب
ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له ما فى
السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور
وخفياتها على سواء فقال (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أى وان تجهر بذكر الله
ودعائه فاعلم أنه غنى عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه
على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه
فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك أنه المستجمع
لصفات الالوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن
فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم
المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال
والاكرام والتنبيه على أنه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز
أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق
فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز
أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن
وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى أشرف المعانى وأفضلها
(وهل أتاك حديث موسى) قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل أعباء
النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل ما نزل (اذ رأى
نارا) ظرف للحديث لانه حدث أو مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى
الخروج الى أمه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة
وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال (لاهله امكثوا)
أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها
(انى آنست نارا) أبصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به (لعلى آتيكم
منها بقبس) بشعلة من النار وقيل جمرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق
أو يهدينى أبواب الدين فان أفكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا
بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم
عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها
كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (فلما أتاها) أى النار وجد نارا

(قوله لان الشئ لا يعلل بنفسه) أى اذا كان تنزيلا بدلا عن تذكرة وهى مفعول له لزم أن يكون تنزيلا أيضا مفعولا له فلزم تعليل انزال القرآن بتنزيله فلزم تعليل الشئ بنفسه لان الانزال والتنزيل واحد (قوله لا يعلل بنفسه ولا بنوعه) الاول على تقدير ان الانزال والتنزيل بمعنى واحد والثانى على أن يكون الانزال أعم من التنزيل بان يكون الانزال أعم من أن يكون دفعة واحدة أو على التدريج (قوله على الترتيب الذى هو عند العقل) فان العقل يدرك أولا أفعاله تعالى ويستدل منها على صفاته (قوله ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته) كمال الارادة مستفاد من قوله بان قصد العرش الخ لان كلها بان يكون من مبدأ العالم الى آخره تحت تصرفها وفهم من الكلام المذكور وهو قوله الرحمن الخ ما ذكرنا (قوله ويجوز أن يكون أنزلنا الخ) فعلى هذا لا يكون التفاتا من التكلم الى الغيبة (قوله ويجوز أن يكون خبرا ثانيا) يعنى ان قوله تعالى الرحمن اذا وقع على المدح يجوز أن يكون فاعلا لفعل مقدر

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو الرحمن وعلى هذا يكون على العرش استوى خبرا ثانيا

(قوله تعالى نودى ياموسى الخ) الظاهر انه اذا فتح همزة ان كان ياموسى بيانا لنودى ولا يصح أن يكون فاعلا لنودى لان الجملة لا يصح أن تقام مقام الفاعل كما صرح به صاحب الكشاف بل ما يقوم مقامه هو المصدر أى نودى نداء وأما اذا كسرت همزته كان التقدير نودى فقيل ياموسى انى أنا ربك (قوله وهو اشارة الى أنه عليه السلام يتلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا الخ) أراد أن روح موسى عليه السلام أدرك معانى الالفاظ الواردة عليه ثم نقل تلك المعانى بصورة الالفاظ فحصل فى الحس المشترك الذى هو قوة تدرك جميع ما تدرك الحواس فتدرك الالوان والاصوات ولما حصل فى الحس المشترك لم يختص بجهة دون أخرى ولا يخلو هذا الكلام عن ابهام فالاولى أن يحمل على ظاهره لانه تعالى قادر على أن يجعل لكل عضو قوة سامعة تدرك الصوت والنداء ولما حصل الادراك لكل عضو لم يكن ادراك الاصوات مختصا بجهة دون أخرى كما لا يخفى وقد صرح بعض أكابر العارفين رضى الله عنهم انه قد يحصل لبعض الاكابر أن يدرك بكل قوة ما تدركه القوة الاخرى (قوله والمقدس يحتمل المعنيين) أى يحتمل أن يكون المقدس بمعنى المنزه عن النقص المعظم وهو مناسب لما قال أولا من أن الحفوة تواضع ويحتمل أن يكون بمعنى الطاهر من النجاسة وهو مناسب ما قيل من انه أمر بذلك لنجاسة نعليه وههنا نظر اذ لا يخفى أن هذا الكلام لا يظهر ارتباطه بل لو قيل نودى موسى بانى ربك حصل الارتباط الظاهر ودفعه بان يقال أن ياموسى خبر مبتدا محذوف والتقدير نودى نداء هو ياموسى و يكون بانى أنا ربك متعلقا بنودى (قوله دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم الخ) قد تكرر فى كلامه أن التوحيد منتهى العلم وأوردنا عليه ان منتهى العلم أن يعلم صفاته وأفعاله تعالى على حسب الطاقة والاولى أن يقال انه دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو أول الواجبات العلمية ومطلق الطاعة وتخصيص الصلاة بالذكر التى هى أشرف الاعمال (قوله أو باخفيها على المعنى الاخير) فيكون أكاد أزيل خفاءها بل أظهرها وأوجدها لتجزى كل نفس وأما المعانى المتقدمة فلا يخفى انه لا يناسب أن يتعلق ليجزى بها (قوله تنبيها على أن فطرته السليمة الخ) يعنى يفهم من نهى الكافر بحسب الظاهر أن موسى لو امتنع عن الصلاة كان بسبب صد الكافر لا منه نفسه

بيضاء تتقد فى شجرة خضراء (نودى ياموسى انى أنا ربك) فتحه ابن كثير وأبو عمرو أى بانى وكسره الباقون باضمار القول أو اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى أنا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بانى أسمعه من جميع الجهات و بجميع الاعضاء وهو اشارة الى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمره بذلك لان الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى نداءين أو قدس مرتين (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك (فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك أو للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل (وأقم الصلاة لذكرى) خصها بالذكر وأفردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها أو لان أذكرك بالثناء أو لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى (ان الساعة آتية) كائنة لا محالة (أكاد أخفيها) أريد اخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه اذا سلب خفاءه و يؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا أظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية أو باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة أو عن الصلاة (من لا يؤمن بها) نهى الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغى أن يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه (واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (وما تلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة

وقيل صلة تلك (ياموسى) تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه (قال هي عصاي) وقرئ عصيّ على لغة هذيل (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا اعييت أو وقفت على رأس القطيع (وأهش بها على غنمي) وأخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي انحي عليها زاجرا لها (ولي فيها مآرب أخرى) حاجات أخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها اداونه وعرض الزند بن على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدوو ينبع الماء بركزها و ينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابها غرض الذي فهمه (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هي حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها (سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك أطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كأنها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية أخرى) معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء أو من ضميرها أو مفعول باضمار خذ أو دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر أو بما دل عليه آية أو القصة أي دللنا بها أو فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أو مفعول نريك ومن آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة (انه طغى) عصى وتكبر (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم سأله أن يشرح صدره و يفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه و يسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك

(قوله تكرير لزيادة الاستئناس) أي تكرير ياموسى للزيادة المذكورة فانه حصل أصل الاستئناس بندائه أولا في قوله تعالى فلما أتيها نودي ياموسى (قوله وكأنه عليه السلام فهم الخ) انما قال وكأنه لاحتمال أن يكون المقصود من السؤال استئناس موسى وتجرئته على الكلام والتخفيف عليه لما حصل من المهابة بخطاب ملك الملوك ورب الارباب تعالى شأنه (قوله وانتصابها على نزع الخافض) اذ التقدير سنعيدها الى سيرتها (قوله باضمار خذ او دونك) يقال دونك في الاغراء (قوله ولعل تبييض يده كان لذلك) أي يحتمل ان الله تعالى جعل يد موسى بيضاء من غير سوء جبرا لاحتراقها باخذ الجمرة أو لانه لطم فرعون

ياموسى ومن لم يقل احتج بقوله هوأفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل (واجعل لى وزيرا من اهلى هرون أخى) يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره أومن الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى أموره ومنه الموازرة وقيل أصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة أوحال أولى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير أووزيرا من أهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد وأخى على الوجوه بدل من هرون أومبتدأ خبره (اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين لى فيما أمرتنى به (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أى أنعمنا عليك فى وقت آخر (اذ أوحينا الى أمك) بالهام أوفى منام أوعلى لسان نبى فى وقتها أوملك لا على وجه النبوة كما أوحى الى مريم (مايوحى) مالا يعلم الا بالوحى أومما ينبغى أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به (أن اقذفيه فى التابوت) بان اقذفيه أوأى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول (فاقذفيه فى اليم) والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله ❊ غلام رماه الله بالحسن يافعا ❊ (فليلقه اليم بالساحل) لما كان القاء البحر اياه الى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض (يأخذه عدو لى وعدو له) جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أولان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى أصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال سبحانه وتعالى (وألقيت عليك محبة منى) أى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق منى بالقيت أى أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطؤه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره (ولتصنع على عينى) لتربى ويحسن اليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أوعلى الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن أمرى (اذ تمشى أختك)

(قوله ولذلك نكرها وجعل الخ) فان ظاهر التنكير للتبعيض فكأنه قيل احلل بعض عقدة لسانى وجعل موسى يفقهوا جواب الامر ليكون دالا على أن المطلوب ليس ازالة العقد بالكلية بل الافهام فبأى طريق حصل الافهام حصل المطلوب (قوله ولى صلة) أى صلة لوزيرا ومتعلق به (قوله أولى وزيرا) عطف على قوله وزيرا وهرون أولهما وزيرا وثانيهما لى أى واجعل وزيرا كائنا لى (قوله أووزيرا من أهلى) أى يحتمل أن يكون مفعولاه وزيرا ومن أهلى ويكون لى تبيينا (قوله كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد) فان له بيان فانه اذا قيل لم يكن كفوا أحد فكأنه قيل لمن فقيل فى جوابه له أى لله (قوله تعالى ولقد مننا عليك مرة أخرى) فان قيل لم قيل ولقد مننا وصرح بالفاعل وقيل سابقا قد أوتيت سؤلك ولم يصرح بالفاعل قلنا لان السابق لما قيل فى جواب دعاء موسى من الله تعالى علم أن الفاعل هو الله تعالى وأما المن المذكور فلو لم يصرح بفاعله لم يظهر فاعله مراعاة للنظم لان الضمير فى قوله أن اقذفيه فى التابوت لموسى البتة فاللائم أن تكون الضمائر الباقية لموسى أيضا مع أن قوله تعالى يأخذه عدو لى وعدو له أيضا لابد أن يكون لموسى أيضا (قوله كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب الى قوله غلام) هذا يدل ظاهرا على أن المراد من القذف هو الوضع لان المراد من الرمى هو الوضع على ماصرح به صاحب الكشاف حيث قال المعنى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والغلام اليافع الذى ارتفع ولم يبلغ (قوله وأخرج الجواب مخرج الامر) معطوف على قوله جعل أى الاصل أن يقال يلقيه اليم بالساحل حتى يكون جوابا لقوله فاقذفيه فى اليم لكنه عدل الى ماذكر لما ذكر (قوله أوعلى الجملة

ظرف لالقيت أو لتصنع أو بدل من اذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع (فتقول هل أدلكم على من يكفله) وذلك لانه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى أمك) وفاء بقولنا انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) هى بفراقك أو أنت على فراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حجزة و بدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره (فلبثت سنين فى أهل مدين) لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته لان أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء (ياموسى) كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى) لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى (اذهبا الى فرعون انه طغى) أمر به أولا موسى عليه الصلاة والسلام وحده وههنا اياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحى الى هرون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله (فقولا له قولا لينا) مثل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق باذهبا أو قولا أى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطته اذا حملته على العجلة أى نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان انسى أو جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية (أو أن يطغى) أو أن يزداد طغيانا فيتخطى الى أن يقول فيك ما لا ينبغى لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لا تخافا اننى معكما) بالحفظ والنصر (أسمع وأرى) ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما و يوجب نصرتى لكما ويجوز أن لا يقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) أطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى أيدى القبط يستخدمونهم و يتعبونهم فى العمل و يقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على أن

المراد بها وقت متسع) أى بأن يكون المراد من قوله تعالى اذ أوحينا الى أمك أى زمان ممتد وقع الايحاء فى بعضه والمشى المذكور فى بعض آخر كما يقال حدث فى هذه السنة كذا وان كان حدوثه فى جزء قصير منها (قوله ابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء) فالاول أن يكون مصدرا مفردا كالخروج والدخول والثانى أن يكون جمعا على انه جمع فتن بفتح الفاء أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء فلوحظت كأنها لم تكن وانما قال ذلك لان الفعلة لا تجمع على فعول الا نادرا (قوله أوله ولما سبق ذكره) أى أو هو اجمال لما ناله فى سفره ولما تقدم ذكره من جعله فى التابوت وقذفه فى اليم (قوله قرره عقيب ما هو غاية الحكاية تنبيها على ذلك) أى كرر نداء موسى بعد تمام حكاية ما مضى تنبيها على انه وصل ما مضى حكاية الى النهاية (قوله أمر به موسى أولا وحده) أى أمر الله تعالى موسى وحده بالذهاب الى فرعون فى قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى وههنا أمر موسى وأخاه بالذهاب اليه فلا تكرار (قوله متعلق باذهبا أو قولا) يفهم منه أن مجرد ذهابهما اليه من غير قول صالح للتذكر وخشيته ويمكن أن يكون ذلك بان يكون مجرد رؤيتهما ومهابتهما فى نظره أو صدور آيات ومعجزات يوجب ما ذكر (قوله واطلاقه من حسن الادب) يشتمل أن تخليص

تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز أن يكون للتدريج فى الدعوة (قد جئناك بآية من ربك) جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية قال أولو جئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة فى الدارين لهم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى أول الامر أهم وأنجع وبالواقع أليق (قال فمن ربكما ياموسى) أى بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا أمر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أو لانه عرف أن له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا الذى أعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له أو أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه أو المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا أى أعطى كل مخلوق مايصلحه (ثم هدى) ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على أن الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وأن جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه (قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (قال علمها عند ربى) أى هو غيب لا يعلمه الا هو وانما أنا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرنى به (فى كتاب) مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده (لا يضل ربى ولا ينسى) والضلال أن تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وباجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى

يكون المراد من الاطلاق عدم تقييده يطغى بالجار والمجرور وهو عليك ويحتمل أن يكون المراد من أن الاطلاق من حسن الادب اطلاق فرعون أى عدم تقييده بحسن الادب وهذا هو الظاهر فعلى التقدير الاول يكون اطلاقه مرفوعا وعلى التقدير الثانى يكون مجرورا (قوله ويجوز أن يكون للتدريج فى الدعوة) أى الدعوة من الاسهل الى الاصعب فان ارسال بنى اسرائيل أسهل على فرعون من الاقرار بوحدانية الله تعالى وعبادته وترك طغيانه وعتوه الفاحش (قوله وسلام الملائكة الخ) فان قيل الاولى أن يقال وسلام الله والملائكة الخ قلنا هذا مبنى على ماقاله الفقهاء من أن سلام الله على غير الانبياء والملائك خلاف الاولى أو مكروه (قوله ان عذاب المنزلين) المراد بالمنزلين الدنيا والآخرة وعذاب المنزلين يفهم من اطلاق العذاب ولان المقام مقام التهديد (قوله وتغيير النظم والتصريح بالوعيد) أى الظاهر يقتضى أن يقال والسلام على من اتبع وأظهرها ان يقال على من كذب وتولى [illegible] ماذكر لما ذكر ويفهم من عبارته أن لكل من الامور المذكورة دخلا فى التهديد أما الاخيران فظاهر وأما الاول فلان تغيير النظم يدل على الاهتمام بشأنه حتى يستحق أن يلتفت اليه التفاتا خاصا ويغير النظم السابق به (قوله وقرئ خلقه الخ) أى قرئ خلقه بصيغة الفعل فى القراءة الشاذة والاولى أن يقال ان حذف أحد مفعولى أعطيت على الشذوذ والندرة (قوله ثم عرفه كيف يرتفق به أعطى) مثل ان اليد والرجل للاخذ والمشى ثم علمه أن يأخذ الاشياء باليد ويمشى بالرجل بل خلق الفهم له فيعرفه أول ماولد أن يمص الثدى حتى يشرب اللبن ولا يخفى أن كل شئ لا يعرف الارتفاق بما أعطى وانما ذلك للذى له ادراك الا اذا قيل بالتجوز وعبارة الكشاف أى عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه ولا يرد عليه مايرد على المصنف (قوله تعالى فى كتاب لا يضل ربى) الاولى أن يقال هذه حال من ضمير عند أى حصل عنده كائنا فى كتاب لا يضل ربى فيكون الله تعالى عالما بها وهى أيضا مثبتة فى اللوح أيضا فيلزم أن يكون علمه تعالى بها الا بسبب اثباتها فى اللوح كما توهم من ظاهر العبارة (قوله ويؤيده الخ) لان النسيان يناسب العلم لا الكتاب (قوله ويجوز أن يكون سؤاله دخلا الخ) لما قال سابقا ولذلك فبهت الذى كفر وأفحم عن الدخل

عليه قال ههنا يحتمل انه لم يفحم عن الدخل بل دخل عليه بما ذكر (قوله تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة الخ) فيه ان هذا التنبيه يحصل لو قيل فأخرج به أزواجا بطريق الغيبة لان كمال القدرة يتفرع على الاخراج سواء كان بلفظ التكلم أو الغيبة الا أن يقال ان مراده ان ماذكر يستفاد من وضع ضمير الجمع موضع المفرد فانه يدل على ماذكر كأن الملك الكبير لا يأبى عن ارادته شئ ممن في ملكه ثم ان صاحب الكشاف والمصنف لم يصرحا بانه التفات بل قالا ان العدول المذكور نقل من الغيبة الى التكلم وقال العلامة الطيبي اذا حكم بان الله تعالى حكى عن موسى وغير العبارة من الغيبة الى التكلم لان الضميرين عبارتان عن شئ واحد كان التفاتا واذا نظر الى ان موسى عليه السلام سمع هذه الكلمات بعينها من الله فأثبتها وأدرجها فى كلامه كان التفاتا أيضا (قوله فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان) دليل على ان الموعد مصدر لا اسم زمان أو مكان لان الاخلاف يناسب المصدر لا الزمان والمكان لان الاخلاف عبارة عن ترك الفعل الموعود (قوله بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف) أى هو منصوب بوعد الذى دل عليه موعد ولا يصح نصبه بنفس المصدر لانه موصوف بلا نخلفه والمصدر الموصوف لا يعمل كما ان المشتق اذا كان موصوفا لا يعمل بضعف مشابهته للفعل بسبب كونه موصوفا فان الفعل لا يوصف وماذكره رد للكشاف فانه قال هو منصوب بالمصدر أو بفعل دل عليه المصدر ويمكن أن يقال مراد صاحب الكشاف انه منصوب بمصدر مقدر من جنس المصدر الاول أو بفعل من جنسه وهو (قوله كما هو على الاول) أى يقدر هكذا اذا جعلنا الموعد مصدرا او يجعل مكانا سوى منصوب بفعل مقدر (قوله منتصفا يستوى الخ) أى منتصفا من مكان يستوى بعد هذا المنتصف منا ومنك والظاهر ان المراد ان القاءما يريدون القاءه واظهار الاعاجيب به يكون فى المكان المذكور ليكون اطلاع كل من المتخاصمين على ماوقع فى هذا الوسط على سواء

(الذى جعل لكم الارض مهادا) مرفوع صفة لربى أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفى الزخرف مهدا أى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش أو جمع مهد ولم يختلفوا فى الذى فى النبأ (وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من أرض الى أرض لتبلغوا منافعها (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرجنا به) عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق الآية (أزواجا) أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان أو صفة لازواجا وكذلك (شتى) و يحتمل أن يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس و بعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا أنعامكم) وهو حال من ضمير فأخرجنا على ارادة القول أى أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها الانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية (منها خلقناكم) فان التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم (وفيها نعيدكم) بالموت وتفكيك الاجزاء (ومنها نخرجكم تارة أخرى) بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها (ولقد أريناه آياتنا) بصرناه اياها أو عرفناه صحتها (كلها) تأكيد لشمول الانواع أو لشمول الافراد على أن المراد بآياتنا آيات معهودة وهى الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ماأوتى غيره من المعجزات (فكذب) موسى من فرط عناده (وأبى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) أرض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لانخلفه نحن ولا أنت) فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف أو بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم أو باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك

وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة و يعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق و يزهق الباطل على رؤس الاشهاد و يشيع ذلك فى الاقطار (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم أو الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير اليوم أو ضمير فرعون على أن الخطاب لقومه (فتولى فرعون فجمع كيده) ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم (ثم أتى) الموعد (قال لهم موسى و يلكم لاتفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب) فيهلككم و يستأصلكم و به قرأ حمزة والكسائى وحفص و يعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تنازعت السحرة فى أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة (وأسروا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا أن يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحرث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام لاتدخل خبر المبتدا وقيل أصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ أبو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على أنها هى المخففة واللام هى الفارقة أو النافية واللام بمعنى الا (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) بالاستيلاء عليها (بسحرهما و يذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى هو أفضل المذاهب باظهار مذهبهما واعلاء دينهما لقوله انى أخاف أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فاجمعوا كيدكم) فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا و يعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض (ثم ائتوا صفا) مصطفين لانه أهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة (وقد أفلح اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض (قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى) أى بعدما أتوا مراعاة للادب وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف أى اختر القاءك أولا والقاءنا أو الامر القاؤك أو القاؤنا (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما أوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم الى وجه أبلغ ولان يبرزوا ما معهم و يستنفدوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) أى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم وهى للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه أنها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل

(قوله وقيل أصله انه هذان لهما ساحران) الغرض منه دفع مايرد ان اللام لاتدخل خبر المبتدأ نقل العلامة الطيبى عن الزجاج انه قال حكى أبو عبيدة وهو من رؤساء الرواة انه لغة لكنانة وكذلك روى الكوفيون انها لغة لبنى الحارث بن كعب وقال ابن الحاجب فى الامالى وهذه القراءة مشكلة وأظهرها ان هذا مبنى لمجاء فى الرفع والنصب والجر على حال واحدة (قوله وقيل ان بمعنى نعم) فان قيل نعم تصديق لماسبق فما هو قلنا شئ مقدر بنية مايتصل به بان قال بعضهم حين النجوى هما ساحران فقال أكثرهم ان أى نعم هما ساحران وهذا الوجه وان ضعفه ابن الحاجب فى الامالى لكن الزجاج أعجب به وقال وهو الذى اراه والله أعلم وقد عرضته على عالمين محمد بن يزيد يعنى المبرد وعلى ابن اسماعيل فقبلاه وذكرا انه أجود ماسمعوه فى هذا المعنى (قوله تخيل بالتاء) على صيغة المجهول من باب التفعيل

باليا على اسناده الى الله تعالى وتخيل بمعنى تتخيل (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لاتخف) ما توهمت (انك أنت الاعلى) تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق ما فى يمينك) أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التى فى يدك أو تعظيما لها أى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ما هو أعظم منها أثرا فالقه (تلقف ما صنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته (انما صنعوا) ان الذى زوروا وافتعلوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ما أعدت * فى سعى دنيا طالما قد مدت

كأنه قيل انما صنعوا كيد سحرى (حيث أتى) حيث كان وأين أقبل (فألقى السحرة سجدا) أى فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدم هرون لكبر سنه أو لروى الآية أو لان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى أنهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) أى لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام (قبل أن آذن لكم) فى الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم وأعلمكم به أو لاستاذكم (الذى علمكم السحر) وأنتم تواطأتم على ما فعلتم (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب (ولتعلمن أينا) يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله أراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به (أشد عذابا وأبقى) وأدوم عقابا (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا) موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا) عطف على ما جاءنا أو قسم (فاقض ما أنت قاض) ما أنت قاضيه أى صانعه أو حاكم به (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) انما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وما أكرهتنا عليه من السحر) من معارضة المعجزة روى أنهم قالوا لفرعون أرنا

(قوله مؤكدا بالاستئناف) فان الاستئناف جواب السؤال وهو دال على انه مما يهتم بشأنه حتى يسأل عنه ويجاب به (قوله ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة) فيه ان العلو مشترك بين موسى وبينهم كما هو مقتضى صيغة التفضيل واذا كان كذلك فكيف يدل مجرد العلو على غلبة موسى عليه السلام عليهم وانما يدل عليها صيغة التفضيل والجواب ان المراد من صيغة التفضيل المبالغة فى العلو فلا يلزم أيضا اثبات العلو للسحرة فان قلت فعلى هذا لا تفيد صيغة التفضيل المبالغة والتقرير قلنا المبالغة فى العلو تستفاد من صيغة التفضيل (قوله كقول العجاج الخ) الاستشهاد فى قوله فى سعى دنيا لانه لما كان المضاف فى هذا التركيب منكرا نكر المضاف اليه أى لما كان الغرض تنكير المضاف نكر المضاف اليه وقوله قد مدت أى أمهلت فى جمعها وتهيئة أسبابها وما فى طالما كافة أو مصدرية

موسى نائما فوجدوه تحرسه العصافقالوا ماهذابسحر فان الساحر اذانام بطل سحره فابى الا أن يعارضوه (والله خير وأبقى) جزاءأوخيرثواباوأبقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيا) حياة مهنأة (ومن يأته مؤمناقدعمل الصالحات) فى الدنيا (فأولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من أدناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما أوفاتخذ من ضرب اللبن اذاعمله (فى البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا و يبسا كسقم سقماوسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهواما مخفف منه أووصف على فعل كصعب أوجع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كان قتودرحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا

أولتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لاتخاف دركا) حال من المأمور أى آمنا من أن يدرككم العدو وصفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر (ولاتخشى) استئناف أى وأنت لاتخشى أوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أوحال بالواو والمعنى ولاتخشى الغرق (فاتبعهم فرعون بجنوده) وذلك أن موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل فاخبرفرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم و يؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من اليم ماغشيهم) الضمير لجنوده أوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة أى غشيهم ماسمعت قصته ولايعرف كنهه الاالله وقرئ فغشاهم ماغشاهم أى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى أوماغشاهم أوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك (وأضل فرعون قومه وماهدى) أى أضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وماأهديكم الاسبيل الرشاد أوأضلهم فى البحر ومانجا (يابنى اسرائيل) خطاب لهم بعدانجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا أوللذين منهم فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام بمافعل بآبائهم (قدأنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) بمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانماعد المواعدة اليهم وهى لموسى أوله وللسبعين المختارين للملابسة (ونزلنا عليكم المن والسلوى) يعنى فى التيه (كلوا من طيبات مارزقناكم) لذائذه أوحلالاته وقرأ حمزة والكسائى أنجيتكم وواعدتكم ومارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب (ولاتطغوا فيه فيمارزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لماحدالله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبى) فيلزمكم عذابى و يجب لكم من حل الدين اذاوجب أداؤه (ومن يحلل عليه غضبى فقدهوى) فقدتردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل و يحلل بالضم من حل يحل اذانزل (وانى لغفارلمن تاب) عن الشرك (وآمن) بمايجب الايمان به (وعمل صالحاثم اهتدى)

قتاد وهو خشب الرحل والحالبان عرقان مكتنفان بالسرة والغارز بتقديم الراء على الزاى الناقة التى قل لبنها والجمع الغرز وحوالب خبركان ومعى عطف وغرزا جياعا حالان فالمعنى كأن قتودرحلى حين شدت حوالب ناقتى ومعى جياعا وكونهما حالين باعتبار معنى التشبيه المستفاد من كان اذ المعنى القتود مشبهة بالحوالب والمعى حال كون الحوالب غرزا والمعى جياعا فيكون ههنا مضاف محذوف وهو الجواب والغرض منه اظهاردقة الاخشاب المذكورة وقيل خبركان فى البيت الذى يليه وحوالب مفعول ضمت أى حين شدت على حوالب ناقتى واعلم ان الاستشهاد بالبيت فى قوله ومعى جياعافان معى مفرد ووصف بالجمع الذى هو الجياع (قوله ولاتخشى استئناف الخ) هذا على قراءة حمزة واما على غيرها فيكون عطفا ولاحاجة الى التكلف الذى ذكره (قوله والباء للتعدية الخ) أى اذا كان اتبع الذى هو المخفف بمعنى اتبع المشدد تكون الباء للتعدية فتفيدان فرعون جعل جنوده تابعين لبنى اسرائيل سائرين فى أثرهم وقيل الباء مزيدة وعلى هذا يكون بجنوده بدلا من فرعون بدل اشتمال فيكون المعنى اتبعهم جنود فرعون (قوله وهو وراءهم) أى ساقهم خلفهم

(قوله ولذلك قدم جواب الانكار الخ) أى المناسب بحسب الظاهر ان يذكر أولا سبب العجلة فيقول عجلت اليك رب لترضى

ثم استقام على الهدى المذكور (وما أعجلك عن قومك ياموسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن
انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك أجاب
موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه أهم (قال) موسى (هم أولاء على أثرى) أى ماتقدمتهم
الا بخطى يسيرة لايعتد بها عادة وليس بينى و بينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا
(وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك
(قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هرون وكانوا ستمائة ألف مانجا من عبادة العجل منهم الا اثناعشر ألفا (وأضلهم السامرى)
باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ وأضلهم أى أشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا وان صح
أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة
ثم كان أمر العجل وأن هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك
اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان أصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه
ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان
علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى
قومه) بعدما استوفى الاربعين وأخذ التوراة (غضبان) عليهم (أسفا) حزينا بمافعلوا (قال
ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) أى
الزمان يعنى زمان مفارقته لهم (أم أردتم أن يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ماهو
مثل فى الغباوة (فاخلفتم موعدى) وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ماأمرتكم
به وقيل هو من أخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه أى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود
بعد الاربعين وهو لايناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له (قالوا
ماأخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا أمرنا اذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامرى لما أخلفناه
وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدر
ملكت الشئ (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها
منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند
الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هى ماألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها
أوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ
مال الحربى (فقذفناها) أى فى النار (فكذلك ألقى السامرى) أى ما كان معه منها روى أنهم
لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامرى انما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم
وهو حرام عليكم فالرأى أن نحفر حفيرة و نسجر فيها نارا ونقذف كل مامعنا فيها ففعلوا وقرأ أبو
عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فاخرج لهم عجلا جسدا) من
تلك الحلى المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامرى ومن افتتن به اول مارآه (هذا
الهكم واله موسى فنسى) أى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى أى
ترك ما كان عليه من اظهار الايمان (أفلا يرون) أفلا يعلمون (الا يرجع اليهم قولا) انه لايرجع
اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لاتقع بعد افعال
اليقين (ولايملك لهم ضرا ولانفعا) ولايقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من

وهم أولاء على أثرى
لكنه قدم جواب الانكار
لماذكر (قوله تعالى قال فانا
قد فتنا قومك الخ) فان
قلت ماهذه الفاء قلنا فاء
التعقيب فكانه قيل أقول
عقب المخاطبة المذكورة انا قد
فتنا قومك (قوله وان صح
الخ) أى نقل أن عبادتهم
للعجل كانت بعد ذهاب
موسى بعشرين ليلة فاشكل
الحال بانه كيف قال الله تعالى
عنه عند مقدم موسى الى
موعد وعده الله تعالى
وأضلهم السامرى بصيغة
الماضى والحال ان العبادة
المذكورة لم تقع بعد فاجاب
بانا لانسلم صحة هذا النقل
وان سلم فنقول هذا اخبار
على ماسيقع على عادته تعالى
بلفظ الماضى (قوله تعالى
أفطال عليكم العهد) فان
قيل ماهذه الفاء قلنا فاء
السببية يعنى أخلفتم
موعدى أفطال عليكم العهد
(قوله اذ ليس فى الآية ما
يدل عليه) هذا علة لقوله ان
صح أى انما قلنا ان صح
بطريق الشك اذ ليس فى
الآية مايدل على القصة
المذكورة (قوله وهو
لايناسب الترتيب على
الترديد الخ) أى لايناسب
اخلاف الوعد بهذا المعنى
ترتيبه على الترديد المذكور
لان وجدانهم طول العهد المذكور او ارادتهم حلول غضب الرب تعالى لايصلح ان يكون علة لوجدانهم الخلف فى
وعد موسى بل يصلحان سببين لخلفهم فى وعدهم مع موسى ولايخفى ان وجدانهم الخلف فى وعد موسى كما لايناسب الترتيب المذكور

قبل)

قبل) من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام اوقول السامرى كأنه أول ماوقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (وان ربكم الرحمن) لاغير (فاتبعونى واطيعوا أمرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول (قال ياهرون) أى قال له موسى حين رجع (مامنعك اذرأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (ألاتتبعن) أن تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أوان تاتى عقبى وتلحقنى ولامزيدة كما فى قوله مامنعك ان لاتسجد (أفعصيت أمرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال ياابن ام) خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى بشعر رأسى قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) لوقاتلت اوفارقت بعضهم ببعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة لهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برأيك (قال فما خطبك ياسامرى) أى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك أى ماطلبك له وماالذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب أى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لايمس أثره شيأ الا أحياه أورأيت مالم تروه وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من أثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل أواراد ان ينبه على الوقت وهو حين أرسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) فى الحلى المذاب أوفى جوف العجل حتى حيى (وكذلك سولت لى نفسى) زينته وحسنته لى (قال فاذهب فان لك فى الحياة) عقوبة على مافعلت (ان تقول لامساس) خوفا من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) فى الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعد ماعاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أى لن تخلف الواعد اياه وسياتيك لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) أى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه أو بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا أومبرودا وقرئ بضم السين (فى اليم نسفا) فلايصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذى لااله الاهو) اذلاأحد يماثله أو يدانيه فى كمال العلم والقدرة (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل مايصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه

لايناسب الارادة المذكورة ولاقولهم فى جوابه وهو ما أخلفنا موعدك بملكنا (قوله وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول) من الوجهين اللذين ذكرهما فى تفسير قوله تعالى ولقد قال لهم هارون من قبل (قوله ويؤيده قراءة لنحرقنه) أى يؤيد التفسير بتحريق النار قراءة لنحرقنه من باب الافعال لان الاحراق لايتعلق الا بالنار (قوله على انه مبالغة) من حرق بكسر الراء (قوله ويعضده قراءة لنحرقنه) بالنون وضم الراء لان هذه الصيغة لاتتعلق قال فى الصحاح لنحرقنه أى لنبردنه

وان انتصب على التمييز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص بمعنى اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثير المعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (من أعرض عنه) عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أو اثما عظيما (خالدين فيه) فى الوزر أو فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى أعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذى فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ فى الصور) وقرأ أبو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله أو ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك (ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ ويحشر المجرمون (زرقا) زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أو عميا فان حدقة الاعمى تزراق (يتخافتون بينهم) يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (ان) ما (لبثتم الا عشرا) أى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات أو فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) اعدلهم رأيا أو عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون أشد تقالا منهم (ويسألونك عن الجبال) عن مآل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل) لهم (ينسفها ربى نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (فيذرها) فيذر مقارها أو الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن أجزاءها على صف واحد (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها أحوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين (يومئذ) أى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة (يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب الى صوبه (لا عوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت لمهابته (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة أى الا شفاعة من أذن له أو من أعم المفاعيل أى الا من اذن فى أن يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثانى منصوب على

(قوله ولو جعلت ساء بمعنى أحزن الخ) أى يجب على هذا التقدير ان يكون الكلام هكذا وساءهم يوم القيامة حملهم (قوله أشكل الامر الخ) لانه اذا كان بمعنى أحزن كان المناسب ان يقال ساءهم يوم القيامة كقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وأيضا لا جدوى فى قوله (قوله أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الخ) فيه ايهام وتوضيحه ما ذكره صاحب الكشاف يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان أيام السرور قصار (قوله وثلاثتها أحوال مترتبة) ووجه الترتب أن المناسب أن تجعل الارض أولا قاعا خاليا عن الغير ثم تجعل مستويا بحسب الظاهر ثم تجعل مستويا حقيقة

المفعولية وأذن يحتمل أن يكون من الاذن ومن الأذن (ورضى له قولا) أى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة أو رضى لاجله قول الشافع فى شأنه أو قوله لاجله وفى شأنه (يعلم ما بين أيديهم) ما تقدمهم من الاحوال (وما خلفهم) وما بعدهم مما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين أو لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) اذ الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلا يخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولا هضما) ولا كسرا منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى مثل ذلك الانزال أو مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (أنزلناه قرآنا عربيا) كله على هذه الوتيرة (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ أمره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) فى ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت فى ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل عليه السلام ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتى بيانه (وقل رب زدنى علما) أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحى اليك تناله لا محالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد أمرناه يقال تقدم الملك اليه وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا أمره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان أساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (فنسى) العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميم رأى وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء أمره قبل أن يجرب الامور ويذوق شريها وأريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه أخطأ ولم يتعمده ونجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر أى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من أولى العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) قد سبق القول فيه (أبى) جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى أظهر الاباء عن المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) أفرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل أو لان المراد بالشقاء التعب فى طلب

(قوله أو قوله لاجله وفى شأنه) أى قول الشافع لاجل المشفوع وفى شأنه والفرق بينه و بين ما سبقه ان قوله لاجله متعلق برضى على الاول ومتعلق بقوله فى الثانى (قوله فتكون اللام بدل الاضافة) أى الاصل وجوه المجرمين فحذف المضاف اليه وعوض عنه اللام (قوله وهو يحتمل الحال) أى الحال من الوجوه والمعنى وقد خاب من حمل ظلما منهم أى من الوجوه والحالية تناسب العموم والاستئناف يناسب الخصوص (قوله أو جزاء ظلم وهضم الخ) فيه نظر اذ لا يلزم من الايمان و بعض العمل أن لا يظلم غيره ولا يهضم حقه فالوجه الى الاول (قوله ولهذه النكتة أسند الخ) أى لاجل ان المراد حصول ملكة التقوى لهم واحداث العظة والاعتبار عند سماع آيات الوعيد أسند الخ (قوله أو الثابت الخ) عطف بحسب المعنى فكأنه قيل الحق المستحق للملكوت لذاته أو الثابت (قوله وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما) يعنى انه مع كون حلم آدم راجحا على أحلام بنيه قال الله ذلك فعلم ان أحلام آدم وبنيه لم تكن

المعاش وذلك وظيفة الرجال و يؤيده قوله (ان لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لماله فى الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل أغراض ماعسى ينقطع و يزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لامن حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وأبو بكر وانك لاتظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها (فوسوس اليه الشيطان) فانتهى اليه وسوسته (قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد) الشجرة التى من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فاضافها الى الخلد أى الخلود لانها سببه بزعمه (وملك لايبلى) لايزول ولا يضعف (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه) بأكل الشجرة (فغوى) فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من أجبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل معنى الكلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم وحواء أولهما ولابليس ولما كانا أصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدو) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر و يؤيد الاول قوله (فاما يأتينكم منى هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداى فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر و يوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف و بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة أعمى) أعمى البصر أو القلب و يؤيد الاول (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) وقد أمالهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق أبو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها (وكذلك) ومثل تركك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وخالفها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى وللنار بعد ذلك (أشد وأبقى) من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله تعالى أو الرسول أو ما دل عليه (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى اهلاكنا اياهم أو الجملة بمضمونها والفعل

ان فى قوله ان لك وقد امتنع دخول ان المكسورة على ان المفتوحة مع انه لايمتنع دخول الواو التى هى نائب عنها عليها بسبب ماذكر وهو ان امتناع دخول ان المكسورة على ان المفتوحة بسبب ان المكسورة لتحقيق ما دخلت عليه كان المفتوحة فلا يجتمعان لامتناع اجتماع حرفى تحقيق وأما الواو فليست موضوعة للتحقيق حتى يكون حكمها حكم ان (قوله بزعمه) أى بزعم ابليس (قوله وقد أمالهما حمزة والكسائى) أى أمالا همزة أعمى فى الموضعين لان أصلها الياء (قوله ولعله اذا دخل النار الخ) جواب سؤال وهو وانه اذا كان أعمى فى الآخرة كان عماه أبديا فامعنى ان عذاب الآخرة أبقى من العمى والجواب ماذكره وهو انه يمكن أن يحشر أعمى ثم اذا دخل النار زال عماه لماذكر (قوله أى اهلاكنا اياهم أو الجلة بمضمونها) فيه انهم منعوا وقوع الجلة فاعلا وان أريد به مضمونها أى اهلاكنا اياهم كان الاحتمال الاول بعينه ولم يرد هذا على الكشاف لانه لم يذكر هذين الاحتمالين معا

والفعل على الاوّلين معلق يجرى مجرى اعلم و يدل عليه القراءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) و يشاهدون آثار هلاكهم (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل مانزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لاعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب و يجوز عطفه على المستكن فى كان أى لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامداله على ماميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما فى آخر النهار أو العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته جمع انا بالكسر والقصر أو أناء بالفتح والمد (فسبح) يعنى المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه أجمع والنفس أميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز ولذلك قال سبحانه وتعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا (وأطراف النهار) تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله * ظهراهما مثل ظهور الترسين * أو أمر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاوّل من النهار و بداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أو لان النهار جنس أو بالتطوع فى أجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الاوقات طمعا أن تنال عند الله مابه ترضى نفسك وقرأ الكسائى وأبو بكر بالبناء للمفعول أى يرضيك ربك (ولاتمدن عينيك) أى نظر عينيك (الى مامتعنابه) استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة و يجوز أن يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم أى الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم أو ناسا منهم (زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا أو بالبدل من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف ودونه أو

(قوله والفعل على الاولين معلق) لان الفاعل هو الله والرسول فيكون كم أهلكنا مفعولا مصدرا بكلمة الاستفهام فيحصل التعليق ولذا قال و يدل عليه القراءة بالنون لانها صريحة فى أن فاعله مضمر فيلزم التعليق وأما على الاخيرين فكم أهلكنا بمنزلة الفاعل (قوله تعالى يمشون فى مساكنهم) صفة للقرون بان تجعل اللام فى القرون للعهد الذهنى فيكون فى حكم النكرة كما جعلوا اللام فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وحكموا بان جملة يسبنى صفة للئيم وانما جعلنا القرون فى حكم النكرة لانه لاغرض متعلق بتعيينه بل المراد مطلق القرون لان الغرض التنبيه باهلاك قرون يمشون فى مساكنهم وقال المصنف تبعا لصاحب الكشاف فى قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة أن لايستطيعون صفة للرجال والنساء والولدان (قوله أو اسم آلة) أى بمعنى اسم آلة وهو ملزم قال صاحب الكشاف واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل (قوله لزاز خصم) لعله من قبيل جرد قطيفة أى خصم ملزز أى ملح مبالغ فى الخصومة (قوله أى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم) فيكون المراد بالأجل المسمى يوم القيامة أى يكون مجموع الامرين لازما لهم (قوله وانما قدم زمان الليل الخ) أى قدم آناء الليل على فسبح وعكس فيما تقدم وهو قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ووجه التقديم ماذكر (قوله ارادة الاختصاص) فان صلاة الصبح فيها مشقة لكونه وقت شدة النوم وصلاة المغرب وقتها ضيق فكرر ليعتنى بهما (قوله فانه نهاية النصف الاول الخ) لايخفى ان أول الظهر حين زالت الشمس عن منتصف السماء فكيف يصح انه نهاية النصف الاول بل هو بداية النصف الثانى (قوله وجمعه باعتبار النصفين) فان المثنى قد يعبر عنه بصيغة الجمع لمثل ماذكر (قوله أو لان النهار جنس) فله أفراد كثيرة فيتحقق الاطراف (قوله أو من أزواجا) بتقدير مضاف ودونه فالاول على تقدير ان يكون المراد من الازواج أصناف الكفرة فانهم ذوو زهرة الحياة الدنيا والثانى على تقدير ان يكون المراد من الازواج أصناف المتمتعات فانها زهرة الحياة الدنيا

بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة فى الجهرة أوجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهر والدنيا لتنعمهم و بهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه أولنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) وماادخر لك فى الآخرة أومارزقك من الهدى والنبوة (خير) مما منحهم فى الدنيا (وأبقى) فانه لاينقطع (وأمر أهلك بالصلاة) أمره بان يأمر أهل بيته أوالتابعين له من أمته بالصلاة بعدما أمره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولايهتموا بامر المعيشة ولايلتفتوا لفت أرباب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لانسألك رزقا) أى أن ترزق نفسك ولاأهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوى التقوى روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة أو بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم أوالعمل على وجه خارق للعادة ولاشك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (أولم يأتهم بينة مافى الصحف الأولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع أن الآتى بها أمى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كمايدل على نبوته برهان لماتقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى مايشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم أولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أوالبينة والتذكير لانها فى معنى البرهان أوالمرادبها القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل) بالقتل والسبى فى الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما (قل كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لمايؤل اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوى) المستقيم وقرئ السواء أى الوسط الجيد والسوآى والسوء أى الشر والسوى وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء و يجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أوعلى أصحاب أوعلى الصراط على أن المراد به النبى صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم أجمعين

﴿سورة الانبياء مكية وآيها مائة واثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى أوعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله و يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضى واللام صلة لاقترب أوتأكيد للاضافة

واصله

(قوله فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية الخ) وهى جملة من أصحاب الصراط السوى وانما قال على ان العلم بمعنى المعرفة لانه اذا لم يكن كذلك وجب ان يكون له مفعولان فلا يصح ان يكون من اهتدى من غير شئ آخر مفعولا له بل لابد من مفعول آخر لان الموصول مع صلته فى حكم كلمة واحدة فلزم الاقتصار على أحد مفعولى باب حسبت

﴿سورة الانبياء﴾

(قوله بالاضافة الى مامضى الخ) يريد بيان وجه اقتراب الحساب ووجهه باربعة أوجه (قوله وتأكيد للاضافة) كماقالوا فى لا أبالك ان اللام الظاهرة تأكيد للام المقدرة

وأصـله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهـم وخص الناس بالـكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة) أى فى غفـلة عن الحساب (معرضون) عن التفـكر فيه وهما خبران للضمير و يجوز أن يكون الظرف حالا من المستـكن فى معرضون (ما يأتيهم من ذكر) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة لذكر أو صلة ليأتيهم (محدث) تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حـملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن به و يستسخرون منـه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفـكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهـم) أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفـكر فيـه و يجوز أن يكـون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير (وأسروا النجوى) بالغوا فى اخفائها أو جعلوها بحيث خـفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا للايماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أو فاعل له والواو لعلامة الجمع أو مبتدأ والجـملة المتقدمة خـبره وأصـله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم أو منصوب على الذم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) بأسره فى موضع النصب بدلا من النجوى أو مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون الا ملـكا واستلزموا منـه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنـكروا حضوره وانما أسروا به تشاوراً فى استنباط ما يهـدم أمره و يظهر فساده للناس عامة (قل ربى يعلم القول فى السماء والارض) جهرا كان أو سرا فضـلا عما أسروا به فهو آكد من قوله قل أنزله الذى يعـلم السر فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله وأسروا النجوى فى المبالغة وقرأ حمزة والـكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسـلم (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليـه ما يسرون ولا ما يضمرون (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحـلام ثم الى أنه كلام افتراه ثم الى أنه قول شاعر والظاهر أن بل الاولى لتمام حكاية والابتـداء بأخرى أو للاضراب عن تحاورهم فى شأن الرسول صلى الله عليه وسـلم وما ظهر عليـه من الآيات الى تقاولهم فى أمر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه أباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسـه ثم الى أنه كلام شـعرى يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها و يرغبه فيها و يجوز أن يكون الـكل من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا أبعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق

(قوله وأصـله اقـترب حساب الناس الخ) أى الاصـل ما ذكر باضافة الحساب الى الناس ثم قيل اقـترب للناس الحساب ليحصل التبيين بعد الابهام ثم قيل اقترب للناس حسابهم بتقدير اقترب حساب للناس حسابهـم فيحصل منه فائدتان احداهما تأكيد معنى الاضافة والثانى التبيين بعد الابهام هكذا ذكره العلامة الطيبى وفيـه انه يلزم منه حذف الفاعل الذى هو الحساب فى قوله اقترب حساب للناس حسابهـم فالوجـه الاقتصار على ان المآل أى اقترب للناس حسابهـم حتى يكون الفاعل حسابهم فيفيد تأكيد معنى الاضافة لان قوله تعالى حسابهـم فى معنى حساب للناس (قوله تعالى محدث) فان قيـل ما فائدة قوله تعالى محدث قلنا فائدته انه لو لم يذكر لجاز ان يتوهم ان ذكرا واحدا تـكرر بيانه بان يذكره النبى صـلى الله عليه وسـلم مرة بعد أخرى فاذا قيل محدث علم انه لم يكن فـكان بعد ما لم يكن (قوله وهـو آكد من قوله تعالى قل أنزله الذى يعلم الخ) لان هذه الآية صريحة فى انه تعالى يعـلم القول الخفى والظاهر وتلك الآية تدل عـلى انه تعالى يعـلم الاسرار ومن يعلم الاسرار وان كان الظاهر منـه انه يعـلم الجهر أيضا لـكن التصريح به أشـد تقريرا ولك ان تقول تلك الآية آكد من وجه لانها تدل على انه تعالى يعـلم السر أيضا منهـما أعم من ان يكون قولا أو غيره وهذه الآية تدل عـلى انه تعالى يعـلم القول سرا وجهـرا واعـلم ان العـلامة الطيبى نقل عن الراغب ان القول يستعمل على وجوه أحدهـا ان يكون للحروف المبرزة فى النطق مفردا كان أو جملة الثانى للتصور فى النفس قبل الابراز باللفظ فيقال فى نفسى قول لم أبرزه وعلى هذا ظهر ما ادعاه من كونه آكد لان السر هو الحـديث فى النفس كذا قاله الراغب (قوله اضراب لهـم عن قولهم هو سحر الخ) فيكون بل الخ من كلام الـكفرة كذا فى الـكشاف واعترض عليه بان فيه اشكالا من حيث أنه لو كان كذلك لوجب ان يقال قالوا بل أضـغاث أحلام (قوله والظاهر ان بل الاولى الخ) فيكون من كلام الله تعالى (قوله أو للاضراب عن تحاورهم الخ) فقوله اضراب لهـم عن قولهم الخ معناه ان كلامهم الاول وهو قولهم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وكذا قولهم أضـغاث أحلام الخ كلاهما بيان تحاورهم فى شأن القرآن (قوله و يجوز أن يكون الـكل من الله تعالى الخ) حاصله ان بل للترقى من الفاسد الى الافسد فان نسبة القرآن الى السحر فاسـد وكونه أضغاث أحلام أفسد منه لان السحر شبيه بالاعجاز من وجه وهو خرق العادة بخلاف أضغاث الاحلام وقس عليه الباقين

والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما الا انه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وأربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو أبعد من كونه سحرا الا انه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) أى كما أرسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى أمر النبى عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) نفى لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ماله ذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس أو لانه مصدر فى الاصل أو على حذف المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون فلذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان أصله لجمع الشئ واشتداده (ثم صدقناهم الوعد) أى فى الوعد (فأنجيناهم ومن نشاء) يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال (وأهلكنا المسرفين) فى الكفر والمعاصى (لقد أنزلنا اليكم) يا قريش (كتابا) يعنى القرآن (فيه ذكركم) صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق (أفلا تعقلون) فتؤمنون (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه (وأنشأنا بعدها) بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما أدركوا اشدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لا تركضوا) على ارادة القول أى قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال أو المقال والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كانت لكم (لعلكم تسئلون) غدا عن أعمالكم أو تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل (قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان أهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره

(قوله وصحة التشبيه) أى تشبيه الاتيان بالآية بارسال الاولين غير صحيح بحسب الظاهر لكن اذا حقق الامر صح التشبيه بالوجه المذكور (قوله أو لان اخبار الجم الغفير الخ) فيه نظر لان اخبار الجم الغفير من اليهود والنصارى وغيرهم بكذب النبى صلى الله عليه وسلم لا يوجب العلم بل يوجب جهلهم والجواب عنه ان اخبار الجم الغفير يوجب العلم اذا وجد شروط التواتر وليس تكذيبهم للنبى صلى الله عليه وسلم كذلك لظهور ما يرد قولهم (قوله واردة عن غضب شديد) أى هذه آية واردة عن غضب شديد أى دالة عليه (قوله يا لثارات الانبياء) الثار القصاص وهذا النداء للتعجب والمعنى يا أيها الناس تعجبوا من ثارات الانبياء وفيه أن المناسب أن يقال بالافراد لانهم قتلوا نبيا واحدا الا أن يقال ان مشاهدة ثار النبى المذكور فى حكم مشاهدة ثارات الانبياء (قوله أو صفة له أو حال من ضميره) أى خامدين اما صفة الحصيد أو حال من الضمير المستتر فيه ويرد عليه أن الصفة جمع والموصوف مفرد وكذا الضمير المستتر فيه مفرد والحال جمع الا أن يقال الحصيد وان كان مفردا فى اللفظ الا أنه فى معنى الجمع

(وما

(قوله والمراد الرد على النصارى) فانهم ادعوا أنه تعالى اتخذ الزوجة والولد (قوله ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق)
بان يقال معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل بل نحقق الحق فيجوز أن يعطف على الحق فيدمغ الذى هو فى تأويل المصدر والمعنى
بل نحقق الحق فيدمغ الباطل (قوله وذكره لترشيح المجاز) فان الدمغ مستعار من شق غشائه والهلاك يناسبه لانه لازمه (قوله أو لانه
أعم منه من وجه) الوجه الاول بناء على أن من فى السموات والارض عبارة عن مطلق من فى جهات العلو والسفل وهذا الوجه بناء على
أن المراد بمن فى السموات والارض من فى السماوات السبع والارض حتى لا يشمل من (٣٧) فى الكرسى والعرش فهو أعم من وجه

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب
البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد فى المعاش
والمعاد فينبغى أن يتسابقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال
(لو أردنا أن نتخذ لهوا) ما يتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا أو من
عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة و لا الاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع
السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد
على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك ويدل على جواب الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة
للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من
شأننا أن نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما
استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق
غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح
وذكره لترشيح المجاز (ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال
وما مصدرية أو موصولة أو موصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده)
يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى
السموات وافراده للتعظيم أو لانه أعم منه من وجه أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ فى
السماء والارض أو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون)
ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذى هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم بثقلها ودوامها
حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه و يعظمونه دائما
(لا يفترون) حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف أو حال من ضمير قبله (أم اتخذوا آلهة) بل
اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم (من الارض) صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء
وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم
ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم
وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم (لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصف
بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما

ممن فى السموات والارض
اذ يمكن أن يكون من فى
السماء والارض ملكا مقربا
و يمكن أن يكون غيره و يمكن
أن يكون ملك مقرب ليس
فى السماء ولا فى الارض
(قوله بالاستحسار الذى
هو أبلغ من الحسور) أى
التعب وذلك لان الاستحسار
طلب الحسور ولا طلب
فدل السين على المبالغة
فيكون المعنى نفى مبالغة
التعب فيشعر بان ما هم عليه
حقيق بالتعب الشديد لكنهم
ليسوا كذلك فلا يرد انه لو
قيل لا يحسرون لكان
أولى أو لانه يفيد نفى مطلق
التعب اذ على هذا التقدير
تفوت النكتة المذكورة
(قوله وهو استئناف) أى
يسبحون استئناف أو
حال من ضمير قبله فى
يستحسرون أو غيره (قوله
وفائدتها التحقير دون
التخصيص) أى فائدة من
الارض تحقير آلهتهم لا تخصيص الآلهة الارضية بالحكم فان الآلهة غير الله تعالى محقرون سواء أخذت من الارض أو من
غيرها (قوله فان من لوازمها الخ) فيه أنه لا يلزم من الاقتدار على الشئ تحصيله فلا يلزم من القدرة على الانشار انشاره بالفعل والاولى أن يقال
انهم لما عبدوا الاصنام ولا بد للعبادة من فائدة وهى الثواب فاقبالهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكونها للحشر والنشر والثواب
(قوله لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها الخ) أى انما حمل الا على معنى غير وجعل صفة للآلهة لتعذر حمله على الاستثناء لانه
اخراج شئ عن شئ لو لم يكن الاستثناء به لكان الاول داخلا فى الثانى لكن الامر ههنا ليس كذلك لان آلهة جمع منكور غير محصور
فلا يعلم ان الله داخل فيها أو لا (قوله ودلالته الخ) هذا دليل آخر على جعل الا بمعنى الصفة وتوضيحه انه لو جعل الا بمعنى الاستثناء به لكان

دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا أو معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانهما ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه (فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون) من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد (لا يسئل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية (وهم يسئلون) لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم أو ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية أو وجدوا فى الكتب الالهية الأمر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر و يعضد ذلك أنه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثانى ما يدل على فساده نقلا (قل هاتوا برهانكم) على ذلك اما من العقل أو من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى أمته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال و به و بمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل و بعد وشبههما و بعدهما (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بينه و بين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا بالاولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لا يسبقونه بالقول) لا يقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وأنيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا

المعنى لو كان فيهما آلهة يستثنى منها الله لفسدتا فلزم انه لو كان فيهما آلهة لم يستثن منها الله تعالى لم يلزم منها الفساد وهو خلاف المقصود اذ المقصود لزوم الفساد من تعدد الآلهة مطلقا أى من غير تقييد بان ليس الله تعالى منهم أو بان يقيد وابادخال الله تعالى فيهم وأما اذا جعل الا بمعنى غير لزم الفساد على كل حال اذ المعنى لو كان فيهما آلهة متصفة بكونهم غير الله لزم الفساد (قوله لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانهما ان توافقت الخ) بين هذين الكلامين نوع تنافر لان القول الاول يدل على تعين التخالف والقول الثانى وهو قوله فانهما ان توافقت الخ صريح فى احتمال التخالف والتوافق وحاصل الترديد انهما ان توافقت على مراد معين لزم اجتماع القدرة المتعددة المستقلة على شخص واحد وهو محال لما اشتهر فى الكتب من امتناع اجتماع فواعل مستقلة على معلول واحد للزوم احتياجه واستغنائه عن كل واحد وان تخالفت الآلهة فيه بان يريد واحد وجوده والآخر عدمه لزم تعاوق القدر عنه بان يكون كل منهما مانعا عائقا عن الآخر فلزم المحال وههنا ابحاث دقيقة فصلناها فى أوائل الحواشى التى كتبناها على شرح المواقف ثم ان فى الآية أمرين أحدهما ما فائدة لفظ الجلالة ولم يقل لو كان فيهما اله الا الله لفسدتا مع انه أعم لانه يفيد ان ليس اله غير الله مطلقا بخلاف لفظ الجمع فانه يفيد نفى جميع الآلهة ولم يفد نفى اله واحد غير الله الثانى ما فائدة لفظ الا الله مع انه من المعلوم ان الآلهة لابد أن تكون غير الله والجواب عن الاول ان الغرض من الآية الرد على الكفرة وانهم اتخذوا آلهة متعددة ثم انه لا فرق بين نفى الآلهة المتعددة وبين نفى اله غير الله اذ المحال المترتب على كل منهما واحد وعن الثانى ان فيه اشعارا بان معنى غير الله مناف للالوهية حتى لا يمكن ان يكون شئ متصف بانه غير الله صالحا للالوهية (قوله أو ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الخ) سندا خبر يكون وكذا دليلا (قوله به و بمن الجارة الخ) أى قرئ بالتنوين و بمن الجارة على ان مع اسم كقبل وشبهه قد يدخل من عليه فيقال من قبلى كذلك يقال من معى (قوله وفيه تنبيه على مدحض القوم) أى تنبيه على منشأ شبهتم وهى ان اكرام الله لبعض عباده منشأ لشبه اتخاذهم أولادا (قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله) أى على استهجان السبق الذى يعرض به أى بذلك السبق المستهجن للقائلين المذكورين فان القول

على الله مالم يقله سبق عليه (قوله بالضم) أى بضم الباء من يسبقونه (قوله من الملائكة) تخصيص الملائكة بناء على سبق ذكرهم (قوله والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا الخ) فيه نظر اذ تمكنهم من العلم الحاصل بالنظر بان السموات والارض كانتا رتقا ثم فتقتا ممنوع واما قوله فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ففيه ان انفصالهما لا يدل على عروض الفتق بعدما كانتا رتقا لم لا يجوز ان يكونا مخلوقين منفصلتين بلا رتق وفتق فان استدل لهما على ان القرآن

عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه (وهم بامره يعملون) لا يعملون قط مالم يأمرهم به (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمته ومهابته (مشفقون) مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس (ومن يقل منهم) من الملائكة أو من الخلائق (انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) يريد به نفى النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعى الربوبية (كذلك نجزى الظالمين) من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية (أولم ير الذين كفروا) أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو (أن السموات والارض كانتا رتقا) ذات رتق أو مرتوقتين وهو الضم والالتحام أى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة (ففتقناهما) بالتنويع والتمييز أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السموات باسرها على أن لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط أو استفسارا من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا أى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض (وجعلنا من الماء كل شئ حى) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه أو صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا فى الارض رواسى) ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت (أن تميد بهم) كراهة أن تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لأمن الالباس (وجعلنا فيها) فى الارض أو الرواسى (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) عن الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته أو استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى بحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة (معرضون) غير متفكرين

المعجز نص عليهما فنقول هذا كاف فى اثبات الرتق والفتق ولا حاجة الى الدليل العقلى المذكور وقال صاحب الكشاف فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان أحدهما انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص أقول فى الوجه الثانى مثل مافى الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما المصنف (قوله أو صيرنا كل شئ حى) فان قيل التصيير يدل على انه يحيا الحيوان دون الماء أولا ثم صار بحيث لا يحيا دونه مع انه ليس كذلك قلت كل حيوان فهو جنين ولا يحتاج الى الماء ثم اذا تولد صار محتاجا (قوله فالظرف لغو) أى متعلقه مخصوص مذكور وهو جعلنا ويفهم منه انه على التقدير السابق ظرف مستقر أى وجعلنا كل شئ حى كائنا بسبب الماء حتى يكون مفعولا ثانيا لصيرنا (قوله ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك) لان الحال قيد العامل كما فى جاء زيد راكبا فانه يدل على ان الركوب وقت المجئ (قوله فيدل على انه خلقها ووسعها للسابلة) لان البدل هو المقصود بالذات فالمقصود كونها سبلا أى محلا للسابلة (قوله مع مافيه من التوكيد) لان الفجاج يدل على السبل لان الفج الطريق الواسع فاذا قدم الفج حمل على معناه الحقيقى فحصل التأكيد بذكر سبلا بعده وأما اذا أخر الفجاج حمل الفج على الواسع لان السبيل قد قدم ذكره فلا حاجة الى اعتياد

(وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل فى فلك) أى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة فعلهم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت) ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما أنكروه (ونبلوكم) ونعاملكم معاملة المختبر (بالشر والخير) بالبلايا والنعم (فتنة) ابتلاء مصدر من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقرير لما سبق (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الا هزوا) الا مهزوا به ويقولون (أهذا الذى يذكر آلهتكم) أى بسوء وانما أطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء (وهم بذكر الرحمن) بالتوحيد أو بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن (هم كافرون) منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر (خلق الانسان من عجل) كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى أنها نزلت فى النضر بن الحرث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتى) نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول يعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز أن يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك (بل تأتيهم) العدة أو النار أو الساعة (بغتة) فجأة مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين (فتبهتهم) فتغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا فى قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار أو للبغتة (ولا هم ينظرون) يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وعده بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه (قل) يا محمد للمستهزئين (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه ان أرادكم وفى لفظ الرحمن تنبيه على

اشتراكهما بين جميع الكواكب لعدم الالتباس والاشتباه فى عدم اختصاصهما بهما اذ من المعلوم ان الجملة ليست مخصوصة بهما (قوله والهمزة لانكاره بعد ماتقرر ذلك) أى لانكار الخلود بعد ما تقرر ان لا خلود لاحد ممن قبلك فليس لاحد بعدك أيضا خلود (قوله وهو برهان على ما أنكروه) هكذا وقع بصيغة الجمع فى بعض النسخ وليس له وجه ظاهر والوجه صيغة المفرد كما وقع فى بعض النسخ (قوله تقرير لما سبق) وهو عدم الخلود (قوله ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر) أى كرر ضميرهم لان الصلة التى هى بذكر الرحمن فصلت بين المبتدأ والخبر والمراد بكونه صلة كونه صلة الكافرين أى تعلقه (قوله جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه) أى جعل العجل الذى جبل عليه الشخص بمنزلة شئ طبع ذلك الشخص وخلق منه ولذلك قيل انه من القلب لان الظاهر ان يقال خلق العجل من الانسان لان الانسان الموصوف والذات والعجل الصفة والعرض

(قوله وفى لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته الخ) فكان فيه تلقين للجواب بان الكالئ هو رحمته لكنهم لما كانوا معرضين

على أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا كلؤا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أو من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال (أفلا يرون أنا نأتي الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله والمؤمنين (قل انما أنذركم بالوحي) بما أوحى الى (ولا يسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على أن فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ما ينذرون) منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفحة) أدنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان أصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذي ينذرون به (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين) لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) لجزاء يوم القيامة أو لاهله أو فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقها أو من الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) أي وان كان العمل أو الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة (أتينا بها) أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا أو من المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعني القرآن (مبارك) كثير خيره (أنزلناه) على محمد عليه الصلاة والسلام (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على أنه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة (من قبل) من قبل موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال اني وجهت (وكنا به عالمين) علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع

عن ذكره ما عرفوا ان الكالئ رحمته ولم يصلحوا للسؤال عما هو الكالئ (قوله بل ألهم آلهة) الاولى أن يقال ان أم ههنا لمجرد الاضراب من غير استفهام كما قال صاحب المغني ان أم في قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء لمجرد الاضراب لا يتضمن الاستفهام فكان معنى الكلام حينئذ عن ذكر ربهم معرضون بل لهم آلهة تمنعهم من دوننا فلا تسأل عنهم فكان هذا الكلام وهو قوله أم لهم آلهة واقعا على التهكم (قوله أو للمبالغة) لان السماع وقت الانذار مما يجب أن يبالغ فيه لانه منجي الشخص عن العذاب فمن لم يسمع وقت الانذار فهو في غاية الغفلة

(قوله وفيه اشارة الى أن علمه تعالى باختيار وحكمة) اذ المعنى على مافسره علمنا انه أهل لما آتيناه وفيه اشارة الى أن ايتاء رشده لاهليته عليه الصلاة والسلام ومفهومه انه لولم يكن أهلا لما آتيناه وهذا يدل على الاختيار اذ لولم يكن مختارا بل بالذات لزم الايتاء سواء كان أهلا أولا فتأمل (قوله وهو جواب عما لزم الاستفهام الخ) أى هذا الجواب لا يكون جوابا فى

لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه وقومه) متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده وقت قوله (ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لاروح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) منخرطين فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة أنه على حق (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) كأنهم لاستبعادهم تضليله اياهم ظنوا أن ماقاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله أم تلعب به (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على مالدعاه وهن للسموات والارض أو للتماثيل وهو أدخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم (وأنا على ذلكم) أى المذكور من التوحيد (من الشاهدين) من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه (وتالله) وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب (لأكيدن أصنامكم) لأجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد ومافى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل (بعد أن تولوا عنها (مدبرين) الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا (فجعلهم جذاذا) قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة (الا كبيرا لهم) للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو انهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود أن يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك أو الى الله أى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام أو بافراطه فى حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم فاعله فعله و يذكر ثانى مفعولى سمع أو صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه (يقال له ابراهيم) خبر محذوف أى هو ابراهيم ويجوز أن يرفع بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا فأتوا به على أعين الناس) بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى أعينهم تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) حين أحضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) أسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه أو تقريرا لنفسه مع الاستهزاء

الظاهر عن السؤال اذ السؤال عن التماثيل أنفسها لا عن علة عبادتها لكن لما كان الاستفهام المذكور للتحقير كان متضمنا للسؤال عن علة عبادتها فهذا الجواب جواب عنه (قوله لعدم استناد الفريقين الى دليل) المراد من الفريقين الآباء والابناء المقلدون لهم (قوله والتقليد ان جاز انما يجوز لمن علم انه فى الجملة على حق) يفهم منه انه لا يجوز التقليد أصلا وان علم المقلد ان مقلده على حق لكن فيه نظر لان من قلد امامه فى فروع الفقه علم فى الجملة انه وامامه على الحق وان لم يعرف التفصيل وههنا نظر آخر وهو وان كان المراد من العلم اليقين فالمقلد لا يلزم أن يحصل له اليقين لان من قلد امامه قد يكون امامه على الخطأ فكيف يكون تقليده يقينا وان كان المراد الجزم المطلق فالكافرون حصل لهم الجزم بان الاصنام آلهتهم ومعبودهم (قوله أو لانهم يرجعون الى الكبير الخ) هذا ضعيف لانهم عالمون بأن الاصنام لا تصلح للسؤال ولا للجواب (قوله وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه) أى لنسبة الذكر اليه طريقان أحدهما ماذكر والثانى أن يقال سمعنا يذكرهم فتى وانما كان أبلغ لان سمعنا لما تعلق بفتى أفاد انه سمع ذكرفتى لان سمع الفتى نفسه لا وجه له ثم اذا ذكر يذكرهم علم مرة أخرى ذكر الفتى (قوله ويجوز أن يرفع بالفعل الخ) هذا هو الظاهر فينبغى أن يجعل هو الاصل على عكس ماذكر الا

الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضى كما لوقال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض أو الى ضمير فتى أو ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته (فرجعوا الى أنفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) بهذا السؤال أو بعبادة من لاينطق ولا يضر ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة أسفل الشئ مستعليا على أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أى نكسوا أنفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيا ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لاتنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) أخذا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار أهول مايعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمروذ (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) ذات برد وسلام أى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى وسلمنا سلاما عليه روى أنهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم (وأرادوا به كيدا) مكرا فى اضراره (فجعلناهم الاخسرين) أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على أنهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) أى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهى حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بامرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل

أن يقال المراد من التقليد فى أصول الدين لا الفروع (قوله على أسلوب تعريضى كما لو قال لك من لايحسن الخط الخ) فان المقصود من قوله بل كتبته اثبات الكتابة لنفسه ونفيه عن الامى واثبات الكتابة فى الظاهر للامى للاستهزاء (قوله أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه) فان من قال بالهية شئ يلزم عليه أن يجوز عليه مثل ماذكر (قوله وقيل انه فى المعنى يتعلق الخ) أى قوله تعالى فعله كبيرهم يتعلق بقوله ان كانوا ينطقون أى ان كانوا ينطقون فعله كبيرهم بمعنى انهم ان كانوا ذوى نطق يصلحون للفعل المذكور فاسألوهم (قوله للمبالغة أو للتقريع) انما أفاد الاستفهام المبالغة اذ هو مشعر بأنه لاحاجة الى الامر بل هو مستحق الوقوع فيسأل عنه هل وقع أم لا

وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة (ولوطا آتيناه حكما) حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى علمه للانبياء (ونجيناه من القرية) قرية سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) يعنى اللواطة وصفها بصفة أهلها أو أسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه و يدل عليه (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وأدخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا أو جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا اذ نادى) اذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الطوفان أو أذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوع انتصر أى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولعلهما لم يجتمعا فى قوم الا وأهلكهم الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها روى أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فامر بدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بالبانها وأولادها وأشعارها والحرث الى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة فى العبد المغصوب اذا أبق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وعند أبى حنيفة لاضمان الا أن يكون معها حافظ لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه فى صغره (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدسن الله معه اما بلسان الحال أو بصوت يتمثل له أو بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء أو العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها (لكم) متعلق بعلم أو صفة للبوس (ليحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام أو للبوس وفى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع وفى قراءة أبى بكر ورويس بالنون لله عز وجل (فهل أنتم شاكرون) ذلك أمر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (ولسليمان) وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول أمر يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه (الريح عاصفة) شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة

(قوله لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له) الثانى تفسير للاول

أخرى حسب ارادته (تجرى بأمره) بمشيئته حال ثانية أو بدل من الاولى أو حال من ضميرها (الى الارض التى باركنا فيها) الى الشام رواحا بعد ماسارت به منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) فنجريه على ماتقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أومبتدأ خبره ماقبله وهى نكرة موصوفة (و يعملون عملا دون ذلك) و يتجاوزون ذلك الى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ماهو مقتضى جبلتهم (وأيوب اذنادى ربه أنى مسنى الضر) بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول أوتضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال (وأنت أرحم الراحمين) وصف ربه بغاية الرحمة بعد ماذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا فى السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله . وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أوثلاث عشرة سنة أوسبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روى أن امرأته ماخير بنت ميشا ابن يوسف أورحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى (فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر) بالشفاء من مرضه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان أوأحيي ولده وولد له منهم نوافل (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أولرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (واسمعيل وادريس وذا الكفل) يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذاحظ من الله تعالى أوتكفل أمته أوله ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف وشدائد النوب (وأدخلناهم فى رحمتنا) يعنى النبوّة أونعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى (اذذهب مغاضبا) لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أولانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن أن لن نقدر عليه) لن نضيق عليه أولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا أو خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا (فنادى فى الظلمات) فى الظلمة الشديدة المتكاثفة أوظلمات بطن الحوت والبحر والليل (أن لا اله الا أنت) بانه لا اله الا أنت (سبحانك) من أن يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبى عليه الصلاة والسلام مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك ننجى المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن

(قوله وهى نكرة موصوفة) يحتمل أن تكون موصولة أيضا وقد صرح به بعضهم ولعله نظر الى أن لاحاجة ههنا الى اعتبار التعريف الموصولى

عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا) وحيدا بلا ولد يرثني (وأنت خير الوارثين) فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعني المتوالدين أو المذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون الى أبواب الخير (ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب راجين للاجابة أو في الطاعه وخائفين العقاب أو المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين أو دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال (والتي أحصنت فرجها) من الحلال والحرام يعني مريم (فنفخنا فيها) أي في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وجعلناها وابنها) أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه أمتكم) أي ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها (أمة واحدة) غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما خبران (وأنا ربكم) لا اله لكم غيري (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا أمرهم بينهم) صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتحزبة (الينا راجعون) فنجازيهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران) فلا تضييع (لسعيه) استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس للمبالغة (وانا له) لسعيه (كاتبون) مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على أهلها غير متصور منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حرم (أهلكناها) حكمنا باهلاكها أو وجدناها هالكة (أنهم لا يرجعون) رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم أنهم لا يرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد (وهم) يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم (من كل حدب) نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد

والضمير

(قوله وقيل وفعلنا النفخ) انما قال هكذا لان قوله تعالى فنفخنا معناه الظاهر أحييناها لكن الغرض ههنا ليس احياء مريم فاما ان يقدر ما قاله أولا أو يؤول هذا التأويل (قوله الذي هو بأمرنا وحده) أي من غير واسطة ملك (قوله رجوعهم الى التوبة أو الحياة) المعنى الاول ناظر الى التفسير الاول وهو قوله حكمنا باهلاكها والمعنى الثاني ناظر الى المعنى الثاني وهو قوله أو وجدناها هالكة (قوله أو فاعل له ساد مسد خبره) هذا على مذهب الاخفش والكوفيين من ان فاعل الصفة سامساد خبرها وان لم تكن الصفة بعد حرف النفي أو الاستفهام وأما قوله أو دليل عليه هو معطوف على قوله مبتدأ خبره حرام يعني اما ان يقال انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام أو فاعل له أو يقال انهم لا يرجعون دليل عليه أي على حرام المذكور وعلى الاول يكون المعنى وحرام عليها توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم ويكون لا على التقديرين الاولين صلة أي زائدة وعلى الاحتمال الثاني تكون لا غير زائدة وحرام خبر مبتدأ محذوف ويكون انهم

والضمير للقصة أومبهم يفسره الابصار (ياويلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا فى غفلة من هذا) لم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ماموءولا بمن أو بما يعمه ويدل عليه ماروى أن ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص تأخر عن الخطاب (حصب جهنم) ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (أنتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لاجلها (لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها) لان المؤاخذ بالعذاب لا يكون الها (وكل فيها خالدون) لاخلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أنين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان أريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لا يسمعون) من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أى الخصلة الحسنى وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة (أولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى أعلى عليين روى أن عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيسها) وهو بدل من مبعدون أو حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض أو الانصراف الى النار أو حين يطبق على النار أو يذبح الموت (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين لهم (هذا يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم نطوى السماء) مقدر باذكر أو ظرف لا يحزنهم أو تتلقاهم أو حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر أو المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول (كطى السجل للكتاب) طيا كطى الطومار لاجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه أو كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه

لايرجعون دليل عليه أى حرام على القرية المذكورة ماذكر فى الآية السابقة وهو عدم كفران سعيه (قوله واقع موقع الحال من الموصول) المراد أن يكون الحال حالا من ضمير الموصول وهو الواو فى كفروا (قوله وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن أو بما يعمه) فيه بحث اذ مقتضى عبارته انه على تقدير أن يكون المراد بما يعبدون ابليس وأعوانه يكون ما مؤولا بمن أو بما يعمه لكن ليس كذلك بل يكون ما مؤولا بمن البتة ولا مجال لكون ما مؤولا بما يعمه وحق العبارة أن يقال يحتمل ان يكون المراد بما تعبدون ابليس وأعوانه ويناسبه الرواية المذكورة أولا وأن يكون عاما لهم ولسائر المعبودين ويناسبه الرواية الثانية وعلى الاول يكون ما مؤولا بمن وعلى الثانى يكون ما مؤولا بما يعمه وان أريد بقوله على هذا ان يكون المراد بما تعبدون مجموع الاوثان وابليس وأعوانه يكون مؤولا بما يعمه فقط ويمكن أن يكون المراد بقوله وعلى هذا الخ وعلى أن يكون عزيرا وعيسى والملائكة غير معبودين يكون ما مؤولا بمن بان ما عبارة عن ابليس وأعوانه وما يكون مؤولا بما يعمه بان يكون المراد الاوثان وابليس وأعوانه جميعا فتأمل (قوله ويكون (قوله ان الذين بيانا للتجوز أو التخصيص) فالاول على تقدير أن يكون ما مؤولا بمن والثانى على تقدير عموم ما هكذا قيل والاولى أن يكون مراده انه ان أريد بما تعبدون الباعث على العبادة يكون تعبدون مجازا والقرينة عليه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية اذ يعلم منه انهم غير داخلين تحت ما تعبدون لان لهم حكما آخر ففيه قرينة على ان ليس المراد بما تعبدون المعنى الحقيقى ثم كونه بيانا للتخصيص ظاهر لكن كونه بيانا للتجوز ففيه خفاء اذ لم يبين من الآية المذكورة وهى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أن يكون قوله تعالى ما تعبدون مجازا الا ان يقال المراد انه اذا ثبت ان المراد بما تعبدون الباعث على العبادة كانت هذه الآية زيادة بيان للتجوز المذكور (قوله لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها) فيه انه يلزم ان يكون الاوثان معذبة وهذا لا يعلم من الآية فالاولى أن يقال ان الورود فى جهنم لا يناسب الالوهية وان كان من غير تعذيب (قوله للتغليب) بان يسند فعل البعض

وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم أو جمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أو لفعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أى نعيد مثل الذى بدأنا وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أو منتصب به لانه عدة بالاعادة (علينا) أى علينا انجازه (انا كنا فاعلين) ذلك لامحالة (ولقد كتبنا فى الزبور) فى كتاب داود عليه السلام (من بعد الذكر) أى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) أى أرض الجنة أو الارض المقدسة (يرثها عبادى الصالحون) يعنى عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ان فى هذا) أى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد (لبلاغا) لكفاية أو لسبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) همهم العبادة دون العادة (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد) أى ما يوحى الى الا أنه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس (فهل أنتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم ما أمرت به أو حربى لكم (على سواء) مستوين فى الاعلام به أو مستوين أنا وأنتم فى العلم بما أعلمتكم به أو فى المعاداة أو ايذانا على سواء وقيل أعلمتكم أنى على سواء أى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان أدرى) وما أدرى (أقريب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لامحالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ما تكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان أدرى لعله فتنة لكم) وما أدرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى أجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الاسلام تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب أمانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن والله تعالى أعلم

﴿ سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى أو تحريك الاشياء

وهم العابدون الى الكل وهم العابدون والاصنام

(قوله وما كافة أو مصدرية) وعلى كل حال يكون الفعل بمعنى المصدر

(قوله فالاولى) أى انما الاولى لقصر الحكم أى المسند وهو الوحى على كون الاله واحدا وانما الثانية لقصر الشئ أى المسند اليه وهو الاله على الحكم وهو الوحدة أى الاله مقصور على الوحدة لا يتجاوزها الى الكثرة

﴿سورة الحج﴾

فيهافأضيفت اليهااضافة معنوية بتقدير فى أواضافة الصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هى زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من أشراطها (شئ عظيم) هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم و يعلموا أنه لايؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم و يتقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة و يوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا أى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث اذا دهشت التى ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة أومصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى) كانهم سكارى (وماهم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما أورؤيت قائما بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولابعث بعد الموت وهى تعمه وأضرابه (و يتبع) فى المجادلة أوفى عامة أحواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد وأصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (أنه من تولاه) تبعه والضمير للشان (فانه يضله) خبر لمن أوجواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه أنه يضله لاعلى العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب أواضمار القول أوتضمين الكتب معناه (و يهديه الى عذاب السعير) بالحمل على مايؤدى اليه (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) أى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم (من تراب) بخلق آدم منه أوالاغذية التى يتكون منها المنى (ثم من نطفة) منى من النطف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر مايمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيها ولاعيب وغير مسواة أوتامة وساقطة أومصورة وغير مصورة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ماقبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى وان من قدر على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به الذكر (ونقر فى الارحام مانشاء) أن نقره (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا) عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا و ينشؤا و يبلغوا حد التكليف وقرئنا بالياء رفعا ونصبا و يقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أوللدلالة على الجنس أولانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا أشدكم) كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أوقبله وقرئ يتوفى أى يتوفاه الله تعالى (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم (لكيلا يعلم من بعد علم شيا) ليعود كهيئته الاولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه و ينكر ماعرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بمايعترى الانسان فى اسنانه من الامور

(قوله تعالى وان الساعة آتية الخ) ههنا اشكال وهو ان ذكر ذلك في قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق اشارة الى ماذكر من خلق الانسان فيدل النظم على أن خلق الانسان في أطوار مختلفة بسبب ان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور لان قوله تعالى وان الساعة معطوف على ماسبق ولا يظهر لهذا الكلام معنى والجواب أن يقال والله أعلم ان ذلك اشارة الى احياء الارض بعد موتها وانشاء الانسان دليل على ان الساعة آتية الآية لان ماذكر من أطوار خلق الانسان واحياء

الارض قرائن قيام الساعة و بعث الاموات ولذا ذكر في القرآن في بعض المواضع ذكر النشور بعد ذكر احياء الارض فقال تعالى فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور واعلم ان ماذكر في هذا الموضع وان كان اقناعات لكن يكتفى بها لتحقق صدق القائل بالبعث واحياء الموتى فتكون هذه القرائن لازالة الوهم واطمئنان النفوس وأما قوله فان التغير من مقدمات الانصرام ففيه خفاء مع انه لايخفى ان الجنة والدار الآخرة يقع فيها التغيرات مع عدم انصرامها (قوله بأن الله هو الحق) لم يتعرض لابراز ضمير الفصل المفيد للحصر فالاولى أن يقال انه دليل على ان الله تعالى فاعل للامور المذكورة لاغيره لأنه المتحقق بالذات المحقق للغير فان قيل الحق هو الموجود في نفسه وأما أن يكون محققا للغير فلا يعلم من كونه تعالى حقا قلنا انما الحصر الوجود في نفسه فيه تعالى علم أن غيره لايتحقق به لان مالا تحقق له في نفسه أي بمقتضى ذاته لايصلح أن يتحقق به غيره (قوله فالاولى لقصر الحكم) أي المستند وهو الوحي على كون الاله واحدا وانما الثانية لقصر الشئ أي المسند اليه وهو الاله على الحكم وهو الوحدة أي الاله مقصر على الوحدة أي لايتجاوزها الى الكثرة (قوله بمقتضى وعده الذي لايقبل الخلف) أي تحويلنا الانسان على أحوال متضادة في حال الحياة ثم موته بسبب ان الله يبعث من القبور فان البعث لابد له من الموت السابق (قوله أوالاول في المقلدين الخ) لانه

المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ وربأت أي ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ماذكر من خلق الانسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) أي بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء (وأنه يحيي الموتى) وانه يقدر على احيائها والا لما احيا النطفة والارض الميتة (وأنه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وأن الساعة آتية لاريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وأن الله يبعث من في القبور) بمقتضى وعده الذي لايقبل الخلف (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله (ولا هدى ولا كتاب منير) على أنه لاسند له من استدلال أو وحي أوالاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه (ثاني عطفه) متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد أو معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين أي مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وأنه من حيث مؤداه كالغرض له (له في الدنيا خزي) وهو ماأصابه يوم بدر (ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يداك) على الالتفات أو ارادة القول أي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب مااقترفته من الكفر والمعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازلهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قر والا فر (فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه) روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ماأصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ماأصبت الا شرا وانقلب وعن أبي سعيد أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال ان الاسلام لايقال فنزلت (خسر الدنيا والآخرة) بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أو على أنه خبر محذوف (ذلك هو الخسران المبين) اذ لاخسران مثله (يدعو من

دون

ذكر في الاول قوله تعالى و يتبع كل شيطان مريد (قوله واللام معلقة ليدعو الخ) حاصل كلامه في هذا المقام ان يدعو بمعنى يعتقد
واللام معلقة له عن العمل كما تعلق سائر أفعال القلوب واما بمعنى القول فتكون الجملة المذكورة بعده مقولا للقول واما أن يكون يدعو
تأكيدا ليدعو الاول فيتم الكلام عنده و يكون لمن ضره أقرب من نفعه كلاما مستأنفا كان سائلا يقول ما حال المدعو الذي لا ينفع
ولا يضر فاجيب بذلك (قوله والمراد بالنصر الرزق والضمير

لمن) هذا التفسير في غاية البعد اما أولا

دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع (ذلك هو الضلال البعيد) عن
المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا (يدعو لمن ضره) بكونه معبودا لانه يوجب
القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة (أقرب من نفعه) الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أو داخلة على
الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول أي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به أو مستأنفة على أن يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره (لبئس المولى) الناصر (ولبئس
العشير) الصاحب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد) من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع (من كان يظن
أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا
والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك و يتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن
(فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع) فليستقص في ازالة غيظه أو جزعه بان يفعل كل ما يفعله
الممتلئ غيظا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في
دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام (فلينظر) فليتصور
في نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه (ما يغيظ)
غيظه أو الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة
غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلناه) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات)
واضحات (وأن الله يهدي) ولان الله يهدي به أو يثبت على الهدى (من يريد) هدايته أو اثباته
أنزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل أو الجزاء فيجازي
كلا ما يليق به و يدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد
(ان الله على كل شئ شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض) يتسخر لقدرته ولا يتأتى عن تدبيره أو يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز أن يعم أولي
العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب)
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
أو الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل
واحد من مفهوميه واسناده باعتبار أحدهما الى أمر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير
يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب
أو فاعل فعل مضمر أي و يسجد له كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره

فلانه لو فسر النصر بالرزق
لا حاجة الى عود الضمير الى
من بل يمكن أن يجعل
للرسول كما جعل اذا كان
النصر بمعناه الحقيقي واما
ثانيا فلان ظن الشخص
أن لا يرزق أصلا ليس له
باعث فلا يصدر عن ذي
رأي بل من له أدنى عقل
فالوجه ان يقال معناه أن
لن يرزقه الله بل يرزقه
غيره حتى يكون رازقه
غيره (قوله سماه على
الاول كيدا) لان الكيد
الاحتيال لايصال الضرر
الى الغير لكن المعنى الاول
يوصل الضرر الى نفس
المحتال لا الى غيره فتسمية
الفعل المذكور كيدا
لانه غاية ما يقدر عليه كما
ان الكيد كذلك وانما
قال على الاول اذ على
الثاني وهو قوله وقيل
فليمدد حبلا الى سماء
الدنيا يكون الكيد
على الحقيقة قال العلامة
الطيبي الكلام على الاول
كناية عن شدة الغيظ

والامر للاهانة وعلى الثاني الكلام استعارة تمثيلية والامر بتعجيزه أقول انما كان كناية على الاول لانه يمكن أن يقصد
معناه الحقيقي والمعنى الغير الحقيقي الذي هو شدة الغيظ وانما كان استعارة تمثيلية على الثاني لان المراد لا يفعل كل ما يتصور ان
يفعل فيكون الامر للتعجيز لان ما ذكر غير ممكن للانسان وعلى الاول للاهانة وهو ظاهر (قوله فان تخصيص الكثير) أي تخصيص
الكثير بالذكر يدل على ان المراد بسجودهم غير المعنى الذي ذكر أولا وهو التسخير لقدرته اذ لو كان كذلك لم يكن للتخصيص
بالكثير وجه لان الكل كذلك

وابائه عن الطاعة و يجوز أن يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة (هذان خصمان) أى فوجان مختصمان ولذلك قال (اختصموا) حملا على المعنى ولو عكس لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (فى ربهم) فى دينه أو فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم و بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) نيران تحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير فى لهم أو خبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به مافى بطونهم والجلود) أى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فتذاب به أحشاؤهم كما تذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم أو من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها مايقمع به أى يكف بعنف (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار (أعيدوا فيها) أى فخرجوا أعيدوا لان الاعادة لاتكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (وذوقوا) أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) أى النار البالغة فى الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه وأسند الادخال الى الله تعالى وأكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها) من حليت المرأة اذا ألبستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من أساور) صفة مفعول محذوف وأساور جمع اسورة وهى جمع سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤا) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها أو اضمار الناصب مثل و يؤتون وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر والسوسى عن أبى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كأدل (ولباسهم فيها حرير) غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو كلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الاسلام (ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله) لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى و يمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبران محذوف دل عليه آخر الآية أى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم وشراء عمر رضى الله عنه دارا للسجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف

(قوله وكثير تكريرا للاول) فيكون حق عليه العذاب خبر كثير الاول أى وكثير من الناس حق عليه العذاب (قوله ولو عكس جاز) أى لو قيل هؤلاء الخصوم اختصما بالجمع أولا والتثنية ثانيا جاز أيضا (قوله أو من ضميرهم) أى الضمير فى قوله تعالى لهم غير الاسلوب لان الموافق للاسلوب السابق وهو قوله تعالى والذين كفروا قطعت لهم الخ أن يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أدخلوا فى الجنة لكنه غير الى ماذكر (قوله غير أسلوب الكلام الخ) أى الظاهر الموافق لما تقدم أن يقال و يلبسون حريرا لكنه غير الى ماذكر لمحافظة هيئة الفواصل اذ لو قيل يلبسون حريرا لكان فى آخر هذه الفاصلة الالف فى الكتابة وفى الوقف بخلاف الفواصل الباقية (قوله والا فحال من المستكن فيه) أى ان لم نجعل المذكورة مفعولا ثانيا لجعلنا بل جعل للناس مفعولا ثانيا تقديره جعلناه كائنا للناس كان الجملة المذكورة حالا من الضمير المستكن

بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يردفيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الاول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب أليم) جواب لمن (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أى واذ أنزلناه فيه وقيل رفع البيت الى السماء وانطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنست ماحوله فبناه على اسه القديم (أن لا تشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) أن مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من أجل العبادة أو مصدرية موصولة بالنهى أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتى بفتح الياء (وأذن فى الناس) ناد فيهم وقرئ وآذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على أنه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى (فى أيام معلومات) هى عشر ذى الحجة وقيل أيام النحر (على مارزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها أمر بذلك اباحة وازاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى المتطوع به دون الواجب (وأطعموا البائس) الذى اصابه بؤس أى شدة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما (بالبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه (ذلك) خبر محذوف أى الامر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين (ومن يعظم حرمات الله) أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له) فالتعظيم خير له (عند ربه) ثوابا (وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية

(قوله تعالى ومن يردفيه بالحاد بظلم)* فائدة قوله بظلم بعد ذكر الالحاد انه قد يكون الالحاد أى العدول عن القصد قد يكون بحق لكونه فى مقابلة الظلم كما قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) فيكون معطوفا على مقدر مثل اقتد بابراهيم وأن كاثنا (قوله أو ندبا الى مواساة الفقراء أو مساواتهم) الاحتمال الاول أن يكون الامر للاباحة لا للندب وهذا أن يكون للندب وترتب الثواب لما فيه من مواساة الفقراء أى التواضع معهم بجعل أنفسهم كالفقراء فى الاكل منه واذا قال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم ولا يخفى ان عبارة الكشاف أحسن

(قوله و يجوز أن يكون من التشبيهات المركبة الخ) فى كلامه ابهام وتوضيحه ما فى الكشاف وهو انه يجوز فى هذا التشبيه أن يكون من
المركب وان يكون من المفرد فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة
حال من خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق مزعا فى حوصلها أو عصفت به الريح حتى تبوأت فى بعض المواضع البعيدة وان كان مفردا فقد شبه
الايمان فى علوه بالسماء والذى ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى
يطرح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة هذه عبارة الكشاف

المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه
من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة
الزور لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية
والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله
فكأنما خر من السماء) لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الاهواء
الرديئة توزع أفكاره وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء (أو تهوى به الريح فى مكان
سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله أو كصيب من السماء أو
للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز
أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد
الهلاكين (ذلك ومن يعظم شعائر الله) دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها
من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها أن تختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى أنه صلى الله
عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب وان عمر رضى الله تعالى عنه أهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (فانها من تقوى القلوب) فان تعظيمها منه من أفعال ذوى تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة
بهما (لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) أى لكم فيها منافع درها ونسلها
وصوفها وظهرها الى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت أى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخى
فى الوقت والتراخى فى الرتبة أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها
وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها أو المراد على الاول لكم فيها منافع دينية
تنتفعون بها الى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال أو
يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى
وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل أمة) ولكل
أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا أو قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر أى
موضع نسك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن
المقصود من المناسك تذكر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن
القربان يجب أن يكون نعما (فالهكم اله واحد فله أسلموا) أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه

فطبق به ما ذكره المصنف
(قوله فحذفت هذه المضافات) لاحاجة الى تقدير بعضها
وهو أفعال ذوى بل يكفى أن يقال وتعظيمها منه
من تقوى القلوب أى مابين ههنا والجواب عنه
انه لا يناسب ذكر القلوب على هذا التقدير بل المناسب
حذفه (قوله وهو على الاولين الخ) هو ما ذكر فى تفسير
شعائر الله فهو دين الله أو فرائض الحج وتوضيحه
ان قوله تعالى لكم فيها منافع الى أجل مسمى الآية
على الاولين اما متصل بما تقدم من ذكر الانعام
ويذكروا الله على مارزقهم من بهيمة الانعام
لانه اذا كان المراد من الشعائر الدين أو فرائض
الحج لا يظهر ارتباط هذه الآية وهو قوله تعالى لكم
فيها منافع الآية بما سبق زيادة ظهور فيقال انه
مرتبط بما تقدم من قصة الانعام وعلى هذا يكون
الضمير فى فيها راجعا الى
الانعام واما أن يكون المراد من هذه الآية على التفسير الاول وهو تفسير الشعائر بالدين ما ذكر وهو ان المعنى لكم بالاشراك
فيها منافع دينية الخ وعلى هذا يكون ضمير فيها راجعا الى الشعائر بمعنى شرائع الله ودينه ويكون المراد منها أى من هذه الآية على
التفسير الثانى وهو تفسيرا شعائر بفرائض الحج ومواضع نسكه ما ذكر بقوله لكم فيها منافع التجارات وعلى هذا يكون الضمير
فى فيها راجعا الى فرائض الحج ومواضع نسكه (قوله متعبدا الخ) يعنى اذا قرئ بفتح السين يحتمل أن يكون اسم مكان وهو المتعبد
وأن يكون مصدرا ميميا وهو القربان وأما اذا قرئ بكسر السين فهو اسم مكان

بالاشراك (و بشر المخبتين) المتواضعين أو المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من الكلف والمصائب (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (والبدن) جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره (جعلناها لكم) ومن رفعه جعله مبتدأ (من شعائر الله) من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى أى خوالص لوجه الله وصوافى بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده و بما يعطى من غير مسئلة و يؤيده قراءة القنع أو السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال (والمعتر) والمعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم أمره تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) أى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح (على ما هداكم) أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (و بشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه و يذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانة الله (كفور) لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (أذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أى للذين يقاتلهم المشركون (بأنهم ظلموا) بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعدلهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوه به (الا أن يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

(قوله بل الحديث يمنع ذلك) لان ذكر البقرة بعد ذكر البدنة يدل على تغايرهما (قوله اعط القوس باريها) نقل الطيبى عن الميدانى ان معنى هذا المثل استعن على عملك باهل المعرفة والحذق فيه (قوله أو السائل الخ) يرد عليه أنه يلزم التكرار لان المعتر أيضا السائل والجواب ان القانع هو السائل المتواضع والمعتر السائل الغير المتواضع

(قوله اذلم يستجمع ذلك غيرهم) هذا الاختصاص ناشئ من التمكين فى الارض (قوله قرأ البصريان بغير لفظ التعظيم) أى قرآ بصيغة

المتكلم الواحد (قوله فيكون الجار متعلقا بخاوية) هذا على التقديرين المذكورين (قوله فانها حال والاهلاك

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدمت) لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف (صوامع) صوامع الرهبانية (وبيع) بيع النصارى (وصلوات) كنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرانية فعربت (ومساجد) مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) صفة للاربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا (ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شئ (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره (ولله عاقبة الأمور) فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين) تسلية له صلى الله عليه وسلم بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى) غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع (فأمليت للكافرين) فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا (فكأين من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم (وهى ظالمة) أى أهلها (فهى خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أى هى خالية وهى على عروشها أى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأى بمقدر يفسره أهلكنا وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع (وبئر معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيروا فى الارض) حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من الوحى والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم (فانها) الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه والظاهر أقيم مقامه (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) عن الاعتبار أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك

ليس حال خرابها الخ) أى قوله تعالى وهى ظالمة حال ولو كان خاوية على عروشها معطوفا عليها لكان حالا أيضا وليس كذلك (قوله فلا محل لها ان نصبت كأين الخ) لانه اذا نصب بما ذكر كان اهلكتها جملة مستقلة وأما اذا رفع كأين كان أهلكتها خبرا فيكون مرفوع المحل وكأين عطف عليه (قوله حث لهم على أن يسافروا الخ) فيكون هذا الاستفهام تنديما على عدم السفر فيكون حثا عليه كما يقال ألم تعلم العلم تنديما للمخاطب على ترك التعلم وحثا عليه (قوله وهذا ثناء قبل بلاء) قال فى الكشاف وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا (قوله والظاهر أقيم مقامه) يعنى يكون الابصار فاعلا لتعمى قائما مقام مفسر الضمير المبهم أى يدل عليه فهذا هو الاحتمال الثانى وحاصل الاحتمال الاول أن تكون الابصار مفسرا للضمير حقيقة ويكون التقدير هكذا فانها هى الابصار

لا تعمى فتكون الابصار بيانا للضمير ورفعه باعتبار أصل متبوعه الذى هو الرفع بالابتداء

قال الرضى بعد ما قرر أن المعطوف على اسم ان يجوز فيه الرفع باعتبار الحمل على المحل ان حكم الوصف وعطف البيان والتأكيد والبدل

عند الجرمى والزجاج والفراء جواز الحمل على المحل كالمعطوف ولم يذكر غيرهم فى ذلك منعا والاصل الجواز ولا فارق

(قوله ونفى التجوّز) يعنى لولم يذكر التى فى الصدور لأمكن أن يذهب الوهم الى أن المراد من القلوب بعض المشاعر غير الابصار ولما ذكر
زال احتمال التوهم (قوله قيل لما نزل الخ) من فوائد نزول هذه التى نحن فى تفسيرها بعد نزول ما تقدم أن يعلم ان المراد من العمى ليس
عمى البصر بل عمى القلب فيزول خوف ابن أم مكتوم (قوله أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة) فيكون معناه أن ما يعدونه كألف
سنة لسبب شديد هو عند الله فى القصر كيوم (قوله مبالغة فى التعميم والتهويل) لان الكلام بحسب الظاهر يفيد هلاك القرية فضلا
عن أهلها وهلاك القرية يدل على هلاك أهلها مطلقا و يوجب الهول للدلالة على شدة العذاب (قوله على أنها حال مقدرة) فيكون
المعنى مقدرين اعجازهم المؤمنين (قوله الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة الخ) يلزم منه كما صرح به أن لا يكون أنبياء بنى اسرائيل
الذين كانوا بين موسى وعيسى رسلا لكن الامام ردعلى من فسر الرسول بأنه من جمع الى المعجزة الكتاب

والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوّز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقى
ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزل ومن كان فى هذه أعمى قال ابن أم مكتوم يارسول الله
أنا فى الدنيا أعمى أفأكون فى الآخرة أعمى فنزلت فانها لا تعمى الابصار (و يستعجلونك بالعذاب)
المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه
صبور لا يعجل بالعقوبة (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون) بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى
استقصر المدد الطوال أو لتمادى عذابه وطول أيامه حقيقة أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء (وكأين من قرية) وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم
المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ما تقدمها من الجملتين
لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة وأن تأخيره لعادته تعالى (أمليت لها) كما أمهلتكم (وهى
ظالمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والىّ المصير) والى حكمى مرجع الجميع (قل يا أيها الناس
انما أنا لكم نذير مبين) أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر
الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة فى غيظهم
(فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما بدر منهم (ورزق كريم) هى الجنة والكريم من كل
نوع ما يجمع فضائله (والذين سعوا فى آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين
للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين
يطلب اعجاز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة (أولئك
أصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى)
الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع
سابق كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبى
صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبى أعم من الرسول و يدل عليه أنه عليه الصلاة
والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال
ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير

والنبى من لم ينزل عليه كتاب فقال يلزم منه ان اسحق و يعقوب وأيوب و يونس وهرون وسليمان لم يكونوا رسلا وأقول هذا يرد ما قاله المصنف لان الانبياء المذكورين صلوات الله عليهم كما لم يكونوا أصحابا للكتب المنزلة عليهم لم يكونوا أصحاب الشرائع الجددة فان قيل ما ذكره المصنف مخالف لصريح القرآن حيث قال تعالى وان يونس لمن المرسلين قلت المعنى المذكور للرسول اصطلاحى وأما قوله تعالى لمن المرسلين فبالمعنى اللغوى ثم ان الامام قال الاولى أن يقال من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق فهو رسول ومن رأى فى النوم أو أخبره رسول بأنه نبى فهو نبى أقول

ظاهر هذه العبارة يدل على أن بين الرسول والنبى تباينا وليس كذلك لانه خلاف القرآن
والحديث أما الاول فلما ذكر الله تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وأما الحديث فلما روى عنه
صلى الله عليه وسلم ان عدد الرسل منهم أى من الانبياء ثلثمائة وثلاثة عشر فعلم ان مراد الامام تعريف النبى غير الرسول واعلم أن الآية
المذكورة ترد على المصنف لان اسمعيل لم يكن له شريعة مجددة بل على شريعة أبيه ابراهيم عليهما السلام فالوجه أن يقال ان
تعريف مطلق النبى انه من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق أو رأى فى النوم وأخبره نبى آخر أنه نبى وهذا أولى مما قاله الامام انه
أخبره رسول أنه نبى وهذا الذى ذكرنا من العموم المطلق بين النبى والرسول هو المشهور بين الجمهور وقال الشيخ الكامل صاحب
الفتوحات وقد خالفهم وذهب الى أن بينهما عموما من وجه فقال كل رسول لم يخص بشئ من الحكم فى نفسه فهو رسول لا نبى وان خص

مع التبليغ فهو رسول الله ونبي (قوله لانه أيضا يحتمله) أي يحتمل أن يكون هذا الكلام أيضا من الشيطان على التقدير المذكور
ولك أن تقول لم لايجوز أن يرفع النبي الاجمال بأن يقول هذا قرآن وذلك من كلام الشيطان وقريب

الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام
(الا اذا تمنى) زوّر في نفسه مايهواه (ألقى الشيطان في أمنيته) في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال
عليه الصلاة والسلام وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله مايلقي الشيطان)
فيبطله و يذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى مايزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته
الداعية الى الاستغراق في أمر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدث
نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه مايقربهم اليه واستمر
به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومنات الثالثة الاخرى
وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح
به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا
سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح
فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول ليله * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد أيضا بانه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله مايلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة
اليهم (ليجعل مايلقي الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه
المحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان
الظالمين) يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفي شقاق بعيد) عن
الحق أو عن الرسول والمؤمنين (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق
النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في
الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن أو بالله (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية
(وان الله لهادي الذين آمنوا) فيما أشكل (الى صراط مستقيم) هو نظر صحيح يوصلهم الى ما
هو الحق فيه (ولا يزال الذين كفروا في مرية) في شك (منه) من القرآن أو الرسول أو مما ألقى
الشيطان في أمنيته يقولون ماباله ذكرها بخير ثم ارتد عنها (حتى تأتيهم الساعة) القيامة أو اشراطها
أو الموت (بغتة) فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان
أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم أو لان المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف
اليوم بوصفها اتساعا أو لانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لانه لا
مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على أن المراد بالساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها
للتهويل (الملك يومئذ لله) التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية أي يوم تزول مريتهم
(يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء في
خبر الثاني دون الاول تنبيه على أن اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين

منه ماذكره في تفسير النسخ بقوله فيبطله ويذهب به بعصمته (قوله علة لتمكن الشيطان منه) الظاهر ان معناه انه علة لتمكن الشيطان من الالقاء في أمنية الانبياء المتقدمة لكن الاولى أن يجعل المعنى انه علة لتمكن الشيطان من النبي صلى الله عليه وسلم أي مما فعله به من الامور المذكورة التي جوزها في شأنه من تمني زوال المسكنة وغيره فيكون التقدير ومكنا الشيطان مما فعل من الوسوسة ليجعل مايلقي الشيطان الآيتين وانما قدر هذا لانه اذا لم يقدر هكذا فيكون الجعل والعلم المذكوران في قوله ليجعل وليعلم سببين لالقاء الشيطان في أمنية الرسول والنبي من الرسل والانبياء المتقدمين عليه صلى الله عليه وسلم لكن هذا الالقاء أي القاء الشيطان في أمنية الانبياء ليس لحصول علم العلماء بأن القرآن حق بقي ههنا ان قوله أو تمكين الشيطان من الالقاء الخ لايظهر له وجه فليتأمل في هذا المقام والاولى أن يقال والله أعلم

ان المعنى ليجعل مايلقي الشيطان في أمنية الانبياء والرسل فتنة للذين في قلوبهم مرض وليعلم الذين أوتوا العلم ان احكام مسبب
الآيات ونسخ مايلقي الشيطان هو الحق من ربك فيؤمنوا به أي باحكام الآيات ونسخ مايلقي الشيطان قاله صاحب الفوائد (قوله تعالى
فالذين آمنوا الآيتين) لايخفى أن هاتين الآيتين دالتان على أن اليوم يوم القيامة والبعث فالاولى الاقتصار على مافسره آخرا وهو تفسير

مسبب عن أعمالهم فلذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا) فى الجهاد (أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف أنفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد وأصل العمل روى أن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا فنزلت (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة فيها ما يحبونه (وان الله لعليم) باحوالهم وأحوال معادهم (حليم) لا يعاجل فى العقوبة (ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج أولانه سببه (ثم بغى عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لامحالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام وأعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى ذلك النصر (بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب الامور بعضها على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج أحد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى أفعالهما فلا يهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما (وأن ما يدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه فى معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم فى حد ذاته أو باطل الالوهية (وان الله هو العلى) على الاشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر منه سلطانا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطف على أنزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك ألم تر أنى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف) يصل علمه أو لطفه الى كل ما جل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنة (له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض) جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم (والفلك) عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى فى البحر بامره) حال منها أو خبر (ويمسك السماء أن تقع على الارض) من أن تقع أو كراهة أن تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار (وهو الذى أحياكم) بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذا جاء أجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود لنعم الله مع ظهورها (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا

مشاركا لقوله ألم تر تابعا له ولم يك تابعا لانزال ويكون مع ناصبه مصدرا معطوفا على المصدر الذى تضمنه ألم تروهو الرؤية والتقدير ألم يكن لك رؤية وانزال الماء من السماء واصباح الارض مخضرة وهذا غير مراد من الآية بل المراد أن يكون اصباح الارض مخضرة بانزال الماء فيكون حصول اخضرار الارض تابعا للانزال وقال العلامة الطيبى ينصره قول أبى البقاء انما رفع فتصبح وان كان قبله لفظ الاستفهام لأمرين أحدهما انه استفهام بمعنى الخبر أى قد رأيت فلا يكون له جواب والثانى ان ما بعد الفاء ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له ورؤيته لانزال الماء لا توجب اخضرار الارض انما يجب عن الماء أقول على تقدير النصب يمكن حصول المعنى المراد بأن يقال المعنى واحتياج الارض مخضرة بتقدير الجار والمجرور (قوله فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية) لا يلزم من التساوى فى الجسمية قبول الميل اليها أى الى الارض اذ يمكن أن يكون فيه مانع منه

أوشريعة تعبدوابها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه (فلاينازعنك) سائر أرباب الملل (فى الامر) فى أمر الدين أوالنسائك لانهم بين جهال وأهل عناد أولان أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أوعن منازعتهم كقولك لايضارك زيد وهذا انما يجوز فى أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتله الله وقرئ فلاينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على أنه من نازعته فنزعته اذاغلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله أعلم بماتعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيمة) كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم ان الله يعلم مافى السماء والارض) فلايخفى عليه شئ (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلايهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ أوالحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة تدل على جواز عبادته (وماليس لهم به علم) حصل لهم من ضرورة العقل أواستدلاله (وماللظالمين) وماللذين ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات الدلالة على العقائد الحقية والاحكام الالهية (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أومايقصدونه من الشر (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) يثبون ويبطشون بهم (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أومما أصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم (النار) أى هو النار كانه جواب سائل قال ماهو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا أوحالا منها (وبئس المصير) النار (يأيها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة أوقصة رائعة ولذلك سماها مثلا أوجعل لله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة (فاستمعوا له) للمثل أولشانه استماع تدبر وتفكر (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بمافيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه أذبة وذبان (ولو اجتمعوا له) أى للخلق هو بجوابه المقدر فى موضع حال جئ به للمبالغة أى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى أعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق أقل الاحياء وأذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) عابد الصنم ومعبوده

(قوله كما اذا رفعت خبرا) أى جملة وعدها الله الذين كفروا تكون استئنافا أى اذا جعلت النار خبر مبتدأ محذوف (قوله أوحالا منها) عطف على قوله استئنافا أى اذا جعلت النار بدلا من شر كانت الجملة المذكورة حالا من الشر (قوله لان لن بمافيها الخ) أى انما فسرنا قوله تعالى لن يخلقوا ذبابا بقولنا لايقدرون للمنافاة المذكورة فتكون لن ههنا للمنافاة بين الخلق وبين الاصنام وافق المصنف الكشاف فيماذكر وقال صاحب الفوائد النفى المؤكد لايدل على الامتناع ولكن يحتمله ولما كان محتملا له حمل عليه بقرينة سوق الكلام لانه ان أمكن ذلك منهم لايحصل الاستبعاد المذكور والمبالغة فى تجهيلهم واستركاك عقولهم وقال العلامة الطيبى هذا هو الحق لان مقصود الزمخشرى من اثبات الاستحالة تقرير مذهبه فى قوله تعالى لن ترانى وقد استشهد بهذه الآية على مطلوبه فى ذلك المقام (قوله بجوابه المقدر فى موضع حال) لايخفى ان جعل هذه الجملة بمعنى مجتمعين متعاونين يوجب زيادة تقدير الجواب لان ماذكر معنى لو اجتمعوا فقط وهذا مما يؤيد قول الرضى ان هذه الواو ليست حالية ولا عاطفة بل اعتراضية فتكون هذه جملة مستقلة لها نوع ارتباط بالجملة

او

أو الذباب يطلب مايسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب أو الصنم والذباب كانه يطالبه ليستنقذ منه مايسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات باسرها (عزيز) لايغلبه شئ وآلهتهم التى يعبدونها عاجزة عن أقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم مانزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى أن يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله تعالى ونحو ذلك (ان الله سميع بصير) مدرك للاشياء كلها (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) عالم بواقعها ومترقبها (والى الله ترجع الامور) واليه ترجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لايسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم أمرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما أول الاسلام أوصلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أواخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ماتعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ماهو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها (وجاهدوا فى الله) أى لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم اشارة الى أنه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه أو الى الرخصة فى اغفال بعض ماأمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد (ملة أبيكم ابراهيم) منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف أى وسع دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله أباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أولان أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) وفى القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من

ومحصله والعبارة المفصلة به واحد والتفاوت فى التقرير (قوله أولانهما أعظم أركانها) فيه نظر فقد قال الامام النووى رحمه الله فى الاذكار اختلف العلماء فى السجود فى الصلاة وفى القيام أيهما أفضل فمذهب الشافعى رحمه الله ومن وافقه أن القيام أفضل لقول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت ومعناه القيام ولان ذكر القيام هو القرآن وذكر السجود هو التسبيح والقرآن أفضل وذهب بعض العلماء الى أن السجود أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة) أى كان لفظ الحق مؤخرا فى الاصل صفة للجهاد فقدم عليه وأضيف اليه مبالغة ووجه المبالغة أن الامر بالصفة وهى الحق ههنا أمر بالموصوف لان الصفة لايتيسر فعلها بدونه فكان الامر بالحق متضمنا للامر بالجهاد وأما الامر بالموصوف فليس أمرا بالصفة لان الموصوف قد لايستلزمها فالامر بالصفة أمر بموصوفها بخلاف الامر بالموصوف (قوله فأضيف الجهاد اتساعا) أى كان الاصل حق جهاد فيه فحذف لفظ فى وأضيف الحق اتساعا كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا (قوله متعلق بقوله سماكم) أى سماكم

عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فتقربوا الى الله تعالى بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به فى مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذلا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنين﴾ مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد أفلح المؤمنون) قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة أكلونى البراغيث أو على الابهام والتفسير وأفلح بالضم اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) خائفون من الله سبحانه وتعالى متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) عما لا يعنيهم من قول أو فعل (معرضون) لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله (والذين هم للزكوة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروأة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه أو الثانى على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لا يبذلونها (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) زوجاتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسى أو حال أى حافظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج أو التسرى أو بفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك أصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة أشهى الملاهى الى النفس وأعظمها خطرا (فانهم غير ملومين) الضمير لحافظون أو لمن دل عليه الاستثناء أى فان بذلوها لازواجهم أو امائهم فانهم غير ملومين على ذلك (فمن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فاولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه و يعاهدون من جهة الحق أو الخلق (راعون) قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج

ماقال فى تفسير قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ان المراد بهؤلاء الشهداء الذين هم الانبياء قلنا المفهوم منها انه عليه السلام لا يكون شهيدا على غيرهم من الامم وأما انه لا يكون شهيدا على الانبياء فلا فان قيل ليس تسميتهم بالمسلمين سببا لشهادة الرسول عليهم وانما سببها اسلامهم نفسه لا تسميتهم به قلنا تسمية الله تعالى اياهم بالمسلمين حكم على اسلامهم عند وجودهم فهو فى الحقيقة سبب لاسلامهم وعلى هذا ظهر ان تسمية الامة بالصفة المذكورة سبب لكون الرسول شهيدا عليهم

﴿سورة المؤمنين﴾

(قوله أن يكون فى عرض غير عرضه) وفى الصحاح العرض بالضم ناحية الشئ (قوله وعلى صلة لحافظين الخ) هذه الوجوه المذكورة لا يتضح منها معنى على الوجه أن يقال انه صلة للمقدر الذى هو بذلوها كما ذكر أو يقال المعنى حافظون الا على حال الوقوع على أزواجهم وقد قلد فيما ذكره صاحب الكشاف والعجب انه قدر الكلام هكذا الذين هم لفروجهم غير حافظين الا على أزواجهم وظاهر هذا الكلام عكس المعنى المراد والاولى أن يقال على بمعنى مع والتقدير حافظون الا كائنين مع أزواجهم و كون على بمعنى مع مما صرح به صاحب المغنى

لاماناتهم

لأماناتهم على الافراد لأمن الالباس أو لانها فى الاصل مصدر (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيها لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها (أولئك) الجامعون لهذه الصفات (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها خالدون) أنث الضمير لانه اسم للجنة أو لطبقتها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة أو من بيانية أو بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم عليه السلام خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار مكين) مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بأن صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما بقى من المضغة أو مما أنبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد أحدهما وجمع الآخر (ثم أنشأناه خلقا آخر) وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخة فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته (أحسن الخالقين) المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيمة تبعثون) للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فأسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد

يبعد بالنسبة الى استحالة العلقة وهى الدم الجامد الى المضغة وهى اللحم الممضوغ فاستعمل ثم للاشارة الى البعد المذكور ويرد عليه ان استحالة المضغة الى العظام أيضا بعيد جدا مع انه عطف بالفاء ويمكن أن يقال لما أورد الفاء فى قوله تعالى فخلقنا النطفة علقة أورد الفاء بعده أيضا ليكون على طريقة واحدة اشعارا بأن هذه الاستحالة فى هذه المدة القصيرة كأنها ليس فيها تراخ اذ هذه الاستحالة بحسب الظاهر تستحق أن تكون فى أزمان متطاولة فتأمل (قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون) فان قلت لم جىء بان واللام وبالاسم سيما الصفة المشبهة فيما ليس فيه الانكار فى وجه وأتى فيما فيه الخلاف بان وحدها أجاب عنه العلامة الطيبى بأن الكلام فى ابداع تلك الخلقة العظيمة الشأن وان لها حياة أبدية لا يصل اليها أحد الا بالموت وتلك الحياة هى المقصود من خلقها لكن تلك الحياة مشكوك فيها فأكد بذلك الاعتبار قلت هذا الكلام لا يخلو من ابهام والاوضح أن يقال ان الخلق لتماديهم فى الغفلة نزلوا منزلة المنكرين للموت كما تقرر فى العربية من ان غير المنكر قد يجعل منزلة المنكر لظهور أمارات الانكار عنه ولما أكد بتلك التأكيدات ما هو وسيلة لا حاجة الى تلك المرتبة فيما هو المقصود وهو البعث

أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغذيا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والاعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أي ومما أنشأنا لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) أي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ (وان لكم في الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما في بطونها) من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض أو للابتداء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وأصوافها وشعورها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها (وعليها) وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة

* سفينة بر تحت خدي زمامها * فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن أحق بردهن (وعلى الفلك تحملون) في البر والبحر (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها (مالكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولو شاء الله) أن يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) رسلا (ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) يعنون نوحا عليه السلام أي ما سمعنا به أنه نبي أو ما كلمهم به من الحث على عبادة الله سبحانه وتعالى ونفي اله غيره أو من دعوى النبوة وذلك اما لفرط عنادهم أو لانهم

(قوله وفي تنكيره ذهاب الخ) لان التنكير يدل على الوحدة فيكون معناه على فرد واحد عظيم من الذهاب فيدل على أن للذهاب أفرادا متعددة بخلاف ما لو عرف ولفظ غورا في قوله تعالى ان أصبح ماؤكم غورا صريح في فرد خاص من الذهاب وهو ذهابه في عمق الارض بخلاف الذهاب فانه شامل له ولغيره من الانواع المذكورة والمبالغة باعتبار أن الذهاب شامل الازالة بالكلية بخلاف الغور (قوله فيكون الضمير في قوله كالضمير في بعولتهن) فان فيه أيضا يرجع الضمير الى شخص واحد مخصوص من المذكور قبل وهو المطلقات الرجعية

كانوا فى فترة متطاولة (ان هو الا رجل به جنة) أى جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) بعدما أيس من ايمانهم (رب انصرنى) باهلاكهم أو بانجاز ماوعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى أو بسببه (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع (فاذا جاء أمرنا) بالركوب أو نزول العذاب (وفار التنور) روى أنه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر (من كل زوجين اثنين) من كل أمتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد (وأهلك) وأهل بيتك أو من آمن معك (الامن سبق عليه القول منهم) أى القول من الله تعالى باهلاكه لكفره وانما جىء بعلى لان السابق ضار كما جىء باللام حيث كان نافعا فى قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لامحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شانه لايشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أو فى الارض (منزلا مباركا) يتسبب لمزيد الخير فى الدارين على قراءة أبى بكر وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال (وأنت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه أمره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما أفرده بالامر والمعلق به أن يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم (ان فى ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها ويعتبر أولو الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد أو ثمود (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود أو صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما أوحى اليه وهو بين أظهرهم (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره) تفسير لارسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء مافيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (فى الحيوة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا الا بشر مثلكم) فى الصفة والحال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم به (انكم اذا لخاسرون) حيث أذللتم أنفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) من الاجداث أو من العدم تارة أخرى الى الوجود وأنكم تكرير للاول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أو أنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أو فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول أى انكم اخراجكم اذا متم أو أنكم اذا متم وقع

(قوله أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه) أى أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بأن يشفع الدعاء وهو قوله رب أنزلنى بالثناء وهو قوله تعالى وأنت خير المنزلين مبالغة فى الامر بالانزال لان فى لفظ وأنت خير المنزلين اشعارا بطلب الانزال

اخراجكم ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا أن يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) بعد التصديق أو الصحة (لما توعدون) أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء (ان هى الا حياتنا الدنيا) أصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله
هى النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس (نموت ونحيا) يموت بعضنا ويولد بعض (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ما هو (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياى (قال عما قليل) عن زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذى لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق أو بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بأفعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) هى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق (وما يستأخرون) الاجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) اضافة الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجىء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجىء الذى هو منتهاه اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم نبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وافرادها لانها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى صلى الله عليه وسلم (الى فرعون وملائه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة

وفساده

(قوله ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا الخ) أى يجوز أن يكون خبر ان الاولى محذوفا لدلالة خبر ان الثانية عليه ولا يجوز أن يكون خبر الاولى هو الظرف وهو اذا متم لان الظرف لا يصح أن يكون خبرا للجثة وهو اسم ان كم

وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى أصل القوى والادراك
لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن
أن يكون فى طرف الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم فى أكثر الاشياء وأغلب الاحوال فيدركون
مالا يدرك غيرهم ويعلمون مالا ينتهى اليه علمهم واليه أشار بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم
يوحى الى أنما الهكم اله واحد (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (لنا عابدون) خادمون منقادون
كالعباد (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب)
التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد
اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) بولادتها اياه من غير مسيس
فالآية أمر واحد مضاف اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه
آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) أرض بيت
المقدس فانها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين أو مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم
بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر (ذات قرار) مستقر من الارض منبسطة وقيل ذات
ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها (ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن
الماء اذا جرى وأصله الابعاد فى الشئ أو من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا
أدركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان
(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم
أرسلوا فى أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلا منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا
أوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن اباحة الطيبات
للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند
ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات
ما يستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافى مالا ينسى الله
فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم
(انى بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (وأن هذه) أى ولان هذه والمعلل به فاتقون أو واعلموا
أن هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على
الاستئناف (أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى الاعتقاد وأصول الشرائع أو
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب أمة على الحال (وأنا
ربكم فاتقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا أمرهم بينهم) فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه
أديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه
الامة من أربابها أولها (زبرا) قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه
جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل
كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل كتب وقرئ
بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (فرحون)
معجبون معتقدون أنهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة
لانهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا
(أيحسبون أنما نمدهم به) أن ما نعطيهم ونجعله لهم مددا (من مال وبنين) بيان لما وليس خبره فانه

(قوله والمعلل به فاتقون) أى اتقون لان هذه أمتكم أمة واحدة فيكون فاتقون عطفا على اتقون المقدر تأكيدا والمعنى انه لما كانت العقائد الصحيحة التى يجب أن يعتقدها كل أحد واحدة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ثبت التوحيد والبعث والجزاء فيجب التقوى على الكل (قوله وقيل انه معطوف على ما تعملون) والتقدير انى عليم بما تعملون وبأن هذه أمتكم أمة واحدة (قوله والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أولها) فالاول على تقدير ان يكون المراد من الامة الملة والثانى على تقدير أن يكون المراد منها الجماعة (قوله بتقدير مثل كتب) فيكون المعنى فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أى كتبا أى حال كون ذلك الامر كتبا فى كتب

غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم خبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لا يشعرون) بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع و يسرع و يحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به و يسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا من الطاعات (وقلوبهم وجلة) خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به (أنهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه أو من أن مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم (أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم (وهم لها سابقون) لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون (ولا نكلف نفسا الا وسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس (ولدينا كتاب) يريد به اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع (وهم لا يظلمون) بزيادة عقاب او نقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة) فى غفلة غامرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة (ولهم أعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك (هم لها عاملون) معتادون فعلها (حتى اذا أخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة (اذا هم يجأرون) فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى و يجوز أن يكون الجواب (لا تجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول أى قيل لهم لا تجأروا اليوم (انكم منا لا تنصرون) تعليل للنهى أى لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله (سامرا) أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أى تعرضون عن القرآن أو تهذون فى شأنه أو الهجر بالضم أى الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) أى القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل وأعقابه فآمنوا به و بكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء

(قوله و يجوز أن يكون الجواب اذا هم يجأرون الخ) فعلى هذا يكون اذا هم يجأرون معطوفا على قوله تعالى اذا أخذنا بحذف العاطف كما جوزه بعضهم فى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم الآية أو على كونه بدلا من الجملة المذكورة اذ لا وجه له غيرها (قوله ووضوح مدلوله) فيه ان وضوح مدلوله لم يدل على كونه من الرب تعالى لان كثيرا من كلام الناس واضح المدلول والجواب ان المراد من المدلول كونه لا من كلام البشر فانه يفهم من مدلوله انه ليس كذلك فالمقصود من وضوح المدلول وضوح كونه لا من كلام الناس والاولى ان يقال ان وضوح مدلوله كونه على أحسن منهاج وأوضح طريق بحيث من تأمل مدلول معانيه يتضح له انه ليس من جانب البشر وحاصله وضوح مدلوله من حيث انه ليس من جانب البشر لان فيه معانى مترتبة لا يصل اليها فهم البشر باستقلاله فيكون معجزا من حيث اللفظ والمعنى

عليهم الصلاة والسلام (فهم له منكرون) دعواه لأحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ
قطعاً أو ظناً انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن
فلم يوجد (أم يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم أرجحهم عقلا
وأدقهم نظرا (بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم وأهواءهم
فلذلك أنكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ
قومه أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق (ولو اتبع الحق أهواءهم) بان كان فى الواقع
آلهة شتى (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع
الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من
فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم بان أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية
ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على أصل المعتزلة (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب
الذى هو ذكرهم أى وعظهم أو صيتهم أو الذكر الذى تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الاولين
وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (أم تسألهم) قيل انه قسيم قوله
أم به جنة (خرجا) أجرا على أداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا أو ثوابه فى العقبى (خير)
لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به
عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة
(وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم)
تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة
وأزاح العلة فى هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام و بين انتفاءها ما عدا كراهة
الحق وقلة الفطنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون)
لعادلون عنه فان خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ (فى طغيانهم)
افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى
أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله
والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت
(ولقد أخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم) بل أقاموا على عتوهم
واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون أو افتعل من
السكون أشبعت فتحته (وما يتضرعون) وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله (حتى اذا
فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه أشد من القتل والاسر (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون
آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار) لتحسوا بها
ما نصب من الآيات (والأفئدة) لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية

(قوله فان انكار الشئ قطعاً الخ) يعنى لما كان الانكار للشئ ينبغى أن يكون بسبب ظهور امتناعه أو بسبب البحث عما يدل عليه أقصى ما
يمكن فلم يوجد ولم يكن أحد هذين الامرين متحققا فيما نحن فيه فيجب أن يكون انكارهم لاحد (٦٩) الأمور المذكورة فحصل ما قاله ان
انكارهم لابد أن يكون
لاحد الأمور الثلاثة اذ لو لم
يكن لواحد منها لزم أن يكون
لواحد من هذين الأمرين
المذكورين وهما منتفيان
ههنا فان قوله تعالى فهم له
منكرون مشعر بتوبيخهم
بانكار رسولهم لان انكارهم
ناشئ من أحد الوجوه
المذكورة وهى لا ينبغى ان
تكون سبب الانكار
وحق العبارة أن يقال لاحد
هذه الوجوه التى لا تصلح
للانكار فان انكار الشئ
قطعا أو ظنا الخ انما يتجه
الخ فانه لظهوره لم يذكره
(قوله وقيل لو اتبع الحق
أهواءهم الخ) الفرق بين
هذا المعنى وبين المعنى الاول
ان المعنى الاول هو انه لو كان
الواقع فى الاصل موافقا
لاهوائهم لفسدت السموات
والارض وهذا المعنى هو انه
لو صار الحق تابعا لأهوائهم
بعد ما كان على خلافها
لزم الفساد فعلى المعنى الاول
اتباع بمعنى الموافقة فى الاصل
وعلى الثانى الموافقة بعد
المخالفة ولذا قال وانقلب
باطلا (قوله وهو على أصل
المعتزلة) أى على قاعدتهم
ان الله لا يصلح أن يوجد
منه الكفر والمعاصى اذ هو
ظلم ونقص تعالى الله عنه وأما أهل السنة فهم ينكرون القاعدة المذكورة وهذا بحث مذكور فى علم الكلام (قوله بان حصر
أقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام الخ) وهى أى هذه الاقسام هى التى ذكرت من قوله تعالى أفلم يدبروا القول الى ههنا فان تدبر
القول حاصل لهم لانهم علموا اعجازه ويعرفون ان الانبياء كانوا قبل ذلك ويعرفون رسولهم وأنكر كونه مجنونا وسؤال الخرج منهم

(قليلاما تشكرون) تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وماصلة للتأكيد (وهو الذى ذرأكم فى الارض) خلقكم وبثكم فيها بالتناسل (واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبته الى الشمس حقيقة أو لامره وقضائه تعاقبهما أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر (أفلا تعقلون) بالنظر والتأمل أن الكل مناوأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (بل قالوا) أى كفار مكة (مثل ما قال الأولون) آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين) الا أكاذيبهم التى كتبوها جمع أسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح الزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال (سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بأنه خالقها (قل) أى بعد ما قالوه (أفلا تذكرون) فتعلمون أن من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس أهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) فانها أعظم من ذلك (سيقولون لله) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شئ) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه (وهو يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث أحد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون) فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الأدلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث أنكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة أحد (وما كان معه من اله) يساهمه فى الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه أى لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى أنه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اما ترينى) ان كان لا بد من أن ترينى لان ما والنون للتأكيد (ما يوعدون) من العذاب فى الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس أو لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام أن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون

(قوله الخطاب السابق) هو قوله تعالى تحشرون وما تقدم عليه والغرض انه اذا قرئ بالتاء الفوقانية فالخطاب للكفار واما اذا قرئ يعقلون بالياء التحتانية فيكون هذا الكلام فى الكفار والخطابات السابقة يدخل فيها الكفار مع تغليب المؤمنين على الكفار اذ لو كان المراد من المخاطبين السابقين الكفار لكان المناسب تعقلون بالخطاب (قوله تعالى اذا لذهب كل اله بما خلق الخ) يفهم منه ان ما ذكر مقتضى صفة الملك والسلطنة ولو لم يقع لكان لعارض اما ضعف او خوف أو نحو ذلك مما ينافى الألوهية

أولا نالا نعذبهم وأنت فيهم واعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر أو فتح مكة (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن أعلم بما يصفون) بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكل الينا أمرهم (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة للدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه (وأعوذ بك رب أن يحضرون) يحوموا حولي في شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها أحرى الاحوال بأن يخاف عليه (حتى اذا جاء أحدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم و يغريه على الانتقام أو بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على مافرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا وأطرقا (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) في الايمان الذي تركته أي لعلي آتي بالايمان وأعمل فيه وقيل في المال أو في الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام قال اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعادها (انها كلمة) يعني قوله رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لا محالة لتسلط الحسرة عليه (ومن ورائهم) أمامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم و بين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم أنه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة (فاذا نفخ في الصور) لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو و به و بكسر الصاد يؤيد أن الصور أيضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه أو يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده وأعماله أي فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها (في جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) على اضمار القول أي يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة (وكنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لأنفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا سكوت هوان في النار فانها ليست

بالاشراك ويمكن أن يقال أراد بالافراد أن يكون الاله الاول منفردا مستقلا من الاشراك خالق الاشياء بان يكون شريكا لله فى الخلق والايجاد ثم ان ههنا أسئلة الاول لم يقل ومن يدع الها غير الله الثانى ان الغيرية مستفادة من المعية فما فائدة لفظ الآخر الثالث مافائدة لفظ لابرهان له به مع ان من المعلوم ان لابرهان على وجود اله غير الله بل البراهين قاطعة على امتناعه والجواب عن الاول انه لوقيل ومن يدع الها غير الله يمكن أن يتوهم ان افراد غير الله بالعبادة مذموم لاالاشراك وأيضا فى المعية اشعار بوجوب دعوة الله بخلاف ما اذا قيل ومن يدع غير الله وعن الثانى ان المعية تحتمل أن يفهم منه المغايرة الاعتبارية وهذا ليس بممنوع وأما اذا قيل الها آخر بعد ذكر المعية تكون المعية محمولة على المطلق والتقييد بالآخر للدلالة على المغايرة بالذات اذ لولم يكن المراد ذلك لكان ذكره مستدركا

مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته خسأ (ولا تكلمون) فى رفع العذاب أولا تكلمون رأسا قيل ان أهل النار يقولون ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فيقولون ألفا يامالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فيقولون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم فيها الازفير وشهيق وعواء (انه) ان الشأن وقرئ بالفتح أى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية (حتى أنسوكم ذكرى) من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى أوليائى (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على أذاكم (أنهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا (قال) أى الله أو الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار (كم لبثتم فى الارض) أحياء أو أمواتا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار ولانها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار أولانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم (فاسأل العادين) الذين يتمكنون من عد أيامها ان أردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون مانقول والعادين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون (قال) وفى قراءة حمزة والكسائى قل (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) تصديق لهم فى مقالهم (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين أو مفعول له أى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث (وأنكم الينا لاترجعون) معطوف على أنما خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق) الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال (لااله الا هو) فان ماعداه عبيد له (رب العرش الكريم) الذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على أنه صفة الرب (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا أو اشراكا (لابرهان له به) صفة أخرى لالها لازمة له فان الباطل لابرهان به جىء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو مجازله مقدار مايستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أو الخبر أى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح

والاولى أن يقال ان ذكر لفظ الآخر للتصريح بالوهيته تعالى اذ لوقيل ومن يدع مع الله الها لكان عن ألوهية غيره مذكورا دون ألوهيته فلا يكون صريحا فى نفى الشرك وعن الثالث توبيخ المشركين بانهم عبدوا آلهة لابرهان لهم لان عبادة شئ لاتثبت الوهيته غاية الجهالة ونهاية الحماقة

عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

﴿ سورة النور مدنية وهى أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سورة) أى هذه سورة أو فيما أوحينا اليك سورة (أنزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مفسراً لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل أو دونك أو نحوه (وفرضناها) وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة فى ايجابها (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (الزانية والزانى) أى فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخاً مقبولاً أو مردوداً وله فى العبد ثلاثة أقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام أيضاً وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذى يقتص له من المسلم (ولا تأخذكم بهما رأفة) رحمة (فى دين الله) فى طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة الله تعالى والاجتهاد فى اقامة حدوده وأحكامه وهو من باب التهييج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شئ من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) اذ الغالب أن المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة للالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح الا من هو زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال فى الرغبة فيهن لأن الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى (وحرم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه أو منسوخ

﴿سورة النور﴾
(قوله وكان حق المقابلة أن يقال) حتى يكون الحكم من الجانبين من جانب الزانى بانه لا يميل الا الى الزانية ومن جانب الزانية بأنها لا تميل الا الى الزانى

بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا الا بزانية والزانية أن يزنى بها الا زان وهو فاسد (والذين يرمون المحصنات) يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لان قذف النساء أغلب وأشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولا تقبلوا لهم شهادة) أى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده (أبدا) مالم يتب وعند أبى حنيفة الى آخر عمره (وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا) عن القذف (من بعد ذلك وأصلحوا) أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) نزلت فى هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن الا بمعنى غير (فشهادة أحدهم أربع شهادات) فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة احدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على أنه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها (انه لمن الصادقين) أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فى الرمى هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبى حنيفة ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) أى الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رمانى به (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر أو بالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع ويعقوب أن لعنة الله وأن غضب الله بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم أى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) بأبلغ ما يكون من الكذب من الأفك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله تعالى عنها وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فأذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار

(قوله وقيل المراد بالنكاح الخ) هذا اذا كان المراد من لا تنكح النهى واذا كان المراد النفى فلا يلزم ماذكر فقيل الاولى أن يقال اذا كان النفى بمعناه والمراد الوطء يلزم كون الكلام خاليا عن الفائدة فتأمل (قوله لوصف المقذوفات) أى القرينة لتحصيل القذف بالزنا وصف المقذوفات بالاحصان (قوله ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل الخ) فيه نظر لان الحد ثابت لا يسقط بالتوبة وأما قوله لان من تمام التوبة الخ فلا يدفع النظر لانه اذا استسلم للحد لا يسقط الحد فالوجه أن يقال ان الاستثناء راجع الى قوله ولا تقبلوا كما قال العلامة الطيبى لان الامام الشافعى جعله متعلقا به ونقل عن ابن الحاجب ان رجوع الاستثناء الى الجمل كلها ليس بمستقيم أما الجلد فلم يرجع اليه بالاتفاق وأما قوله وأولئك فانما جىء به لتعذر تعليل منع الشهادة فلم يبق الا قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا (قوله وعلق العامل عنه) والتعليق باعتبار ان الشهادة قريبة من العلم لانها مبنية عليه (قوله لانه مأفوك عن وجهه) أى مصروف عما ينبغى ان يكون عليه

قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها أنها داخل الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة أحدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى رضى الله تعالى عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبران وقوله (لاتحسبوه شرا لكم) مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم والهاء للافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة أو فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن أبى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف أهم فان التحضيض على أن لا يخلوا باوله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقرير الكونه كذبا فان مالاحجة عليه كذب عند الله أى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم (لمسكم) عاجلا (فيما أفضتم) خضتم (فيه عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد (اذ) ظرف لمسكم أو أفضتم (تلقونه بالسنتكم) يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الألق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه (وتقولون بأفواهكم) أى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب (ماليس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لاتبعة له (وهو عند الله عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما ينبغى وما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب من ذلك الافك أو ممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب

(قوله وانما عدل فيه من الخطاب الخ) لان الالتفات الى الغيبة اشعار بأنهم لا يستحقون الخطاب والعدول من ظننتم بأنفسكم خيرا الى ماذكر دليل على انه خلاف مقتضى الايمان (قوله من جملة المقول تقريرا الخ) فانه يجب قالوا لان المعنى لولا قالوا هذا افك مبين لولا جاؤا الآية يعنى ينبغى للمؤمنين القول بأنه افك والقول بمجيء أربعة فاذا لم يجيؤا به فأولئك المفترون عند الله هم الكاذبون

عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيد القوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله أن تعودوا لمثله كراهة أن تعودوا أو فى أن تعودوا (أبدا) مادمتم أحياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (أن تشيع) أن تنتشر (الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) بالحد والسعير الى غير ذلك (والله يعلم) ما فى الضمائر (وأنتم لا تعلمون) فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وأن الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكى) ما طهر من دنسها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقالهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الالية أو ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين (أولوا الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى المال وفيه دليل على فضل أبى بكر وشرفه رضى الله تعالى عنه (أن يؤتوا) على أن لا يؤتوا أو فى أن يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) صفات لموصوف واحد أى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ فى تعليل المقصود (وليعفوا) ما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغماض عنه (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال بلى أحب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن أبى (لعنوا فى الدنيا والآخرة) لما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل فى افك عائشة رضى الله تعالى عنها (يوم تشهد عليهم) ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه فى

ذلك

(قوله فاستعمل لكل متعجب الخ) أى استعمل فى كل متعجب من غير قصد تنزيه (قوله ويخل بمقصود الزواج الخ) وهو حصول الولد والنسل لان المرأة اذا كانت زانية لم يعلم كون الولد من الزوج (قوله المبهوت عليه) هو النبى والصديق وابنته وغيرهم (قوله ولا يقرره عليها) لا حاجة الى ذلك بعد قوله ولا يجوز الكشخنة بل تركه أولى (قوله الحد والسعير) لا يقال من حد فى الدنيا أخذه كفارة لذنبه ولم يدخل النار بسبب ذنبه الموجب للحد فكيف يستحق الحد والسعير معا لانا نقول مفهوم الآية ان السعير بسبب حب اشاعة الفاحشة والحد بسبب القول الفاحش (قوله أو لموصوفات) لانه اذا نهى عن التقصير فى اعطاء كل ما كان ذا قربى وكل ما اتصف بالمسكنة وكل من اتصف بالهجرة فالنهى عن التقصير فى اعطاء من كان جامعا للصفات المذكورة كان أولى وهذا هو المقصود (قوله لا للعذاب الخ) أى العذاب مصدر والمصدر الموصوف لا يعمل (قوله للتقديم الخ) أى لتقديم الفعل على الفاعل المؤنث والفصل الجار والمجرور بينهما

ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه أو ذو الحق البين أى العادل الظاهر عدله ومن كان هـذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الخبائث يتزوجن الخباث و بالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (أولئك) يعنى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أو الرسول وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم (مبرؤن مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته عليه السلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين أى مبرؤن مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أى مبرؤن من أن يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى لا تسكنونها فان الآجر والمعير أيضا لا يدخلان الا باذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا أبصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله أو يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس أو تتعرفوا هل ثم انسان من الانس (وتسلموا على أهلها) بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه الصلاة والسلام التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) أى الاستئذان أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم (فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع أن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو أزكى لكم) الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروأة أو أنفع لدينكم ودنياكم (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والحوانيت والخانات والخانقات (فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى ما يكون نحو محرم (و يحفظوا فروجهم) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك أزكى لهم) أنفع لهم أو أطهر لما فيه من البعد عن الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه اجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون

(قوله ذلكم خير لكم) يفهم منه ان الخبر فى قوله ذلكم خير لكم اما مجرد عن التفضيل واما أن يكون التفضيل تقديريا وأما ما قاله من قوله من أن تدخلوا بغتة أو من تحية أهل الجاهلية ففيه انه لا حسن فى واحد منهما فلا وجه لاعتبار التفضيل إلا بما ذكرنا

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى مالا يحل لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن) بالتستر أو التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا (ولا يبدين زينتهن) كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر أن هذا فى الصلاة لا فى النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا الضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وهشام بضم الجيم (ولا يبدين زينتهن) كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن) لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان أو لان الاحوط أن يتسترن عنهم حذرا أن يصفوهن لابنائهم (أو نسائهن) يعنى المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف (أو ما ملكت أيمانهن) يعم الاماء والعبيد لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) أى أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو أبلغ من النهى عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفى الزخرف يا أيه الساحر وفى الرحمن أيه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أو أنثى بكرا كان أو ثيبا قال

(قوله لكنه يجب الندم عليه الخ) قال العلماء من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما يذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل (قوله ولما كان المستثنى منه الخ) أى لما كان المستثنى من الفروج كالشاذ النادر أطلق الفروج ولم يذكر المستثنى بخلاف الغض فان ما لم يغض البصر عنه كثير فلذا قيل يغضوا من أبصارهم

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي * وان كنت أفتى منكم أتأيم

وتخصيص الصالحين لأن احصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح أو وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته (عليم) يبسط الرزق و يقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) أسبابه و يجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا أدى المال أو لانه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت أيمانكم) عبدا كان أو أمة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) أو مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند أكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لان المطلق لا يعم مع أن العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للموالى كما قبله بأن يبذلوا لهم شيأ من أموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر و يكفى أقل ما يتمول وعن على رضى الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد أن يؤدوا و يعتقوا وقيل أمر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة و يحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى و يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنا كانت لعبد الله بن أبى ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان أردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثاران على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن أوله ان تاب والاول أوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالكسر فى هذا وفى الطلاق لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين أو لانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى ومثلا من أمثال من قبلكم أى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف

(قوله و يجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به) وهو المهر فان قيل هذا يدل على أن للنكاح أسبابا غير المهر فاهى قلنا يجوز أن يراد النفقة والكسوة وان يراد ما هو أعم مثل مسكن لائق بسكنى الزوجة (قوله وضعفه ظاهر لفظا ومعنى) اما لفظا فلان المناسب حينئذ أن يقال ان علمتم لهم خيرا واما معنى فلأن المكاتب لا مال له حين الكتابة عليه لان ما فى يده حينئذ مال صاحبه (قوله لجواز أن يكون ارتفاع النهى الخ) أى ارتفاع النهى عن الاكراه فى صورة ارادة التحصن لا لجواز الاكراه بل لانه لا معنى للنهى عن الاكراه فيها

(يهدى الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذبها تمامها (و يضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا و بيانا (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها (فى بيوت) متعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت أو توقد فى بيوت فيكون تقييد الممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون أعظم أو تمثيلا لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أو بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لانه من صلة أن لا فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (أذن الله أن ترفع) بالبناء أو التعظيم (و يذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى أفعاله والمباحثة فى أحكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال) ينزهونه أى يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ تسبح بالتاء مكسور التأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى أوقات الغدو (رجال لا تلهيهم تجارة) لا تشغلهم معاملة رابحة (ولا بيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أريد به مطلق المعاوضة أو بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه أصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلوة) عوّض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله * وأخلفوك عدالامر الذى وعدوا * (وايتاء الزكوة) ما يجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ما هم عليه من الذكر والطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر أو تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذ بهم و يؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح أو لا تلهيهم أو يخافون (أحسن ما عملوا) أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة (و يزيدهم من فضله) أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب أى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض الخالية عن النبات وغيره المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) أى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ما توهمه ماء أو موضعه (لم يجده شيأ) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه أو زبانيته أو وجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعراضا أو مجازاة (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب روى أنها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب وأو للتخيير فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب أو للتنويع فان أعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين

للمشكاة ولا للزجاجة (قوله أو تمثيلا لصلاة المؤمنين الخ) لا يخفى ان جعل المراد من البيوت الصلاة أو الابدان لا يظهر له وجه يعبابه ولذا لم يوجد فى الكشاف ولا فى النيسابورى (قوله وقرئ بالتاء مكسورا الخ) المراد من قوله مكسورا مكسور الباء التحتانية وفى الكشاف وقرئ يسبح بالياء وكسر الباء وعن أبى جعفر بالياء وفتح الباء ووجهها أن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء بجعل الاوقات مسبحة

فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الآخرة (فى بحر لجى) ذى لج أى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) أى أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها والجملة صفة أخرى للبحر (ظلمات) أى هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها فى رواية البزى (اذا أخرج يده) وهى أقرب ما يرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب أن يراها فضلا أن يراها كقول ذى الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فما له من نور) خلاف الموفق الذى له نور على نور (ألم تر) ألم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى أو الاستدلال (أن الله يسبح له من فى السموات والارض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع تعالى ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر أو من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) أى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله (والله عليم بما يفعلون) أو علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى أسباب تعيشها لا تكاد تهتدى اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) مرجع الجميع (ألم تر أن الله يزجى سحابا) يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فانه يزجيها كل أحد (ثم يؤلف بينه) بأن يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض و بهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين أجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله (و ينزل من السماء) من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها أو جمودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف أى ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا و يجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض و ينعقد سحابا و ينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك لابد أن يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها واليه أشار بقوله (فيصيب به من يشاء و يصرفه عمن يشاء) والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو و بادغام الدال فى السين و برقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة و بضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من

(قوله والضمائر للواقع) أى الضمائر فى أخرج وفى يده وفى لم يكد يراها (قوله دلالة حال) دلالة الحال هو أن غير ذوى العقول لا يعنى بهامن يدعناية (قوله تعالى والله عليم بما يفعلون) دليل على ان فاعل علم هو الله تعالى ولك أن تقول لو كان فاعله هو الله تعالى لزم التكرار (قوله على تشبيه حاله فى الدلالة الخ) ووجه الشبه ان من علم صلاته وتسبيحه دل على الحق بالمقال كما ان ما ذكر دال على الحق أيضا لا أن يقال انه تعميم بعد تخصيص

حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس بصلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله أكثر من أربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على أربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو أعرف فى القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء (لقد أنزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدى من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض فابى أن يحاكمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأطعنا) أى وأطعناهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بأن جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبى صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حكم الله تعالى (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) أى الحكم لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص (أفى قلوبهم مرض) كفر أو ميل الى الظلم (أم ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكومة (بل أولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما أن يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط أمانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن

(قوله توليد للضد من الضد الخ) أى توليد النار من المادة المائية التى هى البرد الخ (قوله ليوافق التفصيل) من لفظ من فى المواضع الثلاثة الاجمال المذكور فى هم الذى هو لتغليب العقلاء

(ويخش

(ويخش الله) على ماصدر عنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء ساكنة في الوقف بالاتفاق (فأولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) انكار للامتناع عن حكمه (لئن أمرتهم) بالخروج عن ديارهم وأموالهم (ليخرجن) جواب لاقسموا على الحكاية (قل لا تقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة أوطاعة معروفة أمثل منها أو لتكن طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) أى على محمد صلى الله عليه وسلم (ماحمل) من التبليغ (وعليكم ماحملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) فى حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وانما بقى ماحملتم فان أديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللامة أوله ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم فى الارض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعداء وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف (أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن (لا يشركون بى شيأ) حال من الواو أى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتد أو كفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فاولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) فى سائر ماأمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة هى فيه بقوله (لعلكم ترحمون) كما علق به الهدى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) لا تحسبن يامحمد الكفار معجزين لله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو فى القراءة بالتاء أو الذين كفروا فاعل والمعنى ولا يحسبن الكفار فى الارض أحدا معجزا لله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه أو لا يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذى يصيرون اليه (يا أيها الذين

(قوله جواب لأقسموا على الحكاية) غرضه ان لنخرجن فى قولهم ما كان جوابا القسم بل لخرجنا لان قولهم هو والله لئن أمرتنا لخرجنا فالمناسب أيضا أن يكون بل لخرجنا جواب القسم فى الكلام الذى حكى عنهم لكن ارادة حكاية الحال الماضية تصوره بصيغة الحال (قوله الموعود والموعود عليه) الموعود هو الاستخلاف والامن من بعد الخوف والموعود عليه هو الايمان وعمل الصالحات (قوله ماخاطبهم الله الخ) أى الظاهر أن يقال وأطيعونى وانما قيل أطيعوا الرسول حكاية لكلام الله تعالى وأما التبكيت فباعتبار ان ذكر رسول الله موجب للاطاعة (قوله ومن للبيان الخ) وانما كان للبيان لان المخاطبين هم المؤمنون فلا يصلح من أن يكون للتبعيض (قوله وتعليق الرحمة الخ) أى تعليق الرحمة بطاعة الرسول أو بالشئ الذى يندرج فيه طاعة الرسول وهو مجموع ماذكر من اقامة الصلاة وغيرها (قوله ولا يحسبن الكفار أحدا الخ) لك أن تقول اذا كان المعنى انه لا يحسبن الكفار فى الارض أحدا معجز الله فما فائدة التعبير بلفظ الجمع مع أن التعبير به يوجب نفى جماعة المعجزين ولا ينفى مطلق المعجز ويمكن أن يقال المقصود ماذكر لكن عبر بلفظ الجمع لان ظاهر حال الكفار وتفرقهم بفرق مختلفة واتخاذ كل

آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى أن غلام أسماء بنت أبي مرشد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه أقوى دلائله (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أو الرفع خبر المحذوف أى هى من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) أى ثيابكم لليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) أى هى ثلاث أوقات يختل فيها تستركم و يجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات فى ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافى آية الاستئذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك فى الاحرار البالغين (طوّافون عليكم) أى هم طوّافون استئناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض أو يطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أى الاحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة فى الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل (اللاتى لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى أو لوصفها (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة مما أمر باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا أنه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وأن يستعففن خير لهن) من الوضع لانه أبعد من التهمة (والله سميع) لمقالتهن للرجال (عليم) بمقصودهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح و يبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب أو من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة وكان فى أول الاسلام ثم نسخ

بنحو

فريق الهابد على أن كل فريق يعتقد مجز الله (قوله أن لا يدخلوا علينا) قيل لا مزيد للتأكيد كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد وقال العلامة الطيبي الوجه أن يقدر مضاف والمعنى لوددت ان الله عز وجل نهى هؤلاء عما هم عليه من الفعل القبيح ارادة ان لا يدخلوا علينا (قوله وجوابه ان المراد الخ) أى المراد من الاطفال المذكورة ههنا هم الذين جعلوا قسيما للماليك فلا يندرج العبد البالغ من الاطفال (قوله الا انه خص بتكشف المرأة الخ) على هذا يلزم أن يكون بزينة لا حاجة اليها والجواب ان مراده ان التبرج مطلق الاظهار ولكن لا يتعلق فى الاستعمال الا بالزينة ولا يقال متبرج كناية

بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام أنت ومالك لابيك وقوله عليه السلام ان أطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أو حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أو بيوت صديقكم فانهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أو قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم أو كان ذلك في أول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه أو في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع في القذارة والنهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن تكون من صلة للتحية فانه طلب الحياة وهي من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال لي متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرره ثلاثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلكم تعقلون) أي الحق والخير في الامور (انما المؤمنون) أي الكاملون في الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ فقال (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) ما يعرض لهم من المهام وفيه أيضا مبالغة وتضييق للامر (فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأي الرسول صلى الله عليه وسلم واستدل به على أن بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى فأذن لمن علمت أن له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لامر الدنيا على أمر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه السلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل

(قوله وفصل الاولين بما هو المقتضى لذلك) فان العلم والحكمة اللذين هما الفاصل للاثنين المتقدمين مقتضيان لذلك أي لتبيين الآيات وتعقل المؤمنين للآيات مقتضاه والمقصود منه أي من التبيين (قوله أبلغ الخ) الابلغية باعتبار تأكيده بان والحصر المستفاد من أولئك (قوله وتضييق للامر) التضييق باعتبار ذكر البعض (قوله ومن منع ذلك الخ) فيكون الاول بسبب العذر لا لرأي النبي صلى الله عليه وسلم

لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فان دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو بان يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض أو يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له في الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة واستدل به على أن الامر للوجوب فانه يدل على أن ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما أكد علمه بقد لتأكيد الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير أو تزايد على كل شئ وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير أو لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كقوله تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات أو الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذي له ملك السموات والارض) بدل من الاول أو مدح مرفوع أو منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال (وخلق كل شئ) أحدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما أراد منه من

يقتضي كل دعائه مستجاب البتة لكن في الترمذي والنسائي على ما ذكره الطيبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها (قوله وحذف المفعول الخ) المفعول المحذوف هو مفعول يخالفون وهو المؤمنين قال العلامة النيسابوري تقول خالفته عن القتال أي جبنت وأقدم هو وخالفته الى القتال أقدمت وجبن هو (قوله فان الامر بالحذر عنه الخ) أي الامر بالحذر عن أحد العذابين يدل على حسن الحذر المشروط بقيام المقتضى له أي قيام مقتضى الشئ الذي يحذر عنه فيدل على وجوده فان الحذر عما لم يتحقق وقوعه ولا وقوع ما يقتضيه ليس بحسن والمراد بقيام المقتضى للشئ ما يقتضى اليه في الجملة وهو مخالفة الامر فيكون الامر مستلزما للوجوب وفيه ان حسن الحذر لم يشرط بقيام المقتضى ولا تحققه بل مشروط باعتقاد قيامه سواء كان جزما أو ظنا بل الاحتمال كاف ثم ان الواجب ما يقتضي تركه عذاب الآخرة لا أحد العذابين ﴿سورة الفرقان﴾ (قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ) غرضه ان الصلة يجب أن تكون معلومة للمخاطبين لكن المعاندين المشركين الذين هم المقصودون بالخطاب الخصائص

الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أو فقدره للبقاء الى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدره فى ايجاده حتى لا يكون متفاوتا (واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة أخذ فى الرد على المخالفين فيهما (لايخلقون شيأ وهم يخلقون) لان عبدتهم ينحتونهم و يصورونهم (ولا يملكون) ولا يستطيعون (لانفسهم ضرا) دفع ضر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون اماتة أحد واحياءه أولا و بعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على البعث والجزاء (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه (وأعانه عليه قوم آخرون) أى اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر و يسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر (فقد جاؤا ظلما) بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود (وزورا) بنسبة ماهو برىء منه اليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته (وقالوا أساطير الاولين) ماسطره المتقدمون (اكتتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه أمى وأصلها اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصارا كتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل و بنى الفعل للضمير فاستتر فيه (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أمى لايقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) لانه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه أساطير الاولين (انه كان غفورا رحيما) فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ماتقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا (وقالوا مال هذا الرسول) ماله هذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (و يمشى فى الاسواق) لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما أشار اليه تعالى بقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) لنعلم صدقه بتصديق الملك (أو يلقى اليه كنز) فيستظهر به و يستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل أى ان لم يلق اليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون والضمير للكفار (وقال الظالمون) وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تتبعون) ماتتبعون (الا رجلا مسحورا) سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أى بشرا لا ملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه و بين المتنبى فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح فى نبوتك أو الى الرشد والهدى (تبارك الذى ان شاء جعل لك) فى الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوا لكن أخره الى الآخرة لانه خير وأبقى (جنات تجرى من تحتها الانهار) بدل من خيرا (و يجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لاغائب مالى ولا حرم

ههنا منكرون له فأجاب بان هذه الصلة وان لم تكن معلومة لهم لكنها فى حكم المعلوم لقوة دليلها (قوله وقد يطلق الخلق لمجرد الخ) حق العبارة أن يقال فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهكذا قاله صاحب الكشاف والمعنى من غير نظر الى ما اعتبر فى الخلق بمعنى التقدير (قوله خليل) من الخلة وهى الفقر و يقال مالى حرم اذا كان لا يعطى منه

(قوله وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو الخ) فشبه الشرط والجزاء بالتمني في عدم تحقق وقوعهما حال المشارطة فكما يجوز نصب الفعل بعد التمني كذلك بعد الجزاء (قوله فانه أعجب منه الخ) لان أمر الساعة تقرر في ألسنة الانبياء المتقدمة واشتهر بين الامم (قوله لا تتراءى ناراهما الخ) أي يجب على المسلم أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالمنزل الذي اذا أوقدت فيه نار تلوح وتظهر لنار المشرك واسناد الرؤية الى النار على سبيل (٩٠) المجاز والمقصود رؤية أهلها (قوله الى الكنز والجنة الخ) أي الكنز والجنة اللتين ذكرهما المشركون بقولهم أو يلقى اليه كنز (قوله يعني كانت لهم جزاء) يعني ان قوله تعالى كانت لهم جزاء بتقدم الظرف يدل على اختصاص الجنة بالمتقين لا يدخل غيرهم فيها مع انه يدخل فيها عصاة المؤمنين فأجاب أولا بأن الجنة للمتقين ويتفضل بها على غيرهم باذنهم كان المالك يهب ملكه لغيره بأن يجعله شريكا فيه وثانيا بأنه يجوز ان يراد بالمتقين المؤمنون مطلقا والتقوى هي التقوى عن الكفر (قوله الى الانجاز) لك أن تقول فيه ان الانجاز واجب فهو ملجأ اليه لانه بعد الوعد وخلف الوعد على الله تعالى محال لانه نقص لا يليق بكرمه الا أن يقال المراد بالالجاء الى الشيء أن لا يحصل ذلك الشيء بالارادة بل بالقسر ومن هنا يتبين معنى قوله فان تعلق الارادة بالموعود مقدم الخ أي لما كان حصول الموعود بالارادة لم يحصل الالجاء لكن في التقدم المذكور نظر اذ ارادة الموعود من الله تعالى مستلزم لحصول الموعود وبعد حصول الموعود لا معنى للوعد ويمكن أن يقال مراده من ارادة الموعود انه تعالى أراد في الازل حصول الموعود في زمان معين من الازمنة المستقبلة فتتعلق ارادته تعالى في الماضي بوجود الموعود في المستقبل فاذا حصل ذلك الزمان المعين حصل الموعود وهذه الارادة لا تنافي الوعد لانها قبل حصول الموعود ثم بعد تعلق الارادة حصل الوعد ثم بعد الوعد حصل الموعود بمقتضى تعلق الارادة الازلية وتحقيق هذا المقام وهو تعلق الارادة أولا بوجود شيء في زمان من الازمنة المستقبلة مذكور في شرحنا التهذيب الكلام فليطلب منه

الموجب

ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أو فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة أو فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه أعجب منه (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم) اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما أي لا تتقار بان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار أو جهنم (من مكان بعيد) هو أقصى ما يمكن أن يرى منه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا (ضيقا) لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض (مقرنين) قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل (دعوا هنالك) في ذلك المكان (ثبورا) هلاكا أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون تعال يا ثبوراه فهذا حينك (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) أي يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته أو لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أو لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم أو الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح أو للدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم) في علم الله أو اللوح أو لان ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع (جزاء) على أعمالهم بالوعد (ومصيرا) ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم (لهم فيها ما يشاؤن) ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر هممهم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة (خالدين) حال من أحد ضمائرهم (كان على ربك وعدا مسؤلا) الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب أو مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد

الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (ومايعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه تعالى واستعمال ما امالان وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولايعرف أولانه أريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم أولتغليب الاصنام تحقيرا أواعتبارا لغلبة عبادها أويخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب أوالاصنام ينطقها الله أوتتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل (فيقول) أى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة وأصله أأضللتم أم ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والالما توجه العتاب وحذف صلة الضل مبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم امام لائكة أوانبياء معصومون أوجمادات لاتقدر على شئ أواشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أوتنزيها لله تعالى عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) مايصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) للعصمة أولعدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من أولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى (ولكن متعتهم وآباءهم) بأنواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن ذكرك أوالتذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى مافعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ماذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) فى قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) فى قولكم انهم آلهة أوهؤلاء أضلونا والباء بمعنى فى أومع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا (فما يستطيعون) أى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال (ولا نصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم) أيها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هى النار والشرط وان عم كل من كفر أوفسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) أى الارسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى ومامنا الا له مقام معلوم ويجوز أن تكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون أى تمشيهم حوائجهم أوالناس (وجعلنا بعضكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر (أتصبرون) علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أوحث على الصبر على ماافتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر أو بالصواب فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لايرجون) لايأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث أولايخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به

(قوله لانه لاشبهة فيه) أى فى الاضلال والضلال اذلوشك فى وجودهما لماحسن العتاب المستفاد من قوله تعالى أأنتم أضللتم (قوله وقرئ لاتتخذ) بصيغة المتكلم المجهول (قوله ومفعوله الثانى من أولياء) فان من أولياء مفعول أن نتخذ واذا قرئ بصيغة المتكلم المجهول كان له مفعول هو ضمير المتكلم

(قوله واللام جواب قسم الخ) لانه جملة قسمية دلت على شدة استكبارهم بحيث تقتضى التعجب (قوله وجارة) الجارة اسم امرأة هى بسوس صاحبة ناقة جساس وجساس اسم رجل هو قاتل كليب والناب ناقته يقال نابنا أى ناقتنا وهذا البيت يدل على قصة وهى ان كليبا رمى الناقة المذكورة فقتلها فشكت الجارة الى جساس فقتل جساس كليبا ومعنى علت ناب الخ انه علا قدر ناب الناقة التى كليب بواؤها أى كليب قصاصها والاستشهاد فى علت ناب كليب بواؤها فانه يقتضى التعجب (قوله أوظرف) معطوف على قوله تكرير أى يوم تكرير أوخبر اوظرف (قوله ولا يلزم من نفى البشرى الخ) لانه اذا كان لابشرى يومئذ للمجرمين مطلقا فلا بشرى للكافرين بطريق الاولى (قوله غير انه لما اختص بموضع مخصوص) وهو موضع لقاء العدو وهجوم المكروه الخ غير مجر لما ذكر ولا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه للاشعار بتغييره عن حالته الاصلية والمراد من عدم التصرف انه لا يستعمل الا منصوبا على المصدر (قوله مكان القيلولة على التشبيه) أى المقيل فى الاصل محل القيلولة فاستعماله ههنا على التشبيه أولان المكان الذى يؤوى اليه للقيلولة لا يخلو عن النوم غالبا وانما التزم ذلك لانه لانوم فى الجنة حتى يمكن أن يستعمل المقيل ههنا بمعناه الحقيقى والمراد من قوله على التشبيه تشبيه مكان الاستراوح بمكان القيلولة والمراد من قوله أولانه لا يخلو من ذلك غالبا انه لا يخلو مكان القيلولة عن الاستراوح فكانت القيلولة مستلزمة له غالبا فأطلق القيلولة واريد به الاستراوح بطريق المجاز المرسل ثم أطلق المقيل وأريد به مكان الاستراوح

الوصول الى جزائه و يمكن أن يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونوا رسلا الينا (أونرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا فى انفسهم) أى فى شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد من الانبياء الذين هم أكمل خلق الله فى أكمل أوقاتهم اوماهوأعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله

وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا علت ناب كليب بواؤها

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت أو العذاب و يوم نصب باذكر أو بما دل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها و يومئذ تكرير أو خبر وللمجرمين تبيين أو خبر ثان أو ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (و يقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول أى و يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو تقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجرا بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء غبار يرى فى شعاع يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه عملهم المحبط بالهباء فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا يستقر فيه فى أكثر الاوقات للتجالس والتحادث (وأحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه أولانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لانوم فى الجنة وفى أحسن رمز الى ما يتميز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين و يحتمل ان يراد باحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا أو بالاضافة الى ما للمترفين فى الدنيا روى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (و يوم تشقق السماء) أصله تتشقق فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير ونافع

ونافع وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر أو صفته والخبر يومئذ أو للرحمن (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبى معيط كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك الا أن تاتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن أبيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات (يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة أو طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة (ياويلتى) وقرئ بالياء على الاصل (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) يعنى من أضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد أضلنى عن الذكر) عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعنى الخليل المضل أو ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن وانس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ أو فى الدنيا بثا الى الله تعالى (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه أو هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الاولين فيكون أصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن) أى أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما أشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) أى كذلك أنزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة السلام أميا وكانوا يكتبون فلو ألقى عليه جملة لعيل بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ

(قوله نزل الملائكة) بضم اللام وكان أصله تنزل الملائكة بنصب الملائكة حذف النون وضم النون الباقية (قوله صفة) أى فالحق صفة الملك والخبر ماذكر (قوله لم يستتب) أى لم يتهيأ والتلقف أى الاخذ من الغير لا يتيسر الا تدريجا

ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة لى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا) وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة أوثلاث وعشرين وأصل الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك بمثل) سؤال عجيب كانه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك (الاجئناك بالحق) الدامغ له فى جوابه (وأحسن تفسيرا) و بما هو أحسن بيانا أومعنى من سؤالهم أولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا أعطيناك من الاحوال مايحق لك فى حكمتنا وماهو أحسن كشفا لما بعثت له (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أى مقلوبين أومسحوبين عليها أومتعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أومرفوع أومبتدأ خبره (أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازرون عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعنى فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) أى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين عذابا أليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم فى جعلناهم أوعلى الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة (وأصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ أودمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أى دسوه فى بئر (وقرونا) وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ماذكر (كثيرا) لا يعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما أصروا أهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة

(قوله ومنها انضمام القرائن الحالية) أى كل من الحالات الواقعة فى زمان من الازمان يناسب نزول آية خاصة فتعين على البلاغة لانها مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر (قوله وأحسن تفسيرا الخ) فتكون الاحسنية على الفرض أى على تقدير أن يكون ماقاله الكفرة حسنا فبياننا أحسن منه (قوله فالتعقيب باعتبار الحكم المذكور الخ) أى الفاء تدل على أن التدمير وقع عقيب التكذيب المذكور من غير مهلة والحال ان بينهما أزمانا طويلة فكيف تستقيم الفاء فأجاب عنه بان الحكم بالتدمير فى الزمان المعين وقع بعد التكذيب بلا مهلة وان كان وقوعه بعده بزمان (قوله يحتمل التعميم والتخصيص الخ) أى يحتمل أن يكون المراد من الظالمين مطلقهم أوقوم نوح (قوله وقرئ الخ) عادته انه يؤدى القراءة الشاذة الغير السبعة بصيغة المجهول لكن هذه القراءة قراءة عاصم وحمزة

والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ (ولقد أتوا) يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشأم (على القرية التى أمطرت مطر السوء) يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) فى مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب أو لا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) ما يتخذونك الا موضع هزء أو مهزوا به (أهذا الذى بعث الله رسولا) محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذى زعم أنه بعثه الله رسولا (ان) انه (كاد ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورده مما يسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وان أمهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية به (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار (أم تحسب) بل أتحسب (أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) فتجدى لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة (ان هم الا كالانعام) فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولو شاء لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) أى أزلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح

ما يلزمه الخ) فان ما يلزم من قولهم هو ضلال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المضل لابد أن يكون ضالا (قوله اشعارا بأن المعقول الخ) فان صنع الرب مد الظل أمر معقول جعل كالمحسوس لادخاله تحت الرؤية والظل أمر محسوس وقد وقع التعبير عن رؤية الظل ممدودا برؤية الرب مادا للظل فجعل المعقول من الكلام وهو رؤية الظل ممدودا لانه علامة الرؤية واذا كان هذا الامر المعقول جعل كالمحسوس لما ذكرنا فالامر المحسوس المفهوم من هذا الكل أولى بالظهور فى الدلالة على ما ذكر ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الاغلاق والاولى أن يقال التعبير المذكور للاشعار بأن المقصود العلم بالرب علما يشبه الرؤية فان فى ألم تر الى الظل الرؤية متعلقة بالظل وفى ألم تر الى ربك الرؤية متعلقة بالرب (قوله فانه لا يظهر للحس الخ) أى لا يظهر وجود الظل عند الحس الا بطلوع الشمس فان الظل كيفية مماثلة للشعاع لكنه قبله لم يظهر قبل طلوع الشمس وجود كيفية منافية لوجود

الشعاع فاذا طلعت وزال الظل عن موضع الشعاع ظهر ان الظل كان موجودا والاولى أن يقال

الكون و يتحصل به مالا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور أو لتفاضل مبادى أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا أى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها و يتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى أن تنتهى غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور أى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أو بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به و بفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به و يوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء أحدكم اذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى (لنحيي به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يعنى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسى بحذف ياء وهو جمع انسى أو انسان كظرابى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنه ماعام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية أو فى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا و يعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك و يقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى أنها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك

اجلالا

المراد انه لا يظهر الظل غاية الظهور الا عند طلوع الشمس على بعض الاجرام فاذا أحس الشعاع والظل ظهر ظهورا تاما كما قيل وبضدها تتميز الاشياء (قوله أو دليل الطريق من يهديه الخ) أى دليلا لطريق من يهديه الظل الى مقصوده لان الظل تابع للشمس فلو لم تكن الشمس لم يكن الظل فكان الظل دليلا (قوله ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة) المراد بالجرى على الفعل أى الفعل المضارع موافقته فى الحركات والسكنات وميت ليس كذلك كابنية المبالغة كفعول ومفعال (قوله ولذلك نكر الانعام والاناسى) أى لما كان أهل البوادى قليلين بالنسبة الى أهل المدن والقرى نكر الانعام والاناسى لتدل على القلة ووصفهم بالكثرة فى حد ذاتهم لا ينافى القلة بالنسبة (قوله فيهم وبما حولهم الخ) الظاهر ان يقال وهم وما حولهم الخ (قوله وعلية معايشهم منوطة بها) علية جمع على كصبي وصبية والمقصود ان معايشهم منوطة بها

اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أولانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد فى بارد (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمر به طينة آدم أو جعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيآت بسهولة أو النطفة (فجعله نسبا وصهرا) أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) يعنى الاصنام أو كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم (وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا (من أجر الا من شاء) الا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب أجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) فى استكفاء شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) ما ظهر منها وما بطن (خبيرا) مطلعا فلا عليك ان آمنوا أو كفروا (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج والرحمن خبر للذى ان

(قوله وتفضيلا لك على سائر الرسل) هذا غير ظاهر اذ لا يلزم من تخصيصه صلى الله عليه وسلم بالرسالة فى زمانه تفضيله على سائر الرسل الا اذا أثبتنا مع كل رسول نبيا آخر

جعلته مبتدأ أو لمحذوف ان جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي (فاسئل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبريل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لانهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده أو لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أي الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن أراد أن يذكر) بأن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (أو أراد شكورا) أن يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أو (الذين يمشون على الارض) واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لانهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين أو مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر أو سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) في الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل أحمز وأبعد عن الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم (انها ساءت مستقرا ومقاما) أي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أو أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيين بضم الياء وكسر التاء من أقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان

(قوله وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده) جواز كون ما بعده وهو فاسئل به خبيرا خبرا لانه أي الرحمن مقيد بموصول وصلة لانه في التقدير الرحمن أي الذي أنكروا اطلاقه على الله فاسئل به خبيرا فصار التركيب مثل الرجل الذي يأتيني فله درهم (وقمرا أي ذا قمر الخ) فيكون المعنى وجعل فيها ذا الليالي القمر وذو الليالي القمر هو القمر (قوله أو تعليل الثاني) فيكون المعنى ان عذابها كان لازما لانه مستقر ومقام للداخلين فيه على الابد والاولى الاقتصار على الترادف اذ لزوم العذاب علة لسوء المستقر وقبح المقام اذ القول بان الجملة الثانية للتعليل لا عكسه

بين ذلك قواما) وسطا عدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله) أى حرمها بمعنى حرم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) نفى عنهم أمهات المعاصى بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بأن الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) جزاء اثم أو اثما باضمار الجزاء وقرئ أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام أى صعب (يضاعف له العذاب يوم القيمة) بدل من يلق لانه فى معناه كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصى بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهو تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو) ما يجب أن يلقى ويطرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ أو القراءة (لم يخروا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه أهله فى طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية أو بيانية كقولك رأيت منك أسدا وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائى وأبو بكر وذريتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب وذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد أعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا فى أمر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا أو لانه مصدر فى أصله أو لان المراد واجعل كل واحد منا أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه

(قوله لاستقامة الطرفين الخ) أى اعتدالهما فكان الطرفين اعتدلا فى الوسط (قوله وبين ذلك لغو الخ) لعله أراد انه ظرف لغو متعلق بقوله تعالى قواما كما يقال متوسط بين الامرين (قوله وقيل انها للمعاصى المدلول الخ) الاولى ان يقال للمعاصى المدلول عليها بقوله اذا ذكروا لان التذكير مشتمل على النهى عن المعاصى

قاصدين لهم مقتدين بهم (أولئك يجزون الغرفة) أعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هى من أسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (و يلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة أى يحييهم الملائكة و يسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا و يسلم عليه أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر يلقون من لقى (خالدين فيها) لا يموتون فيها ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا (قل ما يعبؤ بكم ربى) ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أو لا يعتد بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل أى عبء يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة أو أثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهى مائتان وست أو سبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة للعود الى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أو القرآن على ما قرر فى أول البقرة (لعلك باخع نفسك) قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاسرة عليه (فظلت أعناقهم لها خاضعين) منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فاصدق لانه لو قيل أنزلنا بدله لصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة أو طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) أى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث أدى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله (فسيأتيهم) أى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (أنباء ما كانوا به يستهزؤن) من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بان يصدق و يعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة

(قوله دعاء بالتعمير الخ) ولعل فائدة الدعاء بالتعمير انه قدر فى علم الله ان بقاء أهل الجنة فى الجنة بسبب دعاء الملائكة اذ مقصودهم من الدعاء اظهار حبهم لحياة المؤمنين و بقائهم فى الجنة

﴿سورة الشعراء﴾

(قوله بالامالة الخ) امالة ألف الطاء (قوله كراهة العود الى الياء الخ) وانما كان الياء مهروبا عنها لان الفات أسماء التهجي ياآت كما ذكره المصنف فى أول سورة مريم فهرب عن الياء الى الالف فلو أميلت الالف يحصل العود الى الياء المهروب عنه (قوله البخاع) بالباء الموحدة (قوله ولعل للاشفاق الخ) دل على الامر بالاشفاق قضية الانكار أى انك تفعل ذلك فلا تفعل (قوله فظلت عطف الخ) يعنى وظلت معطوف على المضارع الذى لو استعمل بدله الماضى لكان صحيحا كما ان أكن معطوف على أصدق على انه لو قيل أصدق مجزوما لكان صحيحا

وهو صفة لكل مايحمد و يرضى وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على انه مامن نبت الاوله فائدة اما وحده أو مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها (ان فى ذلك) ان فى انبات تلك الاوصاف أوفى كل واحد (لآية) على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم أو العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذ نادى ربك موسى) مقدر باذكر أو ظرف لما بعده (أن ائت) أى ائت أو بان ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم (قوم فرعون) بدل من الاول أو عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان أولى بذلك (ألا يتقون) استئناف أتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة و يحتمل أن يكون بمعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا (قال رب انى أخاف أن يكذبون و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون) رتب استدعاء ضم أخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه و ينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب و يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ماخاف منه (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع (فأخاف أن يقتلون) به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار فى أمر الدعوة وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم أخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت والذى طلبته (انا معكم) يعنى موسى وهرون وفرعون (مستمعون) سامعون لما يجرى بينكما و بينه فأظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامداد أوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم لغو (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) أفرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال الشاعر

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أو لاتحادهما للاخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لانه أراد أن كل واحد منا (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم ليذهبوا معنا الى الشأم (قال) أى فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك (ألم نربك فينا) فى منازلنا (وليدا) طفلا سمى به لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين)

(قوله وكل لاحاطة الخ) فلو لم يذكر لم يدل على الكثرة اذ يحتمل ان يكون المثبت زوجين اثنين ولو لم يذكر لم يدل على الاحاطة اذ قد يكون بعض من الامور الكثيرة كثيرا أيضا (قوله لقد كذب الواشون) فى الاستدلال نظر فانه يجوز أن يكون الرسول ههنا بمعنى المشتق (قوله أى أرسل الخ) فالتقدير انا رسول رب العالمين اليك يقول هو أرسل

قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى و بخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز (وأنت من الكافرين) بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى أو ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين و يجوز أن يكون حكاية مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو ومن الذين كانوا يكفرون فى دينهم (قال فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه أو من الخاطئين لانه لم يتعمد قتله أو ومن لذاهلين عما يؤل اليه الوكز لانه أراد به التأديب أو والناسين من قوله أن تضل احداهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) ردّ أولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ماعد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على أنه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها علىّ أن عبدت بنى اسرائيل) أى وتلك التربية نعمة تمنها على ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أى أوتلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على انه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون ومارب العالمين) لما سمع جواب ماطعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والارض ومابينهما) عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الابذكر الخواص والافعال واليه أشار بقوله (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم أن هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لابد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها ومالا يمكن والالزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه و بما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) عدولا الى مالا يمكن أن يتوهم فيه مثله و يشك فى افتقاره الى مصور حكيم و يكون أقرب الى الناظر وأوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية (قال رب المشرق والمغرب ومابينهما) تشاهدون كل يوم أنه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لاينهم أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم (قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد أن من ملك قطرا أو تولى

(قوله الافراد) هى البسائط اذ هى افراد لازوجية ولا تعدد فى ذواتها (قوله ان كنتم تعقلون الخ) فان قوله ان كنتم تعقلون يفيد المخاشنة والتعريض بعدم العقل كما ان قول فرعون بنسبته الجنون الى موسى مخاشنة (قوله وان تعجبه الخ) عطف على ادعائه يعنى لما كان دعواه انه اله كان هذا قرينة لان يكون قوله ألا تستمعون تعجبا من اتخاذ اله آخر

أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك (قال أولوجئتك بشئ مبين) أى أتفعل ذلك ولوجئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فائت به ان كنت من الصادقين) فى أن لك بينة أوفى دعوك فان مدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فاذاهى ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين) روى أن فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا الساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما وقيل احبسهما (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبو عمرو والكسائى وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أوعبد رب أخا عون بن مخراق

أى ابعث أحدهما اليناسريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه الصلاة والسلام (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على مايقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى بعد ماقالوا له اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الاذن فى تقديم ماهم فاعلوه لامحالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى أنفسهم أولاتيانهم بأقصى مايمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذاهى تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (مايأفكون) مايقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أوافكهم تسمية للمأفوك به مبالغة (فألقى السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لايتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لاحقيقة له وأن التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ماقبله ويدل على أنهم لما رأوا مارأوا لم يتمالكوا أنفسهم كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين) بدل من ألقى بدل الاشتمال أوحال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على أن الموجب لايمانهم ما أجراه على أيديهما (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم أوفواعدكم على ذلك وتواطأتم وعليه أراد به التلبيس

(قوله لعلمهم بان مثله الخ) لانهم فى أعلى مراتب السحر فلما غلبوا دل على ان منتهى علمهم ليس الا الاول الذى هو التمويه اذلو كان له مرتبة أخرى غير الاول لعلموا

على قومه كى لايعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر وروح أآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال مافعلتم وقوله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم أجمعين) بيان له (قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى أو بسبب من أسباب الموت والقتل أنفعها وأرجاها (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون أو من أهل المشهد والجلة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير أو تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة المدل بامره نحو ان أحسنت اليك فلاتنس حقى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الاعتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع أن اسر بعبادى بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ أن سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء أى أسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم (فارسل فرعون) حين أخبر بسراهم (فى المدائن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذروى أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور أشار أولا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق مايدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه أو اعتذر بذلك الى أهل المدائن كى لايظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو أيضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أو تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى أجسامهم (فاخرجناهم) بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجنا فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذى كان لهم على أنه صفة مقام أو الامر كذلك فيكون خبر المحذوف (وأورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم) وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما لآخر وقرئ تراأت الفئتان (قال أصحاب موسى انا لمدركون) لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى أى لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم (قال كلا) ان يدركوكم فان الله وعدكم بالخلاص منهم (ان معى ربى) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روى أن مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون فقال أمرت بالبحر ولعلى أومر بما أصنع (فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) بحر القلزم أو النيل (فانفلق) أى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وأزلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه

اجمعين)

(قوله أو على طريقة المدل الخ) ولعل النكتة بهذا المبالغة باعتبار الايماء الى ان الشك فى الاحسان سبب لعدم نسيان الحق (قوله مثل ذلك الاخراج الخ) لايخفى ان اعتبار المثلية والنسبية لاوجه له ههنا لان المقام واحد وكذا الاخراج والحق ان يقال لامثلية ولانسبة بل المعنى أخرجناهم ذلك الاخراج المخصوص وقد نقلنا مثل هذا فى تفسير سورة الانعام عن العلامة التفتازانى (قوله لمدركون) بتشديد الدال وكسر الراء

أجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا (ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية) وأية آية (وما كان أكثرهم مؤمنين) وماتنبه عليها أكثرهم اذلم يؤمن بها أحد ممن بقى فى مصر من القبط و بنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه (واتل عليهم) على مشركى العرب (نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون) سألهم ليريهم أن مايعبدونه لايستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذ تدعون) عليه وقرئ يسمعونكم أى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (أو ينفعونكم) على عبادتكم لها (أو يضرون) من أعرض عنها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجؤا الى التقليد (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) فان التقدم لايدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا (فانهم عدولى) يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق مايتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغرى بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه أنفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر أو بمعنى النسب (الارب العالمين) استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى و يسقين) على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ماقبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم (واذا مرضت فهو يشفين) عطف على يطعمنى و يسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه تعالى لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لايحس به لاضرر فيه وانما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبليات ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه و بما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة الله العزيز العليم (والذى يميتنى ثم يحيين) فى الآخرة (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصى و يكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم مايفرط منهم واستغفار العاصى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله هى أختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا (رب هب لى حكما) كمالا فى العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق (وألحقنى

(قوله تعالى قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون الخ) أى أخبرونى عن حال ما كنتم تعبدون أو أخبرونى ما كنتم تعبدون حقيق بالعبادة أولا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام والفاء فاء السببية تفيد ان مابعد الفاء وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن حالهم فهذه الفاء بمعنى اللام والمعنى أخبرونى عن حالها لانها عدولى وقد صرح الرضى بأنه قد يجىء الفاء بمعنى اللام فى مثل قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم (قوله فيكون اختلاف النظم) اختلاف النظم عبارة عن ايراد خلق بصيغة الماضى و يهدين بصيغة المضارع

بالصالحين) ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لايشوب صلاحهم كبيرذنب ولاصغيره (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك مامن أمة الاوهم محبون له مثنون عليه أوصادقا من ذريتي يجدد أصل ديني و يدعو الناس الى ما كنت أدعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (واجعلني من ورثة جنة النعيم) في الآخرة وقدم معنى الوراثة فيها (واغفر لابي) بالهداية والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين) طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار (ولاتخزني) بمعاتبتي على مافرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان أومن الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) الضمير للعباد لانهم معلومون أوللضالين (يوم لاينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم) أي لاينفعان أحدا الامخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته أولاينفعان الامال من هذا شأنه و بنوه حيث أنفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصدبهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لاينفع غنى الاغناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها (و برزت الجحيم للغاوين) فيرونها مكشوفة و يتحسرون على أنهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله) أين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) أي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها (وجنود ابليس) متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه (أجمعون) تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده أو للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين) على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة و يؤيده الخطاب في قوله (اذ نسويكم برب العالمين) أي في استحقاق العبادة و يجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهما كهم في الضلالة متحسرون عليها (وما أضلنا الاالمجرمون فمالنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء (ولاصديق حميم) اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أوفمالنا من شافعين ولاصديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أووقعنا في مهلكة لايخلصنا منها شافع ولاصديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق أولان الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء أولاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل (فلوأن لنا كرة) تمن للرجعة أقيم فيه لومقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير أوشرط حذف جوابه (فنكون من المؤمنين) جواب التمني أوعطف على كرة أي لوأن لنا أن نكر فنكون من المؤمنين (ان في ذلك) أي فيما ذكر من قصة ابراهيم (لآية) لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها و يعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن

(قوله الاستثناء مما دل الخ) فيكون المال والبنون عبارة عن الغنى لانهما سببان له (قوله وفي اختلاف الفعلين الخ) فان الازلاف هو التقريب وهو أقوى من التبريز (قوله وكذا الضمير) أي الضمير المنفصل في قوله وهم فيها للاصنام والغاوين وجنود ابليس وعلى هذا فلابد مما قال من ان الله تعالى أنطق الاصنام حتى يتصور الاختصام وأما اذا كان الضمائر للعبدة فلا حاجة الى انطاق الاصنام والخطاب في نسويكم ليس على الحقيقة بل للتحسر والندامة وعلى هذا فالاختصام بين العبدة باعتبار الرؤساء والخدم يختصمون فقال التابعون أنتم أضللتمونا وقال الرؤساء بل ضللتم بأنفسكم (قوله أولاطلاق الصديق على الجمع الخ) فيكون الواحد من الصديق كالجمع من الشفيع

دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتهور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول (وما كان أكثرهم) أكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكى يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم أخوهم نوح) لانه كان منهم (ألا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول أمين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله سبحانه (وما أسئلكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجران أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء فى أجرى فى الكلمات الخمس (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه وأشاروا بذلك الى أن اتباعهم ليس عن نظر و بصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك (قال وما علمى بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى طعمة وما على الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربى) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالا تعلمون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان أنا الا نذير مبين) كالعلة له أى ما أنا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا أعزاء أو أذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على أن أطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين أو المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بينى و بينهم فتحا) فاحكم بينى و بينهم من الفتاحة (ونجنى ومن معى من المؤمنين) من قصدهم أو شؤم عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) أنثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم أبيهم (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجران أجرى الا على رب العالمين) تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه و يبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم أو قصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسيف أو سوط (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء

(قوله اظهارا لما يدعو عليهم الخ) أى سبب لدعاء عليهم التكذيب لا تخويف القوم نوحا ولاشقاقهم اياه

(وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من أنواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى ألا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) ثم أوعدهم فقال (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما تقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق الاولين بضمتين أى ما هذا الذى جئت به الاعادة الاولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم تزل الناس عليها (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكار لان يتركوا كذلك أو تذكير للنعمة فى تخلية الله اياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل أنثى وطلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لان المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين أو حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين وهو أبلغ من فارهين (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال الامر أو نسب حكم الآمر الى أمره مجازا (الذين يفسدون فى الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما أنت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهى الرئة أى من الاناسى فيكون (ما أنت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال هذه ناقة) أى بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها فى شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك أخذوا جميعا (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) أى العذاب الموعود (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) فى نفى الايمان عن أكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وأن قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين

(قوله وتغيير شق النفى الخ) يعنى مقتضى المقابلة ان يقال أوعظت أو لم تعظ لكنه غير الى ما ذكر للمبالغة فان المعنى حينئذ أم لم تكن من جنس الواعظين (قوله أو يذكر الخ) فيكون الاستفهام للتقرير (قوله عظم اليوم اعظم ما كان فيه الخ) للدلالة على ان فى اليوم من العظمة والقوة ما يوجب عظمة غيره (قوله نادمين الخ) أى الندم على الفعل المذكور لخوف العذاب لا للتوبة والندم على مخالفة أمر الله (قوله فى نفى الايمان عن أكثرهم الخ) الاول مسلم وفى الثانى خفاء ويمكن أن يقال ان معنى وما كان أكثرهم مؤمنين ان أكثرهم كافرون ففيه ايماء الى أنه لو لم يكن أكثرهم كافرين بل كان أكثرهم مؤمنين أو كان المؤمنون نصفا منهم لما عذبوا

أتأتون الذكران من العالمين) أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم
فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم
فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس (وتذرون ما خلق لكم) لاجل
استمتاعكم (ربكم من أزواجكم) لبيان ان أريد به جنس الاناث أو للتبعيض ان أريد به العضو
المباح منهن فيكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضا (بل أنتم قوم
عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أو مفرطون فى
المعاصى وهذا من جملته أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم
تنته يالوط) عما تدعيه أو عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من
بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال (قال انى لعملكم من القالين)
من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو أبلغ من أن يقول انى لعملكم قال
لدلالته على أنه معدود فى زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم (رب نجنى وأهلى مما يعملون) أى من
شؤمه وعذابه (فنجيناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت
حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ
أصابها حجر فى الطريق فأهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى
فى القرية فانها لم تخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) وقيل أمطر
الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع
المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم
الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان أجنبيا
منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وابقاء حركتها على اللام
وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهى اسم بلدتهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا
للفظ (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب
العالمين أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) الناقصين حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا
بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوا
شيأ من حقوقهم (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى
خلقكم والجبلة الاولين) وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما أنت من
المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا) أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة
مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة
منها ولعله جواب لما أشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من
الصادقين) فى دعواك (قال ربى أعلم بما تعملون) وبعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه فى
وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم
الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
(انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم)

هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك) تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان أراد به الروح فذاك وان أراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل عليه السلام فانه أمين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح الامين (لتكون من المنذرين) عما يؤدى الى عذاب من فعل أو ترك (بلسان عربى مبين) واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل و يجوز أن يتعلق بالمنذرين أى لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام (وانه لفى زبر الاولين) وان ذكره أو معناه لفى الكتب المتقدمة (أولم يكن لهم آية) على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة فى اعجازه أو بلغة العجم (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع أعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) أدخلناه (فى قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على أنه بخلق الله وقيل القرآن أى أدخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فى الدنيا والآخرة (وهم لا يشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها فى معنى الانذار أو الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين أو قبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة (وما ينبغى لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به (وما يستطيعون) وما يقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة فى صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم روى أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير

(قوله فنهلك غير الظالمين الخ) يدل على انه تعالى لو أهلك غير الظالمين لكان ظالما وهو خلاف ما صرح به أهل السنة انه يجوز له تعالى ان يعذب العالمين بغير ذنب وصرحوا بانه مالك الملك ان تصرف فى ملكه كيف شاء لا يكون ظالما فان قيل المراد من الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وعذاب غير الظالم كذلك قلنا فعلى هذا يمتنع عذابهم لاستلزامه للظلم المستحيل على الله تعالى اذ هو نقص والنقص عليه تعالى محال فالاولى أن يقال والله أعلم ان المعنى وما كنا ظالمين باهلاك القرية مطلقا سواء كان بعد الانذار أو قبله وان جرت عادتنا بعدم الاهلاك الا بعد الانذار رحمة وعناية أو يقال المراد ما كنا مشبهين بالظالمين فان الاهلاك قبل الانذار شبيه بالظلم وقد فسره به بعضهم فتأمل

لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لان من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره أو للتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برىء مما تعملون) مما تعملونه أو من أعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) الى التهجد (وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح أحوال المجتهدين كما روى أنه عليه السلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) أى الأفاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله تعالى كل أفاك أثيم والاظهر أن الاكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل أن رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه عليه الصلاة والسلام شاعرا وقرره بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) لان أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين و بين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرىء بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين

(قوله فى النسيب بالحرم الخ) فى الصحاح نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا شبب بها ومغازلة النساء محادثتهن والاسم الغزل وحرمة الرجل أهله والحرم النساء والابتهار دعوى الشئ كذبا

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون أى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ أى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم و بعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة النمل﴾ مكية وهى ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود أو القرآن وابانته لما أودع فيه من الحكم والاحكام أو لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى و بشرى للمؤمنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف (الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الاوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أو الاعمال الحسنة التى وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم) أى حكيم وأى عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا) أى اذكر قصته اذ قال و يجوز أن يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضميران صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان وان أبطأ (أو آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه قد يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون و يعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على أنه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر أو ثقة بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفؤا بها والصلاء النار

﴿سورة النمل﴾

(قوله والسين للدلالة الخ) هذا خلاف ما قاله بعضهم ان السين للاستقبال القريب وسوف للاستقبال البعيد

العظيمة (فلما جاءها نودى أن بورك) أى بورك فان النداء فيه معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى أحكام كثيرة (من فى النار ومن حولها) من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر أنه عام فى كل من فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليهما من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته فى أقطار الشأم (وسبحان الله رب العالمين) من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه أنا الله) الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وأنا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره بيده أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير (وألق عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وان ألق عصاك بعد قوله ان ياموسى انى أنا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه أن ذلك لامر أريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لاتخف) أى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله (انى لايخاف لدى المرسلون) أى حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس أى من الله تعالى أو لايكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لايخاف أيضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة (وأدخل يدك فى جيبك) لانه كان بمدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) آفة كبرص (فى تسع آيات) فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال (فلما جاءتهم آياتنا) بان جاءهم موسى بها (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لاتهتدى فضلا عن أن تهدى أو مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته (وجحدوا بها) وكذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوا) ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما أى علم (وقالا الحمد لله) عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أتيا به فى مقابلة هذه النعمة

(قوله تعالى كأنها جان) أى هى شبيه بالجنة الصغيرة فى سرعة المشى وان كانت عظيمة فى الجثة

كأنه قال ففعلا شكراله مافعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما أومثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع و يعتقد أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوة أو العلم أو الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال ياأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه والنطق والمنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت و يترقص فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا وأوتينا له ولأبيه عليهما الصلاة والسلام أوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما أوتى كقولك فلان يقصده كل أحد و يعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لا يخفى على أحد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا أتوا على وادى النمل) واد بالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى امالان اتيانهم كان من عال أولان المراد قطعه من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده و بلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادى (قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم) كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله فى السعة (وهم لا يشعرون) بأنهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أى فهم سليمان والقوم لا يشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها وسرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى أى أكفه وأرتبطه لا ينفلت عنى بحيث لا أنفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء أوزعنى (التى أنعمت على وعلى والدى) ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) اتماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فى عدادهم الجنة (وتفقد الطير) وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال مالى لا أراه ثم احتاط فلاح له

(قوله تكثيرا للنعمة الخ) فان تكثير باعتبار ان النعمة عليه غير النعمة عليهما بحسب الظاهر وكذا العكس والتعميم باعتبار المآل وهو ان النعمة عليه هى النعمة عليهما وكذا العكس

أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له (لأعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه والقائه فى الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده فى قفص (أو لأذبحنه) ليعتبر به أبناء جنسه (أو ليأتيني بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على أحد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة (فمكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف (فقال أحطت بما لم تحط به) يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على أن فى أدنى خلق الله تعالى من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه و يتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق (وجئتك من سبأ) وقرأ ابن كثير برواية البزى وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمزة ساكنة (بنبأ يقين) بخبر متحقق روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حاق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل فى عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها و يستنكرها من ينكرها (انى وجدت امرأة تملكهم) يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ أو لأهلها (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظمه بالنسبة اليها أو الى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا أو ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم (فصدهم عن السبيل) عن سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون) اليه (ألا يسجدوا لله) فصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أو لا يهتدون الى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب ألا بالتخفيف على انها للتنبيه و يا للنداء ومناداه محذوف أى ألا يا قوم اسجدوا كقوله

وقالت ألا يا اسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق وأصيبى

وعلى هذا صح أن يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون أمرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبء فى السموات والارض و يعلم ما يخفون وما يعلنون) وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ما تخفون وما تعلنون بالتاء (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) الذى هو أول الاجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون (قال سننظر) سنعرف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أى أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم الى

الحقيقة الخ) لان الاصل الغالب ان يحلف الحالف على فعل نفسه دون فعل غيره و يفهم من كلامه انه يجوز أن يحلف على فعل غيره وهو كذلك فقد صرح به الفقهاء فقالوا وقال أحد لآخر أقسمت عليك بالله لتفعلن كذا وقصد به يمين نفسه كان يمينا و يستحب ابرار القسم ان لم يتضمن محرما أو مكروها (قوله كأنهم كانوا الخ) انما قال كأنهم كانوا يعبدونها بلفظ كأن المفيد لعدم الجزم لانه يحتمل أن يكون السجود لها لا للعبادة التى هى غاية التعظيم والخضوع بل لشئ منهما (قوله فبين العظمتين الخ) أى بين العظيم الذى هو عرش بلقيس و بين العظيم الثانى الذى هو عرش الله تعالى بون عظيم وفى هذا الكلام لطائف الاول ايراد لفظ بين و بون والثانى لفظ العظيم صفة لبون بين العظيمين الثالث ان البون العظيم يمكن ان يراد به البون بحسب المكان و يمكن ان يراد به البون بحسب الشرف الرابع كون الكلام ههنا شعرا (قوله والتفسير للمبالغة الخ) أفاد انه للمبالغة باعتبار ان كنت من الكاذبين من المستمرين على الكذب لانه لا يدل على زمان مخصوص بل كان للاستمرار

مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) أى بعد ما ألقى اليها (يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه أو مرسله أو لانه كان مختوما أو لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان (وانه) أى وان المكتوب أو المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على) أن مفسرة أو مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف أى هو أو المقصود أن لا تعلوا أو بدل من كتاب (وائتونى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحا أو التزاما والنهى عن الترفع الذى هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أجيبونى فى أمرى الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه (ما كنت قاطعة أمرا) ما أبت أمرا (حتى تشهدون) الا بمحضر كم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (قالوا نحن أولوا قوة) بالاجساد والعدد (وأولو بأس شديد) نجدة وشجاعة (والامر اليك) موكول (فانظرى ماذا تأمرين) من المقاتلة أو الصلح نطعك ونتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وغلبة (أفسدوها) تزييف لما أحست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا تدرى عاقبتها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك يفعلون) تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك روى أنها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وأرسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء سليمان) أى الرسول أو ما أهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدونن بمال) خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فما آتانى الله) من النبوة والملك الذى لا مزيد عليه وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء والباقون باسكانها وبامالتها الكسائى وحده (خير مما آتاكم) فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تهدونه

افتخارا

(قوله وقرئ بالفتح الخ) أى قرئ انه من سليمان وانه بفتح ان فى الموضعين (قوله ان مفسرة) أى مفسرة لشئ مقدر والتقدير أنها كم عن شئ وأعلمكم شيأ هو لا تعلوا على (قوله فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة) أى القاء الكتاب اليها من غير توسط بأحد من الناس بل باتيانه اليها من حيث لم تشعر به معجزة والاولى أن يقال ان أمر سليمان عليه السلام كان مشهورا فاستدعاؤها الى الانقياد لا يكون استدعاء للتقليد

افتخارا على أمثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) أيها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون) أسراء مهانون (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره (قبل أن يأتونى مسلمين) فانها اذا أتت مسلمة لم يحل أخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى أمين) لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك أيده الله به أو سليمان عليه السلام نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم أولا ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شئ فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام فى امكان مثله قدمر فى آية الاسراء (ليبلونى أأشكر) بان أراه فضلا من الله تعالى بلا حول منى ولا قوة وأقوم بحقه (أم أكفر) بان أجد نفسى فى البين أو أقصر فى أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته أو الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليها الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان عليه السلام وقومه وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى

(قوله والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الخ) انكار الامداد بالمال هو المستفاد من قوله أتمدوننى بمال وتقليله هو المستفاد من قوله فما آتانى الله خير مما آتاكم (قوله تعالى أم تكون من الذين الآية) لا يخفى ان الاصل ان يقال أتهتدى أم لا تهتدى فالعدول اليه اما للمبالغة اذا لم تهتد الى معرفة عرشها مع انه بعينه فى ذاته فكانها لم تهتد الى شئ أو لحفظ الفواصل

وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء به من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكر الله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدها على الاول أى صدها نشؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له (قيل لها ادخلى الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روى أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق وأسؤق (قال انه) ان ما ظننته ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما أمر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) بان اعبدوا الله وقرئ بضم النون على اتباعها الباء (فاذا هم فريقان يختصمون) ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ (لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم ترحمون) بقبولها فانها لا تقبل حينئذ (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سببكم الذى جاء منه شركم (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه (وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة (يفسدون فى الارض ولا يصلحون) أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد (لنبيتنه وأهله) لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر (ثم لنقولن) فيه القرا آت الثلاث (لوليه) لولى دمه (ما شهدنا مهلك أهله) فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا (وانا لصادقون) ونحلف انا لصادقون أو والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) بان جعلناها سببا لاهلاكهم (وهم لا يشعرون) بذلك روى أنه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة كما أشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين) وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب أنا دمرناهم

(قوله ويكون غرضهم فيه الخ) هذا دفع سؤال وهو انه من المعلوم ان سليمان كان عالما بما يجب العلم به قبل بلقيس وكان اسلامه قبل اسلامها فما فائدة قوله وأوتينا الخ وجوابه ان الغرض منه التواضع واظهار نعمة الله وشرف العلم والاسلام (قوله اذ الشاهد لشئ الخ) الغرض من ذلك عدم كذبهم فى حلفهم بأحد الوجهين المذكورين

بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال (فتلك بيوتهم خاوية) خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف (بما ظلموا) بسبب ظلمهم (ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول وظرف على الثانى (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (من دون النساء) اللاتى خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أفعالنا أو عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدا بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما أنعم عليهم أو علمه ما جهل من أحوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين أو لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير أما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (أمن) بل أمن (خلق السموات والارض) التى هى أصول الكائنات ومبادئ المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله (وأنزل لكم) لاجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار اليه بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (أاله مع الله) أغيره يقرن به و يجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ أالها باضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون و بتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (أنهارا) جارية (وجعل لها رواسى) جبالا تتكون فيها المعادن و تنبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالح أو خليجى فارس والروم (حاجزا) برزخا وقد مر بيانه فى الفرقان (أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) الحق فيشركون به (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) المضطر الذى أحوجه شدة ما به الى اللجا الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) و يدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها من

(قوله أو علمه ما جهل من أحوالهم الخ) أى أو على علمه ما جهل من أحوالهم فيكون معطوفا على ماوليس معطوفا على أنعم حتى يكون المعنى أو على ما علمه ما جهل لفساد التركيب هذا اذا جعل ما موصولة وأما اذا كانت مصدرية فالمعنى على انعامه أو تعليمه ما جهل من أحوالهم (قوله لتأكيد اختصاص الفعل به تعالى ليدل على نفى الشرك) لا يخفى ان نسبة الانبات بطريق التكلم أظهر فى الاختصاص فيكون آكد وتوضيحه أنه اذا قرئ بطريق التكلم يفيد الاختصاص من غير اعتبار شئ آخر وأما اذا قرئ بصيغة الغيبة فهو بحسب الظاهر يدل على اختصاصه بمن خلق السموات والارض اذ الضمير راجع اليه ولما كان خلق السموات والارض مختصا بالله تعالى كان انبات الحدائق مخصوصا به أيضا فاختصاصه به تعالى يكون بهذه الواسطة وانما لم يلتفت فى أنزل لان العجب فى انبات الحدائق المختلفة الانواع من الماء المتشابه أقوى من انزال الماء

قبلكم (أ إله مع الله) الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قليلا ما تذكرون) أى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى واضافها الى البر والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التى لا منار بها (ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر ولوصح أن السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك أن الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (أ إله مع الله) يقدر على مثل ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان أنكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى بأسباب سماوية وأرضية (أ إله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على أن غيره يقدر على شئ من ذلك (ان كنتم صادقين) فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) لما بين اختصاصه تعالى بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم أو متصل على أن المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى وأولى العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف (وما يشعرون أيان يبعثون) متى ينشرون مركبة من أى وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة (بل أدرك علمهم فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآل لهم لا محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى الأمر لا يجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم الى وصفهم باستحكام علمهم فى أمر الآخرة تهكما بهم وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وأبو بكر ادّرك وأصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بألف بينهما و بل أدرك و بل تدارك و بلى أأدرك و بلى أأدرك وأم ادرك وأم تدارك وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على أن شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون أورد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث أو من حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائى اننا لمخرجون

كاللازم له الخ) انما قال كاللازم لان التفرد بعلم الغيب ليس بلازم للقدرة العامة من حيث هى قدرة عامة وانما اللازم لها العلم لا التفرد به (قوله لدلالته على انه تعالى الخ) لا يخفى ان هذه النكتة حصلت على جعل الاستثناء متصلا ودخوله تعالى فيمن فى السموات والارض بطريق الادعاء ولذا لم يجعل صاحب الكشاف الاستثناء منقطعا بل جعل المستثنى من جنس المستثنى منه بالفرض والتقدير (قوله لا يعلمونه كما ينبغى) أى يصدقون به على خلاف ما ينبغى ولا يخفى ان ما قاله المصنف لا يخلو عن ابهام وتوضيح المقام ان على القراءة المشهورة معنى الكلام بل اضمحل علمهم فى وقوع الآخرة بل هم فى شك منها متحيرين لم يدروا ما يقولون ولا يخفى ان هذا ازيق لان اضمحلال العلم قد يكون بحصول الظن فاذا أثبت الشك وقيل بل هم فى شك منها علم انتفاء الظن فيها أيضا ومعنى الحكم بانهم منها عمون الجاهلون بكل وجه فهو أقوى من الحكمين المتقدمين (قوله وهذا وان اختص الخ) أى أسند الى جميعهم بحسب الظاهر وان كان المراد البعض فيه ما فيه فالاولى ان يقال الضمائر للكفرة حتى لا يحتاج الى هذا التكلف (قوله تنزيل لاحوالهم الخ) اى ذكر جهلهم بأحوال القيمة أى كيف يشعرون بوقت

بنونين على الخبر (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث (ان هذا الا أساطير الاولين) التي هي كالاسمار (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا بالمؤمنين في ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) على تكذيبهم واعراضهم (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق أي أمر ضيق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (و يقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذي تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) لتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل (ولكن أكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت أي سترت (وما يعلنون) من عداوتك فيجازيهم عليه (وما من غائبة في السماء والارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية أو اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة (الا في كتاب مبين) بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضي بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته و يدل عليه أنه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره (انك لا تسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم في هذه الحالة أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهدي العمي (ان تسمع) أي ما يجدي اسماعك (الا من يؤمن بآياتنا) من هو في علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهي الجساسة روى أن طولها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين تخرج فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه و بالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) بخروجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح (لا يوقنون) لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله عز وجل أو علة خروجها أو

القيمة وهم لا يعلمون كونها بل كيف يشعرون وهم في ظلمة الشك بل هم في العمى (قوله وتقديم هذا على نحن الخ) أي التقديم علامة الاهتمام فحيث قدم هنا الذي هو اشارة الى البعث علم ان الاهتمام بشان البعث فاذا أخر هذا علم ان الاهتمام الى المبعوث وتوضيحه انه اذا قدم هذا يكون اشارة الى انكار البعث من حيث هو بعث أي ان البعث أمر محال واذا أخر وقدم المبعوث كان اشارة الى أن بعثنا و بعث آبائنا منكر ويؤيد ان ما وقع هنا لانكار البعث المبالغة في انكارهم للبعث حيث نفى عنهم العلم بوقت البعث ثم اضمحلال علمهم بوقوعه ثم الشك فيه ثم الجهل الصرف (قوله يكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم) يعني لطفا للمؤمنين بأنهم ما اشتغلوا بالجرائم ولا يخفى ان عدم اشتغالهم وتركهم للجرم من لطف الله تعالى

تكامها على حذف الجار (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) يعنى يوم القيامة (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج أى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان أمة كل نبى وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال أى أكذبتم بها بادئ الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف أى أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها (أماذا كنتم تعملون) أم أى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذلم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا) ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وأن من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة فى مواد الابدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة (ويوم ينفخ فى الصور) فى الصور أو القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) أن لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لانه صعق مرة ولعل المراد مايعم ذلك (وكل أتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أو راجعون الى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه على التوحيد للفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة فى مكانها (وهى تمر مر السحاب) فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد لا تكاد تبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله (الذى أتقن كل شئ) أحكم خلقه وسواه على ما ينبغى (انه خبير بما يفعلون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها أى خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء (وهم من فزع يومئذ آمنون) يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم فى النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالايدى فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات أو باضمار القول أى قيل لهم ذلك (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ذلك

(قوله وقدرة القاهر المذكور) يدل على توحده لبرهان التمانع (قوله لعله لا يخل الخ) أى ليس الغرض من ذكر الليل والنهار خصوص حالهما بل الغرض تحصيل أسباب المعاش ومصالح المعاد للمكلف فيهما (قوله فبولغ بجعل البصائر حالا من أحواله) انما لم يجعل السكون حالا من أحوال الليل كما جعل الابصار حالا من أحوال النهار لان الابصار لازم النهار وأما السكون فليس بلازم لليل اذ قد تتحرك الجماعة الكثيرة فى الذهاب بالليل فى الطرق الى الاسفار (قوله قيل هم جبريل الخ) قال الشيخ الكامل فى الفتوحات واعلم أن منزل أهل القربة يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق الذى يدرك الارواح بل هم ممن استثنى الله بقوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله (قوله لانه فزع واحد من افزاع ذلك اليوم) وهو فزع الدخول فى العذاب

بعد مابين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة اشعارا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وماعليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ أو اتباعه وقرئ واتل عليهم وأن اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياى فى ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتى (فقل انما أنا من المنذرين) فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوّة أو على ماعلمنى ووفقنى للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو فى الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهودا وصالحا وابراهيم وشعيبا و يخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿ سورة القصص مكية وقيل الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وهى ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوعليك) نقرؤه بقراءة جبريل و يجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازا (من نبأ موسى وفرعون) بعض نبئهما مفعول نتلو (بالحق) محقين (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض أرض مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل أو احزابا بأن أغرى بينهم العداوة كى لا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله (يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الانبياء لتخيل فاسد (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض) أن نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا فى الارض من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن تجرى مجرى المقارن (ونجعلهم أئمة) مقدمين فى أمر الدين (ونجعلهم الوارثين) لما كان فى ملك فرعون وقومه (ونمكن لهم فى الارض) أرض مصر والشام وأصل التمكين أن تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) من بنى اسرائيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائى و يرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع (وأوحينا الى أم موسى) بالهام أو رؤيا (أن أرضعيه) ما أمكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يحس به (فألقيه فى اليم) فى البحر يريد النيل (ولا تخافى) عليه ضيعة ولا شدة (ولا تحزنى) لفراقه (انا رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين)

(قوله وخروج دابة الارض) وعلى هذا فالخطاب فى سيريكم للجنس لا للموجودين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم (قوله فى الصور الخ) الاول أن يكون الصور جمع صورة مخفف صور والثانى أن يكون الصور اسم القرن المخصوص

﴿سورة القصص﴾

(قوله ولا يلزم الخ) جواب سؤال هو انه لزم أن يكون ارادة المنة على المستضعفين مقارنة للاستضعاف ولا يخفى أن المراد لا يتخلف عن الارادة الالهية فيلزم أن تكون المنة المذكورة مقارنة للاستضعاف مع انه ليس كذلك بل استضعاف فرعون اياهم قبل المنة بسنين فأجاب أولا بأن تعلق ارادة المنة تعلق استقبالى فيكون المعنى ونريد أن نمن بعد ذلك بسنين وثانيا بأن ما أراد الله حصوله فى الزمان المستقبل فى حكم الحاضر فى تحقيق الوقوع

روى انه الماضر بها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه فى قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته فى النيل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا) تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائى وحزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فى كل شئ فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لاجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أومذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوّهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أوخاطين الصواب الى الخطأ (وقالت امرأت فرعون) أى لفرعون حين أخرجته من التابوت (قرة عين لى ولك) هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه أولانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث انه قال لك لالى ولو قال هولى كما هو لك لهداه الله كما هداها (لاتقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه (أونتخذه ولدا) أونتبناه فانه أهل له (وهم لايشعرون) حال من الملتقطين أومن القائلة والمقول له أى وهم لايشعرون أنهم على الخطأ فى التقاطه أو فى طمع النفع منه والتبنى له أومن أحد ضميرى نتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لايشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خلاء لاعقول فيها ويؤيده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر أومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أوسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه (ان كادت لتبدى به) انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الضجر أو الفرح لتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله أومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جوار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه (وهم لايشعرون) أنها تقص أوأنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أومرضع وهو الرضاع أوموضعه يعنى الثدى (من قبل) من قبل قصها أثره (فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه قال انها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون أن تأتى بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى الاثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لاأوتى بصبى الاقبلنى فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله تعالى (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بولدها (ولاتحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن وعده حق فيرتابون فيه أوأن الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون

تفسير الخاطئين بما ذكر أولا وهو أن يكون من الخطأ والثانى بالنظر الى المعنى الثانى وهو تفسير الخاطئين بالمذنبين (قوله أوخاطين الصواب الى الخطأ) يعنى ان الخاطين بالتخفيف مأخوذ من الخطوة والخاطى بمعنى المتجاوز (قوله خطاب بلفظ الجمع للتعظيم) أى الخطاب مع فرعون فقط للتعظيم ويمكن أن يقال المراد لاتقتله ولا يقتله آلك الملتقطون فغلب المخاطب (قوله حال من الملتقطين) أى حال من فاعل التقطه وهو الآل (قوله أومن القائل والمقول له) الاول امرأة فرعون والمقول له فرعون وآله وقوله وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه ناظر الى الوجه الاول (قوله أوفى طمع النفع) ناظر الى الوجه الثانى ففيه لف ونشر (قوله أومن أحد ضميرى نتخذه) الضمير الاول ضمير المتكلم والثانى ضمير الغائب ولايخفى ان الاحتمال الاول من الاحتمالات المذكورة بعيد (قوله ويؤيده أنه قرئ فرغا من قولهم دما دماؤهم بينهم فرغ) أى هدر باطل فكأنه بطل قلبها لان القلب الذى لاعقل له باطل فى حكم العدم (قوله روى أن هامان لما سمعه الخ) أى سمع امها قالت وهم له ناصحون قال فرعون مايأتى (قوله وماسواه الخ) أى ماسواه مما يترتب على الرد من الانعام عليها فارضاع موسى وتربيتها اياه تابع له (قوله وفيه تعريض الخ)

فرعون (ولما بلغ أشده) مبلغه الذى لايزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين سنة (واستوى) قده أو عقله (آتيناه حكما) أى نبوّة (وعلما) بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل مايستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه (نجزى المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف أو حانين أو عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من أهلها) فى وقت لايعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه) أحدهما من شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى) هو (من عدوّه) فسأله أن يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه أى فضرب به صدره (فقضى عليه) فقتله وأصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار أو لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدوّ مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتله (فاغفرلى) ذنبى (فغفرله) لاستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم (قال رب بما أنعمت على) قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لأتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أو استعطاف أى بحق انعامك على اعصمنى فلن أكون معينا لمن أدت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه لم يستثن فابتلى به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت على من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها فى مظاهرة أعدائك (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوى مبين) بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدوّلهما) لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا أعداء لبنى اسرائيل (قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه أو القبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى (ان تريد) ماتريد (الا أن تكون جبارا فى الارض) تطاول على الناس ولا تنظر فى العواقب (وماتريد أن تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى أحسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه وهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل أو حال منه اذا جعل من أقصى المدينة صفة له لاصلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر (فاخرج انى لك من الناصحين) اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لايتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى أن يهدينى سواء

انما حصل التعريض المذكور لان محصل علمه بما ذكر يشعر بأنه حصل منها مالايناسبه العلم المذكور وهو اضطرابها (قوله وهو أوفق الخ) وعلى هذا فالمراد بالحكم علم الحكماء وبالعلم علم العلماء (قوله والاشارة على الحكاية) كأنه قيل فوجد فيها رجلين يقول الناظر اليهما هذا من شيعته وهذا من عدوّه (قوله لم يستثن) أى لم يقل فلن أكون ظهيرا للمجرمين ان شاء الله (قوله قاله الاسرائيلى الخ) يعنى أراد موسى أن يبطش على عدوهما ووهم الاسرائيلى انه أراد أن يبطش عليه بناء على ماذكر (قوله ومن قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر) لان المعنى قضينا هلاك قومه واللازم منه انتهاء حياة هؤلاء فاستعمل الملزوم فى اللازم فمعنى قضى عليه الموت انهى حياته وانما قال ذلك لان قضاء الموت والفعل الذى هو ازالة الحياة ليس فعل موسى فلابد أن يؤول فقوله وأصله انهى حياته معناه ان الاصل فى هذا المقام انهى حياته وقوله من قوله وقضينا اليه ذلك الأمر أن قوله فقضى عليه مأخوذ منه ههنا اذا قرئ فانتهى حياته من باب الافتعال كما هو فى بعض النسخ وأما اذا

السبيل) توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطريق فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها
وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين (ولما ورد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها
(وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم
(ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان أغنامهما عن الماء
لئلا تختلط بأغنامهم (قال ما خطبكما) ما شأنكما تذودان (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) تصرف
الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل
على عفتهما او يدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أي ينصرف وقرئ
الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال (وأبونا شيخ كبير) كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا
اضطرارا (فسقى لهما) مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله
الا سبعة رجال أو أكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا
أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي) لاي شئ أنزلت
الي (من خير) قليل أو كثير وحمله الاكثرون على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدي
باللام وقيل معناه اني لما أنزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون
والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) أي
مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء أو صفراء وهي التي تزوجها
موسى عليه السلام (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك) ليكافئك (أجر ما سقيت لنا) جزاء سقيك
لنا ولعل موسى عليه الصلاة والسلام انما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا
في الاجر بل روي أنه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال
له شعيب عليه الصلاة والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان كل من فعل معروفا فأهدي
بشئ لم يحرم أخذه (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يريد
فرعون وقومه (قالت احداهما) يعني التي استدعته (يا أبت استأجره) لرعي الغنم (ان خير من
استأجرت القوي الامين) تعليل شائع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل
خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه امر مجرب معروف روي أن شعيبا قال لها
وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي
خلفه (قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني) أي تأجر نفسك مني أو تكون
لي أجيرا أو تثيبني من أجرك الله (ثماني حجج) ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار
مضاف أي رعية ثماني حجج (فان أتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من
عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على أجرة معينة
وبمهر آخر أو برعية الاجل الاول ووعده أن يوفي الأخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للزوجة
مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام اتمام العشر أو المناقشة في
مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك
في اطاقته ورأيك في مزاولته (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب
والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بيني وبينك) أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه (أيما
الاجلين) أطولهما أو أقصرهما (قضيت) وفيتك اياه (فلا عدوان علي) لا تعتدى علي بطلب الزيادة
فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو فلا أكون معتديا بترك الزيادة

قرئ فانهى حياته من باب الافعال فالمعنى أبلغ حياته الى النهاية وهو أيضا من قوله وقضينا اليه ذلك الأمر لان معناه أنهى حياة هؤلاء الجماعة (قوله مختلفين) الاختلاف انما يفهم من أن الناس المجتمعين حول البئر يكونون مختلفين هكذا ذكره العلامة الطيبي ومن للبيان أي جماعة كثيرة هي ناس مختلفون (قوله دونه) أي دون المفعول أي الغرض هو البيان المذكور لا المفعول (قوله كالرخال) الرخال جمع رخل بكسر الخاء المعجمة الأنثى من ولد الضأن (قوله ولذلك الخ) أي لان الفقير بمعنى السائل أي الطالب عدي باللام كما أن الطالب عدي بها (قوله هذا) أي هذا ما ذكر (قوله وان من فعل الخ) أي مع قطع النظر عما ذكر من فعل الخ (قوله فكانت الاغنام للزوجة) انما قال ذلك لان الواجب ان مهر المرأة واصل اليها لا الى أبيها (قوله وهذا استدعاء الخ) لان الارادة لا يحصل العقد بها مع انه لم يعين أحد الشيئين وقوله مع انه يمكن الخ معناه ان ما ذكرناه بشرعنا ويمكن أن يكون في شريعة شعيب يحصل العقد بما ذكر (قوله يشق الخ) أي يشق عليك اعتقادك

عليه كقولك لاأثم على وهو أبلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من أن يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان على وقرئ أيما كقوله

تنظرت نصرا والسما كين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره

وأى الاجلين ماقضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أى اى الأجلين جردت عزمى لقضائه وعدوان بالكسر (والله على مانقول) من المشارطة (وكيل) شاهد حفيظ (فلما قضى موسى الاجل وسار باهله) بامرأته روى أنه قضى أقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا أخرى ثم عزم على الرجوع (آنس من جانب الطور نارا) أبصر من الجهة التى تلى الطور (قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) بخبر الطريق (أوجذوة) عود غليظ سواء كان فى رأسه نار أولم يكن قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال آخر

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون) تستدفئون بها (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) أتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ أوصلة لنودى (من الشجرة) بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت ثابتة على الشاطئ (أن ياموسى) أى ياموسى (انى أنا الله رب العالمين) هذا وان خالف مافى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) أى فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) فى الهيئة والجثة أوفى السرعة (ولى مدبرا) منهزما من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى (أقبل ولا تخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدى المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم اليك جناحك) يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو أن يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه (من الرهب) من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات (فذانك) اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس (برهانان) حجتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن (من ربك) مرسلا بهما (الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم (قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ) معينا وهو فى الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (انى أخاف أن يكذبون) ولسانى لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف (قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطانا) غلبة أوحجة (فلا يصلون اليكما) باستيلاء أوحجاج (بآياتنا) متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما

وظنك ماتبين تقول تارة أطيقه وتارة لاأطيقه (قوله فيكون ما) على قراءة أيما الاجلين بالتأكيد عموم الاجل وفى التأكيد القضاء (قوله أوجذوة) قال فى الصحاح قال مجاهد فى قوله أوجذوة من النار أى قطعة من الجمر ونقل عن الراغب التى تبقى من الحطب بعد الالتهاب والوجه أن تعتبر الجذوة بهذا الابالعود والالم يناسبه قوله تعالى من النار (قوله جزل الخ) الجذل الحطب اليابس العظيم والجذى جمع جذوة والخوار الضعيف والدعر الحطب الردىء الكثير الدخان استشهد بالبيت الاول على أن الجذوة تطلق على العود من غير نار وبالثانى على العود معها (قوله هذا وان خالف الخ) الاولى أن يقال يحتمل أن يكون الخطاب مع موسى بلفظ يستفاد منه جميع ماذكر فذكر فى بعض المواضع بعضا منه وفى موضع آخر بعضا آخر

(قوله أو قسم جوابه لا يصلون) قال الطيبي فيه تساهل لان جواب القسم لا يقدم عليه ولا يكون فيه فاء ومراده ان ما قبله يدل
على أن جوابه محذوف (قوله أو بيان) كأنه قيل بماذا يغلبون فقيل يغلبون بآياتنا (قوله بمعنى أنه
صلة لما بينه) أي صلة للغالبين المقدر الذي بينه الغالبون المذكور (قوله كائنا في أيامهم) فيكون حالا عن هذا كما هو المذكور في الكشاف والاولى أن يقال المعنى ما سمعنا بوقوع هذا في آبائنا الاولين حتى يكون الجار والمجرور متعلقا بذلك المقدر (قوله والمقصود منها الخ) لا يخفى أن الثواب والعقاب كليهما بالارادة الالهية ولو كانت الارادة الى الثواب دون العقاب لم يقع عقاب الا أن يقال ان الثواب يجري مجرى المراد المقصود لان الله تعالى أمرهم بسلوك طريق الثواب ونهاهم عن طريق العقاب والاولى أن يقال المراد من عاقبة الدار العاقبة المحمودة بقرينة قوله تعالى له ٧ هكذا قال محيي السنة وعلى هذا لا حاجة الى قوله فان المراد الخ (قوله وهذا من خواص العلوم الفعلية) أي العلوم التي تكون أسبابا للمعلومات فان نفي السبب يستلزم نفي المسبب وأما العلوم الانفعالية فلما لم تكن أسبابا لم تكن كذلك فهذا اعتراض على القول المذكور وهو الذي ذكره الزمخشري (قوله ولذلك ناداه باسمه) ينافي
وسط الكلام دليل تعظيم فرعون لانه لم يذكره بصفة الوزارة ولم يبتدئ باسمه (قوله من المطرودين) كذا في الكشاف
وهذا يناسب ما قاله أبو الليث من أن المقبوح مأخوذ من قبحه بالتخفيف قبحا بالفتح وقبحا أيضا أي نحاه عن كل خير وأما المعنى الثاني

بها أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون أو بيان للغالبون في قوله (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى) سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتري به على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر (وما سمعنا بهذا) يعنون السحر أو ادعاء النبوة (في آبائنا الاولين) كائنا في أيامهم (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) فيعلم أني محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء (انه لا يفلح الظالمون) لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال (واني لأظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبنى له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم أئمة) قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أو بمنع الالطاف الصارفة عنه (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم القيمة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم القيمة هم من المقبوحين) من المطرودين أو ممن قبح وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) أقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) أنوار القلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل (وهدى) الى الشرائع التي هي سبل الله تعالى (ورحمة) لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله سبحانه وتعالى (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت (وما كنت بجانب الغربي) بريد الوادي أو الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم أى ما كنت حاضرا (اذ قضينا الى موسى الامر) اذ أوحينا اليه الامر الذى أردنا تعريفه (وما كنت من الشاهدين) للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) أى ولكنا أوحينا اليك لانا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) شعيب والمؤمنين به (تتلوا عليهم) تقرأ عليهم تعلما منهم (آياتنا) التى فيها قصتهم (ولكنا كنا مرسلين) اياك ومخبرين لك بها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة (ولكن) علمناك (رحمة من ربك) وقرئت بالرفع على هذه رحمة من ربك (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف (ما أتاهم من نذير من قبلك) لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسمعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها انما أجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أى انما أرسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم (فنتبع آياتك) يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات (ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) يعنى أبناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى أو كان فرعون عربيا من أولاد عاد (قالوا ساحران) يعنى موسى وهرون أو موسى ومحمدا عليهما السلام (تظاهرا) تعاونا باظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة أو اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظهارا على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) أى بكل منهما أو بكل الانبياء (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجىء حرف الشك للتهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) اذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفى (بغير هدى من الله) فى موضع الحال للتأكيد أو التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى (ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير أو فى النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ

فيه ان قبح وجهه فعل لازم لا يبنى منه اسم المفعول (قوله لانها الخ) أى لان لولا الثانية أجيبت بالفاء فتكون تحضيضية لان الامتناعية لا تجاب (قوله ما يجاب به) هو نفى الارسال فلزم ثبوت الامتثال (قوله وهو يؤيد الخ) أى يؤيد ان المراد بالساحرين فى قوله ساحران (قوله وداع الخ) أى رب داع دعا هل من مجيب الى الندى أى هل يجيب المستجدين فلم يجبه أحد (قوله أكلة رأس) أى قليلون يكفيهم رأس واحد

بالمواعيد والنصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وقيل فى أربعين من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكن فى (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) أى بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على أن ايمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وانما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريدها (انك لا تهدى من أحببت) لا تقدر على أن تدخله فى الاسلام (ولكن الله يهدى من يشاء) فيدخله فى الاسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت فى أبى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا ابن أخى قد علمت انك لصادق ولكن أكره أن يقال خدع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نخرج منها نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء (ثمرات كل شئ) من كل أوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموه وقيل انه متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم لا يعلمون اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو حال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الامر بالعكس فانهم أحقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذلم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو باضمار زمان مضاف اليها أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وما كان ربك) وما كانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) فى أصلها التى هى أعمالها لان أهلها تكون أفطن وأنبل (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) لالزام الحجة وقطع المعذرة (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتو فى الكفر (وما أوتيتم من شئ) من أسباب الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها) تتمتعون وتتزينون به

مدة حياتكم المنقضية (وماعندالله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة و بهجة كاملة (وأبقى) لانه أبدى (أفلاتعقلون) فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ فى الموعظة (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيمة من المحضرين) للحساب أو العذاب وثم للتراخى فى الزمان أو الرتبة وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء (و يوم يناديهم) عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هؤلاء الذين أغويناهم فحذف الراجع الى الموصول (أغويناهم كما غوينا) أى أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) أى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الاجابة والنصرة (ورأوا العذاب) لازما بهم (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أو الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين (و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) عطف على الاول فانه تعالى يسال أولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (فعميت عليهم الانباء يومئذ) فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن انما يفيض و يرد عليه من خارج فاذا أخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها وغيرها فاذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول و يفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء (فهم لايتساءلون) لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بانه مثله فى العجز (فاما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح (وربك يخلق مايشاء و يختار) لاموجب عليه ولامانع له (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف و يؤيده ماروى أنه نزل فى قولهم لولانزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى و يختار الذى كان لهم فيه الخيرة أى الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيه له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم أو مشاركة ما يشركونه (وربك يعلم

(قوله وهو أبلغ) لانه لما عدل عن الخطاب الى الغيبة أشعر بأن هؤلاء لايستحق أن يخاطبوا فكان فيه زجر عظيم (قوله تشبيها للمنفصل) أى كما قال فى عضد عضد بسكون الضاد وقال ثم هو بسكون الهاء فكان الميم متصلة بالهاء (قوله وهو تقرير الجملة المتقدمة) لان التبرأ عن الشخص مشير الى غوايته (قوله مبالغة) لانه اذا عميت الانباء التى ليست من شأنها العمى فالمشركون أولى بأن يكونوا عميا (قوله و يفوضون الخ) حيث يقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب (قوله أو ترج) لانه يعلم العاقبة

ما تكن صدورهم) كعداوة الرسول وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لا أحد يستحقها الا هو (له الحمد فى الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الافق الغائر (من اله غير الله يأتيكم بضياء) كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكانها فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل (أفلا تبصرون) لان استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) فى الليل (ولتبتغوا من فضله) فى النهار بانواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ أجلب لغضب الله من الاشراك به أو الاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان أنه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه (فقلنا) للأمم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) فى الالوهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل أو حسدهم لما روى أنه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله (وآتيناه من الكنوز) من الاموال المدخرة (ما ان مفاتحه) مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح (لتنوء بالعصبة أولى القوة) خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قيل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه أن يكون وصلة اليها (ولا تنس) ولا تترك ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) فيما أنعم الله عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) بامر يكون علة للظلم والبغى نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء أفعالهم

(قوله لان استفادة العقل الخ) لان من جملة ما يستفاد من السمع كلام الله تعالى وأنبيائه

(قال انما أوتيته على علم عندى) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل هو الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل العلم بكنوز يوسف وعندى صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أى فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ أورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه أى أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها أو معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بان بين أنه لم يكن مطلعا على مايخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة (فخرج على قومه فى زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) باحوال الآخرة للمتمنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون بل من الدنيا وما فيها (ولا يلقاها) الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء أو للثواب فانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) عن الطاعات وعن المعاصى (فخسفنا به وبداره الارض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى الله اليه أن مر الارض بما شئت فقال ياأرض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما أفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له من فئة) أعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر أن الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن تقديره ويك اعلم أن الله (لولا أن من الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (نجعلها

(قوله والمعنى ما أشبه الامر) أى ما أشبه أمر قارون بأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من غير كرامة أى أشد مناسبة حالة قارون فى سعة رزقه بالبسط المذكور

للذين لا يريدون علوا فى الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما أراد فرعون وقارون (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) ما لا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرا ووصفا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت) وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم (الا ما كانوا يعملون) أى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة فى المماثلة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) أى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك أن يبعثك فيه أو مكة التى اعتدت بها على أنه من العادة رده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى أنه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم (ومن هو فى ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الا رحمة من ربك) ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ أنزلت اليك) وقرئ يصدنك من أصد (وادع الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم (لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ فى الخلق (واليه ترجعون) للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

﴿سورة العنكبوت مكية وآيها تسع وستون آية﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه أو بما يضمر معه (أحسب الناس) الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فان معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب روى أنها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار وقد عذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى أن يتوقع خلافه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن

﴿سورة العنكبوت﴾
(قوله ووقوع الاستفهام) لان ما صدر بالاستفهام كلام مستقل منقطع عما قبله وقوله أو بما يضمر معه أريد به ما ضم اليه من الراء والصاد فى المر والمص

الكاذبين) فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا
فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام
أى وليعرفنهم الله الناس أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (أم
حسب الذين يعملون السيآت) الكفر والمعاصى فان العمل يعم أفعال القلوب والجوارح (أن
يسبقونا) أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب
لاشتماله على مسند ومسند اليه ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة والاضراب
فيها لان هذا الحسبان أبطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء ما يحكمون) أى بئس
الذى يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم (من كان يرجوا لقاء الله) فى
الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه أو الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء
على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله فاما أن يلقاه
ببشر لما رضى من أفعاله أو بسخط لما سخط منها (فان أجل الله) فان الوقت المضروب للقائه
(لآت) لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق
رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضا (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم وأفعالهم
(ومن جاهد) نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان
منفعته لها (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة
لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم) الكفر بالايمان والمعاصى
بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم (ووصينا
الانسان بوالديه حسنا) بايتائهما فعلا ذا حسن أو كأنه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى
أمر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال أى وقلنا له أحسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل
مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أى قلنا أولهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه
يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم)
بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما
علم بطلانه (فلا تطعهما) فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولابد من اضمار القول ان لم يضمر
قبل (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما
كنتم تعملون) بالجزاء عليه والآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمه حمنة فانها لما سمعت باسلامه
حلفت انها لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التى
فى لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) فى جملتهم والكمال
فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين أو فى مدخلهم وهو الجنة (ومن
الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله) بأن عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس)
ما يصيبه من أذيتهم فى الصرف عن الايمان (كعذاب الله) فى الصرف عن الكفر (ولئن جاء
نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولن انا كنا معكم) فى الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون
أو قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيد الاول (أوليس الله بأعلم بما فى صدور
العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى
الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم)
ان كان ذلك خطيئة أو ان كان بعث ومؤاخذة وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع
مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا

(قوله أولهما) أى أعطهما فالتقدير ووصينا الانسان بوالديه قلنا له أولهما وافعل بهما (قوله وهو أوفق لما بعده) اذ القول مقدر على قوله وان جاهداك (قوله والكمال فى الصلاح الخ) قال العلامة الطيبى وذلك أن الصلاح ضد الفساد والفساد خروج الشئ عن كونه منتفعا به ولا كمال للانسان أكمل من حصوله على ما خلق له من البقاء ولا يحصل له ذلك فى الدنيا فاذن ليس ذلك الا فى مقعد صدق

الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم (وليحملن أثقالهم) أثقال ما اقترفته أنفسهم (وأثقالا مع أثقالهم) وأثقالا أخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شئ (وليسئلن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) من الاباطيل التى أضلوا بها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) بعد المبعث اذ روى أنه بعث على رأس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على مايقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرير من البشاعة (فأخذهم الطوفان) طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو نحوهما (وهم ظالمون) بالكفر (فأنجيناه) أى نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة (آية للعالمين) يتعظون ويستدلون بها (وابراهيم) عطف على نوحا أو نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله) ظرف لارسلنا أى أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به أو بدل منه بدل اشتمال ان قدر باذكر (واتقوه ذلكم خير لكم) مما أنتم عليه (ان كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزون ماهو خير مما هو شر أو كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل (انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله تعالى أو تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ماهم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وأفكا على أنه مصدر كالكذب أو نعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه واشكروا له) متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فانه (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء (وان تكذبوا) وان تكذبونى (فقد كذب أمم من قبلكم) من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الذى يزال معه الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل أن تكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله صلوات الله عليهما كان ممنوا بنحو مامنى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ (ثم يعيده) اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن تؤول الاعادة بأن ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما وتعطف

(قوله للدلالة على كمال العدد) لان الاستثناء لا يذكر الا للنص على العدد بحيث لا يحتمل الزيادة والنقص (قوله على تقدير القول) أى اذا كانت القراءة بتاء الخطاب كان القول مقدرا حتى يصح المعنى فيكون المعنى قال ابراهيم أولم تروا وأما اذا كانت القراءة بالياء كان هذا كلاما من الله للرد عليهم (قوله تعالى ثم يعيده) بحضره اخبار بالاعادة بالموت (قوله معطوف على أولم يروا الخ) اذا كان معطوفا على أولم يروا كان المعنى يرون ان الله يبدئ الخلق ثم يعيده

على يبدئ (ان ذلك) الاشارة الى الاعادة أو الى ماذكر من الامرين (على الله يسير) اذ لا يفتقر في فعله الى شئ (قل سيروا في الارض) حكاية كلام الله لابراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام (فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الاجناس والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الاعادة وأن من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها أهون والكلام في العطف مامر وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الأولى (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (في الارض ولا في السماء) ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض أو الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

(ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته أو بكتبه (ولقائه) بالبعث (أولئك يئسوا من رحمتي) أي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقق والمبالغة أو يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) بكفرهم (فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على أنه الاسم والخبر (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون أسند الى كلهم (فأنجاه الله من النار) أي فقذفوه في النار فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما (ان في ذلك) في انجائه منها (لآيات) هي حفظه من أذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز أن تكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف أي اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو بتأويلها بالمودودة وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ماسبق وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبر ان على أن ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له لوط) هو ابن أخيه وأول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه (وقال اني مهاجر) من قومي (الى ربي) الى حيث أمرني (انه هو العزيز) الذي يمنعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل (وجعلنا في ذريته النبوة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة (وآتيناه أجره) على هجرته الينا

(قوله والكلام في العطف مامر) يعني هو معطوف على سيروا أو انظروا لا على كيف بدأ الخلق لان الرؤية غير واقعة على الاعادة ويجوز أن يؤول انشاء النشأة بالانشاء في كل سنة مثل ماكان في السنة السابقة فان قلت لزم عطف الاخبار على الانشاء قلت هذا وعكسه جائز في الجمل التي لها محل من الاعراب مثل ماوقع تحت القول مثل قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد نص عليه الزمخشري في سورة نوح

(فى الدنيا) باعطاء الولد فى غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوّة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) نفى عداد الكاملين فى الصلاح (ولوطا) عطف على ابراهيم أو على ماعطف عليه (اذقال لقومه أئنكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث (وتأتون فى ناديكم) فى مجالسكم الغاصة بأهلها ولا يقال النادى الالما فيه أهله (المنكر) كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمى البنادق (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك أو فى دعوى النبوّة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرنى) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان أهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم لهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وأنواع المعاصى (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين أظهرهم (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه وأهله أو تأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير للبيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء وأن صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال مالا يناله قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه أثر الضجرة (لا تخف ولا تحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم أبو بكر وابن كثير فى الثانى وموضع الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هى حكايتها الشائعة أو آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية أنهارها المسودّة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا أو آية (والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر) وافعلوا ما ترجون به ثوابه فأقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف لها (فأصبحوا فى دارهم) فى بلدهم أو دورهم ولم يجمع لأمن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) منصوبان باضمار اذكر أو فعل دل عليه ماقبله

(قوله بتخصيص الاهل) أى الاهل المذكور فى قوله انا مهلكوا أهل هذه القرية وفيه تأخير البيان لان قولهم نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله بيان لقوله انا مهلكوا أهل هذه القرية (قوله واتصالهما) أى ترتب أحدهما على الآخر (قوله باعتبار الاصل) لانه فى الاصل مفعول منجون اذ الاصل منجون ك فلما أضيف سقط النون

مثل أهلكنا وقرأ حمزة وحفص و يعقوب وثمود غير منصرف على تأويل القبيلة (وقد تبين لكم
من مساكنهم) أى تبين لكم بعض مساكنهم أو اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند
مروركم بها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصدهم عن السبيل) السوى
الذى بينه الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا أو
متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون
وهامان) معطوف على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من
المذكورين (أخذنا بذنبه) عاقبناه بذنبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء
أو ملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به
الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم)
ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته عز وجل (ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا
(كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك أوهن فان لهذا حقيقة
وانتفاعا ما أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثلها بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع
على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب
وعكبة وأعكب (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه
(لو كانوا يعلمون) يرجعون الى علم اعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك و يجوز أن يكون
المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان أوهن ما يعتمد به فى الدين
دينهم (ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ) على اضمار القول أى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ
البصريان بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون و يعلم معلقة عنها ومن
للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون أو مصدرية وشئ مصدر أو موصولة مفعول ليعلم
ومفعول تدعون عائدها المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين
وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيأ بمن
هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم
وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم (وتلك الامثال) يعنى هذا المثل ونظائره (نضربها للناس)
تقريبا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون
الاشياء على ما ينبغى وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود
بالذات من خلقها افادة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار اليه بقوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) لانهم
المنتفعون به (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه (وأقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال
بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه روى أن فتى من الانصار كان يصلى مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف له عليه السلام
فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب (ولذكر الله أكبر) وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما

(قوله فيما نسجته) من
تمام طرف التشبيه وقوله
فى الوهن والخور وجه الشبه
(قوله أو مثلهم بالاضافة الى
الموحد الخ) فيكون فى
طرفى التشبيه محذوف
(قوله تحقيقا للتمثيل) يعنى
لما مثل المشركين فى اتخاذ
البيت حقق التشبيه بان
صرح بان دينهم كبيت
العنكبوت فى الوهن
(قوله والكلام على
الاولين) أى على أن
تكون ما استفهامية أو
نافية وقوله وعلى الأخيرين
أى ان تكون مصدرية
وموصولة (قوله تعليل على
المعنيين) أى على ان
يكون المقصود من قوله ان
الله يعلم التجهيل والوعيد

عبرعنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيآت أوولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ماتصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة (ولاتجادلوا أهل الكتاب الابالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هومنسوخ بآية السيف اذلامجادلة أشدمنه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد به ذووا العهد منهم (الاالذين ظلموا منهم) بالافراط فى الاعتداء والعناد أو باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع الجزية (وقولوا آمنابالذى أنزل الينا وأنزل اليكم) هومن المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنابالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلالم تصدقوهم وان قالواحقالم تكذبوهم (والهناوالهكم واحدونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابامن دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنااليك الكتاب) وحيامصدقالسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبدالله بن سلام وأضرابه أومن تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (ومن هؤلاء) ومن العرب أوأهل مكة أوممن فى عهد الرسول من أهل الكتابين (من يؤمن به) بالقرآن (ومايجحدبا آياتنا) مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الاالكافرون) الاالمتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيمايفيدلهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كماأشاراليه بقوله (وما كنت تتلوامن قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك) فان ظهورهذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على أمى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكراليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد (اذالارتاب المبطلون) أى لوكنت ممن يخط و يقرأ لقالوا لعله تعلمه أوالتقطه من كتب الاولين الاقدمين وانماسماهم مبطلين لكفرهم أولارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف مافى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بل القرآن (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) يحفظونه لايقدر أحد على تحريفه (ومايجحدبا آياتنا الاالظالمون) المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوابها (وقالوالولاأنزل عليه آية من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات (قل انماالآيات عندالله) ينزلها كمايشاء لست أملكها فآتيكم بماتقترحونه (وانماأنانذيرمبين) ليس من شأنى الاالانذار وابانته بماأعطيت من الآيات (أولم يكفهم) آية مغنية عمااقترحوه (أناأنزلناعليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلايزال معهم آية ثابتة لاتضمحل بخلاف سائر الآيات أو يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق مافى أيديهم من نعتك ونعت دينك (ان فى ذلك) الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) انعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان أناسا من المسلمين أتوارسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيهابعض مايقول اليهود فقال كفى بهاضلالة قوم أن يرغبوا عماجاءهم به نبيهم الى ماجاء به غيرنبيهم فنزلت (قل كفى بالله بينى و بينكم شهيدا) بصدقى وقدصدقنى بالمعجزات أو بتبليغى ماأرسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت (يعلم مافى السموات والارض) فلايخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو مايعبد من دون الله (وكفروابالله) منكم (أولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم أمطر

(قوله بانتفاء وجه واحد الخ) يعنى ان ارتيابهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بسبب انتفاء وجه واحد من وجوه اعجازه وهو كونه أميا وظهور الكتاب المعجز منه موجب لكونهم مبطلين اذلاوجه للارتياب بسبب انتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز ووجود الوجوه الكثيرة منه (قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر) يعنى على هذا التقدير ابطالهم باعتبار كونهم من أهل الكتاب منكرين لرسالة النبى صلى الله عليه وسلم وكونهم من أهل الكتاب أمر محقق لامقدر بخلاف الاحتمالين الاولين فان اتصافهم بالابطال على هذين الاحتمالين باعتبار أمر مقدر هو قولهم انه صلى الله عليه وسلم أخذه من كتب الاقدمين

علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) لكل عذاب أو قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا
(وليأتينهم بغتة) فجأة فى الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لايشعرون) باتيانه
(يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هى
كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على موجب الاحاطة أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم
يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة أو مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت أرجلهم)
من جميع جوانبهم (ويقول) الله أو بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر
والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة
فاياى فاعبدون) أى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى
حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو
كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف
اذ المعنى ان أرضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فاخلصوها فى غيرها (كل نفس ذائقة
الموت) تناله لامحالة (ثم الينا ترجعون) للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى أن يجتهد فى الاستعداد له وقرأ
أبو بكر بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالى وقرأ
حمزة والكسائى لنثوينهم أى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو
بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين)
وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ماقبله (الذين صبروا) على أذية المشركين والهجرة
للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) ولايتوكلون الا على الله (وكأين من
دابة لاتحمل رزقها) لاتطيق حمله لضعفها أو لاتدخره وانما تصبح ولامعيشة عندها (الله يرزقها واياكم)
ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لايرزقها واياكم الا الله لان رزق
الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما أمروا بالهجرة قال
بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا (العليم) بضميركم
(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) المسؤل عنهم أهل مكة (ليقولن
الله) لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون)
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يحتمل
أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لا يكون على وضع
الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم ومفاسدهم
(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بانه الموجد
للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لايقدر على شئ من ذلك
(قل الحمد لله) على ماعصمك من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك واظهار حجتك (بل أكثرهم
لايعقلون) فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ماعداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل
لايعقلون ماتريد بتحميدك عند مقالهم (وماهذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لاوهى لاتزن
عند الله جناح بعوضة (الا لهو ولعب) الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون
به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع
طريان الموت عليها أو هى فى ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحياة وأصله حييان

(قوله واللام للعهد الخ) أى لام الكافرين للعهد أو للجنس (قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام) ولعل رفاقته اياهما عليهما الصلاة والسلام لانهما هاجرا من بلدهما (قوله فيكون) متعلق بان يقرأ لنثوينهم من الثواء لان هذا الفعل متعد بمفعول واحد (قوله وابهامه) أى الضمير مبهم لم يذكر مرجعه فيكون المراد بالضمير المذكور غير من يشاء الذى ذكر وتوضيح الكلام ههنا ان ابهامه معطوف على وضع الضمير أى على وضع الضمير موضع من يشاء وابهام الضمير لان ابهامه أن لا يكون مرجعه مذكورا وانما جعل الضمير المبهم موضع من يشاء لان من يشاء أيضا مبهم ويحتمل أن يقال ان ابهامه مرفوع والمعنى ان ابهامه لابهام من يشاء (قوله عند مقالهم) أى عند قولهم الحمد لله لايعلمون منه مايفهم عنه فانك قصدت به ان كل الحمد له وهو المعبود بالحق لاغير والمشركون لايعلمون ذلك (قوله أراد ان الفاء فى فاذا ركبوا للتعقيب) أى هم بعد ان أشركوا اذا ركبوا فى الفلك

فقلبت الياء الثانيـة واوا وهو أبلغ من الحياة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختـير عليها ههنا (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التى أصلها عـدم الحياة والحياة فيها عارضـة سريعة الزوال (فاذا ركبوا فى الفلك) متصل بما دل عليه شرح حالهم أى هم على ماوصـفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله مخلصـين له الدين) كائنين فى صورة من أخلص دينـه من المؤمنـين حيث لايذكرون الا الله ولايدعون سواه لعلمهـم بانه لا يكشف الشـدائد الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) فاجؤا المعاودة الى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كى أى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهـم على عبادة الاصـنام وتوادهم عليها أولام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والـكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبـة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعـنى أهل مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) أى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا أهله عن القتل والسـبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أبعـد هذه النعـمة المكشوفة وغـيرها مما لا يقدر عليه الا الله يؤمنون بالصنم أو الشيطان (وبنعمة الله يكفرون) حيث أشركوا به غـيره وتقـديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا (أوكذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول أو الـكتاب وفى لما تسـفيه لهـم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حـين جاءهم بل سارعوا الى التـكذيب أول ماسـمعوه (أليس فى جهنم مثوى للـكافرين) تقرير لثوائهم كقوله

* ألستم خير من ركب المطايا * أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثـل هذا الـكذب على الله وكذبوا بالحق مثـل هذا التـكذيب أولاجترائهم أى ألم يعـلموا أن فى جهنم مثوى للـكافرين حتى اجترؤا مثـل هـذه الجراءة (والذين جاهـدوا فينا) فى حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنـة بانواعه (لنهدينهم سـبلنا) سـبل السـير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبيل الخـير وتوفيقا لسـلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحـديث من عمـل بما علم ورثه الله علم مالم يعـلم (وان الله لمع المحسـنين) بالنصر والاعانة * قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم من قرأ سورة العنـكبوت كان له من الاجر عشر حسـنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿ سورة الروم ﴾

مكية الا قوله فسبحان الله الآية وآيها ستون أو تسع وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم غلبت الروم فى أدنى الارض) أرض العرب منهم لانها الارض المعهودة عنـدهم أو فى أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الاضافة (وهم من بعـد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجالب (سـيغلبون فى بضع سنين) روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات و بصرى وقيـل بالجزيرة وهى أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهـم و بلغ الخـبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا عـلى اخوانـكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهـم أبو بكر لايقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سـنين فقال له أبى بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليـه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سـنين فاخبر أبو بكر رضى الله عنـه رسول الله

(قوله اللام فيه الخ) كاللام فى قوله ليكون لهم عـدوا وحزنا (قوله عـلى طريق المبالغة) لان ايمانهم ليس مخصوصا بالباطل ولا كفرهم مخصوصا بنعمة الله المذكورة فانهـم مؤمنـون بوجود الصانع وكافرون بالصفات وبالرسول فليس الاختصاص ههنا حقيقة بل على طريق المبالغـة والمقصـود ان ايمانهم بالباطل بمرتبة من القوة وكذا كفرهم بنعمة الله حيث توهم انهما مختصان بهما (قوله أى ألم يعلموا ان فى جهنم مثوى للـكافرين الخ) يعـنى انهـم وان لم يعتقدوا ان جهـنم مثوى للـكافرين لـكن لظهور دلائله فهو فى حكم ما اعتقدوه لان ماحصـل للشـخص بادنى تأمـل وتوجه فهو فى حكم الحاصل فتو بيخهم بانهم علموا ان جهنم مثوى للـكافرين مع انهم اجترؤا الجراءة المذكورة

﴿ سورة الروم ﴾

صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى الاجل فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من أحد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوّة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا أى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم أو بان ولى بعض أعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله فى معنى الوعد (لا يخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التى هى غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا وأما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وأنموذج لأحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا (أولم يتفكروا فى أنفسهم) أولم يحدثوا التفكر فيها أو أولم يتفكروا فى أمر أنفسهم فانها أقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها مثل قدرته على ابدائها (ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) متعلق بقول أو علم محذوف يدل عليه الكلام (وأجل مسمى) تنتهى عنده ولا تبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى أو قيام الساعة (لكافرون) جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم فى أقطار الارض ونظرهم فى آثار المدمرين قبلهم (كانوا أشد منهم قوّة) كعاد وثمود (وأثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البزور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة اياها فانهم أهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالا فيها اذ مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى أقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى دار لا نفع لها (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو

(قوله تقريرا) علة الابدال (قوله المحققة) بالجر صفة الغفلة (قوله واشعارا) عطف على تقريرا (قوله مايجتلى له الخ) فان فى النفس أنموذجا من كل شئ ولذا قيل عالم الانفس يطابق عالم الآفاق ولك ان تقول اذا كان المراد الامر بالتفكر فى أمر ذاته فما وجه ارتباط قوله ماخلق الله السموات والارض الخ بالامر المذكور قلنا اذا تفكر الشخص فى شان نفسه علم انه خالق من نطفة حاصلة من الغذاء الحاصل من الاسباب السماوية والارضية فاذا وصل الى هذه المرتبة من تفكر جزم بان الله خالق السموات والارض ثم جزم بان خلقهما ليس الا لما ذكر (قوله متعلق بقول أو علم محذوف) فيكون المعنى أولم يتفكروا فيقولوا ماخلق الله السموات الخ أو يعلموا ما ذكر

(قوله ويجوز الخ) فيكون المعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة الذى هو التكذيب بالآيات والاستهزاء بها العذاب الأبدى أو دخول جهنم أبدا ومثل ذلك (قوله والسوأى بالالف) قال الزمخشرى والسوأى بالالف قبل الياء قال صاحب التقريب هذا ليس مخصوصا بخط المصحف بل هو القياس (قوله اخبار الخ) أى هذا الكلام اما خبر بمعنى الامر حتى يكون المعنى تسبحون الله تسبيحا فى هذه الاوقات أى سبحوه فيها أو دلالة الخ أى كلام دال على انه يقع التسبيح العقلى له تعالى والشهادة العقلية على استحقاقه الحمد فالمراد من الشهادة على تنزيهه هو دلالة الحوادث الكائنة فى هذه الاوقات على تنزيهه دلالة عقلية والمعنى تسبيح الله أى تسبيح وتنزيهه الشهادة على استحقاقه الحمد من حيث الدلالة العقلية فى هذه الاوقات وزبدة الكلام انه اما أمر بتسبيح ذوى القول له تسبيح التسبيح القولى وكذا الحمد القولى له أو كلام دال على انه يقع تسبيحه واستحقاقه الحمد بل حمده بشهادة الحوادث كل منهما بالعقل أى بالدلالة العقلية (قوله فى هذه الاوقات الخ) فان المساء وقت زوال النور الكامل المنتشر فى جميع الآفاق فى زمان يسير والصباح وقت انتشار النور فيها فى زمان يسير أيضا وكذا وقت الظهر وقت وصول النور الى النهاية وفيه وفى وقت العصر حصلت النعم والمكاسب ولا يخفى ان آثار العظمة والقدرة فى الصباح والمساء أكثر لان فى الاول حصل النور المبسوط وفى الآخر حصلت الظلمة المنتشرة فى زمان قليل ولما كان كذلك كان تعالى على كمال العظمة والقدرة منزها

الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث عملوا ما أدى الى تدميرهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) أى ثم كان عاقبتهم العاقبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاؤا بمثل أفعالهم والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت به (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى أو خبر كان والسوأى مصدر أساؤا أو مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها ويجوز أن تكون السوأى صلة الفعل وأن كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وأن تكون أن مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدؤ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله (شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعوا وعلموا بنى اسرائيل بالواو وكذا السوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أى المؤمنون والكافرون لقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أرض ذات أزهار وأنهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللت له وجوههم (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لا يغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الأوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما أكثر ويجوز أن يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى أى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر على أنها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره أن يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى أدرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج

الحى

الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة والبيضة أو يعقب الحياة الموت و بالعكس (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه أيضا تعقيب للحياة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أى فى أصل الانشاء لانه خلق أصلهم منه (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال أو لانهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر (وجعل بينكم) أى بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لأمر المعاش أو بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما فى ذلك من الحكم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) لغاتكم بان علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية (وألوانكم) بياض الجلد وسواده أو تخطيطات الاعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) لا تكاد تخفى على عاقل من ملك أو انس أو جن وقرأ حفص بكسر اللام و يؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة و يؤيده سائر الآيات الواردة فيه (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة (ومن آياته يريكم البرق) مقدر بان المصدر ية كقوله

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

(خوفا) من الصاعقة للمسافر (وطمعا) فى الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم أو له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع أو تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال مثل كلمته شفاها (و ينزل من السماء ماء) وقرئ بالتشديد (فيحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى استنباط أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض

عن النقائص مناسب التسبيح فى الوقتين المذكورين (قوله بان علم كل صنف لغته الخ) بان علم كل صنف ألفاظا مخصوصة وعلمه أيضا معانى مخصوصة وان تلك الالفاظ موضوعة بتلك المعانى أو ألهم كل صنف ألفاظا مخصوصة موضوعة لمعان مخصوصة وأقدره على استعمالها (قوله فلف) فيكون أصل التركيب منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار حتى يكون نشرا بعد اللف والاشعار المذكور باعتبار ان منامكم وان اختص بالليل فهو يحتمل أن يكون واردا على الوقتين ففيه اشارة الى صلاحية الوقتين للنام وكما أن منامكم يحتمل أن يكون متعلقا بهما كان الابتغاء أيضا كذلك وعلى هذا فالاولى ان يقال انما أخر ابتغاءكم للاشعار المذكور (قوله و يؤيده) أى يؤيد اللف والنشر الآيات الواردة فى مواضع القرآن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

بأمره ثم خروجكم من القبور اذا دعا كم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى أخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما التراخى زمانه أو لعظم مافيه ومن الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من أسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان مابعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو أهون عليه) والاعادة أسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل أهون بمعنى هين وتذكيره لاهون أو لان الاعادة بمعنى أن يعيد (وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره مايساويه أو يدانيه (فى السموات والارض) يصفه به مافيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فأنتم فيه سواء) فتكونون أنتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى (تخافونهم) أن يستبدوا بتصرف فيه (كخيفتكم أنفسكم) كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) نبينها فان التفصيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (أهواءهم بغير علم) جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه (فمن يهدى من أضل الله) فمن يقدر على هدايته (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها (فأقم وجهك للدين حنيفا) فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغراء أو المصدر لما دل عليه ما بعدها (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغى أن يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له أو الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستقيم الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) غير أنها صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعا) فرقا تشايع كل امامها الذى أضل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بأنه الحق ويجوز أن يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا (واذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للامر

الموتى من القبور لان ههنا قولا مفيدا للامر بقيامها ولا كلام مفيد للامر بخروج الموتى فيكون المراد من يقول أيها الموتى اخرجوا لمجرد ارادة الخروج (قوله بالاضافة الى قدركم) فكأنه قيل هو اهون عليه على تقدير ان تكون قدرته كقدرتكم (قوله يصفه به مافيهما دلالة ونطقا) أى يصفه أى الله تعالى مافيهما أى فى السموات والارض بكمال القدرة والحكمة التامة وغيرهما من سائر الصفات ما وجد فى السموات والارض دلالة أى دلالة عقلية أو نطقا أى دلالة لفظية (قوله تعالى تخافونهم) قال أبو البقاء هو حال من الضمير المستتر فى سواء أى فأنتم تساوون خائفا بعضكم (قوله غير ملتفت) هذا بصيغة الفاعل أى غير ملتفت الى شئ آخر وقوله أو ملتفت عنه بصيغة المفعول والاول حال عن الوجه والثانى عن الدين (قوله نصب على الاغراء أو المصدر) والمعنى على الاول ابتغوا فطرة الله وعلى الثانى فطرت فطرة الله (قوله لان الآية الخ) والمعنى فأقم أنت ومن معك (قوله غير انها صدرت الخ) متعلق بقوله لان الآية خطاب الخ أى الخطاب له ولهم لكن صدر بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما

(قوله فيستدلون به الخ) أما كمال القدرة فباعتبار انه قادر على بسط الرزق وأما كمال الحكمة فباعتبار انه لو بسط للجميع لبغوا فى الأرض كما قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولو ضيق على كلهم لم يظهر كمال القدرة (قوله غير مشعر به) اذ لم يعلم ان الحق هو النفقة ولا أنها بعض الحق المذكور فى الآية (قوله بالقصر) اى بقصر همزة اتيتم (قوله لتربوا) بضم التاء

للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء التحتية على أن تمتعوا ماض. (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق أو نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته أو بالامر الذى بسببه يشركون به فى ألوهيته (واذا أذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجؤا القنوط من رحمته وقرأ الكسائى وأبو عمرو بكسر النون (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) فمالهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ماوظف لهما من الزكاة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا أو جهة التقرب اليه لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربا) زيادة محرمة فى المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربا (ليربو فى أموال الناس) ليزيد ويزكو فى أموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع و يعقوب لتربوا أى لتزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فاولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم أو للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ماموصولة تقديره المضعفون به أو فمؤتوه أولئك هم المضعفون (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائى بالتاء (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل أخاه وفى البحر بان جلندا ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وعن ابن كثير و يعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه (قل سيروا فى

(قوله أثبت له لوازم الالوهية ونفاها عما اتخذوه شركاء) هذا النفى من تقديم ذكر الله وايراده فى الجملة الاسمية على ماهو رأى صاحب الكشاف من أن مثل هذا التركيب يفيد التخصيص (قوله لوازم الالوهية) فانها تقتضى ان يخلق الخلق ليظهر كمال الخالق واذا خلق يجب الرزق عادة وأما الاماتة فكونها من لوازم الالوهية فباعتبار كمال القدرة أيضا أو بان يقال ان البعث بعد الموت والجزاء من جملة الكمال فهو من لوازمه فتكون الاماتة أيضا لازما لان البعث لا يكون الا بعد الموت فتأمل (قوله يفيدان شيوع الحكم) فان الاولى للتبعيض فتفيد ان ليس لبعض الشركاء أن يفعل مافعله تعالى (قوله المنفى) وهو الفعل (قوله الموتان) بضم الميم موت يقع فى الماشية (قوله أو بكسبهم الفساد) فيكون الفساد نفس المعصية (قوله واللام للعلة أو العاقبة) اذا كان الفساد عبارة عماذكر

أولا من الجدب وغيره مما يترتب على المعاصى كان اللام للعلة لان المعنى أظهر الله الفساد لماذكر واذا كان المراد من الفساد نفس المعصية كان اللام للعاقبة اذ المعنى أظهر الناس المعاصى بكسبهم اياها للاذاقة ولا يخفى ان باعث الناس على المعاصى ليس الاذاقة المذكورة فتكون اللام لام العاقبة

الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم أو كان الشرك فى أكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) لا يقدر أن يرده أحد وقوله (من الله) متعلق بيأتى ويجوز أن يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) يتصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) أى وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة ليمهدون أو ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله (انه لا يحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على أن الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته أن يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات أو عليها باعتبار المعنى أو على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله) يعنى تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله تعالى فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعار بأن الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى سمتها (كيف يشاء) سائرا أو واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة أخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أو جمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا أصاب به من يشاء من عباده) يعنى بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) لمجىء الخصب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى أثر رحمت الله) أثر الغيث من النبات والاشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص (كيف يحيى الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعنى أن الذى قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر أو الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان

(قوله أو على يرسل) فيكون التقدير وتجرى الرياح لنذيقكم وهذا اذا كان الدال هو قوله لتجرى او يكون التقدير ويرسل الرياح لنذيقكم وهذا اذ كان الدال يرسل المقدم ذكره وعبارته تحتمل الوجهين

مصفرا

مصفر المطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظلوا من بعده يكفرون) جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى أن يتوكلوا على الله و يلتجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وأن يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه (فانك لا تسمع الموتى) وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) قيد الحكم به ليكون أشد استحالة فان الاصم لمقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيأ وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدى العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى و يجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما تأمرهم به (الله الذى خلقكم من ضعف) أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله خلق الانسان ضعيفا أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك اذا بلغتم الحلم أو تعلق بابدانكم الروح (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا أخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة وشيبة وشيبة (وهو العليم القدير) فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم المجرمون مالبثوا) فى الدنيا أو فى القبور أو فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة أو نسيانا (كذلك) مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا يؤفكون) يصرفون فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة والانس (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علمه وقضائه أو ما كتبه لكم أى أوجبه أو اللوح أو القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ (الى يوم البعث) ردوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه (فهذا يوم البعث) الذى أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم فى النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه أى فقد تبين بطلان انكاركم (فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر أو لان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما (ولا هم يستعتبون) لا يدعون الى مايقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته أى استرضانى فأرضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون ومايقال لهم ومالا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب أو بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم (ان أنتم) يعنون الرسول والمؤمنين (الا مبطلون) مزورون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)

(قوله القطر) بفتح القاف وسكون الطاء المطر وهو جمع قطرة (قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعاء الخ) فائدة قوله هذا مع ماقال انك لا تسمع الموتى ان الكفار لا يسمعون الدعاء حقيقة فضلا عن أن يفهموا حقيقة ماهو معنى المسموع فعدم اسماع الموتى عبارة عن عدم وصول فهم الكفار الى المقصود من الالفاظ (قوله فى الدنيا الخ) فيه أنه اذا كان المراد من الساعة القيامة التى تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا فبعدما تأتى القيامة كيف يقسم المجرمون القسم المذكور فالاولى ان يقال ان المراد من الساعة البعث وهذا هو المناسب لما سيجىء من قوله وقال الذين أوتوا العلم الآية (قوله فى علمه وقضائه) أى على ماقرر فى علم الله أو قضائه وهكذا التقديرات الاخر

لا يطلبون العلم و يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق و يوجب تكذيب المحق (فاصبر) على أذاهم (ان وعدالله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لابد من انجازه (ولا يستخفنك) ولا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك أى لا يزيغنك فيكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ماضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية﴾

الا آية وهى الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وهى أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) سبق بيانه فى يونس (هدى ورحمة للمحسنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر لمحذوف (الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لاحسانهم أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه و بين خبره (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا أصل لها والاساطير التى لا اعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان أراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان أراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا و يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والا كاسرة وقيل كان يشترى القيان و يحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) دينه أو قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله و يزيد فيه (بغير علم) بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن (و يتخذها هزوا) و يتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى و يعقوب وحفص عطفا على ليضل (أولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) متكبرا لا يعبأ بها (كأن لم يسمعها) مشابها حاله حال من لم يسمعها (كأن فى أذنيه وقرا) مشابها من فى أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى أو فى مستكبرا والثانية بدل منها أو حال من المستكن فى لم يسمعها و يجوز أن يكونا استئنافين وقرأ نافع فى أذنيه (فبشره بعذاب أليم) أعلمه بان العذاب يحيق به لا محالة وذكر البشارة على التهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) أى لهم نعيم الجنات فعكس للمبالغة (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم أو من جنات النعيم والعامل ما تعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته (خلق السموات بغير عمد ترونها) قد سبق فى الرعد (وألقى فى الارض رواسى) جبالا شوامخ

﴿سورة لقمان﴾

(قوله فعكس للمبالغة) لانه اذا كانت الجنات لهم كان نعيمها لهم أيضا لان ملك الجنة مستلزم ملك نعيمها بخلاف العكس

(أن تميد بكم) كراهة أن تميد بكم فان تشابه أجزائها يقتضى تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين (و بث فيهامن كل دابة وأنزلنامن السماء ماء فانبتنا فيهامن كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله (هـذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق أوما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته فارونى معلق عنه (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون باشراكهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب أوخالته وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وأن داود عليه السلام قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه أمره بان يذبح شاة و يأتى باطيب مضغتين منها فاتى بالسان والقلب ثم بعد أيام أمره بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا (أن اشكر لله) لأن اشكر أوأى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله غنى) لايحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمد أومحمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (واذ قال لقمان لابنه) أنعم أواشكر أوما نال (وهو يعظه يابنى) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير هنا وفى يابنى أقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء ومثله البزى فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء (لاتشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الا منه ومن لانعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا) ذات وهن أوتهن وهنا (على وهن) أى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لاتزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله فى عامين) وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله فى عامين وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان (أن اشكرلى ولوالديك) تفسير لوصينا أوعلة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك (الى المصير) فاحاسبك على شكرك وكفرك (وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل أراد بنفى العلم به نفيه (فلا تطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) فى الدين (سبيل من أناب الى) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الى مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بأن أجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيهما من النهى عن الشرك كأنه

قال وقد وصيناه بمثل ماوصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انهما نالوا البارى فى استحقاق التعظيم والطاعة لايجوز أن يستحقاه فى الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما فى سعد بن أبى وقاص وأمه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من أناب اليه أبو بكر رضى الله عنه فانه أسلم بدعوته (يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) أى ان الخصلة من الاحسان أو الاساءة ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر * كما شرقت صدر القناة من الدم * أولان المراد به الحسنة أو السيئة (فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض) فى أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب السموات أو أسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنته (يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه (يابنى أقم الصلوة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما أصابك) من الشدائد سيما فى ذلك (ان ذلك) اشارة الى الصبر أو الى كل ما أمر به (من عزم الامور) مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب مصدر أطلق للمفعول ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر أى جد (ولا تصعر خدك للناس) لاتمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعترى البعير فيلوى عنقه وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه (ولا تمش فى الارض مرحا) أى فرحا مصدر وقع موقع الحال أى تمرح مرحا أو لاجل المرح وهو البطر (ان الله لا يحب كل مختال فخور) علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا لتوافق رؤس الآى (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان أنكر الاصوات) أوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد أولانه مصدر فى الاصل (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات) بأن جعله أسبابا محصلة لمنافعكم (وما فى الارض) بأن مكنكم من الانتفاع به بوسط أو غير وسط (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة) محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ وأصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين أو الخاء أو القاف كصالخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) راجع الى رسول (ولا كتاب منير) أنزله الله بل بالتقليد كما قال (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) وهو منع صريح من التقليد فى الاصول (أولو كان الشيطان يدعوهم) يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى ما يؤل اليه من التقليد أو الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب (ومن يسلم وجهه الى الله) بأن فوض أمره اليه وأقبل بشراشره عليه من أسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) تعلق بأوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى الى شاهق

(قوله ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل) فيكون اطلاق العازم عليه اسنادا مجازيا لان العازم هو الآمر

(قوله وليس بمستفيض) فان قيل ظاهر العبارة أن قراءة ولا يحزنك بان يكون من باب الافعال ليس بمستفيض وفى الكشاف ان الذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه و يجوز أن يكون بمعنى الفاعل فبينهما اختلاف قلنا لعل مراد الكشاف ان أحزن يستعمل فى الماضى و يحزن بفتح الياء مستعمل فى المستقبل (قوله لان المراد تفصيل) قال فى الكشاف أريد تفصيل

جبل فتمسك بأوثق عرا الحبل المتدلى منه (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل صائر اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لا يضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) فى الدارين (فننبئهم بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات الصدور) فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر (نمتعهم قليلا) تمتيعا أو زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أو يضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم (لله ما فى السموات والارض) لا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام) ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة أبحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل أن ومعموليها و يمده حال أو للابتداء على انه مستأنف أو الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم أن أو اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده و يمده بالياء والتاء (ما نفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شئ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلقها و بعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى) كل من النيرين يجرى فى فلكه (الى أجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه و بين قوله لاجل مسمى أن الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة أو مجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت الهيته (وأن ما تدعون من دونه الباطل) المعدوم فى حد ذاته لانه لا يوجد ولا يتصف الا بجعله أو الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير أبى بكر بالياء (وأن الله هو العلى الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله) باحسانه فى تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة

الشجر وتعميمها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا بريت أقلاما أقول لا يخفى انه اذا كان المراد تفصيل الآحاد لا يناسب ما قاله أولا من أن المعنى ولو ثبت كون الاشجار أقلاما بل المناسب أن يقال ولو ثبت كون كل شجرة أقلاما لتفيد المبالغة (قوله والبحر يمده من بعده) المراد من البحر موضع الماء جعل بمنزلة الدواة وقوله من بعده معناه من بعد الماء أى من بعد فنائه فالبحر الاول بمعنى المكان وضمير بعده راجع الى البحر بمعنى نفس الماء ومعنى الكلام والبحر أى مكان الماء يمده من بعد فناء الماء الذى كان فى ذلك المكان يعنى لو فنى ماء البحر الاعظم بسبب كتب كلمات الله وجعل سبعة أبحر مدادا وصبت فى مكان الماء الاول بعد فنائه (قوله على انه مستأنف) لا يخفى ان جعله استئنافا يوجب عدم كونه مربوطا بالسابق واللاحق ولذا لم يذكره صاحب الكشاف بل قال أو على الابتداء والواو للحال (قوله والباء الخ) يعنى أن الباء اما متعلقة بتجرى كالباء فى مررت فتكون الباء فيه للصلة أو متعلقة بمقدر هو حال مثل أن يقال التقدير تجرى فى البحر مقترنا بنعمة الله والأولى أن يقال ان الباء للسببية أو متعلقة بالحال المقدر

أو الحال وقرئ الفلك بالتثقيل و بنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها أو للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل أو سحاب أوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد الفطري أولما كان في البحر والختر أشد الغدر (كفور) للنعم (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده) لايقضي عنه وقرئ لايجزئ من أجزأ اذا أغنى والراجع الى الموصوف محذوف أي لايجزي فيه (ولا مولود) عطف على والد أو مبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور) الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد ألقيت حباتي في الارض فتى السماء تمطر وحمل امرأتي أذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (و ينزل الغيث) في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم ما في الارحام) أذكر أم أنثى أتام أم ناقص (وماتدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وماتدري نفس بأي أرض تموت) كما لاتدري في أي وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين و يدل على أنه ان أعمل حيله وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ماهو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وآيها ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على أن التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ خبره (لاريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر و يجوز أن يكون خبرا ثانيا ولاريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة و يؤيده قوله (أم يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولا الى اعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم أضرب

(قوله وقطع طمع الخ) لان شفقة الوالد لولده أقوى فاذا لم يكن الوالد يجزي عن ولده فالمولود أولى والاولوية تستفاد من ايراد الجملة الاسمية

﴿سورة السجدة﴾

(قوله بمضمون الجملة) وهو أن الكتاب من عند الله أي لاريب فيه من عند الله (قوله على هذا) أي على أن يكون المقصود تعدادا الحروف

عن ذلك الى مايقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان أم منقطعة ثم أضرب عنه الى
اثبات أنه الحق المنزل من الله و بين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)
اذ كانوا أهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما
فى ستة أيام ثم استوى على العرش) مر بيانه فى الاعراف (مالكم من دونه من ولى ولاشفيع) مالكم
اذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم ويشفع لكم أومالكم سواه ولى ولاشفيع بل هو الذى يتولى
مصالحكم و ينصركم فى مواطن نصركم على أن الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى
ولاناصر (أفلاتتذكرون) بمواعظ الله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر أمر الدنيا
بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه) ثم يصعد اليه و يثبت
فى علمه موجودا (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك
استطالة مابين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى
زمان هو كألف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فان مابين السماء والارض مسيرة
خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر
الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء
الى الارض بالوحى ثم لايعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص
وقرئ يعرج و يعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرهما على وفق الحكمة (العزيز)
الغالب على أمره (الرحيم) على العباد فى تدبيره وفيه ايماء بانه يراعى المصالح تفضلا واحسانا
(الذى أحسن كل شئ خلقه) خلقه موفرا عليه ما يستعده و يليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه
بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء مايحسنه أى يحسن معرفته وخلقه
مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى
الثانى بمتصل (و بدأ خلق الانسان) يعنى آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت بذلك لانها
تنسل منه أى تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قومه بتصوير أعضائه على ما
ينبغى (ونفخ فيه من روحه) أضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانه خلق عجيب وأن له شأنا له مناسبة
ما الى الحضرة الربوبية ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا
أئذا ضللنا فى الارض) أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لانتميز منه أو غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر
من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا أنتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه مادل عليه (أئنا
لفى خلق جديد) وهو نبعث أو يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى و يعقوب انا على الخبر والقائل أبى بن
خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث أو بتلقى ملك الموت ومابعده
(كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم) يستوفى نفوسكم لايترك منها شيأ ولايبقى منكم أحدا
والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته (ملك الموت الذى
وكل بكم) بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء (ولوترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزى (ربنا) قائلين ربنا (أبصرنا) ماوعدتنا
(وسمعنا) منك تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك
بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا ويجوز أن تكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ
لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولايقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت

(قوله فالشئ على الاول الخ) يعنى لابد من تخصيص الشئ المذكور فان الواجب تعالى شئ ولايدخل تحت الحكم المذكور فاما أن يختص بمنفصل أى شئ غير مذكور والمعنى كل شئ مخلوق أو بمتصل أى مذكور وهو خلقه الذى صفته (قوله على الخبر) أى بحسب الظاهر والا فهو فى الحقيقة انكار (قوله للتمنى) ويكون التمنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى قوله لعلهم يهتدون

أو يقدرمادل عليه صلةاذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول منى) ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم من أهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركناكم من الرحمة أو فى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه و بناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له شكرا على ماوفقهم للاسلام وآتاهم الهدى (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) لا ملك مقرب ولا نبى مرسل (من قرة أعين) مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم وقرأ حمزة و يعقوب أخفى لهم على أنه مضارع أخفيت وقرئ نخفى وأخفى والفاعل للكل هو الله وقرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أى جزوا جزاء أو أخفى للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا عن الايمان (لا يستوون) فى الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنها لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق فى آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو على أعمالهم (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة فى غيظهم (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقى منهم (يرجعون) يتوبون عن الكفر روى أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضى الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت الحماسة

(قوله ولا يدفعه الخ) جواب سؤال وهو انه اذا كان دخول جهنم بسبب عدم مشيئة الايمان لم يكن حينئذ العذاب بسبب النسيان المذكور والا لزم توارد العلتين على معلول واحد فأجاب بأن الامر المذكور سبب عادى ولا محذور فى تعدد الاسباب العادية (قوله وفى استئنافه) انما دل الاستئناف على ماذكر لان جعل الجملة مستقلة من غير عطف على سابق يدل على شدة الاهتمام به (قوله تعالى فمأواهم النار) يدل على أن مأواهم النار لا غير وأما قوله فلهم جنات المأوى لا يدل على أن مأواهم الجنة المذكورة بل لعلهم يدخلون موضعا آخر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان أظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن فى مرية) فى شك (من لقائه) من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه أومن لقاء موسى الكتاب أومن لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بى موسى صلى الله عليه وسلم رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوأة (وجعلناه) أى المنزل على موسى (هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس الى مافيه من الحكم والاحكام (بامرنا) اياهم به أو بتوفيقنا له (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائى ورويس لما صبروا أى اصبرهم على الطاعة أوعن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة) يقضى فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (أولم يهد لهم) الواو للعطف على منوى من جنس المعطوف والفاعل ضمير مادل عليه (كم أهلكنا من قبلهم من القرون) أى كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أوضمير الله بدليل القراءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) يعنى أهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) التى جرز نباتها أى قطع وأزيل لا التى لا تنبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع باليمن (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وأنفسهم) كالحب والثمر (أفلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أوالفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) فى الوعد به (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانهم لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ماعرف من غرضهم فانهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بان ينتظر هلاكهم أوأن الملائكة ينتظرونه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

﴿سورة الاحزاب مدنية وآيها ثلاث وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها النبى اتق الله) ناداه بالنبى وأمره بالتقوى تعظيماله وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعاله عما نهى عنه بقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يعودبوهن فى الدين روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى اليك من ربك) كالنهى عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فموح اليك ما تصلح به أعمالك ويغنى عن الاستماع الى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على ان الواو ضمير

(قوله الغماء) يراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب أى لا يكشف الأمر العظيم الا رجل كريم يرى شدائد الموت ثم يقتحمها (قوله أومن لقاء موسى) يرد عليه انه كيف يترتب عدم كونه فى ريبة من لقاء موسى على ايتاء موسى الكتاب ويمكن ان يقال المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب فيكون نبيا فلاتك فى مرية من لقائه حين ملاقاة الانبياء ليلة الاسراء (قوله قرئ بالفتح) أى قرئ ينظرون بفتح الظاء فيكون اسم مفعول

﴿سورة الاحزاب﴾

الكفر والمنافقين أى ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل أمرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) أى ماجمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق بالنفس الانسانى أولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد (وماجعل أزواجكم اللائى تظهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم) وماجمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك ردما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر أو جميل بن أسد الفهرى ذوالقلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد أصل يحمل ان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعى اللذين لاولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو واللاى بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده وأصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت على كظهر أمى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق أو الحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج أو للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء وادعياء جمع دعى على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى ماذكر أو الى الاخير (قولكم بافواهكم) لاحقيقة له فى الاعيان كقول الهاذى (والله يقول الحق) ماله حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله (هو أقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوهم وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم فى الدين) أى فهم اخوانكم فى الدين (ومواليكم) وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى أو بعده على النسيان أو سبق اللسان (ولكن ماتعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم أو ولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبنى لاعبرة به عندنا وعند أبى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فى الامور كلها فانه لايأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها روى أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أى فى الدين فان كل نبى أب لامته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء (وأولوا الارحام) وذووا القرابات (بعضهم أولى

(قوله وذلك يمنع التعدد) أى يجب أن يكون القلب منبعا للقوى باسرها ومعدنا للروح الحيوانى بتمامه فلو كان لواحد قلبان لزم أن يكون كل منهما منبعا للقوى باسرها ومعدنا للروح الحيوانى بتمامه وهو باطل لتوارد علتين مستقلتين على معلول واحد ولك أن تقول لم لايجوز أن يكون قلب منبعا لبعض القوى والقلب الآخر للبعض الآخر فتأمل (قوله بهذا التأويل) أى بتأويل الاخوة فى الدين والولاية فيه (قوله واستحقاق التعظيم) هذا الانتساب من قول عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء فانهن يستحققن التعظيم من الرجال والنساء

بعض)

ببعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولى الارحام أو صلة لاولى أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) استثناء من أعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) كان ماذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح أو القرآن وقيل فى التوراة (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصهم بالذكر لانهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا عليه الصلاة والسلام تعظيما له وتكريما لشأنه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيما له (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أو تصديقهم اياهم تبكيتا لهم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) عطف على أخذنا من جهة ان بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين أو على مادل عليه ليسأل كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم ريحا باردة فى ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء أى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الأنواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب أن الله منجز وعده فى اعلاء دينه أو ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم والالف مزيدة فى أمثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها أبو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) اختبر وافظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الا غرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ماهذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) يعنى أوس بن قيظى وأتباعه (ياأهل يثرب) أهل المدينة وقيل هو اسم

(قوله أو منقطع) والمعنى لكن فعلكم الى أوليائكم معروفا معتبر فى الشرع مستحسن فيه (قوله أو عن تصديقهم) عطف على ما أى عما قالوه لقومهم أو تصديق لأمم الانبياء والغرض تبكيت الكافر (قوله فان الخ) انما ذكر هذا الصدق المذكور فى قوله تعالى (قوله أو المصدقين) عطف على الانبياء

أرض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام) لاموضع قيام (لكم) ههنا وقرأ حفص بالضم على أنه مكان أو مصدر من أقام (فارجعوا) الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أولامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (ويستأذن فريق منهم النبى) للرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة وأصلها الخلل ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها (وماهى بعورة) بل هى حصينة (ان يريدون الافرارا) أى وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال (ولودخلت عليهم) دخلت المدينة أو بيوتهم (من أقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وماتلبثوا بها) بالفتنة أو باعطائها (الايسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب وقيل مالبثوا بالمدينة بعد تمام الارتداد الايسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار) يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لايعودوا لمثله (وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) فانه لابد لكل شخص من حتف أنف أو قتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم (واذا لاتمتعون الاقليلا) أى وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الاتمتيعا أو زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) أى أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله

* متقلدا سيفا ورمحا * أو حمل الثانى على الاول لمافى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولانصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا أنفسكم الينا وقد ذكر أصله فى الانعام (ولايأتون البأس الاقليلا) الااتيانا أوزمانا أو بأساقليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لايقاتلون الاقليلا كقوله ماقاتلوا الاقليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه لايأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولايقاومونهم الاقليلا (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة فى سبيل الله أو الظفر أو الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون أو المعوقين أو على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى أحداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه أو كدوران عينيه أو مشبهين به أو مشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بألسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان (أشحة على الخير) نصب على الحال أو الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه (أولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فأحبط الله أعمالهم) فاظهر بطلانها اذلم تثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا لتعلق الارادة به وعدم مايمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء لجبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولوكانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الاقليلا) رياء وخوفا من

(قوله أو مشبهين الخ) فيكون قوله تعالى كالذى يغشى عليه من الموت على أحد التقديرين حالا من ضمير ينظرون وعلى التقدير الآخر حالا من أعينهم (قوله أو أبطل الخ) فانه لولم يكن النفاق لكان لهم أعمال

التعبير (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك أرجوز يدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الأمر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم (وما زادهم) فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة رضي الله عنهما (وما بدلوا العهد ولا غيروه (تبديلا) شيأ من التبديل روى أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد بها التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (ورد الله الذين كفروا) يعني الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث ما يريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب (من أهل الكتاب) يعني قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليهما وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وأنا عامد اليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر الا في بني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روى أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم

(قوله أرجوز يدا وفضله الخ) اي أرجو فضل زيد كذا في الكشاف بدليل أن اليوم الآخر داخل فيها فذكره بعدها تكرار ولك أن تقول انه تخصيص بعد تعميم وللاشارة الى ضعفه قال وقيل

فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه أمانخمس كماخمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة (وأرضا لم تطؤها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) زخارفها (فتعالين أمتعكن) أعطكن المتعة (وأسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على أن المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبى بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى وكيف وهو سببه (ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم أو لقوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبى عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضميرا سم الله (وأعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة على أجرها (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راء اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار اذا اجتمع (ولا تبرجن) ولا تتبخترن فى مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء فى أيام الجاهلية القديمة وقيل هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية

(قوله تعالى وأسرحكن) لانه لما جعل التسريح وهو ايقاع الطلاق مترتبا على ارادة الدنيا ولم يترتب على ارادة الرسول شيأ من الطلاق علم انه لا يقع شئ باختيار المخيرة زوجها وأيضا لما كان اختيار الدنيا لا يوقع الطلاق بل يحتاج الى التسريح فاختيار الزوج أولى بعدم وقوع الطلاق (قوله خلافا لزيد الخ) فان زيدا قال انه يقع طلقة واحدة اذا اختارت نفسها واجاز الحسن التمتع وهو رواية عن مالك أيضا (قوله وقيل الخ) علة أخرى لتقديم التمتع على التسريح أى بعضهم قال ان الفرقة حصلت بمجرد ارادتهن الدنيا لان الآية توجب تفويض الطلاق اليهن فبمجرد ارادتهن يحصل الطلاق فاذا حصل الطلاق ترتب عليه المتعة فلذا قدم المتعة لان الطلاق حاصل أولا بمجرد الارادة

كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) فى سائر ماأمركن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن المعاصى (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة رضى الله عنها فأدخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين رضى الله عنهما فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث يقتضى أنهم من أهل البيت لا أنه ليس غيرهم (واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحى وماشاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر مايصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق به (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) فى القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصى (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب فى مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (وأجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن مانزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضرورى ولذلك ترك فى قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) ماصح له (اذا قضى الله ورسوله أمرا) أى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم أمره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله وقيل فى أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم شيأ بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة مايتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد ابن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعدما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد

(قوله وهو ضرورى الخ) أى عطف المسلمات على المسلمين وكذا النظائر الباقية ضرورى اذ لا يصح أن يقال ان المسلمين المسلمات لكن يصح أن يقال ان المسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات بحذف الواو من المؤمنين (قوله وجمع الضمير الاول الخ) هذا التفصيل غير مذكور فى الكشاف بل قال لما وقع مؤمن ومؤمنة تحت النفى عم كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وماقاله صاحب الكشاف هو الظاهر وأما ماقاله المصنف ففيه خفاء وتوضيحه أن يقال ان الضمير الثانى راجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم أى ليس لهم بعد أمر الرسول أن يختاروا من أمرهم شيأ بل عليهم اتباع أمره مطلقا

ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فأتى النبى عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ فقال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها أو ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى اضماره فان الاولى فى أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى انكاحى وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد الا ما خصه الدليل (وكان أمر الله) أمره الذى يريده (مفعولا) مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لأرزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة (فى الذين خلوا من قبل) من الأنبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما أباح لهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا فينبغى أن لا يخشى الا منه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول أبو أمته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أى ولكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذى ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع أن المراد منه أنه آخر من نبئ (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى شأنه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم الانواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات

(قوله فلا تطلقها ضرارا الخ) أى لا تطلقها بقصد الضرار بطلاقها أو للتعلل بتكبرها (قوله ولكن رسول الله) فان قلت ما وجه الاستدراك فى قوله تعالى ولكن رسول الله قلنا لما كان كل رسول أبا أمته وقد نص الله تعالى بأنه ما كان أبا أحد من الرجال توهم انه صلى الله عليه وسلم ليس رسولا فدفع هذا الوهم بما ذكر فعلم منه أن الابوة المنفية هى الابوة الحقيقية (قوله ولما كان الخ) هذا بيان حكمة كونه صلى الله عليه وسلم لم يكن أبا أحد من الرجال وبيانه انه لو كان أبا الرجل يكون ذلك الرجل نبيا فلم يكن خاتم النبيين وفيه انه يمكن أن يكون أبا الرجل لم يصل الى سن النبوة فيكون خاتم النبيين وأبا لأحد من الرجال (قوله من الصلاة) لان فيها العناية بصلاح الأمر

الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حيث اعتنى بصلاح أمرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أى يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور أو دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة (وأعد لهم أجرا كريما) هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره وأطلق له من حيث انه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به عن ظلمات الجهالات و يقتبس من نوره أنوار البصائر (و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم أو على جزاء أعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تهييج له على ماهو عليه من مخالفتهم (ودع أذاهم) ايذاءهم اياك ولا تحتفل به أو ايذاءك اياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفى به عن غيره (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى بالف وضم التاء (فما لكم عليهن من عدة) أيام يتربصن فيها بأنفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما أشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء أو على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شأن المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى أن يتوهم تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة (فمتعوهن) أى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة و يجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما أو الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن لان المهر أجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله (و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) و يحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة و يعضده قول أم هانىء بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى

(قوله أى يحيون) يرد عليه أنه على التقدير المذكور يكون تحيتهم يوم يلقونه جملة وسلام جملة أخرى بتقدير شئ والاولى أن يقال المعنى ما يحيى بعضهم بعضا أو ما يحييهم الله به أو الملائكة سلام كما قال فى قوله وتحيتهم فيها سلام (قوله واختلاف النظم الخ) أى الظاهر أن يقال وأجر كريم حتى يكون جملة اسمية كقوله سلام لانه فى تقدير سلام عليكم فغير الى ماذكر لمحافظة الفواصل والمبالغة المذكورة وهى انه أعد الآن لهم أجرا كريما هذا على التفسير الذى ذكره لكن الوجه أن يقال ان تحيتهم يوم يلقونه سلام جملة اسمية فالمناسب أن تعطف عليه جملة اسمية أيضا والعدول الى الفعلية لما ذكر (قوله وأطلق له) أى أطلق الاذن للتيسير من حيث ان الاذن من أسباب التيسير (قوله من أناره الله) أى من أناره الله برهانا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم حقيق بأن يكتفى بالله ولا يلتفت الى غيره (قوله والضمير لغير المدخول بهن) أراد به انه لا يمكن أن يكون المراد بالتسريح طلاقا مرتبا على طلاق آخر لان البحث فى غير المدخول بها وهى لا يلحقها طلاق بعد طلاق لانها اذا طلقت واحدة بانت

(قوله نصب بفعل يفسره ماقبله) بان يقال التقدير ونحل امرأة وهبت نفسها للنبي وانما قال ذلك لئلا
يحتاج الى التأويل الذى
ذكره فى الاحتمال الثانى
وانما قيل امرأة مؤمنة
ان وهبت ولم يقل امرأة
مؤمنة تهب لان الهبة المذكورة
أمر نادر يجئ فى صورة الشك
(قوله للدلالة الخ) وجه
الدلالة ان قوله تعالى قد
علمنا مافرضنا الخ معناه
قد علمنا السبب فيما فرضنا
على المؤمنين فى أزواجهم
وفى الفرق بينه وبين
المؤمنين من كون الهبة
خاصة له وغيرها من أحكام
النكاح وهذا السبب هو
المعنى الذى يقتضى التوسيع
عليه والتضييق عليهم
تارة وبالعكس أخرى (قوله
تعالى ولا أن تبدل بهن الخ)
فان قلت هو يدل على أنه لا
يجوز أن يطلق جميع الازواج
وينكح مكانها أزواجا أخر
وأما عدم جواز تطليق واحدة
ونكاح أخرى فلا يعلم منه
قلنا اذا جاز تطليق بعض
جاز تطليق كل بعض حتى
يطلق الكل (قوله لتوغله
فى التنكير) اذ لم يذكر
له أمر يخصصه (قوله
واختلف الخ) من قال انها
منسوخة قال ان قوله
تعالى ترجى من تشاء معناه
جواز تطليق من تشاء
على كل حال فنسخت
بقوله تعالى ولا أن تبدل
بهن ومن قال انها محكمة حمل ترجى من تشاء على المعنى الأول (قوله وقيل منقطع) بان يكون المراد من النساء الذين

لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) نصب بفعل يفسره ماقبله
أو عطف على ماسبق ولايدفعه التقييد بان التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل أى
أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى
اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعا ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أى لان وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس مادام
زيد جالسا (ان أراد النبي أن يستنكحها) شرط للشرط الاول فى استيجاب الحل فان هبتها نفسها
منه لاتوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة
بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به
لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به أصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ
الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب
النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أى خلص احلالها أو احلال ما أحللنا لك على القيود
المذكورة خلوصا لك أو حال من الضمير فى وهبت أو صفة لمصدر محذوف أى هبة خالصة (قد علمنا
مافرضنا عليهم فى أزواجهم) من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم (وماملكت
أيمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا
يكون عليك حرج) ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين فى نحو ذلك لالمجرد
قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى (وكان الله
غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة فى مظان الحرج (ترجى من تشاء منهن) تؤخرها
وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك من تشاء وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك
من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد (ومن ابتغيت) طلبت (ممن
عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) فى شئ من ذلك (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن
ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر
بالبناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن (والله يعلم مافى قلوبكم)
فاجتهدوا فى احسانه (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لايعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى
(لايحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء (من بعد) من بعد التسع
وهو فى حقه كالاربع فى حقنا أو من بعد اليوم حتى لوماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى (ولا أن
تبدل بهن من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق
(ولو أعجبك حسنهن) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج
لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله
ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها
نزولا وقيل المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولا أن
تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر (الا ماملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا أمركم ولاتتخطوا ماحد لكم (ياأيها

الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم) الا وقت أن يؤذن لكم أو الا مأذونا لكم (الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان أذن كما أشعر به قوله (غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته أو ادراكه حال من فاعل لاتدخلوا أو المجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر أنى الطعام اذا أدرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمكثوا ولانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والا لما جاز لاحد أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم (ولا مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أى ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبى) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واشغاله بما لا يعنيه (فيستحيي منكم) من اخراجكم بقوله (والله لا يستحيي من الحق) يعنى ان اخراجكم حق فينبغى أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج وقرئ لا يستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء (واذا سألتموهن متاعا) شيأ ينتفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر النفسانية الشيطانية (وما كان لكم) وما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) ان تفعلوا ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا) من بعد وفاته أو فراقه وخص التى لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى أيام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسها فتركها من غير نكير (ان ذلكم) يعنى ايذاءه ونكاح نسائه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم أبا فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق أو لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولا نسائهن) يعنى نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر فى سورة النور (واتقين الله) فيما أمرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لا يخفى عليه خافية (ان الله وملئكته يصلون على النبى) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا فانكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك أيها النبى وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه فى العرف صار شعار الذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وان كان

الأزواج (قوله أن يؤذن الخ) الاذن المجرد عن الدعوة أن يقف عند الباب فيستأذن فيؤذن له والدعوة أن يطلب الى الطعام (قوله كما أشعر به قوله الخ) وجه الاشعار أن المدعو الى الطعام غير المنتظر لوقت حضور الطعام بل يدعى اليه وقت حضوره (قوله حال من فاعل لاتدخلوا) فيكون الاستثناء به واقعا على الوقت والدخول كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبى الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين اناه (قوله تعالى واتقين الله) عطف على ما فهم مما سبق وهو أن يقال قدر ههنا استوعن المذكورين فيكون عطف انشاء على انشاء والتفاتا من الغيبة الى الخطاب

عزيزاوجليلا (ان الذين يؤذون الله ورسوله) يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصى أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوّز اطلاق اللفظ على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين (لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها الايذاء (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ظاهرا قيل انها نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليا رضى الله عنه وقيل فى أهل الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتتلفع ببعض (ذلك أدنى أن يعرفن) يميزن من الاماء والقينات (فلا يؤذين) فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف (رحيما) بعباده حيث يراعى مصالحهم حتى الجزئيات منها (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) ضعف ايمان وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم فى الدين أو فجورهم (والمرجفون فى المدينة) يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو ما يضطرهم الى طلب الجلاء (ثم لا يجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم (فيها) فى المدينة (الا قليلا) زمانا أو جوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له أيضا أى لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب عن قوله (أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد أى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها (يسئلك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا أو امتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فلن نبتلى بهذا العذاب (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فأضلونا السبيلا) بما زينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلى ما آتيتنا منه لانهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء أى لعنا هو أشد اللعن وأعظمه (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فاظهر براءته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى القصص أو اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته أو قذفوه بعيب فى بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على أنه برىء منه (وكان عند الله وجيها) ذا قربة

(قوله عن تزلزلهم الخ) فيه لف ونشر أى لئن لم ينته من قلبه قلة ثبات على الايمان عن تزلزلهم فى الدين أو لم ينته الذين فى قلوبهم فجور عن فجورهم

ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد (يصلح لكم أعمالكم) يوفقكم للاعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والاثابة عليها (و يغفر لكم ذنوبكم) و يجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها أمانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى أنها لعظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (انه كان ظلوما) حيث لم يف بها ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية و بعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره و بحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن أن يتاتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل أو التكليف و بعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن و باباءهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد و بحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات (وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله أوما ملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

﴿سورة سبأ مكية وقيل الاقوله و يرى الذين أوتوا العلم الآية وآيها أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته (وله الحمد فى الآخرة) لان ما فى الآخرة أيضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم ما يلج فى الارض) كالغيث ينفذ فى موضع و ينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق (وما

(قوله من غير قصد) أى عدل فى القول (قوله تعالى يصلح لكم أعمالكم) جواب الأمر اى ان تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا يصلح الله أعمالكم ولا يخفى أن التفسير الثانى يدل على أن قبول العمل والاثابة عليه مشروط بالتقوى لكن العمل الصالح مقبول من المتقى وغيره والاولى أن يقتصر على الوجه الأول (قوله وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه) يعنى أن يقال ان قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا سبب وعلة لحمل الثقل والتكليف على الانسان أى جعله حاملا لهما

﴿سورة سبأ﴾

(قوله فان النعم) أى النعم الدنيوية قد تصل الى الغير بسبب المخلوق وهو يستحق الحمد أيضا وأما النعم الاخروية فليست كذلك أقول على هذا لا يناسب ما قدره وهو قوله فله الحمد فى الدنيا لان الصلة مقدمة ههنا أيضا فتفيد الاختصاص فلا فرق بين الحمد فى الدنيا والحمد فى الآخرة مع انه بصدد الفرق

يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها أوفى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) انكار لمجيئها أواستبطاء استهزاء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه (وربى لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقرر الوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على مامر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أومبتدا خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض) وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر (ولاأصغر من ذلك ولاأكبر الافى كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الااذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شئ الامسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لاتعب فيه ولامن عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجز ين أى مثبطين عن الايمان من أراده (أولئك لهم عذاب من رجز) من سيئ العذاب (أليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين أوتوا العلم) و يعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة أومن مسلمى أهل الكتاب (الذى أنزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم بأعجب الاعاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه مابعده فان ماقبله لم يقارنه ومابعده مضاف اليه أومحجوب بينه و بينه بان وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهمه ذلك و يلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لايكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء أخص من الكذب (بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) رد من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ماهو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لايرجى الخلاص منه وماهو مؤداه من العذاب وجعله رسيلاله فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى (أفلم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أونسقط عليهم كسفا من السماء) تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله ومايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى

(قوله والأبخرة والأدخنة) فيكون المراد من السماء جانب الفوق أو يقدر مضاف والمراد ماينزل من جانب السماء ومايعرج فى جانبها (قوله تكرير لايجابه) لان الايجاب علم من لفظ بلى فيكون لتأتينكم تكرارا له (قوله وهو مرفوع الخ) أى يرى مرفوع غير معطوف على ليجزى بل هو جملة مستقلة وقيل يرى منصوب معطوف على ليجزى (قوله للدلالة على البعد والمبالغة فيه) أى على بعد كون زمان التمزيق زمان الخلق الجديد والمبالغة فى بعده (قوله فان ماقبله الخ) أى انما قلنا ان عامله محذوف لان ماقبله وهو ينبئكم لا يمكن أن يكون عاملا فى الظرف لان الانباء لايقارن الظرف وهو زمان التمزيق ومابعد الظرف وهو مزقتم وخلق جديد لا يمكن شئ منهما أن يكون عاملا فى الظرف أما الاول فلانه مضاف اليه وهو لايعمل فى الظرف وأما الثانى فلان مابعد ان لايعمل فيما قبلها (قوله وهو) أى الواسطة كل خبر وتذكير الضمير بتأويل الوسط (قوله عدم رجاء الخلاص) يفهم من وصف الضلال بالبعد فانه يفهم منه المبالغة فى وصفهم بالضلال (قوله كأنهم يستحقونه فى ذواتهم) لابسبب الضلال

جعلوه افتراء وهزأ وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم السماء وانا ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله والكسائي وحده بادغام الفاء في الباء وحفص كسفا بالتحريك (ان في ذلك) النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في أمره (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن (ياجبال أوبي معه) رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث سار وقرئ أوبي من الاوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا باضمار قولنا أو قلنا (والطير) عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية أو على فضلا أو مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها (وألنا له الحديد) جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالانانة أو بقوته (أن اعمل) أمرناه أن اعمل فأن مفسرة أو مصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو أول من اتخذها (وقدر في السرد) وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتنخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود وأهله (اني بما تعملون بصير) فأجازيكم عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب أساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة أو جملة من مبتدا وخبر (باذن ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) عما أمرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشاء من محاريب) قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها (وتماثيل) وصورا هي تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أي اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لان العمل له شكر أو الوصف له أو الحال أو المفعول به (وقليل من عبادي الشكور) المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهايته ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلهم على موته) ما دل الجن وقيل آله (الا دابة الارض)

علم في قريش واخباره بالبعث مشهور بينهم فيقصدون بذلك السخرية به وأخرجوه مخرج التحاكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي (قوله والمعنى أعموا) أراد ان الهمزة في أفلم يروا واردة على مقدر هو عموا يعطف عليه فلم ينظروا (قوله لقوله افترى على الله) أي لما تقدم ذكر الله تعالى ناسب ان يكون الضمير غائبا ليرجع اليه (قوله الترجيع) ترديد القراءة (قوله يفهم منه انه ليس في عصره ملك غيره) وفيه خفاء الا ان يقال المراد من الملك النوع الحاصل له اذ ليس في وقته من كان له مثل ما لداود (قوله باضمار قولنا أو قلنا) فان كان بدلا من فضلا كان المقدر قولنا والمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا قولنا ياجبال الخ وان كان بدلا من آتينا كان المقدر وقلنا (قوله فيدل بهذا الخ) أي جعل ياجبال أوبي بدلا من ولقد آتينا داود فضلا تأويب الجبال لما في هذا البدل من الفخامة الخ (قوله تماثيل للملائكة والانبياء) أي صورا وصورهم على النحو الذي كانوا أي الانبياء والملائكة عليها في عاداتهم ليراها الناس فيتذكروا عاداتهم فيعبدوا نحوهم (قوله أو الوصف له) فيكون شكرا صفة عملا المقدر أي عملا مشكورا (قوله آله) أي سليمان

أى الارضة أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فارضت أرضا مثل أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن سأته أى طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة وقرأ نافع وأبو عمرو منساته بألف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين (فلما خرّ تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى أن خرّ أو ظهرت الجن وأن بما فى حيزه بدل منه أى ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله وأعلم به فاراد أن يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب (فى مساكنهم) فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وأنه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم نبيهم أو لسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف للدلالة على موجب الشكر أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة (فأعرضوا) عن الشكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد أو الجرذ أضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه أو المسناة التى عقدت سكرا على أنه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط) ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة وقيل الاراك أو كل شجر لاشوك له والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا أو عطف بيان (وأثل وشئ من سدر قليل) معطوفان على أكل لا على خمط فان الاثل هو

(قوله أضيفت الى فعلها) أشار الى ان الارض مصدر بالمعنى الذى ذكر (قوله كما يزعمون الخ) الظاهر ان الجن لا يزعمون انهم يعلمون جميع الغيوب وعلم بعضها لا يستلزم العلم بما ذكر فلا يلزم من عدم علمهم بحال سليمان عليه السلام عدم تبين بطلان زعمهم ويمكن أن يقال انهم زعموا علم الغيوب التى تعلقت بهم أو توجهوا اليها وموت سليمان كان منها (قوله بدل منه) أى بدل من مقدر والتقدير تبين أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الآية (قوله ولعله أخرجه الخ) لان القاعدة ان الهمزة التى كان ما قبلها متحركا بالفتحة أن تكون بين بين لا قلبها ألفا (قوله أو لسان الحال) فكأنه قال لسان حالهم لهم كلوا الخ (قوله سيل الامر العرم) فيكون الامر العرم المطر الشديد أو السحاب الكثير الامطار (قوله فحذف المضاف الخ) يعنى ان الأكل الثانى مضاف الى خمط وبدل أو عطف بيان للأكل الاول

الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ أبو عمرو وذواتى أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف أكل (ذلك جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل اذ روى أنه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص (وهل يجازى الا الكفور) وهل يجازى بمثل مافعلنا بهم الا البالغ فى الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور بالنصب (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها وهى قرى الشأم (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض أو راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى فى قرية و يبيت الرائح فى قرية الى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال (ليالى وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آمنين) لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات أو سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها أو سيروا فيها الليالى أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الأمن (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم و بين الشأم مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد أو بعد على النداء واسناد الفعل الى بين (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدى سبا (ومزقناهم كل ممزق) ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان فى ذلك) فيما ذكر (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أى صدق فى ظنه أو صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك و يجوز أن يعدى الفعل اليه بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم و برفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات أو ببنى آدم حين رأى أباهم النبى ضعيف العزم أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب أو سمع من الملائكة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء أو ليتميز المؤمن من الشاك أو ليؤمن من قدر ايمانه و يشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لا تخفى (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ والزنتان متآخيتان (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته مقامه ولا يجوز أن يكون هو مفعوله الثانى لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه (من دون الله) والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون

(قوله ووصف السدر بالقلة) أى لما كان المقصود تحقير البدل لم يناسب كثرة النبق لانه طيب فلم يلائم التحقير فوصف بالقلة لان القليل كالعدم (قوله أو سيروا آمنين) فعلى الاول يكون آمنين حالا من فاعل سيروا باعتبار الليالى والايام وعلى الثانى يكون حالا من فاعل سيروا باعتبار طول المدة (قوله حيث بطروا الخ) فالاول بالنظر الى التفسير الاول وهو على تقدير أن يقرأ باعد بصيغة الامر والثانى على تقدير ان يقرأ بصيغة الاخبار (قوله تعلقا يترتب عليه الجزاء) أى علما بالايمان والكفر الموجودين فان هذا النحو من العلم يترتب عليه الجزاء (قوله مبالغة) وهى ان العلم بايمانهم ملزوم ايمانهم ففيه المبالغة التى فى سائر المجاز ولذا قالوا المجاز أبلغ من الحقيقة (قوله نكتة لا تخفى) وهى أن الايمان حادث فيناسبه الفعل وأما الشك فهو أمر أصلى لهم فناسب الجملة الاسمية الدالة على الثبات (قوله والزنتان متاخيتان) أى الفعل والفاعل بمعنى واحد (قوله لانه لا يلتئم الخ) يعنى ان قوله زعمتم من دون الله لا يكون كلاما صحيحا (قوله ولا لا يملكون) أى لا يجوز أن يكون مفعوله الثانى

مثقال ذرة) من خيرأوشر (فى السموات ولافى الارض) فى أمرما وذكرهما للعموم العرفى أولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (ومالهم فيهمامن شرك) من شركة لاخلقا ولاملكا (وماله منهم من ظهير) يعينه على تدبيرأمرهما (ولاتنفع الشفاعة عنده) فلاينفعهم شفاعة أيضا كمايزعمون اذلاتنفع الشفاعة عندالله (الالمن أذن له) أذن له أن يشفع أوأذن أن يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى قولك جئتك لزيد وقرأأبو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة (حتى اذافزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظار اللاذن أى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقدتقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ أى نفى الوجل من فرغ الزاداذافنى (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) فى الشفاعة (قالوا الحق) قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع أى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذوالعلو والكبرياء ليس لملك ولانبى من الانبياء أن يتكلم ذلك اليوم الابإذنه (قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير قوله لايملكون (قل الله) اذلاجواب سواه وفيه اشعار بأنهم ان سكتوا أوتلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم (وانا أواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبينين وهو بعدماتقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف والنشر وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها أوركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك لايرى شيأ أومحبوس فى مطمورة لايستطيع أن يتفصى منها (قل لاتسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فى الاخبات حيث أسند الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفاصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بماينبغى أن يقضى به (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء) لأرى بأى صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعدابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله أوللشأن (وماأرسلناك الا كافة للناس) الارسالة عامة لهم من الكف فانها اذاعمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أوالاجامعالهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولايجوز جعلها حالا من الناس على المختار (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به والمنذر عنه أوالموعود بقوله يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) وعد يوم أوزمان

لايملكون لماذكر (قوله فلاينفعهم شفاعة أيضا) كمالا تنفعهم فى الدنيا اذلايملكون شيأ (قوله وقرئ فرغ) أى قرئ بالراء المهملة وهو ساقط فى بعض النسخ (قوله لانه فى صورة الانصاف) لايخفى ان ايراد أو بدل الواو من الانصاف حيث لم يجزم بان الكفار على الهدى أوفى ضلال بل رده هذا المحال بين المؤمنين وبينهم (قوله وقيل انه على اللف) فيكون على هدى متعلقا بقوله انا وفى ضلال يتعلق باياكم ووجه النظر انه لوكان على اللف لوجب الواو بدل أو (قوله واختلاف الحرفين) أى على وفى (قوله أوزمان وعد) فيكون الميعاد بمعنى زمان الوعد فتكون الاضافة للتبيين

وعدوا اضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار أعنى (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) اذا فاجأ كم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) أى فى موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا أنتم) لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أنكروا أنهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم أى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكر كم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى أعورتم علينا رأينا (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو أظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى أشكيته (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب أغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على أعمالهم وتعدية يجزى اما للتضمين معنى يقضى أو بنزع الخافض (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا (انا بما أرسلتم به كافرون) على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) فنحن أولى بما تدعونه ان أمكن (وما نحن بمعذبين) اما لان العذاب لا يكون أولانه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب (قل) ردا لحسبانهم (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربة والتى اما لان المراد وما جماعة أموالكم واولادكم أولانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى أى بالشئ الذى يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم أى الاموال والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف (فأولئك لهم جزاء الضعف) أن يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز أو المصدر لفعله الذى دل عليه لهم (بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس

(قوله مطابقا الخ) أى قصدوا بسؤالهم عن البعث انكاره فالمناسب بجوابهم قوله تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه الخ لان فيه مبالغة فى اثبات الوعد المذكور وتقرره فى وقت معين لو أريد تقدمه على ذلك الوقت لم يتيسر لانه خلاف مراد الله تعالى (قوله وتعدية يجزى الخ) أى يجزى متعد فى الاصل بمفعول واحد وههنا عدى بمفعولين فتعديته بمفعول ثان للتضمين المذكور والمعنى ما يجزون الا قضيا عليهم ما كانوا يعملون أو تعديه بنزع الخفض بان يكون التقدير هل يجزون الا لما كانوا يعملون أى الا لاجل عملهم فتكون ما مصدرية (قوله ولذلك ضموا الخ) أما التهكم ففى قولهم انا بما أرسلتم لانهم أنكروا الرسالة وأما التفاخر ففى قولهم نحن أكثر أموالا وأولادا (قوله على حذف المضاف) والتقدير الا أموال من آمن

(والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لانبيائنا أو ظانين أنهم يفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له) يوسع عليه تارة و يضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وماسبق فى شخصين فلا تكرير (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اما عاجلا أو آجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته (و يوم نحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم تقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك وأصله وقرأ حفص و يعقوب بالياء فيهما (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أنت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا و بينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون اليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للانس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن (الا افك) لعدم مطابقة مافيه الواقع (مفترى) باضافته الى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) لامر النبوة أو للاسلام أو للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه (ان هذا الاسحر مبين) ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه و ينذرهم على تركه وقد بان من قبل أن لا وجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب أو الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء (قل انما أعظكم بواحدة) أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هى مادل عليه (أن تقوموا لله) وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد (مثنى وفرادى) متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر و يخلط القول (ثم تتفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل أو البيان أو الرفع أو النصب باضمار هو أو أعنى (مابصاحبكم من جنة) فتعلموا ما به من جنون يحمله على ذلك أو استئناف منبه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا يدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد و يلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل

(قوله تعالى قل ان ربى الخ) مؤكد لما سبق من قوله وما أموالكم ولا أولادكم الخ فانه لما كان الله تعالى هو الباسط للرزق على من يشاء من عباده لا وجه لان يكون المال أو الولد سببا للزلفى عنده (قوله فهذه فى شخص واحد) لان الضمير والمرجع واحد وأما قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر فهو فى تقدير و يقدر لمن يشاء فالثانى غير الاول لان كلا منهما ظاهر لا ضمير (قوله ولان عبادتهم الخ) لان أوائل المشركين عبدوا الاصنام التى جعلوها تماثيل الملائكة أو لانهم عبدوا أنفسهم لا تماثيلهم (قوله مبين الخ) أى المقصود من تقديم لا يملك الخ هو قول الله لهم ذوقوا (قوله ومافى اللامين الخ) أى اللام فى الذين اشارة الى القائلين وفى قوله للحق اشارة الى المقول وهو القرآن أو النبوة (قوله تمهيدا للقول) مفعول للمبالغة (قوله ومحله الجر الخ) أى محل أن تقوموا الجر على البدل من واحدة الخ

ماستفهامية والمعنى ثم تتفكروا أى شئ به من آثار الجنون (ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة (قل ماسألتكم من أجر) أى شئ سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال عنه كانه جعل التنبى مستلزما لأحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما أن يكون لغرض أو لغيره وأياما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ماسألهم بقوله ما أسالكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا أسالكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم (ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائى باسكان الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه و ينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه أو يرمى به الى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان أو خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرأ حمزة وأبو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت و بالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الاسلام (ومايبدئ الباطل ومايعيد) وزهق الباطل أى الشرك بحيث لم يبق له أثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لايبدى ولايعيد

وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لاينشئ خلقا ولا يعيده أو لايبدئ خيرا لاهله ولايعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على نفسى) فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء و بهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان أخفاه (ولوترى اذ فزعوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا (فلافوت) فلايفوتون الله بهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا أو لافوت و يؤيده أنه قرئ وأخذ عطفا على محله أى فلافوت هناك وهناك أخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم (وأنى لهم التناوش) ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات عنهم أوانه و بعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها أو أنه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة

اقحمنى جار أبى الجاموش * اليك نأش القدر النؤش

أو من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الامور أمور

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام أو بالعذاب (من قبل) من قبل ذلك أوان التكليف (و يقذفون بالغيب) و يرجون بالظن و يتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو فى العذاب من البت على نفيه (من مكان بعيد) من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى تمحلوها فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو حال الآخرة كما حكاه

(قوله عطف على محله) أى على محل فوق لانه مرفوع المحل (قوله وقد ذكره الخ) أى مر ذكر محمد فيكون الضمير راجعا اليه (قوله أوانه عطف على ماسبق) من حيث المعنى والتقدير التناوش بمعنى التناول لهل أوانه الخ

(قوله على حكاية الحال الماضية) لانه على هذا التقدير يكون المعنى قد كفروا به من قبل وقذفوا بالغيب (قوله فيكون تمثيلا الخ) لان المقصود تضييع ايمانهم فى هذا الوقت فيكون معنى و يقذفون بالغيب الخ انهم ليسوا على شئ لانهم ضاع ايمانهم

(قوله تعالى جاعل الملائكة) فان قلت لا يخلو اما أن يكون الجاعل بمعنى الماضى أو بمعنى غيره فان كان الاول لزم أن لا يعمل لان شرط عمله عدم كونه بمعنى الماضى وان كان الثانى لزم أن يكون اضافته غير محضة فلا يصلح لان يكون صفة للمعرفة وهو الله قلنا صرح العلامة الطيبى بان مثل هذا للاستمرار فباعتبار انه يدل على المضى يصلح لكونه صفة للمعرفة وباعتبار أنه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل (قوله لان اختلاف الاصناف الخ) أى ان كان اختلاف أصناف نوع واحد بالخواص لذات تلك الاصناف وهو النوع لزم تنافى لوازم الامور المتفقة لانه لما كان اختلاف الخواص بسبب النوع كان النوع مقتضيا لكل من تلك الخواص فكان كل منها لازما للنوع فلزم تنافى لوازم الامور المتفقة فى الذات والحقيقة لان ما هو لازم للنوع لازم للاصناف وكذا ان كان اختلاف الانواع فى الفصول بسبب طبيعة الجنس المشترك بينهما لزم ما ذكر بالقياس على ما ذكرنا وهذا هو مقصوده وان كان فى عبارته قصور (قوله وفى ذلك الخ) وجه الاشعار ان الفقرة الاولى مخصوصة بالرحمة وهذه الفقرة مشتركة بينها و بين غيرها وهو الغضب فكانت الرحمة غالبة على الغضب (قوله يكون اطلاق الخ) اى عدم تقييد الخالق بشئ ونفيه مطلقا عن غير الله مانع من اطلاق الخالق على غير الله

من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ و يقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم و يلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ماضيعوه من الايمان فى الدنيا (وحيل بينهم و بين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الأمم الدارجة (انهم كانوا فى شك مريب) موقع فى الريبة أو ذى ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة

* عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وآيها خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى (جاعل الملائكة رسلا) وسائط بين الله و بين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة أو بينه و بين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) ذوى أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها و يعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد به خصوصية الاعداد ونفى ما زاد عليها لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح (يزيد فى الخلق ما يشاء) استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشترك لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس (ان الله على كل شئ قدير) وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة (ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم و يرسل وهو من تجوز السبب للمسبب (من رحمة) كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة (فلا ممسك لها) يحبسها (وما يمسك فلا مرسل له) يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على ما يشاء ليس لاحد أن ينازعه فيه (الحكيم) لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق أمر الناس بشكر انعامه فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر أن يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف أو بدل فان الاستفهام بمعنى النفى أو لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء و يرزقكم صفة لخالق أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (وان يكذبوك

فقد

(قوله فحذف الجواب) وكأنه قيل لا ينبغى ذلك فحذف لما ذكره وعلى هذا يكون قوله تعالى فان الله يضل من يشاء مؤخرا المحل عن
فلا تذهب قدم عليه وأصل الكلام أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات فكأنه قيل لا فقيل فاذا كان كذلك فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء (قوله

فحذف الجواب) يعنى كأنه صلى الله عليه

فقد كذبت رسل من قبلك) أى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة (والى الله ترجع الامور) فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب (ياأيها الناس ان وعد الله) بالحشر والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود (ان الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع أحوالكم (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته و بيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة و بناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) تقرير له أى أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة (فان الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء) وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير أن الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوى أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه (والله الذى أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح (فتثير سحابا) على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده اليها ويجوز أن يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر (فسقناه الى بلد ميت) وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بالتشديد (فأحيينا به الارض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فانه سبب السبب أو الصائر مطرا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو أدخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع (كذلك النشور) أى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) الشرف والمنعة (فلله العزة جميعا) أى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل

وسلم قال فى جواب هذا القول وهو قوله تعالى أفمن الخ ليس الاول كالثانى فحذف الجواب لما ذكر (قوله والفاآت الثلاث الخ) أما الفاء فى فرآه حسنا فلانه يفيد ان التزيين سبب للرؤية المذكورة وأما الفاء فى فان الله فلانه يفيد أيضا ان الاضلال سبب أيضا للرؤية المذكورة فان الفاء السببية قد تكون لافادة ان ما بعدها سبب لما قبلها كما فى قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم صرح به الرضى وأما الفاء فى فلا تذهب فلانه يفيد انه تعالى يضل من يشاء فلا ينبغى اهلاك النفس للحسرة ولا يخفى ان الاولين دخلتا على السبب لان الرؤية سبب للنهى عن ذهاب النفس المذكورة لانه لما كان أحد رأى عمله القبيح حسنا لا ينبغى لغيره الحسرة عليه وكذا اضلال الله تعالى لشخص سبب للنهى المذكور لانه لما كان الله مضلا لاحد لا ينبغى لغيره هلاك نفسه للحسرة عليه فظهر ان الفاءين الاولين
سببان للنهى عن الذهاب المذكور وهو مسبب لهما (قوله ويجوز الخ) أى يجوز أن يكون اختلاف الافعال بان يكون بعضها ماضيا
و بعضها حالا للدلالة على ان أمر المطر والسحاب أمر مستمر (قوله وقيل فى كيفية الاحياء) عطف على قوله فى صحة المقدورية والمعنى
مثل احياء الاموات نشور الاموات فى كيفية الاحياء

لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل أو للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلام الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل (والذين يمكرون السيآت) المكرات السيآت يعنى مكرات قريش للنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه (لهم عذاب شديد) لا يؤبه دونه بما يمكرون به (ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله (والله خلقكم من تراب) بخلق آدم عليه السلام منه (ثم من نطفة) بخلق ذريته منها (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) الا معلومة له (وما يعمر من معمر) وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر (ولا ينقص من عمره) من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه أو للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فأربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقضى فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل (الا فى كتاب) هو علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ أو الصحيفة (ان ذلك على الله يسير) اشارة الى الحفظ أو الزيادة أو النقص (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم أو تمام التمثيل والمعنى كأنهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وهى بقاء أحدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) تشق الماء بجريها (لتبتغوا من فضله) من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة (ولعلكم تشكرون) على ذلك وحرف الترجى باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هى مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض

وعلى بناء المفعول (قوله فحيا بها وجه الرحمن) استعارة من استقبال المحيا وهو الوجه (قوله بجعله ناقصا) أى بان يجعل فى الاصل ناقصا كما فى سبحان الذى صغر جسم البعوض (قوله على التسامح) هو ان العبارة المذكورة دالة على تعارض الطول والقصر فى عمر واحد وهذا لا يكون فالمعنى ولا ينقص من عمر من يصلح للتعمير فيكون هذا المعمر غير المعمر الاول لانه المعمر بالفعل والضمير عبارة عما لا يكون كذلك (قوله لا يثيب الله عبدا الخ) قال العلامة الطيبى فيه اعتزال خفى وذلك لان مذهبهم ان استحقاق العذاب بالكبيرة يحبط استحقاق الثواب بالطاعة فعلى هذا لا يجتمع الثواب والعقاب فى شخص واحد وأما عند أهل السنة فلا يبعد ذلك لان أهل النار من العاصين لا يخلدون فيها (قوله تعالى الا فى كتاب) معناه الا تغيرا كائنا فى كتاب أو الا انقصا ما كائنا فيه (قوله اشارة الى الحفظ) والحفظ يفهم من قوله الا فى كتاب اذ معناه الا فى كتاب محفوظ (قوله ويجوز الخ) الافعال المذكورة (ما هى) تأكلون وتستخرجون وترى الفلك وما دل عليه الافعال المذكورة هو الخلق فالمعنى وخلق ما ذكر وهو اللحم الطرى والحلية والمواخر لتبتغوا من فضله أو يقال المراد ما دل عليه الافعال المذكور تمكين الله للعباد فيما ذكر والمعنى مكنكم الله تعالى فى الامور

(مااستجابوالـكم) لعـدم قدرتهم على الانفاع أولتبرئهم منـكم مماتدعون لهم (و يوم القيمة يكفرون بشركـكم) باشرا كـكم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون ما كنتم ايانا تعبـدون (ولاينبئك مثل خبير) ولايخبرك بالامر مخبر مثـل خبير به أخـبرك وهوالله سـبحانه وتعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى مايدعون لهم (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) فى أنفسكم ومايعن لـكم وتعر يف الفقراء للمبالغـة فى فقرهم كأنهم لشـدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخـلائق بالاضافة الى فقرهم غـير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا (والله هو الغنى الحميد) المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد (ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد) بقوم آخر بن أطوع منـكم أو بعالم آخر غير ماتعرفونه (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ولاتحمـل نفس آثمة اثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ففى الضالين المضلين فانهـم يحملون اثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شئ من أوزار غـيرهم (وان تدع مثقلة) نفس أثقلها الاوزار (الى حملها) تحمل بعض أوزارها (لايحمل منـه شئ) لم تجب لحمل شئ منه نفى أن يحمل عنها ذنبها كمانفى ان يحمل عليها ذنب غـيرها (ولو كان ذاقربى) ولو كان المدعوذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حـذف الخـبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لاتلائم نظم الـكلام (انما تنذر الذين يخشون ربهـم بالغيب) غائبين عن عذابه أو عن الناس فى خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه (وأقاموا الصلوة) فانهـم المنتفعون بالانذار لاغير واختلاف الفعلين لما مر من الاستمرار (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) اذنفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصـلاة لانهما من جلة التزكى (والى الله المصير) فيجازيهم على تزكيهم (ومايستوى الاعمى والبصير) الـكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عزوجـل (ولا الظلمات ولا النور) ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل ولا الحرور) ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفى الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيـل السموم مايهب نهارا والحرور مايهب ليـلا (وما يسـتوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والـكافرين أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهـلاء (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما أنت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الـكفر بالاموات ومبالغـة فى اقناطه عنهـم (ان أنت الا نذير) فما عليك الا الانذار وأما الاسماع فلا اليك ولا حيـلة لك اليـه فى المطبوع على قلوبهم (انا أرسلناك بالحق) محقين أو محقا أو ارسالا مصحوبا بالحق و يجوز أن يكون صـلة لقوله (بشيرا ونذيرا) أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة) أهـل عصر (الاخلا) مضى (فيها نذير) من نبى أو عالم ينذر عنـه والا كتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة سيما وقدقرن به من قبـل أولان الانذار هو الاهم المقصود من البعثة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (و بالزبر) كصحف ابراهيم عليه السـلام (و بالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيـل دون الجمع و يجوز أن يراد بهما واحـد والعطف لتغاير الوصـفين (ثم أخـذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أى انـكارى بالعقوبة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها وأصـنافها على أن

المذكورة لتبتغوا من فضله (قوله وتعريف الفقراء الخ) هـذا كما تقـول فى العربيـة ان كون الخـبر محـلى باللام يفيد الحصر اذا كان المبتدا مقرونا به (قوله فانها لايلائم نظم الـكلام) لانه يدل على ان ذا القربى لايحتمل اثم قريبه فالمناسب ان تجعل كان ناقصة حتى يكون له خبر واذا كان تامة فالمعـنى ولو وجـد ذو قربى فهو لايحتمل (قوله لتغاير الوصـــفين) أى الزبور والـكتاب المنـير (قوله تعالى فـكيف كان نكير) أى نـكيرى لهـم شـديد يسـتحق أن يستفهم عنه

كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما (ومن الجبال جدد) أى ذو جدد أى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة * والمؤمن العائذات الطير يمسحها * وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله (ليوفيهم أجورهم) علة لمدلوله أى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم أى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر ان ويرجون حال من واو وأنفقوا (والذى أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى أحوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة فى ذلك الأمور الروحانية (ثم أورثنا الكتاب) حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه أو أورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى أوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الامة بأسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الأمم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى غالب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا

(قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض الخ) يحتمل أن يكون معطوفا على ما سبق من حيث المعنى فيكون المعنى ألم تر أن الله جعل من الجبال جددا بيضا كما قالوا فى قوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا انه معطوف على عنده علم الساعة من حيث المعنى اذ المعنى ان الله عنده علم الساعة ويعلم ماذا تكسب كل نفس غدا (قوله والمؤمن الخ) الظاهر ان الطير بدل من العائذات أو بيان لها لا أنه مفسر للطير المحذوف (قوله تعالى انما يخشى الله الخ) فان قلت ما وجه ارتباطه بما سبق قلت والله أعلم ان المراد انه اذا علمت ما ذكر من قدرته الكاملة فاخش منه لانه انما يخشى الله من عباده العلماء (قوله حتى صارت سمة لهم الخ) أى حتى صاروا يذكرون بهذه الصفة (قوله أو الجنس) اى أو المراد من الكتاب جنس الكتب فيكون من للتبعيض

أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى التوريث أو الاصطفاء أو السبق (جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أو للذين أو للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرأ أبو عمرو يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور من ذهب) من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين (ولؤلؤا) عطف على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم رحمهما الله عطفا على محل من أساور (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) همهم من خوف العاقبة أو همهم من أجل المعاش وآفاته أو من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد أتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد استعارها (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قال عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى أو الكتاب وقيل العقل أو الشيب أو موت الاقارب (فذوقوا فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه أحوالهم (انه عليم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف (فمن كفر فعليه كفره) جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان له والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله أو لانفسهم فيما يملكونه (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى أى جزء من الارض استبدوا بخلقه (أم لهم شرك فى السموات) أم لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية (أم آتيناهم كتابا) ينطق على انا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) على حجة من

(قوله على ان الضمير للعباد) أى على تقدير أن يكون المراد من الظالمين الكافرين لا يكون ضميرهم راجعا الى الذين اصطفينا لان الظالم بهذا المعنى غير داخل فى المصطفين (قوله لان الظلم والركون الى الهوى مقتضى الجبلة) فان قلت هذا يناقض ما ورد فى الحديث ان كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه الخ قلت معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام والتوحيد أى لو قيل له الاسلام وعرض عليه لقبله لما أن العلم به مقتضاها والحاصل ان المولود خلق مستعدا للاسلام والتوحيد وهذا لا يناقض كون الجهل والركون الى المعصية مقتضى الجبلة لان كونهما مقتضى الجبلة معناه ان الشخص لو خلى وطبعه كان متصفا بهما فظهر ان الجهل والمعصية لا ينافيان فطرة الاسلام (قوله فان المراد بهما الجنس) فيكون فى مرجع الضمير كثرة تصلح لان يكون الضمير المذكور راجعا اليه لان الجنس شامل للكثير (قوله العمر الذى الخ) أى لم يبق له موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر (قوله بيان له) أى قوله تعالى ولا يزيد الكافرين الخ بيان لقوله تعالى فعليه كفره (قوله باقتضاء قبحه) اى باقتضاء قبح الكفر (قوله الجوابين) هما

ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) لما نفى أنواع الحجج فى ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف الاخلاف أو الرؤساء الاتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) كراهة أن تزولا فان الممكن حال بقائه لابد له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد) ما أمسكهما (من بعده) من بعد الله أو من بعد الزوال والجملة سد مسد الجوابين ومن الأولى زائدة والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم) وذلك أن قريشا لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الأمم أى من واحدة من الأمم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الامة التى يقال فيها هى احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (ما زادهم) أى النذير أو مجيئه على التسبب (الا نفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا فى الارض) بدل من نفورا أو مفعول له (ومكر السيء) أصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم أضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل (ولا يحيق) ولا يحيط (المكر السيء الا بأهله) وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر أى ولا يحيق الله (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنت الاولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد عليه بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ) ليسبقه ويفوته (فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما) بالاشياء كلها (قديرا) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصى (ما ترك على ظهرها) ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) هو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

جواب القسم والشرط (قوله هى احدى الامم الخ) فهذا كما يقال هو واحد القوم وواحد المصر أى أفضلهم (قوله ومكر السيء أصله الخ) الاولى أن يقال أصله المكر السيء حتى يكون المعنى ما زادهم الا المكر السيء ثم أضيف الموصوف الى الصفة كما فى مسجد الجامع

﴿سورة يس﴾

(قوله على أن أصله) أى على ان تنزيلا على معناه الحقيقى لكونه مفعولا مطلقا لا ان يكون بمعنى المنزل كما تقدم فيكون أصل التركيب ينزل تنزيل العزيز الرحيم فحذف الفعل وأبقى تنزيلا على مصدريته

﴿سورة يس﴾

مكية وعنه عليه الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يس) كالم فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيء على أن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله فى أيمن وقرئ بالكسر كجير و بالفتح على البناء كأين أو الأعراب على اتل يس أو باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف و بالضم بناء كحيث أو اعرابا على هذه يس وأمال الياء حمزة والكسائى وروح وأبو بكر وأدغم النون فى واو (والقرآن الحكيم) ابن عامر والكسائى وأبو بكر وورش و يعقوب وهى واو القسم أو العطف ان جعل يس مقسما به (انك لمن

المرسلين)

المرسلين) لمن الذين أرسلوا (على صراط مستقيم) وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز أن يكون على صراط خبرا ثانيا أو حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع صريحا بالاستقامة وان دل عليه لمن المرسلين التزاما (تنزيل العزيز الرحيم) خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار أعنى أو فعله على أنه على أصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن (لتنذر قوما) متعلق بتنزيل أو بمعنى لمن المرسلين (ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله أو الذى أنذر به أو شيأ أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذار آبائهم على المصدر (فهم غافلون) متعلق بالنفى على الاول أى لم ينذروا فبقوا غافلين أو بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى أى أرسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون (لقد حق القول على أكثرهم) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (فهم لا يؤمنون) لانهم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم (فهى الى الاذقان) فالاغلال واصلة الى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم له (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وبمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى أنهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشاء وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) سبق فى البقرة تفسيره (انما تنذر) انذارا يترتب عليه البغية المرومة (من اتبع الذكر) أى القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله أو فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار (فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى) الاموات بالبعث أو الجهال بالهداية (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم (وكل شئ أحصيناه فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ (واضرب لهم) ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد أى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما (مثلا أصحاب القرية) على حذف مضاف أى اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ أو بيانا له والقرية انطاكية (اذ جاءها المرسلون) بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه الصلاة والسلام الى أهلها واضافته الى نفسه فى قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما (فكذبوهما فعززنا) فقوينا وقرأ أبو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به (بثالث) وهو شمعون (فقالوا انا اليكم مرسلون) وذلك انهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه

(قوله أو بمعنى لمن المرسلين) انما قال بمعنى لمن المرسلين أى بما استفيد منه وهو انه صلى الله عليه وسلم مرسل اذ لا يصح تعلقه بلفظ من المرسلين اذ المرسلون جميع الرسل والخطاب فى لتنذر مخصوص به صلى الله عليه وسلم (قوله أو بمن أحاط بهم) عطف على بالذين غلت أعناقهم (قوله فى أنهم الخ) متعلق بقوله بتمثيلهم أى بتشبيههم بالذين غلت أعناقهم فى أنهم لا يلتفتون الخ (قوله فى أنهم محبوسون الخ) بيان وجه الشبه وههنا نظر وهو ان وجه الشبه يجب أن يكون مشتركا لكن عدم الالتفات الى الحق ليس صفة للمغلولين اذ المغلول قد يكون له الالتفات الى الحق وانما منع من الالتفات الحسى وامالة العنق وكذا الحبس فى مطمورة الجهالة ليس صفة لمن كان بين السدين فالاولى أن يقال انهم مشبهون بالمغلولين فى عدم تحقيق ما ينبغى لهم وادراكهم ما ينفعهم أو يضرهم وقس على ماذكرنا التشبيه الثانى

والابرص وكان له ولد مريض فسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير و بلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال حتى أنظر فى أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه الى الملك فآنس به فقال له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت مايقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء و يحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون أرأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف قال ليس لى عنك سر آلهتنا لاتسمع ولا تبصر ولاتضر ولاتنفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فأتوا بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا الله فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك من هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فهلكوا (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) لامزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحى ورسالة (ان أنتم الا تكذبون) فى دعوى الرسالة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم (وما علينا الا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لايحسن الا ببينة (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم وقرئ طيركم معكم (أئن ذكرتم) وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بألف بين الهمزتين و بفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وأن بغير الاستفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) الى خير الدارين (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء فى الوصل تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ) لاتنفعنى شفاعتهم (ولاينقذون) بالنصرة والمظاهرة (انى اذا لفى ضلال مبين) فان ايثار مالاينفع ولايدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لايخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وأبو عمرو بفتح الياء (انى آمنت بربكم) الذى خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء (فاسمعون) فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما

قتلوه

(قوله وهو المحسن للاستشهاد) لان مجرد الاستشهاد بعلم الله فى النبوة غير نافع أى مافى علم الله غير معلوم الا اذا أتى ببينة (قوله وأين ذكرتم الخ) أى قرئ أين بكلمة الاستفهام وذكرتم بتخفيف الكاف (قوله ولذلك) أى لأجل ان المراد توبيخهم وتقريعهم على ماذكر قال واليه ترجعون اذ لو لم يكن كذلك لوجب أن يقال واليه ارجع

قتلوه بشرى له بأنه من أهل الجنة أو اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ماقاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان القول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء وليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم فى أمره وأنه كان على حق وقرئ المكرّمين وماخبرية أومصدرية والباء صلة يعلمون أواستفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر أى بأى شئ غفرلى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلاكه أورفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام (وما كنا منزلين) وما صح فى حكمتنا أن ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند أى ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة (ان كانت) ما كانت الاخذة أو العقوبة (الاصيحة واحدة) صاح بها جبريل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم خامدون) ميتون شبهوا بالنار رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها أن تحضرى فيها وهى مادل عليها (مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول وياحسره بالهاء على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لايعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام (أنهم اليهم لايرجعون) بدل من كم على المعنى أى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يوم القيامة للجزاء وأن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لمحضرون (وآية لهم الارض الميتة) وقرأ نافع بالتشديد (أحييناها) خبر للارض والجملة خبر آية أوصفة لها اذلم يرد بها معينة وهى الخبر أو المبتدأ والآية خبرها أواستئناف لبيان كونها آية (وأخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم مايؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) أى شيأ من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة

(قوله بشرى الخ) أى هذا القول له على أحد الوجهين امابشارته بأنه من أهل الجنة يدخلها بعد ذلك واما الاذن بدخول الجنة حين القتل كسائر الشهداء (قوله وجعلنا ذلك الخ) أى جعلنا انزال الجنود من السماء سببا لانتصارك من قومك تعظيما لشأنك (قوله على سبيل الاستعارة لتعظيم الخ) أى استعير الحسرة للتعظيم المذكور (قوله ياحسرتا) لانه فى الاصل ياحسرتى (قوله وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف) فيكون التقدير مثلا ياأيها المؤمنون احسروا حسرة على العباد (قوله تعالى انهم اليهم لايرجعون) أى لايرجع بعضهم بعد أن ماتوا الى بعضهم الاحياء (قوله على المعنى) انما قال ذلك لان كم أهلكنا جملة تامة وأنهم اليهم لايرجعون مفرد فى الحقيقة فناسب أن تؤول الجملة بالمفرد حتى يناسب البدل (قوله اذلم يرد بها معينة) أى لم يرد بالارض أرضا معينة حتى تكون معرفة فلاتتصف بجملة أحييناها بل المراد فرد من أفراد الارض غير معين (قوله وهى الخبر) أى الارض خبر للآية

عند الاخفش (ليأ كلوا من ثمره) ثمر ما ذكروهو الجنات وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه أوجمع ثمار وقرئ بضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة أحسن من غيرها (أفلا يشكرون) أمر بالشكر من حيث انه انكار لتركه (سبحان الذى خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) وأزواجا لم يطلعهم الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ما سبق (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقر لها) لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أولكبد السماء فان حركتها فيه يوجد فيها ابطاء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال * والشمس حيرى لها بالجو تدويم * أولاستقرار لها على نهج مخصوص أولمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل أولمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها أى لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) قدرنا مسيره (منازل) أوسيره فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا (لا الشمس ينبغى لها) يصح لها ويتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أوفى آثاره ومنافعه أومكانه بالنزول الى محله أوسلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ما أريد بها (ولا الليل سابق النهار) يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران و بالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات أوللكواكب فان ذكرهما مشعر بهما (فى فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أوصبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم فى السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم (فى الفلك المشحون) المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه أبلغ فى الامتنان وأدخل فى التعجب مع الايجاز (وخلقنا لهم من مثله) من

مثل

(قوله ثم لا تعود اليهما الخ) فيه نظر لانه اذا كانت الشمس فى التاسع والعشرين من القوس كان مشرق ثم اذا كانت فى الدرجة الثانية من الجدى كان مشرقها ذلك المشرق المعين مع ان بينهما يومين اليوم الذى كانت فيه فى أول الجدى واليوم الذى فى آخر القوس (قوله كالشمراخ) هذا مخالف لما فى الكشاف والصحاح قال فى الكشاف العرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة (قوله وايلاء حرف النفى) لا يخفى ان ماذكر حاصل لو قيل لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فالاولى أن يقال ان فى الايلاء المذكور تأكيدا بخلاف غيره (قوله لانه الملائم لسرعة سيره) أى السبق ملائم لسرعة سيره وهذا الكلام على تقدير أن يكون المراد من الليل والنهار القمر والشمس (قوله تعالى فى الفلك المشحون) لعل فائدة ذكر المشحون انه اذا صار مشحونا كانت المشحونية لا تناسب خلاص الغرق ولذا اذا وقع الطوفان يخلو الفلك من الامتعة و يلقى فى البحر

مثل الفلك (مايركبون) من الابل فانها سفائن البر أومن السفن والزوارق (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق أوفلا اغاثة كقولهم أتاهم الصريخ (ولاهم ينقذون) ينجون من الموت به (الارحمة منا ومتاعا) الالرحمة ولتمتيع بالحياة (الى حين) زمان قدر لآجالهم (واذاقيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) الوقائع التى خلت او العذاب المعد فى الآخرة أونوازل السماء ونوائب الارض كقوله أولم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض أوعذاب الدنيا وعذاب الآخرة أوعكسه أوما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) على محاويجكم (قال الذين كفروا) بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له (ان أنتم الا فى ضلال مبين) حيث أمرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز أن يكون جوابا من الله لهم أوحكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ما ينظرون) ما ينتظرون (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم أمرها كقوله أوتأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وأبو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله (فلا يستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (ونفخ فى الصور) أى مرة ثانية وقد سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (فاذاهم من الاجداث) من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم ينسلون) يسرعون وقرئ بالضم (قالوا ياويلنا) وقرئ ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى أهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها فى سائر القراآت حسن (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) مبتدأ وخبر وما مصدرية أوموصولة محذوفة الراجع أوهذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف أومبتدأ خبره محذوف أى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أوما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة أوالمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال (ان كانت) ما كانت الفعلة (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الا ما كنتم تعملون) حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) متلذذون فى النعمة

(قوله المعطلة) هم الذين نفوا وجود الصانع تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (قوله وفيه ترشيح) أى ترشيح لمرقدنا فانه مستعار من محل النوم والبعث والهبوب الذى هو الانتباه من النوم مناسب له

من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على أنه أعلى ما
يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب
فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز أن يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون
بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل
بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات (هم وأزواجهم فى ظلال) جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب
ويؤيده قراءة حمزة والكسائى فى ظلل (على الارائك) على السرر المزينة (متكؤن) وهم
مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة أو خبر ثان أو متكؤن والجاران صلتان له أو
تأكيد للضمير فى شغل أو فى فاكهون وعلى الارائك متكؤن خبر آخر لان وأزواجهم عطف على
هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه (لهم فيها فاكهة ولهم
مايدعون) مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه أو
مايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه أو يتمنون من قولهم ادّع على ماشئت بمعنى تمنه على أو مايدعونه
فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة أو موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله (سلام)
بدل منها أو صفة أخرى ويجوز أن يكون خبرها أو خبر محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أى ولهم سلام
وقرئ بالنصب على المصدر أو الحال أى لهم مرادهم خالصا (قولا من رب رحيم) أى يقول الله أو
يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك
مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن
المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من
كل خير أو تفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولا يرى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن
لاتعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج
العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها
والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة بنى تميم (انه لكم عدو مبين)
تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وأن اعبدونى) عطف على أن لاتعبدوا (هذا صراط
مستقيم) اشارة الى ماعهد اليهم أو الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه أو بالشق
الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم أو للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد أضل
منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له أدنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما
مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع
جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال (هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (اليوم نختم على أفواههم) نمنعها عن الكلام (وتكلمنا
أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على أفعالها أو انطاق
الله اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم
(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا
الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو جعل
المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف (فأنى يبصرون) الطريق وجهة السلوك فضلا عن
غيره (ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) مكانهم بحيث يجمدون فيه

(قوله أو متكؤن) أى
يكون الخبر متكؤن
والجاران فى ظلال وعلى
الارائك صلتان لمتكؤن
(قوله أو تأكيد للضمير
فى شغل الخ) أى يكون هم
تأكيدا للضمير المذكور
وعلى الأرائك متكؤن
خبر آخر لان قوله فى الاحكام
الثلاثة التى هى فى شغل
وفاكهون ومتكؤن
(قوله أو مايتداعون به
الخ) ومعناه أن كل مايصح
أن يدعو صاحبه اليها ويطلبه
أحد من صاحبه فهو حاصل
(قوله ويجوز أن يكون
خبرها) أى يجوز أن يكون
سلام خبر ما والمعنى
مايدعون لهم سلام (قوله
وأحهد واحد الخ) قال
الطيبى قرئ بالحاء مكان
العين وبحاء مشددة على
الادغام والقلب وهى لغة
تميم (قوله سلوك بعض
الطريق المستقيم) لان كل
مايجب اعتقاده طريق
مستقيم وهو أمر متعدد
رأسها التوحيد (قوله لان
الغنى) أصله الغنوى فعول
كالدخول قلبت الواو
لاجتماعهما وسكون أولهما
وأدغم ثم كسر ماقبلها
للمجانسة

وقرأ أبو بكر مكاناتهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتى ومضيا كصبى والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم أحقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم (ومن نعمره) ومن نطل عمره (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاض بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على أصله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر (أفلا يعقلون) أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وقرأ نافع برواية ابن عامر وابن ذكوان و يعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر أى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها (وما ينبغى له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان أراد قرضه على ما خبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت اتفاقى من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أى وما يصح للقرآن أن يكون شعرا (ان هو الا ذكر) عظة وارشاد من الله تعالى (وقرآن مبين) وكتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء (من كان حيا) عاقلا فهما فان الغافل كالميت أو مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات فى الحقيقة (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث (أنعاما) خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع (فهم لها مالكون) متملكون لها بتمليكنا اياها أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

(وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم أى ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم (ومنها يأكلون) أى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الجلود والاصواف والاوبار (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع أو المصدر وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام (أفلا يشكرون) نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف أمكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون اثرهم فى النار (فلا يحزنك) فلا يهمك وقرئ بضم الياء من أحزن (قولهم) فى الله بالالحاد والشرك أو فيك بالتكذيب والتهجين (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) تسلية

(قوله منافاة) أى منافاة انكار الحشر مع ابتداء الخالق لان انكار الاهون يدل على انكار الاقوى

(قوله أن يكون تفسير قوله تعالى أن يقول له كن) فالمعنى ما أمره اذا أراد تكوين شئ الا تكوينه فيكون بلا توقف

ثانية بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بيناً ومنافاة لجحود القدرة على ماهو أهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهى خلقه من أخس شئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى أن أبى بن خلف أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيى هذا بعد مارمّ فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه (وضرب لنا مثلا) أمرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى أو تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه (ونسى خلقه) خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) منكرا اياه مستبعدا له والرميم مابلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها أو احداث مثلها (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) كالمرخ والعفار (نارا) بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار (فاذا أنتم منه توقدون) لاتشكون فى أنها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون (أوليس الذى خلق السموات والارض) مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما أو مثلهم فى أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر (بلى) جواب من الله تعالى لتقرير مابعد النفى مشعر بانه لاجواب سواه (وهو الخلاق العليم) كثير المخلوقات والمعلومات (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) فهو يكون أى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للامر كله قادرا على كل شئ (واليه ترجعون) وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رضى الله عنه كنت لاأعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه بهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس وأيما مسلم قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

﴿تم الجزء الرابع من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الخامس وأوله سورة الصافات﴾

الجزء الخامس

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام
المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله
ابن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى وهو نسبة
الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة
رحمه الله وأسكنه من
الفردوس أعلاه
آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشى الصديقى
الخطيب المشهور بالكازرونى رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة العاشرة ﴾

(طبع بمطبعة)
دار الكتب العربية الكبرى
﴿ على نفقة أصحابها ﴾
﴿ مصطفى البابى الحلبى وأخويه بكرى وعيسى ﴾
﴿ بمصر ﴾

﴿سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها أو الناس عن المعاصى بالهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون أو بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله

يالهف زيابة للحارث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر أو الاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته أو الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وأدغم أبو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقارب بها فانها من طرف اللسان وأصول الثنايا (ان الهكم لواحد) جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف فى كلامهم وأما تحقيقه فبقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس فى السنة وهى ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ فى النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم (بزينة الكواكب) بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه أو بزينة هى لها كاضوائها وأوضاعها أو بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة أبى بكر بالتنوين والنصب على الاصل أو بأن زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان

(قوله أو بطوائف الاجرام الى آخره) لا يظهر معنى الزجر فى هذا الوجه ويمكن أن يقال تدبير الارواح الاجرام والارواح هى الزاجرة لها والارواح وان كانت أفضل من الاجرام لكن الصف أفضل من الزجر (قوله غير انه الى آخره) أى الفاء فى قوله فالزاجرات فالتاليات عكس الفاء فى قوله فالمقصرين لفضل المحلق بالاجماع وما فى الآية بالعكس لان الصف فى مقام العبودية وهى تفيض عليهم الانوار الالهية أنزل من الزجر والزجر أنزل من التلاوة أما أفضلية الثانى عن الاول فلان التكميل زيادة على الكمال وأما أفضلية الثالث عن الثانى فباعتبار ان تدبير أمور العالم أدون من التلاوة المذكورة وههنا موضع نظر ولذا قال صاحب الكشاف انك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتها جامعين لها فعطفها مفيد ترساها فى الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذا ان أردت العلماء والقراء (قوله لو لم تختلف الى آخره) فاذا كان الشمس يطلع فى الدرجة الثلاثين من القوس مثلا كان لها مشرق معين فلو كان زمان انتقالها من أول الدرجة المذكورة الى آخرها مثل انتقالها من أول درجة الجدى الى آخرها كانت اذا طلعت من آخر تلك الدرجة يكون لها ذلك المشرق المذكور فاما اذا لم يكن الزمانان مثلين لم يكن طلوعها اذا كانت فى آخر الدرجة المذكورة من ذلك المشرق المعين بل من مشرق أقرب الى مشرق رأس الجدى اذا كان الزمان الثانى أطول ومن مشرق أبعد منه اذا كان أول كل ذلك يظهر بالتخيل الصحيح (قوله أو بزينة هى الى اهل

آخره) عطف على قوله فالاضافة للبيان والمعنى الاضافة للبيان أو بمعنى اللام (قوله فانه يقتضى الى آخره) وهو غير مناسب اذ لا حاجة الى الحفظ من شياطين لا يسمعون ثم انه يوهم انه ليس الحفظ من شياطين يريد أن يسمعوا (قوله مبالغة لنفيه وتهويلا) أما المبالغة فلانه يفيد انهم اذا أصغوا لا يسمعون وأما التهويل فلانه اذا كانوا مع اصغائهم لا يسمعون يدل على وجود مانع عظيم يمنعهم من السماع (قوله اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلاك) فان قيل قوله (٣) وحفظا من كل شيطان مارد يدل على

أهل الارض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة (وحفظا) منصوب باضمار فعله أو العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة برمى الشهب (لا يسمعون الى الملا الاعلى) كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى أن يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك أن تكرمنى ثم حذف أن واهدارها كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه و يدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة أو أشرافهم (و يقذفون) و يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده (دحورا) علة أى للدحور وهو الطرد أو مصدر لانه والقذف متقاربان أو حال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به و يقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل أيضا أن يكون مصدرا كالقبول أو صفة له أى قذفا دحورا (ولهم عذاب) أى عذاب آخر (واصب) دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة (الا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف (فاتبعه شهاب) اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحه ولا يبعد أن يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما لشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه أو مصيره دحورا واختلف فى أن المرجوم يتأذى به فيرجع أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (ثاقب) مضىء كأنه يثقب الجو بضوئه (فاستفتهم) فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة أو لبنى آدم (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء و يدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم و بينها لا بينهم و بين من قبلهم كعاد وثمود وان المراد اثبات المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء

انه ينقض من الفلاك قلنا هو أيضا لا يدل عليه اذ يجوز أن تكون الكواكب رجما لمارد الشياطين بالبخار الصاعد الى الاثير مع انه يحتمل أن يكون طردهم الشياطين لا بالانقضاض ولا بالشهب بل بطريق آخر وليس فى القرآن نص عليه (قوله فان كل نير الى آخره) غرضه دفع سؤال يمكن ايراده وهو أن قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما يدل على ان المصابيح التى هى الكواكب هى نفس الرجوم وقوله فأتبعه شهاب ثاقب يدل على أن الكواكب غير الرجوم بل من أمور حاصلة من الكواكب فاجاب بانه يحتمل أن يراد من المصابيح غير الكواكب بل الانوار الحاصلة فى الجو من الشهب وغيرها فقد تكون المصابيح نفس الشهب (قوله ولا يبعد الى آخره) معناه انه يمكن ان تصير الشهب رجوما للشياطين فى بعض الاوقات أى لا يستلزم أن تكون فى كل وقت رجوما بل فى بعض الاوقات (قوله لكن قد يصيب الى آخره) يفيد انهم لم يصب الشيطان ولم يحترق فى كل وقت اذ لو كان أحدهما لازما لما عادوا الى الصعود (قوله و يدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك الى آخره) أى يدل على ان المراد بمن خلقنا ما ذكرنا لا الامم المتقدمة عليهم اطلاق خلقنا وكذا يدل عليه مجىء هذا الكلام بعد ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما (قوله وأن المراد الى آخره) أى ولان المراد من هذا الكلام اثبات المعاد وهم كانوا ينكرون

كلام آخر كما قال صاحب المغنى فى قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا ان بل هذه حرف ابتداء لاعاطفة (قوله فقدموا الظرف وكرروا الهمزة الى آخره) فتقديم الظرف يدل على خصوص استنكاره فى هذا الوقت وهو وقت الموت وصيرورتهم الى التراب والعظام وتكرير الهمزة الانكارية مبالغة فى لانكار (قوله أى اذا كان كذلك الى آخره) أى اذا كان البعث بقدرتنا فالبعثة زجرة واحدة لاحاجة الى تعدد وتدريج كما هو شأنه فى تكوين الاشياء (قوله كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة) أى ليس المراد من أزواج الذين ظلموا ما يكون بينهن و بينهم نكاح بل المراد الاصناف الذين لهم مقارنة مع أصناف فكل صنف يذكر مع صنف آخر زوج له فان الازواج الثلاثة المذكورة فى القرآن وهم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون أزواج بهذا المعنى (قوله والواو لاتوجب الترتيب) أى لايفهم منه ان الوقوف للسؤال بعد الهداية الى صراط الجحيم بل يجوز أن يكون قبله (قوله توبيخ الى آخره) المراد من التوبيخ التخويف وهذا الكلام فيه تخويف لوقوع العذاب عليهم وتعريض لما عملوا فى الدنيا من قبائح الاعمال وتناصرهم فيها والتقريع ظاهر

وتقريره ان استحالة ذلك اما العدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعدوقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم أن يجوزوا اعادتهم كذلك واما العدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على مالايعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدؤهم أولا وقدرته ذاتية لاتتغير (بل عجبت) من قدرة الله تعالى وانكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء أى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول أى قل يامحمد بل عجبت (واذا ذكروا لايذكرون) واذا وعظوا بشئ لايتعظون به أو اذا ذكر لهم مايدل على صحة الحشر لاينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم (واذا رأوا آية) معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون مايرونه (الاسحر مبين) ظاهر سحريته (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أصله أنبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بأن البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة أشد استنكارا فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائى و يعقوب بطرح الثانية (أو آباؤنا الاولون) عطف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد (قل نعم وأنتم داخرون) صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال أى الله أو الرسول وقرأ الكسائى وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) جواب شرط مقدر أى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة أى صيحة واحدة وهى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وأمرها فى الاعادة كأمر كن فى الابداء ولذلك رتب عليها (فاذاهم ينظرون) فاذاهم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون مايفعل بهم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) اليوم الذى نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسئ (احشروا الذين ظلموا) أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم (وأزواجهم) وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أو نساءهم اللاتى على دينهم أو قرناءهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على أن الذين ظلموا هم المشركون (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فعرفوهم طريقها ليسلكوها (وقفوهم) احبسوهم فى الموقف (انهم مسؤلون) عن عقائدهم وأعمالهم والواو لاتوجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم متعددا (مالكم لاتناصرون) لاينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع (بل

هم

(قوله للتوبيخ) المراد من هذا التوبيخ اللوم (قوله فمن أغواهم) أى فمن أغوى الغاوين الاولين كقوله عليه السلام فمن

هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأيمنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أو عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) أجابهم الرؤساء أولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى أنفسهم وثانيا بأنهم ما أجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين) ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان أمرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية مافعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فأحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه ايماء بأن غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن أغواهم (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين لقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى عن كلمة التوحيد أو على من يدعوهم اليه (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم بأن ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون (انكم لذائقو العذاب الاليم) بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) الا مثل ماعملتم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع الا أن يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار (أولئك لهم رزق معلوم) خصائصه من الدوام أو تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله (فواكه) فان الفاكهة مايقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة (وهم مكرمون) فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا (فى جنات النعيم) فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن فى مكرمون أو خبر ثان لأولئك وكذلك (على سرر) يحتمل الحال والخبر فيكون (متقابلين) حالا من المستكن فيه أو فى مكرمون وأن يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر أو خمر كقوله * وكأس شربت على لذة * (من معين) من شراب معين أو نهر معين أى ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء أو للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله (بيضاء لذة للشاربين) وهما أيضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة أو لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

(لا فيها غول) غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا أفسده ومنه الغول (ولاهم عنها

أعدى الاول (قوله على الاصل) عطف على تقدير النون أى قرئ بنصب العذاب واظهار النون وهو لذائقون العذاب الاليم (قوله والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار) أى هو أيضا باعتبار المماثلة اذ المعنى لكن عباد الله المخلصين ليس جزاؤهم بالمثل بل بالامثال (قوله فكانت أرزاقهم فواكه خالصة) فيه بحث فانه تعالى قال فى سورة الواقعة فى صفة السابقين ان لهم فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون فلم يكن رزقهم فواكه خالصة والجواب أن المراد من الفاكهة ههنا مايقصد للتلذذ دون التغذى ولحم الطير الحاصل لهم فى الجنة كذلك اذ لا تحتاج أبدانهم الى الغذاء لعدم التحلل كما ذكره وأما الفاكهة المذكورة فى الواقعة فهو مايشبه الفواكه فى الدنيا بوجه ويكون المقابل للحم فلا اشكال حينئذ (قوله فيكون حالا) أى متقابلين حالا من الضمير المذكور (قوله كالماء) وهو كونها مبصرة فان ابصار الاشربة مطلوب وكذا البياض من جملة الكمال لان ماهو أبيض كان أصفى (قوله الصرخدى) شراب منسوب الى الصرخد وهو أرض بالشام

ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله أفرده بالنفى وعطفه على مايعمه لانه من عظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم فى الواقعة من أنزف الشارب اذا نفد عقله أو شرابه وأصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن (عين) نجل العيون جمع عيناء (كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه أحسن ألوان الابدان (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف عليهم أى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

ومابقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه ألذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وماجرى لهم وعليهم فى الدنيا (قال قائل منهم) فى مكالمتهم (انى كان لى قرين) جليس فى الدنيا (يقول أئنك لمن المصدقين) يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء (قال) أى ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن أبى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان أدب المجالسة يمنع الاستبداد به أو خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الآمرون الخير والفاعلونه * أو شبه اسم الفاعل بالمضارع (فاطلع) عليهم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) وسطه (قال تالله ان كدت لتردين) لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فيها (أفما نحن بميتين) عطف على محذوف أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع (وما نحن بمعذبين) كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله أو تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (ان هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ماهم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الامرين (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على التمييز والحال وفى ذكره دلالة على أن ماذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة مايقام للنازل ولهم وراء ذلك ماتقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار و يلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه فى الشكل أو الطلوع من الشجر (كأنه رؤس الشياطين) فى تناهى القبح والهول وهو

(قوله نجل) بالتحريك سعة شق العين (قوله سبب اطلاعه) فيكون اطلاعه بمنزلة الاطلاع بتشديد الطاء فيكون المعنى يا ملائكة الله هل أنتم مطالعى على حال قرينى فاطلع أنا عليه (قوله على وضع المتصل الى آخره) أى الاصل أن يقال فقال هل أنتم مطلعون اياى فعدل عنه الى مطلعونى (قوله أو معاودة) بالرفع معطوف على قوله تمام كلامه (قوله يحتمل الامرين) أى يحتمل أن يكون من كلامهم وان يكون كلام الله (قوله طلعها حملها) الحمل بالفتح ما كان فى بطن أو على رأس شجرة (قوله ولعلها) أى لعل الحيات سميت بالشياطين لقبح المنظر لانها فى الاصل موضوعة لها

تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أو من طلعها (فمالؤن منها البطون) لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها (ثم ان لهم عليها) أى بعد ماشبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لمافى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم مايشاب به والاول مصدر سمى به (ثم ان مرجعهم) مصيرهم (لالى الجحيم) الى دركاتها أو الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك (أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء أنذروهم من العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الشدة والفظاعة (الاعباد الله المخلصين) الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح أى الذين أخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم (ولقد نادانا نوح) شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها أى ولقد دعانا حين أيس من قومه (فلنعم المجيبون) أى فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ماحذف لقيام مايدل عليه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الغرق أو أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وأزواجهم (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم (سلام على نوح) هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء (فى العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لمافعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة أمره (ثم أغرقنا الآخرين) يعنى كفار قومه (وان من شيعته) ممن شايعه فى الايمان وأصول الشريعة (لابراهيم) ولايبعد اتفاق شرعيهما فى الفروع أو غالبا وكان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) متعلق بمافى الشيعة من معنى المشايعة أو بمحذوف هو اذكر (بقلب سليم) من آفات القلوب أو من العلائق خالص لله أو مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء بربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو سليم (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم أن يقرر أنهم على الباطل ومبنى أمرهم على الافك ويجوز أن يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك فى نفسها للمبالغة أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف أو حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره أو أمنتم من عذابه والمعنى انكار مايوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته أو يجوز الاشراك به أو يقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ماقبله (فنظر

(قوله جيء به على الحكاية) أى تركنا عليه فى الآخرين هذا القول وهو سلام على نوح (قوله متعلق بالجار والمجرور) أى بيان وله فائدة اذ الآخرون يمكن أن يفهم منه الاناث الآخرون فلا يعم الملائكة والجن واذا قيل فى العالمين علم عموم سلامه فى جميع العالمين (قوله من السليم بمعنى اللديغ) أى السليم فى الاصل بمعنى اللديغ استعمل ههنا فى لازمه الذى هو الحزن (قوله فقدم المفعول للعناية) أى قدم المفعول به وهو الهة للعناية ثم قدم المفعول له وهو افكا على المفعول به للاهتمام

نظرة فى النجوم) فرأى مواقعها واتصالاتها أوفى علمها أوفى كتابها ولا منع منه مع أن قصده ايهامهم وذلك حين سألوه أن يعيد معهم (فقال انى سقيم) أراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على أنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى أو أراد انى سقيم القلب لكفركم أوخارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه أو بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

(فتولوا عنه مدبرين) هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة (فقال) أى للاصنام استهزاء (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى كان عندهم (مالكم لا تنطقون) بجوابى (فراغ عليهم) فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه (ضربا باليمين) مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم أو لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد مارجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من أزفه أى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون أى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه (قال أتعبدون ماتنحتون) ماتنحتونه من الاصنام (والله خلقكم وماتعملون) أى وماتعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من أعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه مايتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد أو عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ماتنحتون أوانه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الاعمال ولهم أن يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف أو مجاز (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة أى جحيم ذلك البنيان (فأرادوا به كيدا) فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) الى حيث أمرنى ربى وهو الشام أو حيث أتجرد فيه لعبادته (سيهدين) الى مافيه صلاح دينى أو الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده أولفرط توكله أو البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلاة والسلام حين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله (فبشرناه بغلام حليم) بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما وأى حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) أى فلما وجد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل فى الرفق والاستصلاح

(قوله على انه مشارف للسقم) انما فسره بذلك لان السقم بالفعل لاحاجة له الى الاستدلال بالنظر فى النجوم (قوله لئلا يخرجوه) أى كلامه المذكور وان كان غير مطابق للواقع لكن فيه مصلحة توجب حسنه (قوله أو أراد الى آخره) على هذه التقادير خرج عن الكذب قطعا لانها كلها أمور واقعة (قوله كفى بالسلامة داء) اذ السلامة بعدها الموت (قوله لما فيهما من حذف أو مجاز) فعلى الاول وهو أن يكون ماموصولا يلزم الحذف وهو الضمير وعلى الثانى وهو أن يكون ما مصدرية والعمل بمعنى المعمول يلزم المجاز

له فلا يستعصيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة (قال يابنى) وقرأ
حفص بفتح الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أنه رأى ذلك وانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه
رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح روى أنه من الله أو من الشيطان
فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا
سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام لانه الذى
وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة
والسلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله فان جده عبد المطلب نذر أن يذبح
ولدا ان سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل أقرع فخرج السهم على عبد الله
ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة
حتى احترقا معها فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب
أشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل
الله فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وماروى أن
يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء فيهما (فانظر
ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع
ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة
والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وأبو عمرو يميل فتحة الراء
وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها (قال ياأبت) وقرأ ابن عامر بفتح التاء (افعل ماتؤمر)
أى ماتؤمر به فحذفا دفعة أو على الترتيب كما عرفت أو أمرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور
أو لعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مامورا به أو علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون
عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال أدل على كمال الانقياد
والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على
الذبح أو على قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء (فلما أسلما) استسلما لامر الله أو سلما الذبيح نفسه
وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما وأصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من أن ينازع فيه (وتله
للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو أحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه
باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى أو فى الموضع المشرف على مسجده
أو المنحر الذى ينحر فيه اليوم (وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم والاتيان بالمقدمات
وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ماكان مما
ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم
الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به
من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله ياأبت افعل ماتؤمر
ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة
الصعوبة فانه لا أصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) عظيم الجثة سمين
أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة

(قوله والباقون بفتحها) أى الباقون بفتح الباء وأبو عمرو بفتحها ويميل الى آخره وانما ذكر بصيغة المضارع لكون صيغة المضارع دالة على الاستمرار (قوله وقد قرئ بهما) أى قرئ استسلما وسلما (قوله وتله للجبين) وتله لوصول الجبين الى الارض كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان سجدا (قوله بالعزم الى آخره) يعنى أن المقصود من الامر المذكور العزم لا قطع الحلق وزهوق الروح اذ هما ليسا فى قدرة ابراهيم وانما هما بقدرة الله تعالى فالمقصود من أمر الله ابراهيم هو ما ذكر من المقدمات

(قوله على التجوز فى الفداء أو الاسناد) أما التجوز فى الفداء فلان الفداء هو التخليص عن الذبح بعوض ولا يخفى ان المراد من الذبح ههنا امرار السكين على الحلق ومقدمات الذبح لا الذبح الحقيقى لانه لا قدرة لابراهيم عليه والذبح بهذا المعنى قد حصل فالفداء لا يكون بمعناه الحقيقى وأما التجوز فى الاسناد فلما ذكر من ان الفادى حقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفى بعض النسخ على التجوز فى الفداء والاسناد ووجهه انه لما كان الله تعالى هو المعطى له والآمر به يمكن ان يتجوز

وقيل وعلا أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما قال وفديناه لان الله المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء أو الاسناد واستدل به الحنفية على أن من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم) سبق بيانه فى قصة نوح عليه السلام (كذلك نجزى المحسنين) لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) بان أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو الى نفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له فى الهدى والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب (ولقد مننا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون أو الغرق (ونصرناهم) ثم الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق والصواب (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) سبق مثل ذلك (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين سبط هرون أخى موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفى حرف أبى رضى الله عنه وان ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أتعبدونه أو أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادته وقد أشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى العذاب وانما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة أو لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين)

فى الفداء فيقال فديناه بمعنى خلصناه وان يجعل الفداء بمعناه ويجعل الاسناد مجازيا وتوضيح الغرض ان يقال يمكن ان يكون فى علم الله انه لولم يفد اسماعيل بالذبح المذكور لوقع الذبح حقيقة عليه ففداؤه تخليصه عن الذبح هذا كما اذا كان الفداء هو التخليص عن الذبح بعوض كما قاله صاحب الكشاف وأما اذا فسر بجعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر فالفداء عنه بالذبح حقيقة لانه تخليص عن الضرر به بدل (قوله وليس فيه ما يدل عليه) لان ابراهيم أمر بذبح الولد ثم أمر بذبح الشاة عوضا عن ابنه فكلاهما من أمر الله تعالى لكن النذر بشئ يكون من الشخص نفسه ولا ينعقد لانه حرام فلا يجبر بعوض (قوله بل الشرط الخ) وههنا كذلك لان تعلق البشارة باسحق للاعتبار والمقصود بالنبوة والصلاح وهو كونهما مقدرين مقضيين والبشارة مقترنة بتقديرهما وقضائهما وان لم يكن اسحاق موجودا (قوله ولا حاجة الى تقدير مضاف) هذا رد على الكشاف حيث قدر ما ذكر لتصحيح الكلام (قوله ومن فسر الغلام) أى الغلام فى قوله تعالى وبشرناه بغلام حليم باسحاق الخ أى من قال ان الآيات المتقدمة فى بيان حال اسحاق وكونه ذبيحا فسر البشارة باسحاق بالبشارة بنبوته (قوله وايماء بانه الغاية لها) أى الصلاح غاية النبوة لان المقصود منها الكمال والتكميل وكلاهما صلاح

مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ال ياسين) لغة فى الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام أو للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر و يعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس وقيل محمد عليه الصلاة والسلام أو القرآن أو غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اذ الظاهر أن الضمير لالياس (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين) سبق بيانه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم فى متاجركم الى الشأم فان سدوم فى طريقه (مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء (أفلا تعقلون) أفليس فيكم عقل تعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين) وقرئ بكسر النون (اذ أبق) هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة أوآت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب (فلولا أنه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ بيده عند الضراء (فنبذناه) بان حملنا الحوت على لفظه (بالعراء) بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس و يسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أى فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه و يدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وأفطر على ثماره (وأرسلناه الى مائة ألف) هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله أو ارسال ثان اليهم أو الى غيرهم (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا نظر اليهم قال هم مائة ألف أو يزيدون والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) فصدقوه أو جددوا الايمان به بمحضره (فمتعناهم الى حين) الى أجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما و بين أرباب الشرائع الكبر وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا

(قوله لفساد المعنى) لانه اذا لم يستثن شئ من واو كذبوا كان كلهم مكذبين فليس فيهم عبد مخلص فضلا عن الخالصين (قوله أو للمنسوب اليه) عطف على قوله له (قوله وقيل محمد الخ) أى المراد من ياسين محمد أو غيره وهذه المعانى لا تناسب سائر القصص اذ فيها السلام على نبى ذكر قصته وههنا على التقادير المذكورة ليس الامر كذلك (قوله فى مرأى الناظر الخ) أى المعنى أرسلناه الى جماعة اذا رآهم الرائى الخ

(قوله ثم أمر باستفتائهم الخ) ووجه تفريع هذا الاستفتاء على ما ذكر فى أول السورة انه لما وصف الله تعالى بصفات كاملة تنافى ما اعتقد هؤلاء الضالون ناسب ان يأمر النبى باستفتائهم عن ذلك الاعتقاد الزائغ (قوله على الآخرين) وهما التفضيل المذكور ووصف الملائكة بالانوثة وانما كان القصر عليهما لاختصاص قريش بالامرين المذكورين لان غيرهم لم يجعل التقسيم المذكور ولم يؤنث الملائكة وأما التجسم والولادة فغيرهم أيضا يثبتونهما (قوله حيث جعل المعادل الخ) أى فساد هما مما تدركه العامة لان المعادل للقسمة المذكورة التى تنكرها الطبائع مشاهدة خلق الملائكة متصفة بالانوثة وهو أيضا مما تنكره الطباع لان بطلانه فى غاية الظهور (قوله أو الاشعار الخ) الاولى ان يقال والاشعار لان التركيب المذكور يتضمنهما معا ولذا قال الزمخشرى فان قلت لم قال تعالى وهم شاهدون محض علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل (قوله ذكرهم باسم جنسهم) هذا باعتبار اجتنانهم واستتارهم عن الاعين فان الملائكة كالجن مجتنين مستترين فالاجتنان جنس يشملهما أو باعتبار ما قالوه ان الملائكة وغيرهم من الجن جنس واحد من خبث من الجن وتمرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وضعا منهم وتقصيرا وان كانوا مطمئنين فى أنفسهم (قوله ان فسرت بغير الملائكة) أى ان فسرت الجنة بغير الملائكة بل بالشياطين فان الشياطين عالمون بان الله تعالى يحضرهم فى العذاب (قوله ان فسر الضمير بما يعمهم) أى فسر ضميرانهم بما يعم المخلصين والمعنى انهم أى المحضرين الا عباد الله المخلصين أو تقدس الله عما يصفه العباد به الا عباد الله المخلصين (قوله ما أنتم عليه) أى على الله كذا فى الكشاف ثم قال ومعناه انهم يفسدون الناس على الله باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته (قوله بباعثين على طريق الفتنة الخ) أى ما أنتم بباعثين حاملين عباد الله على عبادة ما يعبدون الا ضالا

بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أو لان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وانما خص علم المشاهدة لان أمثال ذلك لا تعلم الا بها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء أخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها أو على الاثبات باضمار القول أى لكاذبون فى قولهم اصطفى أو ابداله من ولد الله (ما لكم كيف تحكمون) بما لا يرتضيه عقل (أفلا تذكرون) أنه منزه عن ذلك (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشياطين اخوان (ولقد علمت الجنة انهم) ان الكفرة أو الانس أو الجن ان فسرت بغير الملائكة (لمحضرون) فى العذاب (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب (الا عباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين منقطع أو متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض أو من يصفون (فانكم وما تعبدون) عود الى خطابهم (ما أنتم عليه) على الله (بفاتنين) مفسدين الناس بالاغواء (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق فى علمه أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة وأنتم ضميرهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر أى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين أو تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك أو المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ما باليت به بالة فان أصلها بالية

كعافية (ومامنا الاله مقام معلوم) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ومامنا أحد الاله مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى أمر الله فى تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وماقبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة أن المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا المشركين بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لايتجاوزونها لحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانالنحن الصافون) فى أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانالنحن المسبحون) المنزهون الله عما لايليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعة وهذا فى المعارف ومافى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين والمعنى ومامنا الاله مقام معلوم فى الجنة أو بين يدى الله يوم القيامة وانالنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء (وان كانواليقولون) أى مشركو اقريش (لوأن عندنا ذكرامن الاولين) كتابا من الكتب التى نزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (فكفروا به) أى لما جاءهم الذكر الذى هو أشرف الاذكار والمهيمن عليها (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على ماينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قدامه (فسوف يبصرون) ماقضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لاللتبعيد (أفبعذابنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت (فاذا نزل بساحتهم) فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل أى العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وأنهم يبصرون مالايحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أو الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه على ماحكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذلاعزة الاله أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد (وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) على ماأفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله * وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

(قوله والمقضى بالذات) أى المقضى بالذات هو غلبة أجند الله ولو وقع غلبة غيرهم نادرا لكان أمرا واقعا بالعرض لاجل غرض آخر لا لانه مقصود بالذات (قوله صباحهم) فان قيل مافائدة صباحهم قلنا فائدته تاكيد الذم بساحتهم (قوله واطلاق بعد تقييد) لانه ذكر فى الاول أبصر مقيدا بالمفعول الذى هو هم

﴿سورة ص﴾ (قوله وان جعل ص اسم حرف) لايخفى انه اذا جعل اسم حرف لابد ان يكون ذكره لفائدة وليس للتحدى لانه جعل مذكورا بعده باو فتكون فائدته التنبيه على الاعجاز لان النطق باسماء الحروف من الأمى الذى لم يخالط الكتاب ولم يتعلم غريب خارق للعادة وقد صرح به المصنف فى تفسير الم وعلى هذا لامحل له من الاعراب (قوله أى انه لمعجز الخ) هذا بالنظر الى الدلالة الاولى والآخران بالنظر الى الدلالة الثانية

لانه اذا كان مأمورا بالمعادلة لزم وجوب العمل بالقرآن ولزم صدق النبى صلى الله عليه وسلم لان القرآن ناه عن الدعاوى الكاذبة فيه لاسيما النبوة أو يقال ان الجواب الاول مخصوص بالدلالة الاولى والثانى بالثانية والثالث مشترك بينهما (قوله وعلى الاولين الخ) هما قوله مادل عليه التحدى أو الامر بالمعادلة وقوله من حيث اشعاره بذلك أى من حيث اشعار الجواب أى مايدل عليه التحدى أو الامر بالمعادلة بما ذكر وهو قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده اذ لو لم يكن كذلك لم يحصل الربط بين الكلامين (قوله تنزيلا لما أضيف اليه الظرف) أى مناص المتأخر الذى أضيف اليه الحين منزلة قطع الحين الذى هو الظرف عن الاضافة (قوله لما بينهما من الاتحاد) أى لما بينهما من الملابسة والعلاقة وفى عبارته قلاقة وتقرير الكشاف انه نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا عن المحذوف و بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن (قوله لاضافته الى غير متمكن) أى لاضافة الحين الى غير متمكن الذى هو الضمير المضاف اليه المناص لان المضاف اليه الظرف كالظرف كما قال فكان الظرف مضاف الى غير متمكن هو الضمير المحذوف فبنى على الكسر لجعله كالمضاف اليه الذى هو مكسور وان كان المناص الذى هو مضاف حقيقة الى الضمير لم يكن مبنيا وذلك لان فى الظروف نقصا مافى الاسمية

﴿سورة ص مكية وآيها ست وثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه أمر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول أى عارض القرآن بعملك و بالفتح لذلك أو لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه أو اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة و بالجر والتنوين على تأويل الكتاب (والقرآن ذى الذكر) الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف أو مذكورا للتحدى أو للرمز بكلام مثل صدق محمد عليه الصلاة والسلام أو للسورة خبر المحذوف أو لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به كقولهم الله لافعلن بالجر والجواب محذوف دل عليه مافى ص من الدلالة على التحدى أو الامر بالمعادلة أى انه لمعجز أو لواجب العمل به أو ان محمدا الصادق أو قوله (بل الذين كفروا) أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به (فى عزة) أى استكبار عن الحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة أو الشرف والشهرة أو ذكر مايحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة أى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا (فنادوا) استغاثة أو توبة او استغفارا (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف أحد المعمولين وقيل هى النافية للجنس أى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره أى ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أو مبتدأ محذوف الخبر أى ليس حين مناص حاصلا لهم أو لا حين مناص كائن لهم و بالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات أوان * فاجبنا أن لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى قوله * لولاك هذا العام لم أحجج * أو لان أوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ أصله أوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما أضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ أصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ولا يرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله

العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون زمان مامن مطعم

والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) بشر مثلهم أو أمى من عدادهم

عدادهم (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقوله على الله تعالى (أجعل الآلهة الها واحدا) بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد (ان هذا الشئ عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو أبلغ ككرام وكرام وروى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ماذا يسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) وانطلق أشراف قريش من مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن امشوا) قائلين بعضهم لبعض امشوا (واصبروا) واثبتوا (على آلهتكم) على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأن هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت أولادها ومنه الماشية أى اجتمعوا وقرئ بغير أن وقرئ يمشون أن اصبروا (ان هذا الشئ يراد) ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له أو ان هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرئاسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى أو يريده كل أحد أو ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم (ما سمعنا بهذا) بالذى يقوله (فى الملة الآخرة) فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا أو فى ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز أن يكون حالا من هذا أى ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم أو أدون منهم فى الشرف والرئاسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن أو الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز أى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له أن يهب كل ما شاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) كأنه لما أنكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لا نهاية لها أردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى أمر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها أسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) أى

وشبها بالحرفية (قوله تعالى بل هم فى شك من ذكرى) اضراب عن مقدر فكأنه قال انكارهم للذكر المذكور ليس عن علم بل هم فى شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) بل هنا للانتقال من غرض الى آخر (قوله وهو لا يلائم ما بعده) لان العظمة لا تلائم المهزومية

هم جندما من الكفار المتحز بين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية أوفلاتكترث بما يقولون ومامزيدة للتقليل كقولك أكلت شيأ ماوقيل للتعظيم على الهزء وهولايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) ذوالملك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده أوذوالجموع الكثيرة سموابذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سواروكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها و يضرب عليها أوتادا و يتركه حتى يموت (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة) وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة (أولئك الاحزاب) يعنى المتحز بين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم (ان كل الا كذب الرسل) بيان لما أسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على أنواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه (فحق عقاب) وهو اما مقابلة الجمع بالجمع أوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم (وماينظر هؤلاء) ومايتتظر قومك أوالاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أوحضورهم فى علم الله تعالى (الاصيحة واحدة) هى النفخة الاولى (مالها من فواق) من توقف مقدار فواق وهو مابين الحلبتين أورجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنا به أوالجنة التى تعدها للمؤمنين وهو من قطه اذاقطعه وقيل لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أى عجل لنا صحيفة أعمالنا للنظر فيها (قبل يوم الحساب) استعجلوا ذلك استهزاء (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود) واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى أعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما أتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفرر به وأناب فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أوتذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلقاك مالقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه أدنى اهمال (ذا الايد) ذا القوة يقال فلان أيد وذوأيد وآد وأياد بمعنى (انه أواب) رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل للايد ودليل على أن المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما و يفطر يوما و يقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) قدمر تفسيره و يسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال (بالعشى والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء و يصفو شعاعها وهو وقت الضحا وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانىء رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحا وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحا الا بهذه الآية (والطير محشورة) اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة أدل على القدرة منه مدرجا وقرىء والطير محشورة بالمبتدا والخبر (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه و بين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة عليها أوكل منهما ومن داود عليه السلام مرجع لله التسبيح (وشددنا ملكه) وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرىء بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى اليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال صدقت انى

(قوله وهو امامقابلة الجمع بالجمع الخ) يعنى فى قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل معناه ان كلهم أى مجموعهم الا كذب الرسل فالمكذبون مقابلون للرسل أو يكون معناه ان كل واحد الا كذب الرسل فيكون تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وانما قال ذلك لان كل واحد من المكذبين ليس فى زمان جميع الرسل فيكون تكذيبه لجميعهم باعتبار أن تكذيب واحد منهم يؤل الى تكذيب جميعهم (قوله أوالجنة التى الخ) قال صاحب الكشاف قالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها (قوله وانما لم يراع الخ) أى لم يجعل يسبحن فى الاول بلفظ الفعل حالا وههنا بصيغة الاسم الا لان المحشور يدل على وجود الطير مجموعة معا ولوقيل يحشرون لدل على الحشر تدريجا لدلالته على الزمان لكن الاول أدل على القدرة وفيه ان محشورة لاتدل على حشرها دفعة جملة كانه لاتدل على التدريج فتأمل

قتلت أباه وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته (وآتيناه الحكمة) النبوة أوكمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام المخلص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك أطلق على الجمع (اذ تسوروا المحراب) اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا أو بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وأن اسناد أتى اليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ الثانية فى (اذ دخلوا على داود) بدل من الاولى أو ظرف لتسوروا (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه عليه الصلاة والسلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة و يوما للقضاء و يوما للوعظ و يوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان فى يوم الخلوة (قالوا لا تخف خصمان) نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط أى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد (واهدنا الى سواء الصراط) أى الى وسطه وهو العدل (ان هذا أخى) بالدين أو بالصحبة (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض أبلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء لى نعجة (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ماتحت يدى وقيل اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى فى الخطاب) وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أوفى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى أى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه أو على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط (ليبغى) ليتعدى (بعضهم على بعض) وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) أى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم (وظن داود أنما فتناه) ابتليناه بالذنب أو امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه أو خر للسجود راكعا أى مصليا كأنه أحرم بركعتى الاستغفار (وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وأقصى مافى هذه القضية الاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ود أن يكون له مالغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه وماروى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى

(قوله على تسمية صاحب الخصم خصما) دفع سؤال هو أن القرآن كما سيجىء دال على أن الاختصام بين اثنين من الملائكة وقالوا لا تخف يدل على الاختصام بين الجمع فاجاب بان الاختصام بين اثنين لكن جعل مصاحب الخصم خصما (قوله وهو على الفرض الخ) يعنى أن صورة القصة يدل على الكذب فكيف صدر من الملائكة فاجاب بانه على سبيل الفرض يعنى أن مقصودهم انه لو فرض انه بغى بعضنا على بعض بالطريق المذكور كيف تحكم ههنا وأيضا الغرض التعريض لداود لا الكذب (قوله وعزنى على تخفيف) أى تخفيف الزاى فى عزنى وهو تخفيف غريب (قوله كأنه أحرم بركعتى الاستغفار) عبارة الكشاف وأحرم بركعتى الاستغفار والانابة ولفظ كأن للظن يفيد أن الظاهر انه أحرم بركعتى الاستغفار وان أمكن أن يحرم بهما بل صلى ركعتين واستغفر أيضا

الانصار المهاجرين بهذا المعنى وماقيل انه أرسل أوريا الى الجهاد مرارا وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل انّ قوما قصدوا أن يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وأراد أن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما همّ به وأناب (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه (وان له عندنا لزلفى) لقربة بعد المغفرة (وحسن مآب) مرجع فى الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) استخلفناك على الملك فيها أوجعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله (ولا تتبع الهوى) ما تهوى النفس وهو يؤيد ماقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسئلته (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى نصبها على الحق (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) خلقا باطلا لا حكمة فيه أوذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين أوللباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيأ (ذلك ظن الذين كفروا) الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) أم منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله (أم نجعل المتقين كالفجار) كأنه أنكر التسوية أولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز أن يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما أن يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس مايقتضى الحكمة فيه أوفى غيرها وذلك يستدعى أن يكون لهم حالة أخرى يجازون فيها (كتاب أنزلناه اليك مبارك) نفاع وقرئ بالنصب على الحال (ليدبروا آياته) ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا أى أنت وعلماء أمتك (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ به ذوو العقول السليمة أوليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى مايستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أى نعم العبد سليمان اذ مابعده تعليل للمدح وهو من حاله (انه أواب) رجاع الى الله بالتوبة أوالى التسبيح مرجع له (اذعرض عليه) ظرف لاواب أولنعم والضمير لسليمان عند الجمهور (بالعشىّ) بعد الظهر (الصافنات) الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يدأو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل الذى لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص (الجياد) جمع جواد أوجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود فى الركض وقيل جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أوعن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أصل أحببت أن يعدى بعلى لانه بمعنى

(قوله مثل هنيئا) فان هنيئا مشتق وضع موضع المصدر فى قوله تعالى فكلوه هنيئا بان يكون هنيئا مصدر الفعل محذوف وكأنه قيل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لمتابعة الهوى (قوله ولتدبروا الخ) أى قرئ بصيغة الخطاب بتغليب الخطاب على الغيبة

آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله * مثل بعير السوء اذا أحبا * أى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته و يحتمل انه سماها خير التعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء (حتى توارت بالحجاب) أى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها (ردوها على) الضمير للصافنات (فطفق مسحا) فأخذ يمسح السيف مسحا (بالسوق والاعناق) أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو المضمة ماقبلها كمؤقن وعن أبى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) وأظهر ماقيل فيه ماروى مرفوعا أنه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحاب فما شعر به الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له أم ولد اسمها أمينة اذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها الطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوما عدد ماعبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال أهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى أو لا ينبغى لاحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء (انك أنت الوهاب) المعطى ماتشاء لمن تشاء (فسخرنا له الريح) فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح (تجرى بامره رخاء) لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد (حيث أصاب) أراد من قولهم أصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل منه (وآخرين مقرنين فى الاصفاد) عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى و يمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو

(قوله بالسؤوق) قال فى الكشاف وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما فى أدؤر ونظيره الغؤر من مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسوق فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما فى موسى قال الطيبى قوله وقرئ بالسؤوق على وزن فعول (قوله وأظهر الاقاويل الخ) هذا تقرير ناقص اذ لا يفهم منه معنى القاء الجسد على كرسيه والوجه ماذكره الطيبى انه روى أن الجسد الملقى على كرسيه هو شق الرجل لانه جاءت القابلة وألقته على كرسيه ورأيت فى بعض التفاسير ان هذا هو الذى ذهب اليه العلماء المتقنون (قوله فيكون منافسة) أى ليس مراده عليه السلام مجرد عدم حصول مثل ملكه لغيره حتى يكون منافسة وحسدا بل غرضه أحد الامور المذكورة

القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط به المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس وعدوأوعد وفى ذلك نكتة (هذا عطاؤنا) أى هذا الذى أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يسلط به غيرك عطاؤنا (فامنن أوأمسك) فاعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن فى الامر أى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد (وان له عندنا لزلفى) فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا (وحسن مآب) هو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب صلوات الله عليه (اذنادى ربه) بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له (أنى مسنى) بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها فى الوصل (الشيطان بنصب) بتعب (وعذاب) ألم وهى حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولاهى لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أولسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أولانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أولان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد و بضمتين للتثقيل (اركض برجلك) حكاية لما أجيب به أى اضرب برجلك الارض (هذا مغتسل بارد وشراب) أى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أى ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة و باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (ووهبنا له أهله) بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم أوأحييناهم بعد موتهم وقيل وهبناله مثلهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) لرحمتنا عليه (وذكرى لاولى الالباب) وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله فيما يحيق بهم (وخذ بيدك ضغثا) عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) روى أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة أن يفتنه أوقومه فى الدين (نعم العبد) أيوب (انه أواب) مقبل بشراشره على الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و يعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع أوعلى أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق و يعقوب عطف عليه (أولى الايدى والابصار) أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أوالى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان أكثرها بمباشرتها و بالابصار عن المعارف لانها أقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة (انا أخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى (ذكرى الدار) تذكرهم الدار الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون و يذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر وأضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان أو لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أوخير على تخفيفه

(قوله وفى ذلك نكتة) هى أن باب الافعال قد يجىء للازالة نحو أشكيته بمعنى أزلت شكايته فلما كان الصفد متضمنا للقيد الذى هو شر ناسب أن يكون أصفد للاعطاء الذى هو مستلزم لازالة القيد ولما كان وعد للاعلى الخير ناسب أن يكون أوعد للانذار الدال على ازالة الخير (قوله ذلك) أى الشكوى الى الله خيفة أن يفتنه الشيطان أوقومه

تخفيفه كاموات فى جمع ميت أوميت (واذكر اسمعيل واليسع) هو ابن اخطوب استخلفه
الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا *
وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع (وذا الكفل) ابن عم يسع
أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم
وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من
الاخيار هذا) اشارة الى ما تقدم من أمورهم (ذكر) شرف لهم أونوع من الذكر وهو
القرآن ثم شرع فى بيان ما أعد لهم ولامثالهم فقال (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع
(جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد
الرحمن عباده بالغيب وانتصب عنها (مفتحة لهم الابواب) على الحال والعامل فيها مافى
المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أوأنهما خبران لمحذوف
(متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) حالان متعاقبان أومتداخلان من الضمير فى
لهم لامن المتقين للفصل والاظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من
ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولاتحلل ثمة
(وعندهم قاصرات الطرف) لاينظرون الى غيرأزواجهن (أتراب) لذات لهم فان التحاب بين
الاقران أثبت أو بعضهن لبعض لاعجوز فيهن ولاصبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت
واحد (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بالياء ليوافق ماقبله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع (هذا) أى الامر هذا أوهذا
كماذكر أوخذ هذا (وان للطاغين لشر مآب جهنم) اعرابه ماسبق (يصلونها) حال من جهنم
(فبئس المهاد) المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله
لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أى ليذوقوا هذا فليذوقوه أوالعذاب هذا فليذوقوه و يجوز أن
يكون مبتدأ وخبره (حميم وغساق) وهو على الاولين خبر محذوف أى هو حميم والغساق مايغسق
من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى غساق بتشديد
السين (وآخر) أى مذوق أوعذاب آخر وقرأ البصريان وأخرى أى ومذوقات أوأنواع عذاب
أخر (من شكله) من مثل هذا المذوق أوالعذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أو
للشراب الشامل للحميم والغساق أوللغساق وقرئ بالكسر وهو لغة (أزواج) أجناس خبر لآخر
أوصفة له أوللثلاثة أومرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية مايقال
للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها (لامرحبا بهم) دعاء من المتبوعين على أتباعهم أوصفة لفوج أوحال أى مقولا فيهم
لامرحبا أى ماأتوا بهم رحبا وسعة (انهم صالوا النار) داخلون النار بأعمالهم مثلنا (قالوا)
أى الاتباع للرؤساء (بل أنتم لامرحبا بكم) بل أنتم أحق بما قلتم أوقيل لنا لضلالكم واضلالكم
كما قالوا (أنتم قدمتموه لنا) قدمتم العذاب أوالصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ماقدمتموه من العقائد
الزائغة والاعمال القبيحة (فبئس القرار) فبئس المقر جهنم (قالوا) أى الاتباع أيضا (ربنا
من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) مضاعفا أى ذا ضعف وذلك أن يزيد على عذابه مثله
فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) أى الطاغوت (مالنا لانرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم و يسخرون بهم (أتخذناهم

(قوله كما فى قوله رأيت الخ) قال الرضى قد يعرف العلم بان يؤول بواحد من الجماعة المسماة به فيدخل فيه اللام كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا (قوله وقرأ حمزة الخ) قال فى الكشاف قرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع وقال كأن لانه يحتمل أن يكون اسما أعجميا فلذا أورد لفظ كأن المفيد للظن وأما ماذكره من التشبيه المذكور فلا يظهر وجهه (قوله مافى المتقين من معنى الفعل) فيكون فى الجار والمجرور فعل هو حصلت وفيه ضمير جنات عدن (قوله فانه يمسهم الخ) أى ولادتهم وسقوطهم على الارض ومس التراب لهم فى وقت واحد

سخريا) صفة أخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلا نراهم وأم معادلة لما لنا لا نرى على أن المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أليسوا ههنا أم زاغت عنهم أبصارنا أو لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى أى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على أنفسهم أومنقطعة والمراد الدلالة على أن استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالهم (ان ذلك) الذى حكيناه عنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال (تخاصم أهل النار) وهو بدل من لحق أوخبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك (قل) يامحمد للمشركين (انما أنا منذر) أنذركم عذاب الله (ومامن اله الا الله الواحد) الذى لايقبل الشركة والكثرة فى ذاته (القهار) لكل شئ يريد قهره (رب السموات والارض ومابينهما) منه خلقها واليه أمرها (العزيز) الذى لايغلب اذا عاقب (الغفار) الذى يغفر مايشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية مايشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار (قل هو) أى ماأنبأتكم به من أنى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد فى ألوهيته وقيل مابعده من نبأ آدم (نبأ عظيم أنتم عنه معرضون) لتمادى غفلتكم فان العاقل لايعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر وأما على النبوة فقوله (ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون) فان أخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ماورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لايتصور الا بالوحى واذ متعلق بعلم أو بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) أى لأنما كأنه لما جوز أن الوحى يأتيه بين بذلك ماهو المقصود به تحقيقا لقوله انما أنا منذر ويجوز أن يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على مامر فى البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ماهو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى عليه الصلاة والسلام بمثل ماحاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وأن يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة (فاذا سويته) عدلت خلقته (ونفخت فيه من روحى) وأحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته (فقعوا له) فخروا له (ساجدين) تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة أو كان منهم فى علم الله تعالى (قال ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) خلقته بنفسى من غير توسط كأب وأم والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم أو بانه الذى تشبث به فى تركه وهو لايصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض

الثانى معناه أى معنى اتخذناهم سخريا الندم على مافعلوا بالمؤمنين فكأنهم قالوا كنا على الباطل فى الاستسخار بهم بل زاغت أبصارنا وعلى ماقلنا فالمناسب أن تكون أم المنقطعة بمعنى بل فقط من غير اعتبار الهمزة فانها قد تكون بهذا المعنى كما ذكره صاحب المغنى (قوله وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد) لان خالق السموات والارض ونظامهما على الوجه الاصلح والاستقلال بالقهر والغفران يدل على التوحيد (قوله وتثنية مايشعر بالوعيد الخ) تثنية مايشعر به ذكر العزيز بعد ذكر القهار (قوله متعلق بعلم أو بمحذوف الخ) فيكون اذا ما متعلقا بعلم أو بكلام (قوله كأنه لما جوز الخ) أى علم من حاله صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه فكان الكافرين جوزوا الوحى واذا ثبت جوازه ناسب أن يقال باى شئ يوحى فقيل ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين (قوله ويجوز أن يرتفع الخ) يعنى لايلزم تقدير اللام فى انما بل ههنا احتمال آخر وهو كونه نائبا مناب فاعل يوحى (قوله على الحكاية) قال فى الكشاف معناه الا أن أقول لكم انما أنا نذير مبين سيما (قوله فان القصة الخ) أى انما كان مبينا له لان القصة المذكورة وهى قوله تعالى قال ربك للملائكة الخ مشتملة على تقاول الملائكة وابليس الخ غير انها اختصرت ولم يذكر حكاية تقاولهم بل اقتصر على ماوقع على ابليس لما ذكر

سماوله مزيد اختصاص (أستكبرت أم كنت من العالين) تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة أم عليها أو بمعنى الاخبار (قال أنا خير منه) ابداء للمانع وقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السماء أو من الصورة الملكية (فانك رجيم) مطرود من الرحمة ومحل الكرامة (وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) مر بيانه فى الحجر (قال فبعزتك) فبسلطانك وقهرك (لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين (قال فالحق والحق أقول) أى فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الاول اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقوله * ان عليك الله أن تبايعا * وجوابه (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ومابينهما اعتراض وهو على الأول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء أى الحق يمينى أو قسمى أو الخبر أى أنا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله * كله لم أصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتأكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرناه والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين تأكيد له أو للضميرين (قل ما أسألكم عليه من أجر) أى على القرآن أو تبليغ الوحى (وما أنا من المتكلفين) المتصفين بما ليسوا من أهله على ماعرفتم من حالى فأنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمن نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد أو صدقه باتيان ذلك (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفيه تهديد * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه الله أن يصر على ذنب صغير أو كبير

﴿سورة الزمر مكية الا قوله قل ياعبادى الآية وآيها خمس وسبعون أو ثنتان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) خبر محذوف مثل هذا أو مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وهو على الاول صلة التنزيل أو خبر ثان أو حال عمل فيها معنى الاشارة أو التنزيل والظاهر أن الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) ملتبسا بالحق أو بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله (فاعبد الله مخلصا له الدين) ممحصا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراؤه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال (ألا لله الدين الخالص) أى ألا هو الذى وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) باضمار القول (ان الله يحكم بينهم) وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا أو بدلا من الصلة وزلفى

(قوله ان عليك الله) أى الواجب عليك أو القسم ان تبايع بالله (قوله جواب محذوف) والتقدير هو أى الحق المقول لأملأن الخ (قوله اذا شارك الاول) مثل أن يكون للتأكيد كالاول فان القسم مفيد للتأكيد وتقديم المفعول أيضا كذلك (قوله وتخريجه على ماذكرنا) يعنى أن المرفوع مبتدأ محذوف الخبر أى الحق قسمى والمجرور باضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية

﴿سورة الزمر﴾

(قوله وهو على الاول الخ) أى الكتاب على التقدير الاول وهو أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف هذه السورة لان هذا فى مثل هذا المقام يناسب أن يكون اشارة الى السورة وعلى الثانى وهو أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ يناسب أن يكون الكتاب القرآن لان التنزيل من الله حكم مطلق القرآن (قوله يحتمل المتخذين) هو بكسر الخاء المعجمة والمتخذين من الملائكة الخ بفتح الخاء وعلى هذا فالضمير الراجع الى الذين محذوف والتقدير الذين اتخذوهم من دونه أولياء

مصدر أو حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا الى الله حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا (فيما هم فيه يختلفون) من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم (ان الله لا يهدى) لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب كفار) فانهما فاقدا البصيرة (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) كما زعموا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل) يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هو منتهى دوره أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) استدلال آخر بما أوجده فى العالم السفلى مبدوأ به من خلق الانسان لانه أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها أو على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء (وأنزل لكم) وقضى أو قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت فى اللوح المحفوظ أو أحدث لكم باسباب نازلة كأشعة الكواكب والامطار (من الانعام ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير أنه غلب أولى العقل أو خصهم بالخطاب لانهم المقصودون (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم والمالك (له الملك لا اله الا هو) اذ لا يشاركه فى الخلق غيره (فانى تصرفون) يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) لاستضرارهم به رحمة عليهم (وان تشكروا يرضه لكم) لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وأبو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن أبى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (انه عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على أن مبدأ الكل منه (ثم اذا خوّله) أعطاه من الخول وهو التعهد أو الخول وهو الافتخار (نعمة منه) من الله (نسى ما كان يدعو اليه) أى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أو ربه الذى

(قوله والقاهرية المطلقة الخ) لان الزوال يكون بسبب مزيل هو قاهر للزائل فلا يكون الزائل قاهرا مطلقا (قوله وقرأ ابن كثير الخ) قال الواحدى منهم من أشبع الهاء حتى ألحق بها واوا لان ما قبلها متحرك فصار بمنزلة ضربه وله ومنهم من حرك الهاء ولم يلحق الواو لان أصله يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف لا يجوز اثبات الواو

كان يتضرع اليه ومامثل الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى (من قبل) من قبل النعمة (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين (قل تمتع بكفرك قليلا) أمر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لاسند له واقناط للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من أصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة (أمن هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا (ساجدا وقائما) حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فى موضع الحال أو الاستئناف للتعليل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه أى كما لايستوى العالمون والجاهلون لايستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر أولوا الالباب) بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام (قل ياعباد الذى آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى للذين أحسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه (انما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها (أجرهم بغير حساب) أجرا لايهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) موحدا له (وأمرت لان أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص أولانه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهى أيضا تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما فى أردت لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ماأنتم عليه من الشرك والرياء (عذاب يوم عظيم) لعظمة مافيه (قل الله أعبد مخلصا له دينى) أمر بالاخبار عن اخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) تهديدا وخذلانا لهم (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالضلال (وأهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده (ألاذلك هو الخسران المبين) مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرانهم (ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار هى ظلل للآخرين (ذلك يخوف الله به عباده) ذلك العذاب هو

(قوله والضلال الخ) فيه ان الضلال سبب للجعل لله أندادا لان الضلال نتيجة الجعل الاأن يقال المراد الاستمرار على الضلال (قوله للجمع بين الصفتين) أى ليس تعدد الساجد والقائم باعتبار الذات بل باعتبار تغاير الصفة (قوله لمزيد فضل العلم) فان شرف العالم على الجاهل أقوى من شرف العامل على غيره ولعل الافضلية باعتبار أمره للنبى عليه السلام بان ينفى الاستواء بخلاف السابق فانه ليس فيه أمر بل مجرد نفى الاستواء بخلاف (قوله لان السبق فى الدين بالاخلاص) لك أن تقول الاخلاص أمر مشترك بينه صلى الله عليه وسلم وبين أمته فلا يوجب الاخلاص قصب السبق والاولى أن يقال أمرت بالاخلاص لانه سبب لان أحوز قصب السبق فى الدين لانه صلى الله عليه وسلم لما كان هو الهادى الى الاسلام كان اخلاصه موجبا لسبقه على غيره

الذى يخوّفهم به ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولاتتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان (أن يعبدوها) بدل اشتمال منه (وأنابوا الى الله) وأقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه (لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل و يؤثرون الافضل فالافضل (أولئك الذين هداهم الله) لدينه (وأولئك هم أولوا الالباب) العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسل فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار و يجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بنيت بناء المنازل على الارض (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد (لايخلف الله الميعاد) لان الخلف نقص وهو على الله محال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) هو المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) هى عيون ومجارى كائنة فيها أومياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف أو الحال (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما (ثم يهيج) يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته (فتراه مصفرا) من يبسه (ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسوّاه أو بانه مثل الحياة الدنيا فلاتغتر بها (لاولى الالباب) اذ لايتذكر به غيرهم (أفمن شرح الله صدره للاسلام) حتى تمكن فيه يسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابلة للاسلام (فهو على نور من ربه) يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) من أجل ذكره وهو أبلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من أجل الشئ أشد تأبيا عن قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة فى وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده الى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده اليه (أولئك فى ضلال مبين) يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت فى حمزة وعلىّ وأبى لهب وولده (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن روى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله و بناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه (كتابا متشابها) بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة (مثانى) جمع مثنى أو مثنى أو مثن على مامر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق وأعصاب أو جعل تمييزا

(قوله لذلك) أى لتأكيد الانكار لان انقاذ الشخص عسر جدا أو متعذر (قوله فنصبها على المصدر أو الحال) فعلى الاول يكون المعنى فادخله ادخال ينابيع فى الارض أى ادخال العيون والمجارى فيها فالمصدر هو المضاف المحذوف ولما حذف أعرب الينابيع الذى هو المضاف اليه اعرابه وعلى الثانى يكون المعنى فادخله نابعات فى الارض وفى نسخ فنصبها على الظرف أو الحال وهو الاصح

من

فيجب أن يتقى الوجه بغيره والاوجه أن يقال والله أعلم ان المراد عدم امكان الاتقاء من عذاب النار لانه لما كان الانقاء بالوجه لا وجه له كان أفمن يتقى بوجهه كناية عما لا يمكن انقاء وجهه عن العذاب (قوله وهو أبلغ من المستقيم) لان عوج منكر واقع تحت النفى فيفيد عموم نفيه بخلاف المستقيم فانه يمكن ان يستفاد منه ان له استقامة بوجه أوفى ظاهر الامر (قوله على مايقتضى مذهبه) لان المعبود ينبغى أن يكون صالحا لان يدعى المعبودية وعبودية عابده (قوله وقرئ مثلين الخ) فالمعنى هل يستوى مثلاهما المختلفان بالنوع (قوله على ان الضمير للمثلين) والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين كذا فى الكشاف ولا يخفى ان

من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان أصل أمره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها (ذلك) أى الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فماله من هاد) يخرجهم من الضلال (أفمن يتقى بوجهه) يجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون يداه مغلولة الى عنقه فلا يقدر أن يتقى الا بوجهه (سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره (وقيل للظالمين) أى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وباله والواو للحال وقد مقدرة (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها (فأذاقهم الله الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدته ودوامه (لو كانوا يعلمون) لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى أمر دينه (لعلهم يتذكرون) يتعظون به (قرآنا عربيا) حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا أو مدح له (غير ذى عوج) لا اختلال فيه بوجه ما وهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعانى وقيل بالشك استشهادا بقوله

وقد أتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله (لعلهم يتقون) علة أخرى مرتبة على الاولى (ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد (رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل) مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته و يتنازعوا فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه و يتعاورونه فى مهماتهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها أو حذف منها ذا ورجل سالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه أفطن للضر والنفع (هل يستويان مثلا) صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع أو لان المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل (الحمد لله) كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون

هذا التوجيه انما يصح اذا كان الضمير راجعا الى المثلين أما اذا كان راجعا الى رجلين فلا يصح أن يقال يستوى الرجلان فيما يرجع الى الوصفية بل يقال يستويان فى الوصفين بقى أن يقال اذا كان المراد ما ذكره صاحب الكشاف ناسب افراد لفظ المثل فتأمل

به غيره من فرط جهلهم (انك ميت وانهم ميتون) فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث (ثم انكم) على تغليب المخاطب على الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيمادار بينهم في الدنيا (فمن أظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) من غير توقف وتفكر في أمره (أليس في جهنم مثوى للكافرين) وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ماعلم مجيء الرسول به بالتكذيب (والذي جاء بالصدق وصدق به) اللام للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله (أولئك هم المتقون) وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل من غير تحريف أو صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول (لهم مايشاؤن عند ربهم) في الجنة (ذلك جزاء المحسنين) على احسانهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره أولى بذلك أو للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وان مايفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج أعدلا بني مروان وقرئ أسواء جمع سوء (ويجزيهم أجرهم) ويعطيهم ثوابهم (باحسن الذي كانوا يعملون) فيعد لهم محاسن أعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء صلوات الله عليهم (ويخوفونك بالذين من دونه) يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لاينفع ولايضر (فماله من هاد) يهديهم الى الرشاد (ومن يهد الله فماله من مضل) اذ لاراد لفعله كما قال (أليس الله بعزيز) غالب منيع (ذي انتقام) ينتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي أرأيتم بعد ماتحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ان آلهتكم ان أراد الله أن يصيبني بضر هل يكشفنه (أو أرادني برحمة) بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمسكنها عني وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته (قل حسبي الله) كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذي لامانع لما يريده من خير أو شر روي ان النبي عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على مايصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بان الكل منه تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم (اني عامل)

(قوله لانه مخصوص الخ) والدليل عليه قوله اذ جاءه (قوله وذلك يقتضي اضمار الذي) اذ لولم يضمر لكان الجائي بالصدق والمصدق به واحدا (قوله تعالى لهم مايشاؤن عند ربهم) المراد والله أعلم انه قدر في علمه ان لهم مايشاؤن وهذا التقدير علة لتكفير أسوأ الاعمال فانه اذا قدر في علمه ماذكر لابد من التكثير (قوله يحسبون الخ) توضيحه أن يقال لاستعظامهم الذنوب يحسبون ان مايصدر منهم من التقصيرات التي ليست بذنوب ذنوبا فتكون الصغيرة عندهم أسوأ الذنوب والاولى ان يقال انهم يعدون تقصيراتهم سيآت وان لم تكن ذنوبا فتكون صغائرهم أسوأ أعمالهم وانما خصص الاسوأ بالصغائر لان المذكورين لاتصدر عنهم الكبائر (قوله مبالغة في الاثبات) لان نفي النفي دليل الاثبات والاثبات لدليل أبلغ من الاثبات لغيره

أى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بان حاله لا يقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزى أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (بالحق) متلبسا به (فمن اهتدى فلنفسه) اذ نفع به نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) فان وباله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد بلغت (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم (فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع (ويرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه (ان فى ذلك) من التوفى والامساك والارسال (لآيات) دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش (من دون الله شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم (قل لله الشفاعة جميعا) لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء أشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه ورضاه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال (له ملك السموات والارض) فانه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم فى أمره دون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيكون الملك له أيضا حينئذ (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انقبضت ونفرت (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاوثان (اذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل فى اذا ذكر العامل فى اذا المفاجأة (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) ألتجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى أمرهم وضجرت من عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) فانت وحدك تقدر أن تحكم بينى وبينهم (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم فى الوعد (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) سيآت أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا) اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما

(قوله والمبالغة فى الوعيد الخ) لان حذفه يشعر بأنه صلى الله عليه وسلم لا يعمل على حاله بل يترقى وهذا هو المبالغة فى الوعيد (قوله وهو قريب مما ذكرنا) ماذكره من أن النفس ينقطع تعلقها بالبدن ظاهرا وباطنا عند الموت الخ فان التصرف الظاهرى هو العقل والتمييز والتصرف الباطن اخراج النفس من الباطن وابقاء الحياة وكلاهما ينقطعان عند الموت والنوع الثانى باق عند النوم (قوله تعالى أم اتخذوا الخ) يحتمل أن يكون اضرابا عما فهم من الجمل السابقة من أن الله هو الخالق وحده فما اتخذوا من دونه خالقا بل اتخذوا شفعاء (قوله تعالى وبدا لهم الخ) يحتمل أن يكون معطوفا على جزاء ٧

(قوله ان الله لايغفر أن يشرك به الى قوله ثلاث مرات) دلائل على اطلاقه فيما عدا الشرك وقوله والتعليل بقوله انه الغفور الرحيم على المبالغة أى يدل على اطلاقه فيما عدا الشرك التعليل المذكور على طريق المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وانما كان افادة الحصر دالا على كماله فى الرحمة لان حصر صفة الكمال فى أحد يدل على كماله فيها وقوله وتقديم مايستدعى الخ معطوف على قوله ان الله لايغفر أن يشرك به

(٣٠)

(قوله لدلالته الخ) يعنى لما كان الاسم جامعا لجميع جهات الكمال يكون منعما على الاطلاق من غير تخصيص (قوله بها) أى بدلها (قوله ومن أشرك) عطف على محذوف تقديره هل يغفر ذنوب من لم يشرك و يغفر ذنوب من أشرك (قوله وماروى من ان أهل مكة الخ) ابتداء كلام منفصل عما سبق أى هذه الرواية لاتنفى عموم مغفرة الذنوب (قوله وقيل) قال فى الكشاف روى انه أسلم عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وناس معهم ثم فتنوا وعذبوا فكنا نقول لايقبل الله لهم صرفا ولاعدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا (قوله وكذا قوله وأنيبوا الى ربكم الى قوله فانها الخ) يعنى هذه الآية لاتنافى عموم آية المغفرة والشرك لكل أحد لانها أى آية المغفرة وهى قوله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا الآية لاتدل على حصر المغفرة لكل أحد من غير توبة حتى لايحتاج الى وجوب التوبة والاخلاص

اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم (ثم اذا خولناه نعمة منا) أعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما أوتيته على علم) منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لمالى من استحقاقه أو من الله بى واستحقاقى والهاء فيما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها (بل هى فتنة) امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لايعلمون) ذلك وهو دليل على أن الانسان للجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا (فاصابهم سيآت ما كسبوا) جزاء سيآت أعمالهم أو جزاء أعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة أعمالهم السيئة رمزا الى أن جميع أعمالهم كذلك (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) المشركين ومن للبيان أو التبعيض (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) كما أصاب أولئك وقد أصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم (وماهم بمعجزين) بفائتين (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر و يدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لايغفر أن يشرك به الآية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب جميعا ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ماأحب أن تكون لى الدنيا ومافيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وماروى أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة افتتنوا أو فى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم) القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل

المستفاد من قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم فتكون هذه الآية منافية لها بل عموم المغفرة أعم من أن يكون بعد تعذيب أو بعد توبة واخلاص (قوله دون المنهى عنه) فيه مافيه لان المأمور به اذا كان أحسن من المنهى عنه لزم أن يكون المنهى عنه حسنا وليس كذلك (قوله تعالى وأنيبوا الخ) معطوف على قوله لاتقنطوا فيكون خطابا للمؤمنين أيضا على ماقاله ولا ينافيه الوعيد بالعذاب لان أهل الحق لاينفون العذاب عن المؤمنين مطلقا

(قوله ورب بقيع الخ) أوله دعا قومه مولى لجأ والنصره * ونادبت قوما بالسناة الخ أي أموانا مقبور بن صارت الاحجار مسناة فوقهم يشكو قومه حين قعدوا عن نصرته فبالغ في اغضابهم واتهامهم فجعلهم دون الاموات فقال

ورب مقبرة لو هتفت بجوها * أتاني افواج من الكرام ينفضون يحركون رؤسهم لنفض التراب منها (قوله وهو كناية فيها مبالغة) لان الجنب والجانب في الاصل الناحية واذا كان التفريط ثابتا في ناحية شئ يكون ثابتا فيه (قوله مبالغة) فيه أن كل كناية تفيد مبالغة فلا حاجة الى قوله فيها مبالغة واما أن فيه مبالغة أخرى غير ماهو لازم الكنايات فغير ظاهر ولذا لم يذكر هذا القيد صاحب الكشاف بل قال هذا من باب الكناية لانه اذا أثبت الامر في مكان الرجل وغيره فقد أثبته فيه (قوله وفصله عنه) أي فصل بلى قد جاءتك عن قوله تعالى أو تقول لو أن الله هداني لان تقديم بلى قد جاءتك يوجب تفرق القرائن أي يوجب الفصل بين أن تقول الاول وأن يقول الثاني وتأخير المودود وهو أن تقول لو أن الله هداني عن قوله أو تقول حين ترى العذاب يوجب الاخلال بالنظم لانه يفرق الامور التي وقع الترديد فيها (قوله وتذكير الخطاب) أي فتح كاف جاءتك وتاء كذبت واستكبرت وقرئ بالتأنيث أي بكسر

أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه فتتداركوا (أن تقول نفس) كراهة أن تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس أو للتكثير كقول الاعشى

و رب بقيع لو هتفت بجوه * أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

(ياحسرتى) وقرئ بالياء على الاصل (على مافرطت) بماقصرت (في جنب الله) في جانبه أي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب وامق * له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بأهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هداني) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصي (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المودود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (و يوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد (وجوههم مسودة) بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذا الظاهر أن ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو (أليس في جهنم مثوى) مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك (و ينجي الله الذين اتقوا) وقرئ و ينجي (بمفازتهم) بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص بأهم أقسامه و بالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي أو لقوله (لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون) وهو حال أو استئناف لبيان المفازة (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف (له مقاليد السموات والارض) لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معربا كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله و بحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي و يميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها

الحروف المذكورة (قوله من ظلمة الجهل) في الآخرة ترى حال الباطن بعلامات فيرى الجهل بظلمة الوجه (قوله وتفسيرها بالنجاة) أراد أن الفوز هو الفلاح وهو الظفر بالخير ولا يخفى ان أهم أقسامه النجاة من البلاء والظاهر الصالح سببان للظفر (قوله وفيها مزيد دلالة على الاختصاص) لان الاختصاص يفهم من اللام وتقـ

و يمجدوهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بهاأصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله و ينجى الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد مطلع على أفعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل الله وفى هلاك الكافر بن أن خسروا أنفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أو بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض أو كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم و يجوز أن ينتصب غير بما دل عليه تأمرونى أن أعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان أصله تأمروننى أن أعبد لحذف ان ورفع كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) أى من الرسل (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لان شركهم أقبح وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (وماقدروا الله حق قدره) ماقدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للمؤقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع أو جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أو مايضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور) يعنى المرة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) خر ميتا أو مغشيا عليه (الا من شاء الله) قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى وهى تدل على أن المراد بالاولى ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع وأخرى تحتمل النصب والرفع (فاذاهم قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون مايفعل بهم (وأشرقت الارض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع و يظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات

(قوله وتغيير النظم الى آخره) أى الجملة المعطوف عليها وهو ينجى الله فعلية والمعطوف وهو والذين كفروا جملة اسمية (قوله أو بما يليه) وهو قوله تعالى له مقاليد السموات والارض (قوله ولولا دلالة التقديم على الاختصاص الخ) يمكن أن يقال التخصيص مفهوم من المقام لانه اذا أبطل الاشراك فالامر بعبادة الله أمر بتخصيصه بها فان قيل فما فائدة التقديم قلنا الاهتمام بذكره واعلم أن صاحب الكشاف ذكر ههنا شيأ لابد منه تركه المصنف وهو أن المعنى لاتعبد ما أمروك به بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (قوله لمة الليل) بكسر اللام الشعر الذى جاوز شحمة الاذن والمراد بما ذكر طلوع الصبح من غير أن يراد باللمة المعنى الحقيقى لا المجازى (قوله وقرئ بالنصب) أى قرئ قبضته بالنصب

يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه الى الارض أو بنور خلق فيها بلا واسطة أجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه (ووضع الكتاب) للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدى العمال وا كتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجيء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ماجرى به الوعد (ووفيت كل نفس ماعملت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شئ من أفعالهم ثم فصل التوفية فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروأة وهى الجمع القليل (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم علينا بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أبهم القائل لتهويل مايقال لهم (فبئس مثوى) مكان (المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولاينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لايذهب بهم الا راكبين (زمرا) على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) حذف جواب اذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالايحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) لايعتريكم بعد مكروه (طبتم) طهرتم من دنس المعاصى (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لايمنع دخول العاصى بعفوه لانه مطهره (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخالفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى يتبوأ كل منا فى أى مقام أراده من جنته الواسعة مع أن فى الجنة مقامات معنوية لايتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) أى حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) ملتبسين بحمده والجملة حال

(قوله ولذلك أضاف اسمه الى الارض) أى لما ان الله تعالى فرش الارض نورا أضاف اسمه أى الرب اليها (قوله أبهم القائل الخ) دلالته على التهويل اما باعتبار ان القائلين لكثرتهم لا يمكن عدتهم واما باعتبار ان القائل فى القوة والقدرة بحيث لايحيط الوصف به ومن كان كذلك كان قوله واقعا لامحالة (قوله لانه يطهره) أى لان العفو يطهره فحصل التطهير له ثم دخل بسببه الجنة (قوله مع ان فى الجنة الخ) جواب سؤال هو انه لو أراد خلق كثير مكانا واحدا لزم ورود الجمع الكثير مكانا واحدا ولزوم ورود الجمع الكثير فى مكان واحد محال فكيف الاجسام الكثيرة فاجاب بانه يمكن ان يراد من المقام المراد من حيث يشاء المكان المعنوى ولايمتنع ورود خلق كثير على مقام واحد معنوى

ثانية أومقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله وا كرامه تلذذابه وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق بادخال بعضهم النار و بعضهم الجنة أو بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم أوالملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والله أعلم

﴿سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) أماله ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر صريحا ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين أوالنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أولانها على زنة أعجمى كقابيل وهابيل (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) صفات أخر لتحقيق مافيه من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أوالشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أوابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أوتغاير الوصفين اذربما يتوهم الاتحاد أوتغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها (لااله الاهو) فيجب الاقبال الكلى على عبادته (اليه المصير) فيجازى المطيع والعاصى (مايجادل فى آيات الله الاالذين كفروا) لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشأم واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عماقريب بكفرهم أخذ من قبلهم كماقال (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعدقوم نوح كعاد وثمود (وهمت كل أمة) من هؤلاء (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا من اصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) بمالا حقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فأخذتهم) بالاهلاك جزاءلهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو تقرير فيه تعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك) وعيده أوقضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) بكفرهم (انهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك بدل الكل أوالاشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى (الذين يحملون العرش ومن حوله) الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أوكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم

(قوله ذاكرين له بوصفى جلاله وا كرامه) وصف الجلال الوصف السلبى والاكرام الوصف الثبوتى والاول يستفاد من التسبيح الذى هو التنزيه والثانى من الحمد (قوله وفيه اشعار الخ) وجه الاشعار ان ذكر هذه الصفة من بين صفاتهم تدل على انها أكمل صفاتهم

﴿سورة الطول﴾

(قوله وأريد بشديد العقاب الخ) انما قال ذلك لان الاضافة فى شديد العقاب اضافة لفظية لانها اضافة الصفة المشبهة فلا تفيد الاضافة التعريف فلا يصح ان يكون صفة للمعرفة وهو الله (قوله للازدواج) أى لاجل مناسبته مع سائر أقرانه (قوله ولذلك الخ) ولاجل ان مطلق الجدال ليس بمذموم قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا بالتنكير ليشعر بان بعضه كفر (قوله مع انه ليس جدالا فيه) أى الجدال لتحقيق معانيه وسائر ماذكر ليس جدالا فيه بل هو الجدال عنه واما الجدال فيه فهو السعى فى ابطاله

(قوله لان الحمد مقتضى حالهم الخ) لانه لما وردت النعم العظيمة من ربهم عليهم صار هذا منشأ لحمدهم فيكون هذا مقتضى حالهم وأما التسبيح الذى هو التنزيه عن النقائص فليس مقتضى حالهم التى هى توالى النعم عليهم وانما هو محتاج الى ملاحظة أخرى ويمكن أن يقال ان الحمد ههنا هو الحمد الفعلى وهو كونهم على حالة الحمد أى يفعلون مايدل على كبرياء ربهم لان لكل منهم عبادة مخصوصة يشتغل بها دائما فكان الحمد مقتضى حالهم بخلاف التسبيح (قوله فى معرفته سواء) فيه نظر كما لايخفى والاولى أن يقال فى الايمان به سواء فيكون هذا ردا على الجسمة لانه لو كان تعالى جسما مستعليا على العرش كما قاله المجسمة لكان حملة العرش مشاهدين له فلما وصفوا بالايمان فى معرض المدح لانه انما يوصف الشخص مدحا بالايمان بالغائب لان الاقرار بوجود شئ مرئى ظاهر لا يوجب المدح فلو قال المصنف بدل معرفته ايمانه لكان حسنا (قوله للاغراق الخ) لانه لما وصف ذاته تعالى بانه وسع كل شئ والحال ان ماذكر صفة الرحمة والعلم فكانه حكم بان ذاته تعالى نفس العلم والرحمة والمبالغة فى عمومهما بسبب انه لما كان التركيب مشعرا بان ذاته كانه نفس الرحمة والعلم وكان لذاته تعالى تعلق بكل شئ اذ كل شئ مخلوق له كانت الرحمة والعلم متعلقين بكل شئ فحصلت المبالغة فى عمومهما (قوله تعميم بعد تخصيص) التخصيص من قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم (قوله أو تخصيص بمن صلح) أى ليس هذا دعاء للذين تابوا واتبعوا بل هو دعاء مخصوص لمن صلح من آبائهم الخ (قوله كانهم طلبوا الخ) طلب المسبب هو قولهم أدخلهم جنات عدن وطلب السبب هو وقايتهم عن السيآت (قوله لانه أخبر عنه) قال العلامة الطيبى قال أبو البقاء ومكى

عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح (ويؤمنون به) أخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) واشعارا بأن حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم مايوجب المغفرة وفيه تنبيه على أن المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها أقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة (ربنا) أى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن أصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) وعدتهم اياها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على هم الاول أى أدخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم أو الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد (انك أنت العزيز) الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) الذى لا يفعل الا ماتقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (وقهم السيآت) العقوبات أو جزاء السيآت وهو تعميم بعد تخصيص أو تخصيص بمن صلح أو المعاصى فى الدنيا لقوله (ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته) أى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ماسألوا المسبب (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى الرحمة أو الوقاية أو مجموعهما (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله اياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة بالسوء (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه أخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا اجزاء أعمالهم الخبيثة الا أن يؤول بنحو بالصيف ضيعت اللبن

وصاحب الكشاف لمقت الله لايعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه ومايتعلق به يؤذن بنقصانه وقال ابن الحاجب فى الامالى والمعنى اذا انتصب اذ تدعون بالمقت الاول لمقت الله اياكم فى الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم فى الآخرة فليس فيه سوى الفرق بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو أكبر الذى هو الخبر وهو جائز لان الظروف يتسع فيها (قوله الا أن يؤول الخ) المثل المذكور يضرب لمن حصل فى سالف الزمان ماحصل بسببه ضرر فى المستقبل فعنى بالصيف ضيعت اللبن أى حصلت فيما مضى سببا يصرفه فى المستقبل واذا لوحظ مثل هذا المعنى فى الآية كان المعنى لمقت الله أكبر من سبب مقتكم أنفسكم اذ تدعون اذ المقت وان كان فى الآخرة لكن سببه فى الدنيا فجعل سبب المقت معناه وفيه مافيه (قوله بالصيف ضيعت اللبن) قيل ان رجلا استنكح امرأة فطلقت فبعد ذلك طلبت منه اللبن فقال الصيف ضيعت اللبن

أو تعليل للحكم و زمان المقتين واحد (قالوا ربنا أمتنا اثنتين) اماتتين بان خلقتنا أمواتاأولا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء أو بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر (وأحييتنا اثنتين) الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحيا آن مافى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله (فاعترفنا بذنوبنا) فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث (فهل الى خروج) نوع خروج من النار (من سبيل) طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله (ذلكم) الذى أنتم فيه (بأنه) بسبب أنه (اذا دعى الله وحده) متحدا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه فى الحالية (كفرتم) بالتوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) بالاشراك (فالحكم لله) المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد الدائم (العلى) عن أن يشرك به ويسوى بغيره (الكبير) حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة بالعذاب السرمد (هو الذى يريكم آياته) الدالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم تكميلا لنفوسكم (وينزل لكم من السماء رزقا) أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم (وما يتذكر) بالآيات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى (الا من ينيب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) اخلاصكم وشق عليهم (رفيع الدرجات ذو العرش) خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو أصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة الى العرش أو السموات أو درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح (يلقى الروح من أمره) خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن أمره بيانه لانه أمر بالخير أو مبدؤه والآمر هو الملك المبلغ (على من يشاء من عباده) يختاره للنبوة وفيه دليل على أنها عطائية (لينذر) غاية الالقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام مع القرب تؤيد الثانى (يوم التلاق) يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد وأهل السماء والارض أو المعبودون والعباد أو الاعمال والعمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شئ أو ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شئ) من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا العوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها (لا ظلم اليوم) بنقص الثواب وزيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى قربها أو الخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدى

(قوله أو تعليل للحكم الخ) فيكون المعنى لمقت الله فى الآخرة اياكم أكبر من مقت بعضكم بعضا لانكم تدعون الى الايمان فتكفرون (قوله فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه الخ) العبارة لا تخلو عن قصور والاولى أن يقال ان اختيار الفاعل أحد الامرين الحادثين فى القابل صرف لذلك القابل عن المقبول الآخر فجعل صرفه منه كتعلقه (قوله واللام مع القرب تؤيد الثانى) لان الانذار أنسب بمن يشاء من عباده

الحناجر) فانها ترتفع عن أماكنها فتلصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة أو منها أو من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة (ماللظالمين من حميم) قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الاعين (وماتخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه مامن خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى أو لا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات أو اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على مايقولون و يفعلون وتعريض بحال مايدعون من دونه (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف (وآثارا فى الارض) مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله * متقلدا سيفا ورمحا (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو الاحكام الواضحة (فكفروا فأخذهم الله انه قوى) متمكن مما يريده غاية التمكن (شديد العقاب) لايؤبه بعقاب دون عقابه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى المعجزات (وسلطان مبين) وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين أو لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى عليه الصلاة والسلام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بيان لعاقبة من هو أشد الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى عليه السلام (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى) كانوا يكفونه عن قتله و يقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى أهون شئ دليل على أنه تيقن أنه نبى فخاف من قتله أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له و يؤيده قوله (وليدع ربه) فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله و يذرك وآلهتك (أو أن يظهر فى الارض الفساد) مايفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد (وقال موسى) أى لقومه لما سمع بكلامه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب) صدر الكلام بأن تأكيدا واشعارا على أن السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثالهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب

(قوله لانه على الاضافة) أى التقدير اذ حصلت قلوب الخلق لدى الحناجر فيكون كاظمين حالا من الخلق الذين هم أصحاب القلوب وعلى التقدير الثالث يكون المعنى اذ القلوب حصلت لدى الحناجر (قوله على انه حال مقدرة) فيه انهم حال انذارهم لا يكون لهم تقدير الكظم لانهم لايعتقدون البعث وهذا أحد الوجهين للذين ذكرهما صاحب الكشاف والوجه الآخر أن المعنى مشارفين الكظم وهذا له وجه (قوله خبر خامس) أى لقوله تعالى هو الذى يريكم آياته (قوله أو ظن) عطف على قوله يتيقن (قوله و يؤيده قوله الخ) أى يؤيد الظن المذكور لانه لايناسب التيقن المذكور تجلده وعدم مبالاته بدعاء ربه

الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من أقاربه وقيل من متعلق بقوله (يكتم ايمانه) والرجل اسرائيلى أو غريب موحد كان ينافقهم (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل فى أمره (ربى الله) وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد (وقد جاءكم بالبينات) المتكثرة الدالة على صدقه من المعجزات والاستدلالات (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

ترّاك أمكنة اذا لم أرضها ❊ أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه أراد بالبعض نفسه (ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين (فى الارض) أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما أدرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم أنه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم (قال فرعون ما أريكم) ما أشير عليكم (الا ما أرى) وأستصوبه من قتله وما أعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لانه مقصور على السماع أو للنسبة الى الرشد كعواج وبتات (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم) فى تكذيبه والتعرض له (مثل يوم الاحزاب) مثل أيام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه حدوث تعلق ارادته بالظلم (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من أخيه (يوم تولون) عن الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف) يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الاباء الى الاولاد أو سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك)

(قوله أو يرتبط) معناه الى أن يرتبط (قوله لانه مقصور على السماع) أى فعال من أفعل سماعى (قوله ولا يخلى الظالم الخ) فيه انه يجوز أن يعفو عن الظالم من غير انتقام على ما هو مذهب أهل السنة الا أن يراد بالظلم الكفر

مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث من بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الضلال (يضل الله) فى العصيان (من هو مسرف مرتاب) شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع (بغير سلطان أتاهم) بغير حجة بل اما بتقليد أو بشبهة داحضة (أكبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أو بغير سلطان وفاعل كبر (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت أذنى أو على حذف مضاف أى على كل ذى قلب متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى أبلغ الاسباب) الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فاطلع الى اله موسى) عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه أو ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه (وانى لاظنه كاذبا) فى دعوى الرسالة (وكذلك) ومثل التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه أنه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وأبو عمرو وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى خسار (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه الصلاة والسلام (ياقوم اتبعون أهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بأن ماعليه فرعون وقومه سبيل الغى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هى دار القرار) لخلودها (من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها) عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على أنه شرط فى اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ماهو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا أو تعريضا أو على الاول (تدعوننى لاكفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام (وأشرك به ماليس لى به) بربوبيته (علم) والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان فاعتقادها لا يصح الا عن ايقان (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لاجرم) لارد لما دعوه

النجاة هى الهداية الى سبيل الرشاد وفى النداء الاول تعريض بان قوم فرعون داعون الى النار وفى النداء الثالث تصريح بذلك التعريض

من الخ) أى الضمير المستتر فى كبر راجع الى من وافراده لانه مفرد اللفظ (قوله أو بغير سلطان) أى أو يكون الذين يجادلون مبتدأ و بغير سلطان خبره (قوله وأن يرى فساد قول موسى الخ) هذا التوجيه لايناسب ظاهر القرآن كما لا يخفى لان معناه الظاهر انه طلب أسباب الصعود الى السماء حتى يطلع على اله موسى الا أن يقال ان كلامه على الفرض والتقدير يعنى لا يمكن الاطلاع الى اله موسى ولو أمكن فابن لى ياهامان صرحا (قوله ولعل تقسيم العمال) تقسيمهم يستفاد من قوله تعالى من ذكر أو أنثى (قوله وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة الخ) لان كلا منهما يفيد نوع تأكيد أما الاسمية فلافادتها الدوام والثبوت واما التصدير باسم الاشارة فلانه يفيد علية الحكم فكأنه قيل هؤلاء الموصوفون بما ذكر يدخلون الجنة (قوله ولذلك لم يعطف النداء الثانى على النداء الاول) لكونه بيانا له (قوله فان ما بعده أيضا) أى ما بعد النداء الثالث أيضا تعيين لما أجمل فى النداء الاول تصريحا باعتبار أن الدعوة الى

اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله (أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق عدم
دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضى ألوهيتها أو عدم دعوة مستجابة أو
عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا
دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا
من لابد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لاقطع لبطلان دعوة ألوهية الاصنام أى لاينقطع
فى وقت ما فننقلب حقا و يؤيده قولهم لاجرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد (وأن مردنا الى الله)
بالموت (وان المسرفين) فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار)
ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب
(ما أقول لكم) من النصيحة (وأفوض أمرى الى الله) ليعصمنى من كل سوء (ان الله
بصير بالعباد) فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله (فوقاه الله سيآت
ما مكروا) شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وحاق بآل فرعون)
بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه أولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن
من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش حوله صفوفا فرجعوا رعبا فقتلهم
(سوء العذاب) الغرق أو القتل أو النار (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) جملة مستأنفة أو النار
خبر محذوف و يعرضون استئناف للبيان أو بدل و يعرضون حال منها أو من الآل وقرئت منصوبة
على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها
من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود أن أرواحهم
فى أجواف طيور سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص
والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر (و يوم تقوم الساعة) أى هذا ما دامت الدنيا فاذا
قامت الساعة قيل لهم (أدخلوا آل فرعون) يا آل فرعون (أشد العذاب) عذاب جهنم فانه أشد
مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم وقرأ حمزة والكسائى ونافع و يعقوب وحفص أدخلوا على أمر
الملائكة بادخالهم النار (واذ يتحاجون فى النار) واذكر وقت تخاصمهم فيها و يحتمل العطف على
غدوا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) تفصيل له (انا كنا لكم تبعا) تباعا كخدم فى جمع خادم
أوذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار أو التجوز (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع أو الحمل
ونصيبا مفعول به لما دل عليه مغنون أو له بالتضمين أو مصدر كشيأ فى قوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا
أولادهم من الله شيأ فيكون من صلة مغنون (قال الذين استكبروا انا كل فيها) نحن وأنتم فكيف
نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لايعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى
الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب (ان الله قد حكم بين العباد) بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل
النار النار ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) أى لخزنتها ووضع جهنم موضع
الضمير للتهويل أو لبيان محالهم فيها اذ يحتمل أن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة
القعر (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) قدر يوم (من العذاب) شيأ من العذاب و يجوز أن يكون
المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه (قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أرادوا به
الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الاجابة (قالوا بلى قالوا
فادعوا) فانا لانجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة (وما دعاء

الكافرين

و يحتمل عطفه الخ) فان قيل فعلى هذا يكون المعنى النار يعرضون عليها وقت محاجتهم فى النار والحال ان أحدهما هو الآخر فيكون تكرارا قلنا ليس أحدهما عين الآخر بل غير مستلزم اذ يمكن الدخول فى النار والمحاجة فيها من غير عرضهم على النار اذ المراد من هذا العرض احراقهم ولا يلزم من الدخول فيها الاحراق اذ الملائكة الموكلون عليها داخلون فيها مع عدم احراقهم (قوله على الاضمار أو التجوز) فالاضمار أن يكون ذوى مقدرا والتجوز أن يكون تبعا بمعنى ذوى تبع مجازا (قوله ونصيبا مفعول لما دل عليه الخ) توضيحه ان مغنون بمعنى نافعون قال فى الصحاح ما يغنى عنك هذا أى ما يجدى عنك وما ينفعك فمغنون دال على الدفع لان النافع قد يكون نفعه بدفع الضر فاما أن يقدر يدفعون و يجعل نصيبا مفعوله أو يقدر الكلام هكذا فهل أنتم مغنون دافعين عنا نصيبا من النار (قوله فيكون من صلة مغنون) فيكون المعنى فهل أنتم دافعون عنا بعض عذاب النار (قوله بحذف المضاف) والتقدير عذاب يوم

الكافرين الا فى ضلال) ضياع لايجاب وفيه اقناط لهم عن الاجابة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة (فى الحيوة الدنيا و يوم يقوم الاشهاد) أى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة أولانه لم يؤذن لهم فيعتذروا وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء (ولهم اللعنة) البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) مايهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أوهاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة (فاصبر) على أذى المشركين (ان وعد الله حق) بالنصر لايخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) عام فى كل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة أواليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أوارادة الرياسة أوأن النبوة والملك لا يكونان الالهم (ماهم ببالغيه) ببالغى دفع الآيات أوالمراد (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه (انه هو السميع البصير) لاقوالكم وأفعالكم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الانسان ثانيا من أصل وهو بيان لاشكل مايجادلون فيه من أمر التوحيد (ولكن أكثر الناس لايعلمون) لانهم لاينظرون ولا يتأملون لافرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم (وما يستوى الاعمى والبصير) الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) والمحسن والمسىء فينبغى أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لافى المسىء لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود أوالدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ما يتذكرون) أى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس أوالكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات أوأمر الرسول بالمخاطبة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر مايحسون به (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (أستجب لكم) أثبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أوالمراد بالعبادة الدعاء فانه من أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدو الحواس (والنهار مبصرا) يبصر فيه أوبه واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال (ان الله لذوفضل على الناس) لايوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل (ولكن أكثر الناس لايشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم)

ابن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا (قوله وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه الخ) أى هو توضيح لما هو أشكل مايجادل المشركون فيه وهو التوحيد لانه اتضح مما ذكر انه لما كان الله خالق السموات والارض وخالق الانسان لزم على جميع الانسان أن يوحدوه ولايشركوا به (قوله عطف الموصول بما عطف عليه الخ) أى عطف الموصول الذى هو اللام مع ماعطف وهو المحسن أى عطف مجموع هذين الامرين على الامرين السابقين (قوله لتغليب المخاطب عليه) فيه ان المخاطب النبى صلى الله عليه وسلم لما مر من قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق الآية ولايخفى انه لايناسب ادخاله عليه السلام فى هذا الخطاب (قوله منزلا منزلته للمبالغة) أى كان الاستكبار عن العبادة المانع عن الدعاء منزلا منزلة عدم السؤال للمبالغة لانه يفيد أنه استكبار عن العبادة الذى هو الكفر وتوضيحه أن المراد من الاستكبار عن العبادة الذى هو مانع عن السؤال عدم السؤال (قوله ولذلك الخ) أى أصله على قياس ما

المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كما أفكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة (وصوركم فأحسن صوركم) بأن خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال (هو الحى) المتفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) اذ لا موجد سواه ولا موجود يساويه أو يدانيه فى ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) من الحجج والآيات أو من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) بان انقاد له أو أخلص له دينى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أطفالا والتوحيد لارادة الجنس أو على تأويل كل واحد منكم (ثم لتبلغوا أشدكم) اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله (ثم لتكونوا شيوخا) و يجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة أو بلوغ الاشد (ولتبلغوا) و يفعل ذلك لتبلغوا (أجلا مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من الحجج والعبر (هو الذى يحيى و يميت فاذا قضى أمرا) فاذا أراده (فانما يقول له كن فيكون) فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل فيه أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن أو بجنس الكتب السماوية (و بما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أو الوحى والشرائع (فسوف يعلمون) جزاء تكذيبهم (اذ الاغلال فى أعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال أو مبتدأ خبره (يسحبون فى الحميم) والعائد محذوف أى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى أعناقهم بمعنى أعناقهم فى الاغلال أو اضمارا للباء و يدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد انهم يعذبون بأنواع من العذاب و ينقلون من بعضها الى بعض (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) مثل ذلك الضلال (يضل الله الكافرين) حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة أو يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (و بما

سبق أن يقال والنهار لتبصروا فيه فعدل اليه للمبالغة (قوله أو من الآيات) أى الآيات القرآنية الدالة على الصفات فانها مقوية الخ لان الدلالة النقلية مقوية للعقلية

كنتم تمرحون) تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ (ادخلوا أبواب
جهنم) الابواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين)
عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود
بسبب الثواء عبر بالمثوى (فاصبر ان وعد الله) بهلاك الكافرين (حق) كائن لامحالة (فاما نرينك) فان
نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها (بعض الذى
نعدهم) وهو القتل والاسر (أو نتوفينك) قبل أن نراه (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم
بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك و يجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى
ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب و يدل على شدته الاقتصار
بذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك) اذ قيل عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أشخاص معدودة
(وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته
كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها (فاذا جاء أمر الله)
بالعذاب فى الدنيا أو الآخرة (قضى بالحق) بانجاء المحق وتعذيب المبطل (وخسر هنالك المبطلون)
المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل و يركب كالابل والبقر (ولكم فيها منافع)
كالالبان والجلود والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بالمسافرة عليها (وعليها) فى البر (وعلى
الفلك) فى البحر (تحملون) وانما قال وعلى الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه
فى حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش وهو من الضروريات والتلذذ والركوب والمسافرة عليها
قد تكون لأغراض دينية واجبة أو مندوبة أو للفرق بين العين والمنفعة (و يريكم آياته) دلائله الدالة
على كمال قدرته وفرط رحمته (فأى آيات الله) أى فأى آية من تلك الآيات (تنكرون) فانها لظهورها
لا تقبل الانكار وهو ناصب أى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى أى
أغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض) ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار
أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية أو استفهامية منصوبة
بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو الآيات
الواضحات (فرحوا بما عندهم من العلم) واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة
وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة
قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو علم
الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به و يؤيده (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل
الفرح أيضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا) لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما
أغنى كالنتيجة لقوله كانوا أكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله
فما أغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجىء الرسل وامتناع نفى الايمان مسبب عن

(قوله بسبب الثوى) لان الثوى الاقامة والدخول المقيد بالخلود يستلزمها (قوله أو للفرق بين العين والمنفعة) فان الأكل أخذ العين والركوب والمسافرة الانتفاع (قوله والتفرقة الخ) أى التفرقة فى الاسماء غير الصفات غريب وفى أى أغرب لان التمييز غير مطلوب فيه لانها موضوعة للابهام (قوله والفاء الاولى) هى الفاء فى قوله فما أغنى عنهم والفاء الثانية هى الفاء فى فلما جاءتهم والباقيتان هما ما فى قوله فلما رأوا بأسنا وقوله فلم يك ينفعهم

الرؤية (سنة الله التي قد خلت في عباده) أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلته مبتدأ خبره (تنزيل من الرحمن الرحيم) وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف أو مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره (كتاب) وهو على الاولين بدل منه أو خبر آخر أو خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية (فصلت آياته) ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت أي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني أو فصلت بين الحق والباطل (قرآنا عربيا) نصب على المدح أو الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه (لقوم يعلمون) أي لقوم يعلمون العربية أو لاهل العلم والنظر وهو صفة أخرى لقرآنا أو صلة لتنزيل أو لفصلت والاول أولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب أو الخبر لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لا يسمعون) سماع تأمل وطاعة (وقالوا قلوبنا في أكنة) أغطية جمع كنان (مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) على دينك أو في ابطال أمرنا (اننا عاملون) على ديننا أو في ابطال أمرك (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد) لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا أدعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل (فاستقيموا اليه) فاستقيموا في أفعالكم متوجهين اليه أو فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل (واستغفروه) مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال (وويل للمشركين) من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله (الذين لا يؤتون الزكوة) لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي أنفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالآخرة هم كافرون) حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر) عظيم (غير ممنون) لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) في مقدار يومين أو نوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته (وتجعلون له أندادا) ولا يصح أن يكون له ند (ذلك) الذي خلق الارض في يومين (رب العالمين) خالق جميع ما وجد من الممكنات

(قوله أي فصل بعضها من بعض) فيه ان فصل متعد وما ذكره من المعنى يكون لازما (قوله أو فصلت) عطف على فصل وهذا هو الظاهر وما ذكره أولا فيه تكلف (قوله ومن بيننا وبينك) معناه ابتداء مسافة بيننا وبينك وابتداء مسافة بينك وبيننا وأوضحه العلامة التفتازاني بان البين اسم للوسط بالسكون سواء حازى الوسط أو لا واذا كان مبدأ الحجاب من البينين لا لأولوية لبعض الاجزاء ليكون منتهى فينتهي بالطرف الذي يلي مخاطبك فيحصل الاستيعاب بمجرد ذلك فكيف اذا اعتبر ابتداء له من طرف مخاطبك وانتهاء الى طرفك ولا كذلك لو ترك من فانه لا يدل الا على حصول حجاب بينكما كيف كان (قوله ومن للدلالة الخ) يعني لو قيل وبيننا وبينك حجاب لم يعلم ان الحجاب استوعب المكان (قوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع) أي بالاعمال منها أداء الزكاة اذ يفهم منه تهديدهم بترك الزكاة والا لم يكن لذكره كثير فائدة (قوله كأصح الخ) أي كما كتب لهم الاجر في وقت هو أصح أوقات أعمالهم (قوله وخلق في كل نوبة الى آخره) أي لا حاجة الى مقدار اليوم

ومربيها (وجعل فيها رواسى) استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (وبارك فيها) وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوان (وقدر فيها أقواتها) أقوات أهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به أو أقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة أيام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة (سواء) أى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرئ بالرفع على هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الاقوات للطالبين لها (ثم استوى الى السماء) قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها (وهى دخان) أمر ظلمانى ولعله أراد به مادتها أو الاجزاء المتصغرة التى ركبت منها (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة أو الاخبار أو اتيان السماء حدوثها واتيان الارض أن تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه أو لتأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة أى لتوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما (طوعا أو كرها) شئتما ذلك أو أبيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال (قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل من انه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى (فى يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى الى أهلها بأوامره ونواهيه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها (وحفظا) أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه

(قوله للفصل الخ) وهو قوله تعالى وتجعلون له أندادا لانه معطوف على تكفرون وقال العلامة الطيبى هذا مثل قوله تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فان صاحب الكشاف قال ان المسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقد تخلل بين المعطوفين فاصل هو كفر به باعتبار لان كفر به فى معنى الصد فكأنه قيل صد عن سبيل الله والمسجد الحرام (قوله وقيل حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها) فعلى الاول المعنى مستو أقواتها واستواؤها حصول قوت فى كل قطر وعلى الثانى مستو الارض فى حصول القوت فيها (قوله لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها الخ) أى يعلم من هذه الآية ان دحو الارض مؤخر عن خلق السماء ومعلوم ان دحوها مقدم على خلق الجبال فيها فعلم ان خلق الجبال مؤخر بمرتبتين عن خلق السماء فلا يلائم أن يقال ان ثم فى قوله تعالى ثم استوى للتراخى الزمانى والالزم تأخر خلق السماء عن خلق الجبال وهذا مناقض للاول وانما قال الظاهر لان قوله تعالى ثم استوى الى السماء ليس نصا فى أن المراد خلق السماء بأن قصد نحوها وأمرها بالاتيان فقال لها الخ (قوله على ان الخلق السابق بمعنى التقدير) أى الخلق المستفاد من قوله خلق الارض الى قوله ثم استوى (قوله أو الترتيب للرتبة الخ) أى يكون الخلق الاول بمعناه الحقيقى والترتيب المستفاد من فقال للرتبة أى القول المذكور لهما وان كان مقدما على خلقهما لكن رتبة الخلق أكمل من رتبة القول المذكور لانه مقدمة الخلق (قوله أو الاخبار) يعنى أو الترتيب للاخبار والمعنى فأخبر انه قال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها (قوله وقد عرفت ما فيه) لانه يدل على ان دحو الارض مؤخر عن خلق السماء وهو ينافى أن يكون خلق الجبال مقدما على خلق السماء كما علم من الآية السابقة (قوله انما يتصور على الوجه الاول والأخير) أى الوجه الاول من تفسير قوله تعالى ائتيا وهو قوله ائتيا بما خلقت فيكما الخ وكذا الوجه الاخير وهو قوله أو لتأت كل واحد منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما لانهما على هذين التقديرين موجودتان قبل خطاب ائتيا فيمكن خطابهما واقدارهما على الجواب وأما على غير هذين الوجهين بأن يكون المراد ائتيا فى الوجود الخ فلا اذ يكون المراد باتيان السماء حدوثها فلا

يتصور الخطاب لهم الان خطاب المعدوم غير معقول (قوله صعقته الصاعقة) أى صاعقة عاد وثمود تدل على أن الصعق متعد وصعقة عاد تدل على انه لازم فقال ان الصعق يجيء متعديا ولازما كما يقال صعقته الصاعقة الخ (قوله ولا يجوز جعله صفة لصاعقة) أى لا يجوز أن يكون صفة لصاعقة فى قوله تعالى أنذرتكم صاعقة اذ يلزم أن تكون الصاعقة المنذر بها واقعة فى زمان مجيء الرسل فى زمان عاد وثمود وكذا لا يجوز أن يكون ظرفا لأنذرتكم والا لزم أن يكون انذار النبى صلى الله عليه وسلم فى زمان مجيء الرسل المذكور (قوله وكل من اللفظين يحتملهما) أى بين الايدى يحتمل أن يكون الزمان الماضى والمستقبل وكذا الخلف (قوله أو من قبلهم ومن بعدهم الخ) قال صاحب الكشاف فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما أرسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل من جاء من بين أيديهم أى من قبلهم ومن يجيء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وهو قولهم انا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح وسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم (قوله ينزع الصخرة فيقتلعها) ان أبقى النزع على حقيقته

قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ فى القدرة والعلم (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى (من بين أيديهم ومن خلفهم) أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم أجمعين ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان (ألا تعبدوا الا الله) بأن لا تعبدوا أو أى لا تعبدوا (قالوا لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لأنزل ملائكة) برسالته (فانا بما أرسلتم به) على زعمكم (كافرون) اذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا (فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) فتعظموا فيها على أهلها من غير استحقاق (وقالوا من أشد منا قوة) اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده (أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه أحد غيره (وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع أو شديدة الصوت فى هبوبها من الصرير (فى أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) صاعقة من السماء فأهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرة أهل النار (حتى اذا ما جاؤها) اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بان ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا).

وهو القلع كان قوله فيقتلعها اعطاما تفسيرياله وان أريد معناه المجازى بان يكون المراد شد يد نزع الصخرة يكون نزع مثل قرأت فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله (قوله للمبالغة) أى للمبالغة فى لزوم الخزى للعذاب فكأنه عينه (قوله عبارة عن كثرة اهل النار) لان أهل النار المساقين اليها مجتمعة متصلة بعضها ببعض لا يتفرقون فلو كانوا قليلين لا حاجة الى حبس

الأول لحصول الآخر بل يساق الجماعة القليلة من غير توقف وحبس (قوله وماظننتم الخ) لم يتبين منه ان تقدير الآية ماذا وتوضيحه أن يقال وما كنتم تستترون كراهة أن يشهد عليكم سمعكم فيكون ان يشهد مفعولا له والمعنى ماظننتم ماذكر ان أعضاو كم الخ ولكن ظننتم الآية (قوله من أمر الآخره وانكاره) المقصود من أمر

الآخرة هو انكارها (قوله ان تك الخ) أى

سؤال توبيخ أو تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) أى مانطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ أوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافا (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وماظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغى أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال الا وهو عليه رقيب (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على مافعلتم (وذلكم) اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله (ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا (فأصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم عنها (وان يستعتبوا) يسألوا العتبى وهى الرجوع الى مايحبون (فماهم من المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فماهم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فماهم فاعلون لفوات المكنة (وقيضنا) وقدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم مابين أيديهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وماخلفهم) من أمر الآخرة وانكاره (وحق عليهم القول) أى كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم كقوله

ان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قد أفكوا

وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل أعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون أو عامة الكفار (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) سيآت أعمالهم وقد سبق مثله (ذلك) اشارة الى الاسوا (جزاء أعداء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) ينكرون الحق أو يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسى أرنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء (نجعلهما

أنت فى جملة آخرين فأنت فى عداد آخرين لست فى ذلك باوحد والمعنى ان تك عن أحسن الاعمال مصروفا بالكذب أى ممنوعا منه بسبب الكذب فهذا الصرف أمر شائع بين الناس (قوله وقد سبق مثله) أى فى سورة الزمر فى قوله ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا وتفصيل ماذكر فيه ان أسوأ ليس من اضافة أفعل الى ما أضيف اليه لقصد الزيادة عليه ولكن من اضافة الشئ الى ماهو بعضه من غير تفضيل كقوله الاشج أعدل بنى مروان ولما كان ذلك اشارة الى الاسوأ لابد ان يكون الاسوأ عبارة عن الجزاء لا عن العمل ليصح الاخبار عنه بجزاء أعداء الله النار فيكون الجزاء مقدرا والتقدير ماذكر أسوأ جزاء سيئات أعمالهم الذى كانوا يعملون فيكون الذى للجنس كما قال فى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ان الذى للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين كقوله تعالى أولئك هم المتقون هذا تصحيح كلامه ولا يخفى مافيه من التكلفات ولو لم يذكر قوله سيئات أعمالهم لكان أولى ولذا لم يذكر صاحب الكشاف بل قال والتقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون (قوله على المقصود) هو الصفة لم يذكر هو ولا صاحب الكشاف وجه اضافة الدار الى الخلد والسرور وفائدة ذكرها ووجهه انه من باب التجريد وهو أن ينزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كذا قالوا ويمكن أن يقال ان لكل أحد من أهل الجنة مقاما هو دار الخلد له فصح ان لكل منهم فى الجنة دار الخلد

تحت أقدامنا) ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) مكانا أوذلا (ان الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة أولانها عسر قلما تتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض لجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أوعند الموت أوالخروج من القبر (الاتخافوا) ماتقدمون عليه (ولاتحزنوا) على ماخلفتم وأن مصدرية أومخففة مقدرة بالباء أومفسرة (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة (وفى الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) فى الآخرة (ماتشتهى أنفسكم) من اللذائذ (ولكم فيها ماتدعون) ماتتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهوأعم من الاول (نزلا من غفوررحيم) حال من ماتدعون للاشعار بأن ماتتمنون بالنسبة الى مايعطون ممالايخطر ببالهم كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته (وعمل صالحا) فيمابينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى المؤذنين (ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة) فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى (ادفع بالتى هى أحسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى أحسن منها وهى الحسنة على أن المراد بالاحسن الزائد مطلقا أوبأحسن مايمكن دفعها به من الحسنات وانما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (ومايلقاها) ومايلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (الاالذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام (ومايلقاها الاذوحظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (وامايتزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها تبعث الانسان على مالاينبغى كالدفع بماهو أسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جدجده أوأريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شره ولاتطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك أوبصلاحك (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولاللقمر) لانهما مخلوقان مأموران مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بأنهما من عداد مالايعلم ولايختار (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود أخص العبادات وهوموضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند أبى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أى دائما لقوله (وهم لايسأمون) أى لايملون (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أى زادت (ان الذى أحياها) بعدموتها (لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (فى آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها (لايخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة) قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين

(قوله وهوأعم من الاول) لان المطلوب أعم من مشتهى اذقد يكون شئ مطلوبا لاحد ولا يكون مشتهى لنفسه بل قد يكون طلبه لغيره مثلا وأيضا الطلب أعم من الشهوة لانها التوقان وشدة الطلب (قوله على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا) أى على أن المراد بالاحسن الزائد فى الحسن بوجه ما على شئ وقوله أو بأحسن ما يمكن دفعها به تكون الزيادة فى الحسن على أمور مخصوصة هى الحسنات التى يدفع بها السيئة (قوله للمبالغة) لان الاستئناف يدل على شدة الاهتمام به اذهو جواب سؤال سائل

(اعملوا ماشئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا أو مستأنف وخبران محذوف مثل معاندون او هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير أو منيع لايتأتى ابطاله وتحريفه (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لايتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) أى حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (مايقال لك) أى مايقول لك كفار قومك (الاما قد قيل للرسل من قبلك) الامثل ماقال لهم كفار قومهم ويجوز أن يكون المعنى مايقول الله لك الامثل ماقال لهم (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ماأوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه (أأعجمى وعربى) أكلام أعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى لايفهم كلامه وهذا قراءة أبى بكر وحمزة والكسائى وقرأ قالون وأبو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية ألفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو الدلالة على أنهم لاينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) لمافى الصدور من الشك والشبه (والذين لايؤمنون) مبتداخبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى هم صم وهو تمثيل لهم فى عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود أو الذين لايؤمنون (لفى شك منه) من التوراة أو القرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن أساء فعليها) ضره (وما ربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ماليس له أن يفعله (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها اذ لايعلمها الا هو (وماتخرج من ثمرة من أكمامها) من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وماتحمل من أنثى ولا تضع) بمكان (الابعلمه) الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم أين شركاءى) بزعمكم (قالوا آذناك) أعلمناك (مامنا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أى مامنا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لاينفعهم أو لايرونه (وظنوا) وأيقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لايسأم الانسان) لايمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير (وان مسه الشر) الضيقة (فيؤس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله

(قوله عطف ذلك الخ) أى عطف قوله والذين لايؤمنون على الذين آمنوا فيكون المعنى هو للذين آمنوا هدى وللذين لايؤمنون وقوله فيكون الذين معطوفا على الذين ووقر عطف على هدى فيكون من باب العطف على معمول عاملين مختلفين وهو مما جوزه الاخفش والفراء مطلقا والمحققون من المتأخرين فى مثل هذه الصورة خاصة (قوله فيفعل بهم الخ) فيكون الظلم ههنا عبارة عن فعل ليس للفاعل أن يفعله ولا يناسبه

انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في
القنوط من ظهور أثر اليأس (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن
هذا لي) حق أستحقه لما لي من الفضل والعمل أولي دائما لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) تقوم
(ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) أي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى
من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه (فلننبئن الذين
كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها (ولنذيقنهم
من عذاب غليظ) لا يمكنهم التفصي عنه (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن الشكر (ونأى
بجانبه) وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في
قوله في جنب الله (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار
بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) أي القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) من غير نظر
واتباع دليل (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا
لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) يعني ما أخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام به
من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك
الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفي أنفسهم) ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم أو ما في بدن
الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم أنه الحق) الضمير للقرآن أو الرسول
أو التوحيد أو الله (أولم يكف بربك) أي أولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم
تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه والمعنى
أولم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة أو مطلع فيعلم حالك وحالهم أو أولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي أنه تعالى
مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية (ألا انهم في مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية (من
لقاء ربهم) بالبعث والجزاء (ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته
شئ منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿ سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وتسمى سورة الشورى ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم عسق) لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق
سائر الحواميم وقرئ حم سق (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي
مثل ما في هذه السورة من المعاني أو ايحاء مثل ايحائها أوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما
ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وأن ايحاء مثله عادته
وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر
ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن
الموحى به كما مر في السورة السابقة أو بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار أو
العزيز الحكيم صفتان وقوله (له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم) خبران له وعلى
الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائي بالياء
(يتفطرن) يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وأبو بكر ينفطرن بالنون

(قوله من جهة البنية) أي من جهة الصيغة لان فعول للمبالغة (قوله وما في القنوط الخ) لان القنوط هو ان يظهر أثر اليأس (قوله وتعليلا لمزيد ضلالهم) أي تعليلا لمزيد ضلالهم المستفاد من أضل لذي هو صيغة التفضيل فان الشقاق دليل الضلال والبعيد يدل على زيادته

﴿سورة شورى﴾

والاول أبلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفران الله ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكول اليك أمرهم (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحى أو الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جمة فتكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه (لتنذر أم القرى) أهل أم القرى وهى مكة شرفها الله تعالى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أو الارواح والاشباح أو العمال والاعمال وحذف ثانى مفعولى الاول وأول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له من الاعراب (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) مهتدين أو ضالين (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والحمل على الطاعة (والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير) أى يدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار (أم اتخذوا) بل اتخذوا (من دونه أولياء) كالاصنام (فالله هو الولى) جواب لشرط محذوف مثل ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير) كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم) أنتم والكفار (فيه من شئ) من أمر من أمور الدنيا أو الدين (فحكمه الى الله) مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله ربى عليه توكلت) فى مجامع الامور (واليه أنيب) اليه أرجع فى المعضلات (فاطر السموات والارض) خبر آخر لذلكم أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لالى الله (من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) نساء (ومن الانعام أزواجا) أى وخلق للانعام من جنسها أزواجا أو خلق لكم من الانعام أصنافا أو ذكورا واناثا (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء (فيه) فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شئ) أى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد

(قوله وتخصيصها على الاول الخ) أى على قراءة يتفطرن من باب التفعيل ليدل على عظم الامر فانه اذا تشقق السموات من جانبها الاعظم فيكون أدل على عظمة الله تعالى وعلى الثانى وهو القراءة الاخرى ليدل على ما ذكر وهو ظاهر (قوله فان المراد بها الجنس) أى المراد من الارض الجنس فهو شامل للمتعدد ولذا جمع الضمير (قوله على الاول الخ) أى التفسير الاول والثانى (قوله أو متفرقين الخ) هذا مناسب لان يكون المراد من الجمع جمع الارواح والاشباح أو العمال والاعمال (قوله ولعل الخ) أى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى عذابه فغير الى ما ذكر لما ذكر (قوله أى ليس مثله شئ) هو حاصل المعنى لانه اذا كان المراد من مثله ذاته صار المعنى ليس كذاته شئ والكاف بمعنى مثل أى ليس مثل ذاته شئ ومآله الى ان ليس مثله شئ لان ذات الشئ هو الشئ نفسه (قوله رقيقة) هى بضم الراء ولداته جمع لدة وهى ترب الرجل وسقيا طلب عبد المطلب السقى والدعاء له فى سنة أصابت العرب فى زمانه والمراد بالطيب الطاهر ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصل ما ذكره انها أى رقيقة رأت فى المنام أن

المطلب ألاوفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عى أنه يعطى معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل مايسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) خزائنها (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شئ عليم) فيفعله على ماينبغى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (أن أقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أوالرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع أوالجر على البدل من هاء به (ولاتتفرقوا فيه) ولاتختلفوا فى هذا الاصل امافروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ماتدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم أوللدين (ويهدى اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وماتفرقوا) يعنى الامم السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وماتفرق الذين أوتوا الكتاب (الا من بعد ماجاءهم العلم) العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه أوالعلم بمبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام أوأسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة أوطلبا للدنيا (ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة أوآخر أعمارهم المقدرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا والعظم مااقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أوالمشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لا يعلمونه كما هو أولايؤمنون به حق الايمان أومن القرآن (مريب) مقلق أومدخل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق اوالكتاب أوالعلم الذى أوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية أوالاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن تكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما أمرت) واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى (ولاتتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى أمره (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) وكل مجازى بعمله (لاحجة بيننا وبينكم) لاحجاج بمعنى لاخصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولاللخلاف مبدأ سوى العناد (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) مرجع الكل لفصل القضاء وليس فى الآية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) فى دينه (من بعد مااستجيب له) من بعد مااستجاب له الناس ودخلوا فيه أومن بعد مااستجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر أومن بعد مااستجاب له أهل الكتاب بان أقروا بنبوته واستفتحوا به (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة (وعليهم غضب) لمعاندتهم (ولهم عذاب شديد) على كفرهم (الله الذى أنزل الكتاب) جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل أو بما يحق انزاله من العقائد والاحكام (والميزان) والشرع الذى توزن به الحقوق ويسوى بين الناس أوالعدل بان أنزل الامر به أوآلة الوزن بان أوحى باعدادها (ومايدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل أن يفاجئك

يخرج الناس ويدعوعبد المطلب ومعه ولده الطيب الطاهر فخرجوا فدعا فسقوا ونظر بما ذكرلانه فى معنى الطيب الطاهر أمثاله (قوله ومن قال الكاف فيه زائدة الخ) أى لايحسن ان يحكم بزيادة الكاف اذ على هذا التقدير تنتفى الكناية التى هى المقصود فانه اذانفى شبيه مثله وهو المعنى الحقيقى للعبارة لزم المعنى المقصود وهو نفى شبيه ذاته تعالى وهو المعنى الكنائى (قوله على هذا يجوز أن يكون اللام فى موضع الى) أى اللام فى قوله فلذلك توضع موضع الى لماذكر اذ الظاهر أن يقال فالى ذلك فادع وهذا اشارة الى الاتفاق والاتباع أى على تقدير ان يكون المراد ادع الى الاتفاق والاتباع يجوز أن يكون اللام فى لذلك فى موضع الى والمعنى للاتفاق على الملة الحنيفية ادع (قوله وليس فى الاية مايدل الخ) اذ معناه نفى محاجة البحث وأما القتال فشئ آخر غيرها

اليوم الذي توزن فيه أعمالك وتوفى جزاءك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب أو لان الساعة
بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون
منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة)
يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث أشبه الغائبات الى
المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ما وراءه (الله لطيف بعباده) برّ بهم
بصنوف من البر لا تبلغها الافهام (يرزق من يشاء) أى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع
من البر على ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من
كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا
مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض و يقال للزرع الحاصل منه (نزد له فى حرثه)
فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيأ منها على
ما قسمنا له (وما له فى الآخرة من نصيب) اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (أم لهم شركاء)
بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من
الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم
لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به أو صور من
سنه لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو العدة بان الفصل يكون يوم
القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب أليم)
وقرئ أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم
فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما
كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) أى ووباله لاحق بهم أشفقوا أو لم يشفقوا (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) فى أطيب بقاعها وأنزهها (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى
ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى ما للمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه
ما لغيرهم فى الدنيا (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى
يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد أو ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من أبشره (قل لا أسئلكم عليه) على ما أتعاطاه من
التبليغ والبشارة (أجرا) نفعا منكم (الا المودة فى القربى) أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا قرابتى
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى الا
المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة ومن أجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله
والبغض فى الله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال
على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودته لهم (نزد له فيها حسنا) فى
الحسنة بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وحسنى (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن
أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم يقولون) بل أيقولون (افترى على الله كذبا)
افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن (فان يشأ الله يختم على قلبك) استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار

(قوله فان البعث الخ) لان البعث عبارة عن خلق البشر بعد موته فهو شبيه بخلق البشر ابتداء الذى هو من المحسوسات (قوله أو صور من سنه لهم) أى أو صور من أشرك بهم (قوله فحذف الجار ثم العائد) هذا بناء على انهم لا يجوزون حذف المفعول الجار والمجرور دفعة بل على التدريج بخلاف السمن منوان بدرهم (قوله وفى القربى حال منها الخ) هذا على تقدير الانقطاع لان المودة على هذا التقدير مفعول وأما على تقدير الاتصال فليس بمفعول بل الاولى ان يقال ان التقدير الا المودة الثابتة فى القربى وأولى بما قاله هو ان تودونى لقرابتى بل منكم وتودوا قرابتى

على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بر به فامامن كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن أو الوحى عنه أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك أذاهم (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بأنه لوكان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذى لامرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان بالشر (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن على رضى الله عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيآت) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير أبى بكر ما تفعلون بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء أو الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها (ويزيدهم من فضله) على ماسألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى كمية أو كيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) كما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا أمرهم وجلاياحالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد (من بعد ما قنطوا) أيسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولىّ) الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حىّ على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض وما يكون فى أحد الشيئين يصدق أنه فيهما فى الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) أى فى أى وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية أو متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولىّ) يحرسكم عنها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

وان صخر التأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

(قوله عنه) أى عن قلبك (قوله استئناف الخ) أى ليس بمعطوف على جزء الشرط وهو قوله تعالى يختم على قلبك اذ على هذا الزم ان يكون مترتبا على الجزاء مقيدا بالمشيئة لكن الغرض ههنا انه تعالى يمحو الباطل البتة ويحقق الحق بكلماته وعلى هذا فواو وليست بمحذوفة بالجزم فينبغى ان تكتب لكن لم تكتب لاتباع اللفظ والقرينة على ما ذكرنا ايلاء اسم الله فى ويمح الله (قوله كيفية أو كمية) فالتجاوز فى الكيفية طلب الاشد والاقوى والتجاوز فى الكمية طلب الاكثر (قوله لان ما شرطية أو متضمنة معناه) فالاول أن يكون لفظان ملحوظة معه بعد لا والثانى أن لا يكون كذلك بل يلاحظ فيه ترتب شئ على شئ

(ان يشأ يسكن الريح) وقرئ الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل الايمان فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (أو يوبقهن) أو يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك أهلها لقوله (بما كسبوا) وأصله أو يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (ويعف عن كثير) اذ المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم أو على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه أيضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين (مالهم من محيص) محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا) تمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق أبو بكر رضى الله تعالى عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا أو مدح منصوب أو مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له (وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم) ذو شورى بينهم لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وسمى الثانية سيئة للازدواج أو لانها تسوء من تنزل به (فمن عفا وأصلح) بينه وبين عدوه (فأجره على الله) عدة مبهمة تدل على عظم الموعود (انه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك ما عليهم من سبيل) بالمعاتبة والمعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم (ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) على ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك لمن عزم الامور) أى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا (يقولون هل الى مرد من سبيل) هل الى رجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار ويدل عليه العذاب (خاشعين من الذل) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعريض للعذاب المخلد (يوم

(قوله لانه أيضا غير واجب) أى الجزاء شبيه الجواب بالاشياء الستة التى هى الامر والنهى الخ لان الجزاء غير واجب فى ذاته بل بسبب الشرط كما ان جواب الامور المذكورة غير واجب بذاته بل بأحد الامور المذكورة (قوله فانه ينبئ عن عجز المغفور له والانتصار الخ) الانتصار معطوف على عجز اى الغفران ينبئ عن عجز المغفور والانتصار ينبئ عن مقاومة الخصم (قوله ثم عقب وصفهم الخ) أى ذكر قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بعد ذكر الانتصار للمنع عن التجوز عن المثل لان المثلية توجب عدم التعدى

(قوله واقامة علة الجزاء مقامه) لان الجزاء الحقيقي هو مثل ينسى النعمة و يشكو كثير الكنه لم يذكر كما هو جزاء حقيقة وذكر سببه الذى هو الكفران الذى هو مقتضى طبعه (قوله بدل من يخلق بدل البعض) أى قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا الخ بدل البعض من يخلق مايشاء لان هذا التفصيل بعض خلق الله تعالى (قوله والاناث كذلك) أى الاناث تتعلق بها مشيئة الله لا مشيئة الانسان لان الانسان لايشتهى من الاولاد

تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (قوله أولتطييب قلوب آبائهن) يعنى لما قدم الله تعالى ذكر الاناث فى كلامه ذكرن بلفظ يوهم آباءهن ولذا ورد فى الحديث الوعد بالجنة لمن له بنتان وراعى حقهما (قوله أو للمحافظة على الفواصل) فان الفواصل أواخرها راء كالكفور والقدير ولذا عرف اذ لولم يعرف لقيل يهب لمن يشاء ذكورا فلم يحفظ الفواصل (قوله وتغيير العاطف فى الثانى) أى فى العطف الثانى وهو قوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا لانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة أى القسمين المتقدمين الاول من رزق من الاولاد الاناث والثانى من ارزق منهم الذكور ولم يحتج الرابع وهو ويجعل من يشاء عقيما الى تغيير العاطف لظهور كونه قسيم الاقسام المتقدمة وغاية مباينته عنها (قوله لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا الخ) أى الوحى

القيمة) ظرف لخسروا والقول فى الدنيا أولقيل أى يقولون اذا رأوهم على تلك الحال (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم) تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى الهدى أو النجاة (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله) لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتى أى من قبل أن يأتى يوم من الله لا يمكن رده (مالكم من ملجأ) مفر (يومئذ ومالكم من نكير) انكار لما اقترفتموه لانه مدوّن فى صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا أو محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) أراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا و يذكر البلية و يعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضاة بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر فى الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (لله ملك السموات والارض) فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء (يخلق مايشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا و يجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل أحوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعا و يعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها أكثر لتكثير النسل أولان مساق الآية للدلالة على أن الواقع مايتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك أولان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بأنه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة (انه عليم قدير) فيفعل مايفعل بحكمة واختيار (وما كان لبشر) وماصح له (أن يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو مايعم المشافه به كما روى فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى فى طوى والطور ولكن عطف قوله (أو من وراء حجاب) عليه يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع أو الوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء) أو يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما أمره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسل ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام و يجوز أن يكون وحيا و يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا

وقرا

فى الحقيقة أمر يمثل فى متخيلة الموحى اليه بالفاظ متخيلة كما تمثل جبرائيل لمريم بشرا سويا (قوله لان الارسال نوع من الكلام) لانه عبارة عن أن يقول الله لانسان بعثتك الى الخلق لتبشر وتنذر (قوله وقعت أحوالا) والمعنى الا موحيا أو متكلما من وراء حجاب أو يرسل رسولا (قوله برفع اللام) فان قلت فحينئذ ما اعرابه قلنا هو حال عطفا على ماسبق وهو أيضا حال والمعنى أن يكلمه الله الا موحيا أو متكلما من وراء حجاب أو يرسل

وقرأنافع أو يرسل برفع اللام (انه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ماتقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اماعيانا وامامن وراء حجاب (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) يعنى ماأوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيا به وقيل جبريل والمعنى أرسلناه اليك بالوحى (ما كنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان) أى قبل الوحى وهو دليل على أنه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بمالاطريق اليه الاالسمع (ولكن جعلناه) أى الروح أو الكتاب أو الايمان (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول والنظر فيه (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) هو الاسلام وقرئ لتهدى أى ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاول (الذى له ما فى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون له

﴿سورة الزخرف مكية وقيل الاقوله واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا وآيها تسع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا) أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبى تمام * وثناياك انها اغريض * ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بمافيها من الدلالة على المقسم عليه و بالقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة أو بين للعرب مايدل على أنه تعالى صيره كذلك (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف (فى أم الكتاب) فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرئ أم الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا عن التغيير (لعلى) رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينهما (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفى أم الكتاب متعلق بعلى واللام لاتمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف أى أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا و يؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار أن يكون الامر على خلاف ماذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه (أن كنتم قوما مسرفين) أى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وماقبلها دليل الجزاء (وكم أرسلنا من نبى فى الاولين ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم (ومضى مثل الاولين) وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين (ولئن سألتهم من

(قوله وهو دليل الخ) لا يخفى انه لايصح اجراء الكلام على ظاهره والالزم خلوه عن الايمان قبل الوحى فيجب ان يحمل قوله ولاالايمان على الايمان بكل مايجب به الايمان أو بما قيل ان المراد مالاطريق له الاالسمع

﴿سورة الزخرف﴾

(قوله اغريض) الاغريض الطلع وقيل البرد وتنظيره بهذا الشعر تبعا للزمخشرى صريح فى ان المقسم عليه قوله اغريض وقال العلامة التفتازانى انه كلام مستأنف لبيان تفخيم شأن الثنايا وجواب القسم مايجىء بعد ذلك فى القصيدة التى مطلعها ماذكر (قوله واللام لايمنعه) أى اللام فى لعلى لايمنع تقديم مايتعلق بعلى عليه كما جاز ان زيدا فى الدار لقائم والمعنى لعلى فى أم الكتاب (قوله ولدينا بدل منه) أى من على (قوله طارقها) الطارق مايطرق بالليل القونس ومنبت شعر الناصية (قوله اضرب بفتح الباء) بتقدير اضربن (قوله فيكون ظرفا) والمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحا أى كائنا فى جانب وناحية منكم (قوله وحينئذ الخ) أى صفحا بالضم بمعنى الجانب وهو الظاهر ويحتمل احتمالا آخر وهو ان يكون مخفف صفح (قوله استجهالا لهم) لان ماذكر يدل على انهم لم يتحقق عندهم انهم مسرفون مع وضوحه

خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) لعله لازم مقولهم أو مادل عليه اجمالا أقيم
مقامه تقريرا للالزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع أخر وهو الذي من صفته ما
سرد من الصفات ويجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف (الذي جعل لكم الارض مهدا)
فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم
تهتدون) لكي تهتدوا الى مقاصدكم أو الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك (والذي نزل من السماء ماء
بقدر) بمقدار ينفع ولا يضر (فأنشرنا به بلدة ميتا) مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى
البلد والمكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء (والذي خلق الازواج كلها) أصناف المخلوقات
(وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي
بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة أو المخلوق للركوب على المصنوع له أو الغالب على النادر
ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) أي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين) مطيقين من أقرن الشيء اذا أطاقه وأصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون
قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله في
الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا
الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو
الانقلاب الى الله تعالى أو لانه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى (وجعلوا
له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا
الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد
الحق في ذاته وقرأ أبو بكر جزؤا بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك
نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين)
معنى الهمزة في أم للانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من
مخلوقاته أجزاء أخس مما اختير لهم وأبغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر أحدهم بها اشتد غمه به كما قال
(واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وأن يماثل الوالد
(ظل وجهه مسودا) صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من
الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين بما مر في الذكور وقرئ مسود
ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا (أومن ينشأ في الحلية) أي أو
جعلوا له أو اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات (وهو في الخصام) في المجادلة (غير مبين) مقرر
لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز أن يكون من مبتدأ محذوف الخبر أي أومن هذا
حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه لما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص
ينشأ أي يربى وقرئ ينشأ و يناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى (وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على
الله تعالى أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على
تمثيل زلفاهم وقرئ أنثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا
فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة

(قوله لعله لازم مقولهم الخ)
يعني انهم لم يقولوا العبارة
المذكورة بل قالوا في الجواب
ما يستلزم الوصفين أو ما دل
عليه اجمالا فانهم قالوا في
الجواب خالق الخلق الله تعالى
كما حكى عنهم في مواضع أخر
فالعزيز العليم لازمان له
وكذا هما مدلوله اجمالا
لان الله موضوع للذات
الكاملة من جميع الجهات
وهما من جهاته (قوله كأنهم
قالوا الله تعالى) معناه ان
الظن انهم قالوا في الجواب
ما ذكر لان كان في مثل
هذا المقام للظن (قوله
لما مر في الذكور) أي في
قوله تعالى يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
وهو أن يكون التعريف
خبرا للتأخير في الذكر (قوله
عند الخ) أي قرئ عند
بالنون

بين بين وآ أشهدوا بمدة بينهما (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة (ويسئلون) أى عنها يوم القيامة وهو وعيد شديد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى أن لله جزأ وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى لوشاء عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها أوعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أومنهيا حسنا كان أوغيره ولذلك جهلهم فقال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز أن تكون الاشارة الى أصل الدعوى كانه لما أبدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى انكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو ادعائهم ينطق على صحة ماقالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم أى القاصد ومنها الدين (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم وهى حكاية أمر ماض أوحى الى النذير أو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) أى وان كان أهدى اقناطا للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولا تكترث بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم (لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون) برىء من عبادتكم أو معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برىء و براء ككريم وكرام (الا الذى فطرنى) استثناء منقطع أو متصل على ان مايعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام والاوثان أو صفة على ان ماموصوفة أى اننى برىء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه سيهدين) سيثبتنى على الهداية أو سيهدينى الى ماوراء ماهدانى اليه (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو الله كلمة التوحيد (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه أى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحد (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) دعوة التوحيد أو القرآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بماله من المعجزات أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) لينبههم عن غفلتهم (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن

(قوله أوعلى حسنها) أى على حسن العبادة أى لوشاء الله عبادتنا الملائكة كانت عبادتنا لهم حسنة (قوله فى قوله وجعلها كلمة باقية) أى فى شأن قوله وجعلها (قوله مبالغة فى تعييرهم) المبالغة حاصلة بطريق الكناية لان التمتيع سبب الضلال فالمراد بالاعتراض انه صورة الاعتراض

مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمت ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة أمرهم فى دنياهم فمن أين لهم أن يدبروا أمر النبوة التى هى أعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى أن يكون حلالها وحرامها من الله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) وأوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه (ورحمت ربك) يعنى هذه النبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) لولا أن يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج (عليها يظهرون) يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهى لغة فى سقف (ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أى أبوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا أو ذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) عن الكفر والمعاصى وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو أنه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات وقرئ يعش بالفتح أى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشى اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى أن يرفع نقيض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) عن الطريق الذى من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له (ويحسبون أنهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءنا) أى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاآنا أى العاشى والشيطان (قال) أى العاشى للشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم) أى ما أنتم عليه من التمنى (اذ ظلمتم) اذ صح أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا بدل من اليوم (أنكم فى العذاب مشتركون) لان حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه ويجوز أن يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى أمر صعب معاونتهم فى تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى) انكار وتعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاهم عمى

(قوله وقرئ به مع ان وما) أى قرئ بالا مع واحد منهما (قوله الضمائر الثلاثة الاول له الخ) المراد من الضمائر الثلاثة هى التى فى جملة يحسبون انهم مهتدون والاول منها للعاشى والضميران الباقيان وهما ضمير انهم وضمير مهتدون للشيطان اذ المعنى ان العاشى يحسبون الشياطين مهتدين فيقلدون الشياطين لذلك الحسبان فان قيل العاشون عن ذكر الرحمن لم يعترفوا بان الشياطين يوسوسونهم ويأمرونهم بالدين الذى هو الشرك ولم يعترفوا انهم قرناؤهم فكيف يحسبون أى العاشون ان الشياطين مهتدون قلنا هم أى العاشون فى حكم المقر المذكور لانهم لما عملوا ما أمر به الشياطين فكأنهم يحسبون أنهم مهتدون ويمكن أن يقال المراد من الشيطان أعم من شيطان الانس والجن فلكل من المشركين له قرين من جنسه والاولى أن يجعل الضمائر الثلاثة للعاشى (قوله بدل من اليوم) أى على تفسيره وهو ان المعنى اذ صح انكم ظلمتم يكون اليوم الذى هو يوم القيامة بعينه هو زمان تحقق صحة الظلم ما قبله

مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى (فاما نذهبن بك) أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعذاب فى الدنيا والآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) أو ان أردنا أن نريك ماوعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس أو نرينك باسكان النون وكذا نذهبن (فانا عليهم مقتدرون) لا يفوتوننا (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من الآيات والشرائع وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لا عوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسئلون) أى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أممهم وعلماء دينهم وقرأ ابن كثير والكسائى بتخفيف الهمزة (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) يريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد ليتأملوا فيها (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) الا هى بالغة أقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

أو الا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد (لعلهم يرجعون) على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا يا أيه الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أو لانهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا وقرأ ابن عامر بضم الهاء (ادع لنا ربك) فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة (اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء (ونادى فرعون) بنفسه أو بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم (قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) تحت قصرى أو أمرى أو بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجرى حال منها أو واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها (أفلا تبصرون) ذلك (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من أسباب فضله أو متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أنى خير منه (فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب) أى فهلا ألقى عليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب وأساورة جمع اسوار بمعنى السوار على

(قوله فانه كان أقوى ما حملهم الخ) أى الابتداع والاتيان بالأمر البديع أقوى الموجبات للحمل على تكذيب المبتدع

تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ
أساور جمع اسورة وألقي عليه اسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أوجاء معه الملائكة
مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
(فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به
(انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) أغضبونا بالافراط في
العناد والعصيان منقول من أسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) في اليم
(فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت
به أو جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف ورغيف
أو سالف كصبر جمع صابر أو سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال الضمة اللام فتحة أو على انه جمع سلفة أي ثلة قد
سلفت (ومثلا للآخرين) وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون
(ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي ضرب به ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أو غيره بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون
عيسى عليه السلام ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أو على قوله تعالى واسأل من أرسلنا
من قبلك من رسلنا أو ان محمدا يريد أن نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش (منه) من هذا
المثل (يصدون) يضجون فرحا لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع وابن
عامر والكسائي بالضم من الصدود أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو
يعكف ويعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أي آلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام فان يكن
في النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى عليه السلام فاذا جاز أن يعبد ويكون
ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع آلهتنا وقرأ
الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما (ماضربوه لك الاجدلا) ماضربوا هذا
المثل الالاجل الجدل والخصومة لالتمييز الحق من الباطل (بل هم قوم خصمون) شداد الخصومة
حراص على اللجاج (ان هو الاعبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أمرا عجيبا
كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (ولو نشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم
يارجال كما ولدنا عيسى من غير أب أو لجعلنا بدلكم (ملائكة في الارض يخلفون) ملائكة يخلفونكم
في الارض والمعنى أن حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ماهو أعجب من ذلك
وأن الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن أين
لهم استحقاق الألوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى (وانه) وان عيسى عليه السلام (لعلم
للساعة) لان حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لان احياء الموتى يدل على قدرة الله
تعالى عليه وقرئ لعلم أي لعلامة ولذكر على تسمية مايذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى عليه
السلام على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه
الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
الامن آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها (فلا تمترن بها) فلا تشكن
فيها (واتبعون) واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم أمر
أن يقوله (هذا) الذي أدعوكم اليه (صراط مستقيم) لا يضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان)

(قوله يقتدون بهم الخ) فيه ان قوله تعالى فجعلناهم سلفا يدل على انه تعالى جعلهم سلفا بسبب الانتقام والغرق وهذا لايناسب جعلهم قدوة للآخرين والوجه ان يقال ان المعنى فجعلناهم سالفين هالكين ومثلا للآخرين حتى يكون للآخرين متعلقا بقوله مثلا لابقوله سلفا (قوله أو غيره) عطف على قوله انكم الخ (قوله وعلى قوله واسأل من أرسلنا الخ) عطف على قوله والنزاع وفيه انه قال ان عيسى عبده فلا يصح ان لم نجعل من دون الرحمن آلهة يعبدون ٧ فكيف يصح قوله واسأل من أرسلنا الخ (قوله كالمزيح لتلك الشبهة) وهو كون عيسى معبودا بحق فان هذا هو أصل شبهتهم لان دعواهم ان عيسى معبود بحق لا بباطل لا اعتداد به وانما قال كالجواب المزيح لتلك الشبهة اذ الجواب الصريح ان يقال ان عيسى ليس معبودا بحق لكن ماذكره ليس ذلك الجواب بعينه وانما هو مستلزم له (قوله يدل على قدرة الله عليه) فيدل على البعث الذي هو احياء أرض أيضا (قوله على تسمية مايذكر به ذكرا) أي على تسمية مايذكر به الساعة وهو عيسى ذكرا

(قوله وهواعتقاد التوحيد الخ) لان أول ماقاله الانبياء هو الامر بالتوحيد (قوله تعالى هل ينظرون) أى ينتظرون لما كانوا مستحقين للعذاب الواقع فى الساعة ووجب وقوعه عليهم فكأنهم منتظرون له (قوله فجأة) أى بلا

عن المتابعة (انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل أو بالشريعة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو ما يكون من أمر الدين لاما يتعلق بأمر الدنيا فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لبيانه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمر دنياكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أبلغه عنه (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام أو استئناف من الله تعالى يدل على ماهو المقتضى للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من عذاب يوم أليم) هو القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقريش أو للذين ظلموا (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وانكارهم لها (الأخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) أى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة أبد الآباد (ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة المنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو أى الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهى الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه الانفس على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص مايعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ (وأنتم فيها خالدون) فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) وقرئ أورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتى خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة (ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبران أو خالدون خبر والظرف متعلق به (لايفتر عنهم) لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بأنهم

مقدمة وقوله وهم لايشعرون ليس بتأكيد بل تأسيس اذ لايلزم من عدم المقدمة عدم الشعور اذ يمكن وقوع الشئ المشعور به من غير سبق مقدمة (قوله وذلك تعميم بعد تخصيص) أى ذكر ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين بعد يطاف عليهم بصحاف من ذهب تعميم بعد تخصيص لان الصحاف والاكواب المذكورين بعض ماتشتهى الانفس (قوله لانه يخلفه عليه العامل) العامل فاعل يخلفه والضمير فى يخلفه راجع الى العمل وفى عليه الى الجزاء والمعنى يخلف العامل العمل متمكنا على الجزاء فكان الجزاء الميراث الحاصل للعامل عن العمل (قوله لما كان بهم من الشدة) أى لما حصل للفقراء المسلمين من الشدة والفاقة فكان توجههم الى المطعم والملبس شديدا (قوله لانه جعل قسيم المؤمنين) فيه انه ان أراد انه جعل قسيم مطلق المؤمنين فليس كذلك اذ لم يصح ان مطلق المؤمنين ليس لهم الخوف ولاهم يحزنون فان العاصين لهم خوف وحزن وان أراد انه جعل قسيم المؤمنين المتقين عن المعاصى فهذا لايوجب أن يكون المجرمون مخصوصين بالكفار لان العاصين من المؤمنين مجرمون أيضا (قوله والتركيب للضعف) أى التركيب من حروف فتر يدل على الضعف

اضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروافقالوا (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه اذا أماته وهو لاينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة (قال انكم ما كثون) لاخلاص لكم بموت ولابغيره (لقد جئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضميرالله والاجواب منه فكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك (ولكن أكثركم للحق كارهون) لمافي اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح (أم أبرموا أمرا) في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته (فانا مبرمون) أمرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك أسوأ من كراهتهم أوأم أحكم المشركون أمرا من كيدهم بالرسول فانامبرمون كيدنابهم ويؤيده قوله (أم يحسبون أنالانسمع سرهم) حديث أنفسهم بذلك (ونجواهم) وتناجيهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمة لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) منكم فان النبي صلى الله عليه وسلم يكون أعلم بالله و بمايصح له و بمالايصح له وأولى بتعظيم مايوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولايلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الاالله لفسدتا غير أن لوثم مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لاتشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره الولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه أومن أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه أوما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عمايصفون) عن كونه ذاولد فان هذه الاجسام لكونها أصولاذات استمرار تبرأت عمايتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فماظنك بمبدعها وخالقها (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (و يلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي يوم القيامة وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود أومتضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بتعلق الخبر والعطف عليه ولايجوز جعله خبرا له لانه لايبقى له عائد لكن لوجعل صلة وقدر له مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذي له ملك السموات والارض ومابينهما) كالهواء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها (واليه يرجعون) للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كمازعموا أنهم شفعاؤهم عندالله (الامن شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان أريد بالموصول كل ماعبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين أو المعبودين (ليقولن الله) لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره (فأنى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم أوعلى محل الساعة أولاضمار فعله أي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) أومعطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هوقسم منصوب

(قوله فانه جؤار وتمن) وهما لاينافيان الابلاس من التخليص من العذاب اما الجؤار فظاهر وأما التمني فلانه يجوز تمني المستحيل (قوله والاجواب منه الخ) أي ان لم يكن الضمير في قال ضمير الله يكون لقد جئناكم جوابالهم من الله بعد جواب مالك لهم وجوابه انكم ما كثون (قوله تعالى فانا مبرمون) جزاء شرط محذوف والمعنى بل أبرموا وان أبرموا فانامبرمون أوعلة لامر محذوف والمعنى بل أبرموا أمرا ولا ينال به فانامبرمون (قوله للاشعار الخ) وجه الاشعار ان الفاعل لهذا الأمر لايستحق أن يخاطب (قوله ما كان له ولد) فتكون ان نافية (قوله وكذا فيمن قرأ الله) أي ذلك الحكم في قراءة من قرأ الله والرافع مبتدا محذوف والتقدير وهو الذي في السماء هو الله (قوله يكون به جلة مبينة للصلة) أي مبينة لمعنى كون الله في السماء اذ يعلم أن المراد حصول معبوديته اذ المراد الذي هو المعبود (قوله بتقدير مضاف) فيكون المعنى وعلم قيله

بحذف

بحذف الجار أومجرور باضماره أومرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه (فاصفح عنهم) فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

* (سورة الدخان) * مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع أوتسع وخمسون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين) القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب قوله (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) ليلة القدر أوالبراءة ابتدئ فيها انزاله أونزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية أولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يبين المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فان كونها مفرق الامور المحكمة أوالملتبسة بالحكمة يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل أى يفرقه الله ونفرق بالنون (أمرا من عندنا) أى أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز أن يكون حالا من كل أوأمرا أوضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وأن يكون المراد به مقابل النهى وقع مصدر اليفرق أولفعله مضمرا من حيث ان الفرق به أوحالا من أحد ضميرى أنزلناه بمعنى آمرين أومأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين أى أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فانه أعظم أنواع التربية أوعلة ليفرق أوأمرا ورحمة مفعول به أى يفصل فيها كل أمر أوتصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا أن نرسل رحمتنا فان فصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته فانها لاتحق الا لمن هذه صفاته (رب السموات والارض وما بينهما) خبر آخر أواستئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أوكنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الامر كما قلنا أوان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لااله الا هو) اذلاخالق سواه (يحيى ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا من ربك (بل هم فى شك يلعبون) رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أولان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار أولان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار أويوم ظهور الدخان المعدود فى أشراط الساعة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال أول الايات الدخان ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب

(قوله وقيل يارب قسمى) قال صاحب الكشاف الضمير فى قيله للرسول صلى الله عليه وسلم فاقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم الدعاء به

﴿سورة الدخان﴾

(قوله لانه موصوف) أى من جعه رهوامر موصوف بحكيم فيجب أن يكون فيه ضمير راجع اليه (قوله وأن يكون المراد مقابل النهى) أى يحتمل أن يكون المراد بالامر الامر المقابل للنهى وأن يكون مصدر اليفرق حتى يكون مفعولا له أومصدر الفعله المقدر أى نأمر أمرا من عندنا وعلى كلا التقديرين مفعول مطلق وتوضيحه انه ان كان مصدر اليفرق كان مفعولا مطلقا ليفرق فيكون بمعنى الفرق وان كان مصدر الفعل تكون الجملة مرتبطة بيفرق من حيث ان الفرق به (قوله أوعلة) عطف على قوله بدل أى أو يكون انا كنا مرسلين علة ليفرق أوعلة لامرا (قوله ابين) بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بنى هذه البلدة وسكن بها

يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ما هو أعظم منها في ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أي قال بعضهم يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام فانه لما دعا رفع القحط (قليلا) كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو ما بقي من أعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة أوله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه أو بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش أي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم أو أوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله أو على المؤمنين أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن أدوا الى عباد الله) بأن أدوهم الي وأرسلوهم معي أو بأن أدوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة ياعباد الله ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة (اني لكم رسول أمين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لا تعلوا على الله) ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى في وجهيها (اني آتيكم بسلطان مبين) علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى (واني عذت بربي وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) أن تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني وقرئ عت بالادغام فيه (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعدما كذبوه (أن هؤلاء) بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادي ليلا) أي فقال أسر أو قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجناهم أو الامر كذلك (وأورثناها) عطف على المقدر أو على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر (فما بكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء والارض وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل

(قوله والدخان يحتمل المعنيين) أي يحتمل أن يراد بالدخان المعنى المشهور ويحتمل أن يكون غيره وهو الشر الغالب (قوله مقدر بقول) والمعنى قائلين وهو حال من الناس (قوله أوله بالشرط) فيكون معنى قوله تعالى انا كاشفوا العذاب الخ انا ان كشفنا العذاب انكم عائدون (قوله فان ان يحجز عنه) لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (قوله وقرئ بالتشديد الخ) فان باب التفعيل قد يكون للتأكيد وقد يكون لتكثير الفعل وقد يكون لكثرة المفعول (قوله ويجوز أن تكون مخففة) تبع الكشاف وقال العلامة التفتازاني هذا القول مع ظهور التفعيل بعيد جدا لتصريحهم بأنه لا بد فيها من النفي أو قد أو السين أو سوف وان خبر ضمير الشان لا يكون الا جملة خبرية (قوله ولذكر الامين الخ) لان الاداء يناسب الامانة والاعلاء يناسب السلطان (قوله عطف على الفعل المقدر) فيكون المعنى مثلا نزعناها منهم وأورثنا

السماء والارض (وما كانوا منظرين) ممهلين الى وقت آخر (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) من استعباد فرعون وقتله أبناءهم (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذابا لافراطه فى التعذيب أو حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكير له لنكر ما كان عليه من الشيطنة (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) فى العتو والشرارة وهو خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بينهم (ولقد اخترناهم) اخترنا بنى اسرائيل (على علم) عالمين بأنهم أحقاء بذلك أو مع علم منا بأنهم يزيغون فى بعض الاحوال (على العالمين) لكثرة الانبياء فيهم أو على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى (ما فيه بلاء مبين) نعمة جلية أو اختبار ظاهر (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم (ليقولون ان هى الا موتتنا الأولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدم منكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الأولى أى ما الموتة التى من شأنها كذلك الا الموتة الأولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فى وعدكم ليدل عليه (أهم خير) فى القوة والمنعة (أم قوم تبع) تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة و بنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أم غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) كعاد وثمود (أهلكناهم) استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش أو حال باضمار قد أو خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضى للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها (ما خلقناهما الا بالحق) الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة أو البعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق عن الباطل أو المحق عن المبطل بالجزاء أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أى ان ميعاد جزائهم فى يوم الفصل (يوم لا يغنى) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل (مولى) من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيأ) من الاغناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن أراد أن يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات (طعام الأثيم) الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالمهل) وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت (تغلى فى البطون) وقرأ ابن كثير وحفص وروبس بالياء على أن الضمير للطعام أو الزقوم لا للمهل اذ الاظهر أن الجملة حال من أحدهما (كغلى الحميم) غليا مثل غليه (خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر و يعقوب بالضم وهما لغتان (الى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان أصله يصب من فوق

فى جميع الازمنة فيلزم كونهم مختارين على المسلمين الذين سموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والعجب أن صاحب الكشاف ضعف هذا الوجه فقال وقيل على الناس جميعا (قوله ولا قصد فيه الخ) أى ليس القصد من ذكر الاولى اثبات الموتة الثانية وتوضيح الكلام انه يقال لما وبخهم بقولهم ان هى الا موتتنا الاولى وأبطل قولهم هذا فهم منه اثبات الموتة الثانية فافاد المصنف أنه ليس المقصود ذلك بل المراد من الموتة الاولى الموتة المزيلة للحياة الدنيوية (قوله ان استؤنف به) أى لا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع (قوله من الايمان والطاعة) بيان لحق (قوله أو صفة لميقاتهم) فيه ان ميقاتهم معرفة وهى لا توصف بما يضاف الى الجملة (قوله للفصل) أى للفصل بين الفصل الذى هو المضاف اليه فى يوم الفصل و بين يوم القيامة (قوله الضمير لمولى الاول الخ) ولا يعود الى المولى الثانى لانه يعلم من الكلام ان المولى الثانى لم ينصر (قوله اذ الاظهر أن الجملة حال من أحدهما) أى من الزقوم أو الطعام لان الغلى فى البطون يناسب

الطعام وكونه حالا من الطعام أو من الزقوم فيه خفاء لانه مضاف اليه ليس فيه شائبة الفاعلية والمفعولية فالاولى ان يقال انه حال من المهل

رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى أنك بالفتح أى ذق لانك أو عذاب أنك (ان هذا) ان هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه (ان المتقين فى مقام) فى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (أمين) يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال (فى جنات وعيون) بدل من مقام جىء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو حال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب استبره أو مشتق من البراقة (متقابلين) فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك (وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا بزمان (آمنين) من الضرر (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها أو الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلا من ربك) أى أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (فانما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به مالم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفورا له

﴿ سورة الجاثية مكية وآيها سبع أوست وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه بأحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه (فأحيا به الارض بعد موتها) يبسها (وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتداء أو ان الا أن

يضمر

باعتبار مفعول فعل التشبيه المستفاد من الكاف وامّا ما قيل من أن المهل لا يغلى فى البطون ففيه أن ما يذوب فى النار يمكن أن يغلى أو المراد به دردى الزيت اذا اشتد غليانه (قوله أو عذاب انك) أى عذاب مضمون هذه الجملة (قوله للمبالغة فى تعميم النفى) اذ المفهوم الظاهر من لا يذوقون الخ أنه لا يذوق فيها الموت أصلا لكن يحتمل أن لا يكون النفى عاما لجميع الاوقات بل يكون مختصا ببعضها فلما استثنى الموتة الاولى صار صريحا فى عموم النفى بحيث لا يحتمل غيره

﴿سورة الجاثية﴾

(قوله ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور) أى لا يحسن عطف ما على الضمير المجرور والذى هو كم لان العطف على الضمير المجرور مستلزم لاعادة الجار بل عطف على ما يضاف الى الضمير وهو الخلق (قوله بأحد الاحتمالين) هما الاحتمالان المذكوران فى قوله وهو يحتمل أن يكون على ظاهره الخ (قوله فيه القراءتان) أى قراءة الرفع والنصب (قوله ويلزمهما العطف الخ) لان آيات معطوف على محل اسم ان اذا كان مرفوعا وعلى لفظه اذا كان منصوبا واختلاف الليل والنهار معطوف على خلقكم فيكون فى عاملا فيه

يضمر في أو ينصب آيات على الاختصاص أو يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور (تلك آيات الله) أي تلك الآيات دلائله (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة (بالحق) ملتبسين به أو ملتبسة به (فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون) أي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلوة أو القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله * يرى غمرات ثم يزورها * (كأن لم يسمعها) أي كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة في موضع الحال أي يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره والبشارة على الاصل أو التهكم (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها هزوا) لذلك من غير أن يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بأنه اذا سمع كلاما وعلم أنه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه أو لشئ لانه بمعنى الآية (أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم) من قدامهم لانهم متوجهون اليها أو من خلفهم لانها بعد آجالهم (ولا يغني عنهم) ولا يدفع عنهم (ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي الاصنام (ولهم عذاب عظيم) لا يتحملونه (هذا هدى) الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب (الله الذي سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجري الفلك فيه بأمره) بتسخيره وأنتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) التجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال من ما أي سخر هذه الاشياء كائنة منه أو خبر لمحذوف أي هي جميعا منه أو لما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد أو لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازي أو خبر محذوف (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا أي يعفوا ويصفحوا (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعهم أو لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم أن يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) علة للامر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو الشيوع والكسب المغفرة أو الاساءة أو ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أي ليجزى الخير أو الشر أو الجزاء أعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أي لها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله من اللذائذ (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) أدلة في أمر الدين ويندرج فيها

(قوله ولعل اختلاف الفواصل الخ) فان السموات والارض أظهر من غيرهما في الدلالة على المقصود الذي هو رد القادر الكل بعد الموت وهو والبعث لان خلق السموات والارض دال على غاية كمال القدرة ودلالة خلق الانسان والدابة على القدرة على البعث ليس كدلالة خلق السماء والارض ولما كان خلق السماء والارض أظهر دلالة من غيرهما يكون خلقهما آيات للمؤمنين اذ يكفي فيه مجرد الايمان ثم ان خلق الانسان والحيوانات الاخر أظهر في الدلالة من اختلاف الليل والنهار الخ فهو آيات للموقنين لما كان الايقان أعلى من الايمان فناسب الآيات التي فيها نوع خفاء ولما كان اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض من بعد موتها دلالته على المثوبات العظيمة والبعث الذي هو شبيه باحياء الارض من وجه لا بد له من تصرف عقل فيه نوع خفاء فصل الآيات بيعقلون الذي يدل على ادراك الدقائق وطريق الاستدلال فيكون ترتيب الفواصل لذلك الترقي (قوله لذلك) أي للعلم بكونه من آيات الله أي يصير العلم بكونه من آيات الله سببا للهزء (قوله لانه بعد آجالهم) وآجالهم من خلفهم لانهم متوجهون الى الحياة مقبلون اليها

المعجزات وقيل آيات من أمر النبي عليه الصلاة والسلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) في ذلك الامر (الامن بعدما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) مما أراد بك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم (والله ولي المتقين) فواله بالتقي واتباع الشريعة (هذا) أي القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح (وهدى) من الضلالة (ورحمة) ونعمة من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيآت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (أن نجعلهم) أن نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله (سواء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير في الكاف أو المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة أو استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء ما يحكمون) ساء حكمهم هذا أو بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه في معنى العلة أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) ترك متابعة الهدى الى متابعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان أحدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه (وأضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله (أفلا تذكرون) وقرئ تتذكرون (وقالوا ما هي) ما الحياة أو الحال (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) أي نكون أمواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم أرادوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان (وما يهلكنا الا الدهر) الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (وما لهم بذلك من علم) يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال أو انكار البعث أو كليهما (ان هم الا يظنون) اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينات له (ما كان حجتهم) ما كان لهم متشبث يعارضونها به (الا

ان

(قوله بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول) أي ان كان ضمير محياهم ومماتهم راجعا الى الذين اجترحوا السيئات كان جملة سواء محياهم بدلا من أن نجعلهم والمعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات سواء محياهم وقوله لان المماثلة فيه أي المماثلة في استواء الحياة والممات فهذا الاعتبار صح أن يكون بدلا (قوله أو الحال من الضمير في الكاف) أي الضمير المستتر فيما يستفاد من الكاف اذ المعنى مماثلين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله أو المفعولية والكاف حال يعني يكون سواء محياهم مفعولا ثانيا لنجعلهم ويكون كالذين آمنوا بتأويل المشتق كما ذكر (قوله فبدل) أي بدل من أن نجعلهم الخ والمعني أم حسب الذين اجترحوا السيآت سواء محيا المؤمنين والكافرين (قوله ظرفان) والمعنى سواء حالهم وقت حياتهم ومماتهم (قوله رفضه اليه) أي ترك ما كان يعبده أولا مائلا الى ما استحسنه آخرا (قوله من دهره اذا غلبه) ولعل تشبيه الزمان المذكور بالدهر لانه غلب كل شئ فيهلك وهو باق (قوله أو مبينات) أي مبينات لما يخالف معتقدهم أو للمعتقد أي لما يجب اعتقاده

أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم أو على أسلوب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * فانه لا يلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على مادلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك أمكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم للقدرة بعد تخصيصها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة جاثية) مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع لاستيفازهم (كل أمة تدعى الى كتابها) صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) أضاف صحائف أعمالهم الى نفسه لانه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) أعمالكم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر لخلوصه عن الشوائب (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى فيقال لهم ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) عادتكم الاجرام (واذا قيل ان وعد الله) يحتمل الموعود به والمصدر (حق) كائن هو أو متعلقه لامحالة (والساعة لاريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ماندرى ما الساعة) أى شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ماعداه كأنه قال مانحن الا نظن ظنا أو لنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم أكده بقوله (ومانحن بمستيقنين) أى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وماتليت عليهم من الآيات فى أمر الساعة (وبدا لهم) ظهر لهم (سيئات ماعملوا) على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو الجزاء (وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى العذاب ترك ماينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى يوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحيوة الدنيا) فحسبتم ان لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء (ولاهم يستعتبون) لايطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء فى السموات والارض) اذ ظهر فيها آثارها (وهو العزيز) الذى لا يغلب (الحكيم) فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الاحقاف مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) الا

(قوله فانه لايلزم الخ) أى ليس قولهم هذا حجة اذ لا يلزم من عدم حصول البعث فى الحال عدم حصوله مطلقا لم لا يجوز أن يكون فى المستقبل (قوله أو مفعول ثان) أراد انه يدل على المفعول الثانى وهو جاثية (قوله كائن هو أو متعلقه) الاول اذا فسر الوعد بالموعود والثانى اذا فسر الوعد بالمصدر (قوله فراد للمقصود) لان الساعة من جملة الموعودات وهو المقصود منها (قوله فكأنه قال ما نحن الا نظن ظنا) أورد هذا التكلف البليغ للمبالغة ولا يخفى مافيه من تغيير ترتيب نظم القرآن وههنا توجيهان غير ماذكر لا يحتاج فيهما الى ماذكره الاول أن يقال ان المراد من نظن نعتقد فكأنه قيل مانعتقد الا ظنا لا جزما الثانى أن يكون المراد من الا ظنا الا ظنا ضعيفا (قوله أو لنفى ظنهم فيما سوى ذلك) فكأن المعنى ان نظن الا ظنا كائنا فى أمر الساعة فكان ظنهم منحصرا فى أمر الساعة (قوله اضافة اللقا الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه) فيكون المعنى كما نسيتم لقاء ربكم فى يومكم هذا

﴿سورة الاحقاف﴾

خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للجازاة على ما قررناه مرارا (وأجل مسمى) و بتقدير أجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدرة له (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك الوقت و يجوز أن تكون ما مصدرية (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات) أى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها فى أنفسها مدخل فى خلق شئ من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احترازعما يتوهم أن للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية (ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ ثارة بالكسر أى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة أى شئ أوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن يعلم سرائرهم و يراعى مصالحهم (الى يوم القيمة) ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال أو المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة (لما جاءهم) حينما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو أشنع منه وانكار له وتعجيب (قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيأ) أى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف أجترئ عليه وأعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم (هو أعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح فى آياته (كفى به شهيدا بينى و بينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم أدعوكم الى ما لا يدعون اليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على أنه كقيم أو مقدر بمضاف أى ذا بدع (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أى يفعل الله (ان أتبع الا ما يوحى الى) لا أتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما

يتوهم الخ) انه قد تقرر فى أوهام القاصرين ان للوسائط شركة ودخلا فى ايجاد الحوادث السفليات ولما نفى الله تعالى أن يكون لمعبوداتهم خلق شئ فى الارض بالاستقلال فكأن قائلا قال يمكن ان يكون لمعبوداتهم شركة فى السموات فى ايجاد الحوادث السفلية نفى ذلك بقوله أم لهم شرك فى السموات بأن يكون لكل منها دخل فى خلق السفليات يعنى قوله احتراز الخ انه احتراز عما يتوهم ان للاصنام دخلا فى ايجاد الخلق كما ان للسموات كذلك فيكون معنى الكلام أم لهم شرك فى خلق السموات وتوضيحه انه لما توهم أن للوسائط شركة فى الخلق فيمكن أن يتوهم ان من جملة الوسائط الاصنام فيكون لها شركة فى الخلق فنفى ذلك بقوله أم لهم شرك فى السموات فهو احتراز أن يتوهم أن للاصنام شركة كما توهم ان للسموات شركة (قوله بلسان الحال أو المقال) فالاول حال الجمادات كالاصنام والثانى حال ذوى العقول (قوله الى ذكر ما هو أشنع) أى أشنع من السحر لان السحر أمر خارق للعادة للساحر فيه صنعة عمل بخلاف الافتراء فانه محض كذب على الغير (قوله أو استعجال المسلمين الخ) عطف على اقتراحهم

عما لم يوح اليه من الغيوب أو استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين (وما أنا الا نذير) من عقاب الله (مبين) بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة (قل أرأيتم ان كان من عند الله) أى القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) الا أنها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه الصلاة والسلام وشهادته ما فى التوراة من نعت الرسول عليه الصلاة والسلام (على مثله) مثل القرآن وهو ما فى التوراة من المعانى المصدقة للقرآن المطابقة له أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله (فآمن) أى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) استئناف مشعر بأن كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم (لو كان) الايمان أو ما أتى به محمد عليه الصلاة والسلام (خيرا ما سبقونا اليه) وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار أو اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه (واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا) حال من ضمير كتاب فى مصدق أو منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا للتوراة كما دل على أنه حق دل على أنه وحى وتوقيف من الله سبحانه وتعالى وقيل مفعول مصدق أى يصدق ذا لسان عربى باعجازه (لينذر الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين) عطف على محله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا أى ايصاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حى مستكمل عدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى أمده

(ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ أشده) اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين (قال رب أوزعنى) ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا

(قوله الا أنها تعطفه بما عطف عليه الخ) أى الا أن هذه الواو تعطف جملة شهد شاهد من بنى اسرائيل مع ما بعدها وهو قوله تعالى فآمن واستكبرتم على ما قبلها وهو كفرتم به لان المقصود انه لو شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم كنتم قوما ضالين كافرين (قوله دل على انه وحى) انما دل عليه لان المراد من اللسان العربى اللسان العربى المعجز اذ لو لم يعتبر هذا القيد لكان ذكر لسانا عربيا لا يكون له كثير فائدة (قوله ويدل عليه الخ) هذا بناء على أن فصل الولد لا يستعمل الا فى الفطام لكن الفصال قد يستعمل فى غيره (قوله أو وقته) أى المراد من الفصال اما الفطام نفسه أو وقته فان كان الاول كان المعنى ومدة حمله وفصاله حتى يكون الفصال معطوفا على حمله وان كان الثانى يكون الفصال معطوفا على مدة الحمل اذ المعنى ومدة حمله ووقت فصاله ثلاثون شهرا (قوله لانضباطهما) يفهم منه ان لا انضباط لاكثر الحمل وأقل مدة الرضاع (قوله وتحقق ارتباط حكم النسب الخ) لان النسب لا يتحقق بدون اقل مدة الحمل وحكم الرضاع لا يثبت بأكثر من حولين

(أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) يعنى نعمة الدين أومايعمها وغيرها وذلك يؤيد ماروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لانه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من المهاجرين والانصار سواه (وأن أعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم أولانه أراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل (وأصلح لى فى ذريتى) واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه قوله

وان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

(انى تبت اليك) عما لاترضاه أو يشغل عنك (وانى من المسلمين) المخلصين لك (أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ماعملوا) يعنى طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه (و يتجاوز عن سيئاتهم) لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون فيهما (فى أصحاب الجنة) كائنين فى عدادهم أومثابين أومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل و يتجاوز وعد (الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا (والذى قال لوالديه أف لكما) مبتدأ خبره أولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لايوجب التخصيص وفى أف قراآت ذكرت فى سورة بنى اسرائيل (أتعدانى أن أخرج) أبعث وقرأ هشام أتعدانى بنون واحدة مشددة (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يرجع أحد منهم (وهما يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك أو يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للايمان (ويلك آمن) أى يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على مايخاف على تركه (ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا أساطير الاولين) أباطيلهم التى كتبوها (أولئك الذين حق عليهم القول) بانهم أهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه (فى أمم قد خلت من قبلهم) كقوله فى أصحاب الجنة (من الجن والانس) بيان للامم (انهم كانوا خاسرين) تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل) من الفريقين (درجات مما عملوا) مراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر أومن أجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب (وليوفيهم أعمالهم) جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابن ذكوان بالنون (وهم لايظلمون) بنقص ثواب وزيادة عقاب (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض (أذهبتم) أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرأه بهمزة ممدودة وهما يقرآنها وبهمزتين محققتين (طيباتكم) لذاتكم (فى حياتكم الدنيا) باستيفائها (واستمتعتم بها) فما بقى لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر (واذكر أخا عاد) يعنى هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود وبعده والجملة حال أو اعتراض (ألا تعبدوا الا الله) أى لاتعبدوا أو بان لاتعبدوا فان النهى عن الشئ انذار من مضرته (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما العلم عند الله) لاعلم لى بوقت عذابكم ولامدخل لى فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم وماعلى

(قوله يجرح فى عراقيبها) أى يحدث الجرح فى عراقيبها (قوله وان صح الخ) وان قدر صحة نزولها (قوله لانه يدل على انه من أهلها) لما قاله من انكار البعث (قوله وقد جب عنه) أى قطع اثم انكار البعث عنه أى عن عبد الرحمن ان كان أى ان تحقق انه أنكر البعث لاسلامه (قوله جزاء ماعملوا) فيكون ههنا مضاف مقدر اذ المعنى درجات من جزاء ماعملوا (قوله وههنا جاءت على التغليب) لان الدرجات تعم المؤمنين والكافرين (قوله فقلب مبالغة) لان فى القلب افادة أن النار أمر ثابت يعرض غيرها عليها ففيه مبالغة فى ثبوت النار واحراقها لانه اذا عرض شئ على النار كان احراقها أشد من أن تعرض النار عليه والاولى أن يقال ان عرض الشخص على النار أشد فى اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه على النار يفيد انه كالحطب المخلوق للاحتراق

الرسول الا البلاغ (ولكنى أراكم قوما تجهلون) لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم) متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) أى يأتينا بالمطر (بل هو) أى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هى ريح ويجوز أن يكون بدل ما (فيها عذاب أليم) صفتها وكذا قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا أو الهاء فى ربها ويحتمل أن يكون استئنافا للدلالة على أن لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر وتكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم) أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن (كذلك نجزى القوم المجرمين) روى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم فى البحر (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية وهى أحسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء فى مهما أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى أو فى شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم أكثر أو صلة كما فى قوله

يرجى المرء ما ان لا يراه * ويعرض دون أدناه الخطوب

والاول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها تعالى ويواظبوا على شكرها (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) من الاغناء وهو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه وكذلك حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكريرها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولى اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على أنه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال (وذلك افكهم) وذلك الاتخاذ الذى هذا أثره صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم أى جعلهم آفكين وآفكهم أى قولهم الآفك أى ذو الافك (وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أملناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) أى القرآن أو الرسول (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام (ولوا الى قومهم منذرين) أى منذرين اياهم بما سمعوا روى أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا أو ما سمعوا بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام (مصدقا لما بين يديه يهدى

(قوله والاضافة فيه لفظية الخ) أى الاضافة فى مستقبل أوديتهم لفظية حتى يكون صالحا لان يكون صفة لعارضا وانما كانت لفظية لان المستقبل بمعنى الحال والممطر بمعنى المستقبل أو بمعنى الحال توسعا (قوله ويجوز أن يكون بدل ما) أى يجوز ان يكون ريح بدلا من ما فيما استعجلتم (قوله أو صلة) أى زائدة (قوله وهو أوفق لقوله تعالى الخ) لان قولهم هم أحسن اثاثا وكذا قوله تعالى كانوا أكثر منهم الخ يدلان على انه كان لقوم ما ليس للمخاطبين وان اذا كانت نافية كان هذا صريح معناها (قوله أو آلهة) أى والمفعول الثانى آلهة (قوله وقرئ أفكهم بالتشديد الخ) أى بتشديد الفاء وآفكهم بصيغة افعل من باب الافعال وآفكهم بصيغة اسم الفاعل

الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به
يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان
(ويجركم من عذاب أليم) هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة
والاجارة على أن لا ثواب لهم والاظهر أنهم فى توابع التكليف كبنى آدم (ومن لا يجب داعى الله
فليس بمعجز فى الارض) اذ لا ينجى منه مهرب (وليس له من دونه أولياء) يمنعونه منه (أولئك فى
ضلال مبين) حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات
والارض ولم يعى بخلقهن) ولم يتعب ولم يعجز والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد أبد
الآباد (بقادر على أن يحيى الموتى) أى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد
النفى فانه مشتمل على أن وما فى حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شئ قدير) تقريرا
للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها
باثبات المعاد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق)
والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم فى الدنيا
ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) أولو الثبات والجد
منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولو العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها
وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى صلى الله وسلم عليهم وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى
سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة (ولا تستعجل لهم) لكفار
قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من
نهار) استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة (بلاغ) هذا الذى وعظتم به أو هذه
السورة بلاغ أى كفاية أو تبليغ من الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده أنه قرئ بلغ وقيل بلاغ
مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض أى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا
مدة عمرهم وقرئ بالنصب أى بلغوا بلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ
أو الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآيها سبع أو ثمان وثلاثون أو أربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه أو منعوا الناس
عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين قريش أو المصرين من اهل الكتاب أو عام فى جميع من كفر
وصد (أضل أعمالهم) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة أى ضائعة
محبطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن أو ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله
أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله (والذين
آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا

(قوله فان المظالم لا تغفر بالايمان) قد حقق العلامة الطيبى ان المظالم تغفر أيضا به وأورد على ذلك دلائل منها انه نقل من سنن ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لامته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأجيب له انى قد غفرت لهم ما خلا المظالم فانى آخذ للمظلوم منه قال أى رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ما قيل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبسم فقال له أبو بكر رضى الله عنه فالذى أضحكك أضحك الله سنك فقال ان عدو الله ابليس لما علم بأن الله استجاب دعائى وغفر لامتى أخذ التراب وجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأعجبنى ما رأيت من جزعه (قوله وموسى قال له قومه الخ) هذا الكلام منهم دال على تعييرهم لموسى وانه أوقعهم فى يد فرعون حتى يهلكهم (قوله ويؤيده انه قرئ بلغ) مشددا من باب التفعيل ولا يخفى تأييده لما ذكر

﴿سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾

بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيماله واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وأنه الاصل فيه ولذلك أكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيآتهم) سترها بالايمان وعملهم الصالح (وأصلح بالهم) حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اشارة الى مامر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما أشعر به ماقبلها ولذلك سمى تفسيرا (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) يبين لهم (أمثالهم) أحوال الفريقين أو أحوال الناس أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم الذين كفروا) فى المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بأنه ينبغى أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن وتصويرله بأشنع صورة (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر مايوثق به (فاما منا بعد واما فداء) أى فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا أسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل أو الاسترقاق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب أوزارها) آلاتها وأثقالها التى لاتقوم الابها كالسلاح والكراع أى تنقضى الحرب ولم يبق الامسلم أو مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد أو للمن والفداء أو للمجموع بمعنى أن هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) أى الامر ذلك أوافعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بالاستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قاتلوا فى سبيل الله) أى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا أى استشهدوا (فلن يضل أعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت أقدامكم) فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فعثورا لهم وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى * فالتعس أولى بها من أن أقول لعا * وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا أو مفسرة لناصبه (وأضل أعمالهم) عطف عليه (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فأحبط أعمالهم) كرره اشعارا بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال (أفلم يسيروا فى الارض

(قوله على طريقة الحصر) لانه اذا كان الخبر ذا الام يكون مفيدا للحصر والمراد من الحصر اما الاضافى أى بالنسبة الى سائر الكتب والمبالغة فى الحقيقة (قوله على البناءين) أى البناء للفاعل والبناء للمفعول (قوله وهو تصريح بما أشعر به ماقبلها) لان قوله تعالى الذين كفروا الخ يشعر بأن الكفر والصد للذين هما اتباع الباطل سبب للاختلال مع ان قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ مشعر بأن الايمان والعمل الصالح اللذين هما اتباع الحق سبب التكفير والاصلاح (قوله ضما الى التأكيد الاختصار) والتأكيد مستفاد من أصل التركيب والاختصار حاصل من الحذف (قوله ونقيضه لعا) اللعا بالالف المقصورة الثبات (قوله أو مفسر لناصبه) أى يكون هذا الفعل المقدر مفسر الناصب الذين فيكون الذين كفروا مفعولا لنفس المقدر

(قوله وهو لا يخالف الخ) دفع لسؤال هو أن هذه الآية تدل على أن الكافرين يردون الى مولى هو الله تعالى فكان الله مولاهم فكيف
يقال ان الكافرين لا مولى لهم فأجاب بأن المراد بالمولى فى قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الناصر

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم (وللكافرين) من وضع الظاهر موضع المضمر (أمثالها) أمثال تلك العاقبة أو العقوبة أو الهلكة لان التدمير يدل عليها أو السنة لقوله تعالى سنة الله التى قد خلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على أعدائهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) على حذف المضاف واجراء أحكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (أهلكناهم) بأنواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم العذاب وهو كالحال المحكية (أفمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصى (واتبعوا أهواءهم) فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار أو بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة فى الآخرة تقريرا لانكار المساواة (فيها أنهار من ماء غير آسن) استئناف لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به باضمار ذات أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وأنهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بأنواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم مغفرة (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين أوتوا العلم) أى لعلماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم (ماذا قال آنفا) ما الذى قال الساعة استهزاء أو استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير فى قال وقرأ ابن كثير أنفا (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم

والمولى الواقع فى قوله تعالى مولاهم الحق المالك فنفى أحدهما لا يوجب نفى الآخر (قوله وهو كالحال المحكية) لان المفهوم من قوله فلا ناصر لهم انه لا ناصر لهم فى الحال فيكون حكاية الحال الماضية وانما قال كالحال لانه ليس بصيغة الحال (قوله استغناء بجرى فيه مثله) أى حذف ما حذف للاستغناء عنه بذكر مثله أى ذكر فى أحد المثلين ما حذف فى الآخر فان الاهل محذوف فى الاول ومذكور قبله فى الآخر وهو من هو خالد وقس عليه التقدير الآخر (قوله وهو على الاول خبر محذوف الخ) أعنى قوله تعالى كمن هو خالد فى النار على التقدير الاول وهو ان يكون مثل الجنة مبتدأ خبره محذوف أو يكون كمن هو خالد فى النار بدلا من قوله تعالى كمن زين له سوء عمله وما بينهما وهو من قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون الى قوله مغفرة من ربهم جمل اعتراضية (قوله والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها) هذا مستفاد من كون الاشربة انهارا (قوله صنف على هذا القياس) أى على قياس الاشربة لان لهم فيها صنفا من الاشربة (قوله على معنى الحدوث) فان اسم الفاعل موضوع للحدوث وأما اسن بأن يكون صفة مشبهة كما هو قراءة ابن كثير فهو للثبوت (قوله كالعلة له) أى كالعلة لانتظار الساعة لان ظهور اشراط الشئ

واتبعوا

واتبعوا أهواءهم) فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) أي زادهم الله بالتوفيق والالهام أو قول الرسول عليه الصلاة والسلام (وآتاهم تقواهم) بين لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها (أن تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء أشراطها) كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها كمبعث النبي عليه الصلاة والسلام وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة بغتة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك) أي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك (وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب له ماله تبعة ما بترك الاولى (والله يعلم متقلبكم) في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها (ومثواكم) في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا المعاد لكم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة) مبينة لا تشابه فيها (وذكر فيها القتال) أي الامر به (رأيت الذين في قلوبهم مرض) ضعف في الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) جبنا ومخافة (فأولى لهم) فويل لهم أفعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤل اليه أمرهم (طاعة وقول معروف) استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) أي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الايمان (لكان) الصدق (خيرا لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الاسلام (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم أي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام (فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) فلا يهتدون سبيله (أفلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم أو للاشعار بانها لابهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أي الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة (الشيطان سول لهم) سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده

موجب لانتظاره (قوله فكيف لهم ذكراهم) أي كيف لهم تعاظهم أي لا ينفعهم الاتعاظ (قوله اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم) وجه الاشعار انه أمر بحسب الظاهر أن يستغفر لذوات المؤمنين فكأنهم عين الذنوب واعادة حرف الجر دالة على شدة الاهتمام بالاستغفار لذنوبهم ويدل على أن ذنوبهم جنس آخر غير جنس ذنب النبي صلى الله عليه وسلم فان الذنب الى ذنبه عليه السلام عبارة عما له تبعة ما بترك الاولى أي ذنبه عبارة عن ترك الاولى لا ما يستحق العقاب به (قوله أفعل الخ) أي فأولى لهم بمعنى ويل لهم فان كان أفعل من الولي فالمعنى الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه ويقرب بهم وان كان فعلى من آل فالمعنى الدعاء عليهم بأن يؤل الى المكروه أمرهم (قوله فان توليتم اعتراض) لانه جملة شرطية جزاؤها محذوف والتقدير ان توليتم تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تأكيدا لافسادهم في الارض عند القدرة (قوله لان المراد قلوب بعضهم) فيكون قلوب بعض آخر ليس عليها اقفال لكن لا يتدبرون

بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أى كيد الشيطان سول لهم (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى أو أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأملى لهم أى وأنا أملى لهم فتكون الواو للحال أو الاستئناف وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله) أى قال اليهود الذين كفروا بالنبى عليه الصلاة والسلام بعدما تبين لهم نعته للمنافقين أو المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين (سنطيعكم فى بعض الامر) فى بعض أموركم أو فى بعض ماتأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان أخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يعلم أسرارهم) ومنها قولهم هذا الذى أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) فكيف يعملون و يحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وأدبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه و يجبنون عن القتال له (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول عليه الصلاة والسلام وعصيان الامر (وكرهوا رضوانه) مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فأحبط أعمالهم) لذلك (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله) أن لن يبرز الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أضغانهم) احقادهم (ولو نشاء لأريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف (ولتعرفنهم فى لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه أو امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقه (ونبلوأخباركم) مايخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبحها أو أخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ أبو بكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ماقبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى) هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (ان يضروا الله شيأ) بكفرهم وصدهم أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) ثواب حسنات أعمالهم بذلك أومكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى أصحاب القليب و يدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (فلا تهنوا) فلا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا و يجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين (وأنتم الاعلون) الاغلبون (والله معكم) ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا به من قريب أو حميم فأفردته منه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) جميع أموالكم

(قوله أو لهم) أى أملى مسند الى لهم (قوله تعظيمه الخ) اتعظيم الرسول بان يفيدان مشاقته مشاقة الله وهو يفيد شناعة مشاقته (قوله وليس فيه دليل الخ) رد على الزمخشرى فانه فسره باحباط الطاعات بالكبائر لكن الآية لاتدل على ذلك بل المراد منه احباط الطاعات السابقة بالكفر والنفاق أو بالأمور المقارنة لها من الأمور النافية للثواب كالعجب والرياء وغيرهما وليس فيه مايدل على ان الطاعات السابقة تبطل بالكبائر التى حصلت بعدها

بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر (ان يسألكموها فيحفكم) فيجهدكم بطلب الكل و لاحفاء والالحاف المبالغة و بلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج أضغانكم) و يضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله تعالى و يؤيده القراءة بالنون أو البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم (هاأنتم هؤلاء) أى أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله الغنى وأنتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم اليه فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم (وان تتولوا) عطف على ان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه أو الانصار او اليمن او الملائكة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه أو بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه أو فتح الروم فانهم غلبوا الفرس فى تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء أى قضينا لك أن تدخل مكة من قابل (ليغفر لك الله) علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن أيدى الظلمة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة (وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عز ومنعة أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة (هو الذى أنزل السكينة) الثبات والطمأنينة (فى قلوب المؤمنين) حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة و يوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر و يدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير أى دبر ما دبر من تسليط

(قوله هؤلاء الموصوفون) أى الموصوفون بانه لو يحفكم تبخلوا و يخرج أضغانكم (قوله استئناف مقرر لذلك) أى مقرر انهم ان يحفهم الله يبخلوا (قوله وهو كالدليل على الآية المتقدمة) لانه يفهم منه انه لابد من جماعة بخلاء فهو دليل على أنهم يبخلون ان يحفهم الله (قوله لتضمنه معنى الامساك) يعدى بعن وباعتبار التعدى يتعدى بعلى

﴿سورة الفتح﴾

(قوله ليصير ذلك بالتدريج اختيارا) أى ليصير ما ذكر من ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس اختيارا بعد ما كان بالقهر فانه اذا أزيح الشرك عن شخص قهرا صارت تلك الازاحة بالتدريج اختيارا أى يبعد ذلك الشخص الشرك عن نفسه باختياره (قوله وقد عرف كونه فتحا الخ) لانه مر ان غلبة الروم وهى أهل الكتاب على فارس التى هى المجوس مطلوب النبى صلى الله عليه وسلم (قوله و يهديك صراطا مستقيما) المراد منه اما زيادة الاهتداء أو الثبات عليها

المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه و يشكروها فيدخلهم الجنة و يعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم
من ذلك أو فتحنا أو أنزل أو جميع ما ذكر أو ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (و يكفر عنهم
سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أى الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى
ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر وعند حال من الفوز (و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل منه (الظانين بالله ظن
السوء) ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه
و يتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير أن
المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر
(وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا
والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل
فى الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا) على أمتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة والمعصية (لتؤمنوا بالله
ورسوله) الخطاب للنبي والأمة أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه
ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه أو تصلوا له (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا
أو دائما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعززوه
بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على سبيل
التخييل (فمن نكث) نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه (ومن
أوفى بما عاهد عليه الله) فى مبايعته (فسيؤتيه أجرا عظيما) هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه
بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت فى بيعة الرضوان
(سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم أسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف
العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم (شغلتنا أموالنا وأهلونا) اذ لم يكن لنا من يقوم
بأشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) من الله على التخلف (يقولون بألسنتهم ما ليس
فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم
من مشيئته وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم كقتل أو هزيمة أو خلل فى المال والاهل وعقوبة على
التخلف وقرأ حمزة والكسائى بالضم (أو أراد بكم نفعا) ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد (بل كان
الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى
أهليهم أبدا) لظنكم أن المشركين يستأصلونهم وأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات
على أن أصله أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال (وزين ذلك فى قلوبكم) فتمكن فيها وقرئ على
البناء للفاعل وهو الله أو الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن المذكور والمراد التسجيل عليه
بالسوء أو هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم قوما بورا) هالكين عند الله
لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وضع
الكافرين موضع الضمير ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير

(قوله وعند حال من الفوز) والمعنى وكان ذلك فوزا عظيما حاصلا عند الله (قوله والغضب سبب له) أى سببه اللعن (قوله لاستقلال الكل فى الوعيد) أى كل من الغضب واللعن والاعداد فى الوعيد (قوله أو لهم على ان خطابه الخ) فكأنه قيل انا أرسلنا محمدا اليكم أيها المؤمنون لتؤمنوا بالله (قوله حال أو استئناف مؤكد على سبيل التخييل) أما تأكيده فلان مفهومه يستفاد مما سبق وهو قوله تعالى انما يبايعون الله وأما كونه على سبيل التخييل فلان كون يد الله فوق أيديهم ليس أمرا حقيقيا كما لا يخفى بل أمر مخيل (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم الخ) بل الاول اضراب عن مقدر منهم من الكلام السابق كأنه قيل لا يخفى على الله شئ من أعمال دنياكم بل كان الله بما تعملون خبيرا و بل الثانية اضراب عن مقدر آخر فكأنه قيل وليس تخلفكم لما ذكر بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول الخ أى بل ظنكم المذكور مما يوجب تخليفكم فان قيل علام عطف وليس تخلفكم الخ قلنا عطف على قوله تعالى فمن يملك لكم فهو فى تقدير قل ليس تخلفكم لما ذكر (قوله وهو تعريض بالرد) أى تعريض بالرد فى اعتذارهم اذ يفهم منه انهم تخلفوا عن الضر وطلبوا النفع لتخيل ان التخلف سبب لدفع
الضر وطلب النفع مع ان تخلفهم وعدمه سواء بالنسبة الى قضاء الله تعالى اذ لو أراد الله ضرهم أو نفعهم للحق بهم ألبتة ولا ينفعهم التخلف

بكفره

بكفره وتنكير سعيرا للتهويل أولانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) اذلا وجوب عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى (سيقول المخلفون) يعنى المذكورين (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) يعنى مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم (ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) أن يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى أبدا والظاهر أنه فى تبوك والكلام اسم للتكليم غلب فى الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة (قل لن تتبعونا) نفى فى معنى النهى (كذلكم قال الله من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نشارككم فى الغنائم وقرئ بالكسر (بل كانوا لا يفقهون) لا يفهمون (الا قليلا) الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات للحسد والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بأمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) بنى حنيفة أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركين فانه قال (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة أو يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية وهو يدل على امامة أبى بكر رضى الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة فى الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول يعذبه عذابا أليما) اذ الترهيب ههنا أنفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعى الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانوا ألفا وثلثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة وبايعهم على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة أو سدرة (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص (فأنزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح (وأثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة أو هجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى مغانم خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) غالبا مراعيا مقتضى الحكمة (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى ما يفئ على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) أى أيدى أهل خيبر وخلفائهم من بنى أسد وغطفان أو أيدى قريش بالصلح (ولتكون) هذه الكفة أو الغنيمة (آية للمؤمنين) أمارة يعرفون بها أنهم من الله بمكان أو صدق الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه

(قوله وتنكير سعيرا للتهويل الخ) الاول باعتبار انها نار لا يمكن تعريفها وتوصيفها وأما الثانى فباعتبار انها نوع خاص منها فيكون التنكير للتنويع (قوله والظاهر) أى الظاهر ان قوله لن تخرجوا معى أبدا ورد فى غزوة تبوك كما دل عليه قراءة أو يسلموا لان معنى قراءة أو يسلموا الى أن يسلموا فيكون منتهى المقاتلة الى الاسلام لا غير وهذا مخصوص بأبى بكر لان من عدا بنى حنيفة يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية (قوله ومن عداهم يقاتل الخ) أى غير المرتدين أو المشركين يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية (قوله فصل الوعد) لانه قال جنات تجرى من تحتها الانهار وأجمل الوعيد للاقتصار (قوله على سبيل التعميم) لان المخاطب فى يعذبكم جماعة مخصوصة وأما من فيمن يتول عام (قوله اذ الترهيب الخ) أى انما كرر الوعيد دون الوعد لشدة الاهتمام بالوعيد

من الحديبية أووعد المغانم أوعنوا الفتح مكة والعطف على محذوف هوعلة لكف أوعجل مثل لتسلموا أولتأخذوا أوالعلة لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه (وأخرى) ومغانم أخرى معطوفة على هذه أومنصوبة بفعل يفسره قد أحاط الله بها مثل قضى و يحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب (لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن أوفارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لاتختص بشئ دون شئ (ولوقاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لايجدون وليا) يحرسهم (ولانصيرا) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي سن غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن أنا ورسلي (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي كفار مكة (وأيديكم عنهم ببطن مكة) في داخل مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أظهركم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم أولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ أبو عمرو بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله) يدل على أن ذلك كان عام الحديبية والهدى مايهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لامكانه الذي لايجوز أن ينحر في غيره والالما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أحصر فلا ينهض حجة للحنفية على أن مذبح هدى المحصر هو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين (أن تطؤهم) أن توقعوا بهم وتبيدوهم قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد نابت الهرم

وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم بها وأصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء أومن ضميرهم في تعلموهم (فتصيبكم منهم) من جهتهم (معرة) مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا اعراه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بان تطؤهم أي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (ليدخل الله في رحمته) علة لما دل عليه كف الايدي عن أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير أوللاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم أومشركيهم (لوتزيلوا) لوتفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بالقتل والسبي (اذ جعل الذين كفروا) مقدر باذكر أوظرف لعذبنا أوصدوكم (في قلوبهم الحمية) الأنفة (حمية الجاهلية) التي تمنع اذعان الحق (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ماروى أنه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام

(قوله والعطف الخ) أي عطف ليكون على محذوف وقوله أوعلة لمحذوف عطف جملة على جملة اذ هو في تقدير أوهو علة لمحذوف والحاصل أن ليكون اما عطف على محذوف أوعلة محذوف (قوله من الجولة) الجولة هي الغلبة ولعل المراد من الغلبة غلبة الكفار في يوم حنين وقيل المراد من الجولة هزيمة المسلمين وقيل المراد منها الهزيمة ثم الرجوع ثم الهزيمة ثم الرجوع (قوله وهو ضعيف) أي كون المراد من الظفر ظفر المسلمين يوم فتح مكة وكذا استدلال بعضهم على ان فتح مكة كانت عنوة ضعيف لما ذكر (قوله فلا ينهض حجة للحنفية الخ) أي لوكان المراد من المحل الذي لا يجوز ان ينحر في غيره لكان ذبح هدي الحصر حراما لكنه ليس كذلك

لعلى رضى الله عنه ا كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا ا كتب باسمك اللهم ثم قال ا كتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ا كتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام ا كتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك و يبطشوا عليهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا (وألزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم أو الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) من غيرهم (وأهلها) والمستأهلين لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم أهل كل شئ و ييسره له (لقد صدق الله رسوله الرؤ يا) رأى عليه الصلاة والسلام أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه (بالحق) ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل و يجوز أن يكون بالحق صفة مصدر محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وأن يكون قسما اما باسم الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أو اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه (آمنين) حال من الواو والشرط معترض (محلقين رؤسكم ومقصرين) أى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون (لا تخافون) حال مؤكدة أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير ذلك (فجعل من دون ذلك) من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الموعود (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) ملتبسا به أو بسببه أو لاجله (ودين الحق) و بدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهله اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن أو على نبوته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به و يجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم و يتراحمون فيما بينهم كقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشتغلون بالصلاة فى أكثر أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضا (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا أعلمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن فى الجار (ذلك) اشارة الى الوصف المذكور أو اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم فى التوراة) صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها (ومثلهم فى الانجيل) عطف عليه أى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع خبره (أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من المؤازرة وهى المعاونة أو من الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجر فى آجره (فاستغلظ) فصار

(قوله ملتبسا به) فيكون حالا من الرؤيا (قوله أو بتسليط المؤمنين على أهله) فيكون التقدير ليظهر أهل دين الاسلام على أهل الدين كله (قوله أو حال من المستكن فى الجار) أى سيماهم يكون فى وجوههم حاصلا من أثر السجود (قوله الوصف المذكور) وهو من أشداء على الكفار الى ههنا (قوله تمثيل مستأنف الخ) فالاول اذا كان ذلك اشارة الى الوصف المذكور والثانى اذا كان اشارة الى مبهم يفسره كزرع

من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا) أى لاتقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن أو ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا أو لاتتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا وقرئ لاتقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار بأنه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم أو مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى اذا كلمتموه فلاتجاوزوا أصواتكم عن صوته (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولاتبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولاتخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (أن تحبط أعمالكم) كراهة أن تحبط فيكون علة للنهى أو لان تحبط على أن النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدّى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى أن ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة (وأنتم لاتشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون أصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو مخافة عن مخالفة النهى قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لاتظهر الا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان أو استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم

المذكورتين المسامتتين وسميا باليدين لعلاقة بينهما وبين اليدين (قوله تهجينا الخ) معناه ان ذكر ما بين الله ورسوله للتهجين والتقبيح لان التقدم فى الحكم بين يدى الاكابر قبيح (قوله والدلالة الخ) أى التكرير للدلالة على ان كلا من التقدم والرفع منادى له بالاستقلال ولو لم يكرر النداء فلعله توهم أن مجموع الأمرين منادى له (قوله باعتبار التأدية) أى باعتبار ما يؤدى اليه الأمر وحاصل ما قال فى الاحتمال ان الجهر بالقول لما كان قد يؤدى الى حبوط العمل فكان الجهر كائنا لحبوطه قهرا على الجهر المعلل بحبوط العمل بالاعتبار المذكور ٧ (قوله واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل) الاول بالنظر الى التفسير الثانى والثانى باعتبار التفسير الاول وذلك لان المراد من جربها للتقوى كونها عريقة فى التقوى معتادة عليها فاللام فى قوله للتقوى باعتبار الاصل أى تعلقها بامتحن باعتبار المعنى الاصلى لا بالنظر الى المعنى المجازى (قوله أو ضرب الله قلوبهم) أى جربها (قوله المتضمن لما جعل عنوانا لهم) أى وصفا لهم والتضمن باعتبار ان فى اسم الاشارة اشارة الى الوصف المذكور لما تقرر من ان اسم الاشارة جعل المشار اليه كالمحسوس الحاضر ولابد فى ذلك من كونه معلوما بالوصف حتى يكون المعلوم كالمحسوس

اقصى

أقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) من خارجها خلفها أو قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على أن المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما أسند الى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لانه وجد فيما بينهم (أكثرهم لا يعقلون) اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) أى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم (لكان خيرا لهم) لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فتعرفوا وتصفحوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا أى فتوقفوا الى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) أن بما فى حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من أحد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى أنكم تريدون أن يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد من العنت وفيه اشعار بأن بعضهم أشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق وقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد أو

(قوله تعالى أكثرهم لا يعقلون) قال صاحب الكشاف الاخبار عن أكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء منهم قصدا الى نفى معنى أن يكون منهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم (قوله فان حتى مختصة الخ) أى حتى مختصة بحسب الوضع بغاية الشئ فى نفسه وهو الجزء الآخر منه حقيقة بخلاف الى فانه ليس كذلك بحسب الوضع (قوله وتركيب هذه الاحرف الثلاث) أى تركيب النون والدال والميم دال على الدوام قال الزمخشرى الندم غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ومن مقلوبه ادمن ومدن بالمكان اذ لزمه (قوله احدى ضميرى فيكم) لانه فى تقدير كائن والآخر الضمير المجرور (قوله أشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق) هذا مفهوم من تفسير الآية التى سبقت

بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوى وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدى الى آخر بالى أو نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله ونعمة) تعليل لكره أوحبب ومابينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم أو مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين ومابينهم من التفاضل (حكيم) حيث يفضل و ينعم بالتوفيق عليهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احداهما على الاخرى) تعدت عليها (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) ترجع الى حكمه أو ما أمر به وانما أطلق الفىء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة (وأقسطوا) واعدلوا فى كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على أن الباغى مؤمن وأنه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فىء الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال (فأصلحوا بين أخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) أى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فهى على هذا ذات خبر (ولا تلمزوا أنفسكم) أى ولا يعتب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولا تنابزوا بالالقاب) ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان أبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى

عنه

وهم الذين أصابوا طريق التقوى وهو التبيين اذ حمل النبى صلى الله عليه وسلم على الايقاع المذكور ليس برشيد (قوله لكنه لما تضمن معنى التبغيض) وجه التضمين ان قوله تعالى ولكن الله حبب الخ استدلال بحال بغض المؤمنين الكفر كما سبق فيكون معنى كره اليكم بغضكم ولما كان التبغيض متعديا الى المفعول الثانى بالى جعل اليكم مفعولا ثانيا للكره (قوله ومصدر لغير فعله) عطف على قوله تعليل والمراد انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل أى يكون مفعولا مطلقا لحبب أو الراشد باعتبار ان كلا منهما فضل (قوله وانما أطلق الفىء على الظل الخ) أى اطلاق الفىء على الظل وعلى الغنيمة باعتبار ان فى كل منهما رجوعا (قوله للمبالغة فى التقرير والتخصيص) أى المبالغة فى تقرير الصلاح وتخصيص المتنازعين به (قوله وحيث فسر بالقبيلين) أى من حيث فسر القوم بالرجال والنساء هنا كقوم عاد اذ المراد منه اياهما فاما بطريق التغليب أى تغليب الرجال على النساء أو الاكتفاء بذكر الرجال لانهم المتبوعون والنساء توابع لهم ولا يخفى ان الاكتفاء بذكر الرجال لا يناسب تفسير القوم بالقبيلين والاولى أن يقال فى مثل قوم عاد وفرعون اما أن

عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن و يتأمل حتى يعلم أنه من أى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن فى الأمور المعاشية (ان بعض الظن اثم) مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضا) ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الاخ وشدده نافع (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعامه فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء عليهما السلام أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الاشخاص فمن أراد شرفا فليلتمسه منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله (ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون (قل لم تؤمنوا) اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام

يكون القوم مشتملا للقبيلين بالتغليب أو المقصود من القوم الرجال وترك ذكر النساء لانهن توابع (قوله تقريرا وتحقيقا) أى حملا على الاقرار بعدم المحبة اذ لا يقدر أحد أن ينكر عدم المحبة المذكورة (قوله فلا وجه للتفاخر بالنسب) لك أن تقول لا يلزم من مجرد ما ذكر عدم الافتخار بالنسب لم لا يجوز الافتخار بالآباء الافاضل قلنا المقصود لا وجه للافتخار بمجرد النسب وأما ما ذكر فليس بمجرده بل للفضل أو الشرف مدخل (قوله لتعارفوا بالادغام) أى الاصل لتتعارفوا بالتاءين فأدغمت احداهما بالاخرى

(قوله احترازا من النهى الخ) أى لو قيل لا تقولوا آمنا الدل على النهى من أن يقول أحد آمنا فللاحتراز عن النهى عدل الى ماذكر وكذا لم يقل ولكن أسلمتم للاحتراز من الجزم باسلامهم لفقد شرطه شرعا (قوله توقيت) أى تعيين لقولهم أى قولهم أسلمنا فى حال مواطأة قلوبهم ألسنتهم (قوله وفيه اشارة الى ما يوجب نفى الايمان عنهم) أى نفى الايمان عمن كانوا على خلاف ذلك وهم الفرقة السابقة (قوله والمجاهدة بالاموال الخ) أى سواء (٩٠) كانت المجاهدة فى الغزو أو غيره (قوله أتخبرونه بقولكم آمنا) فان قيل انهم لم يخبروا الله بل يخبرون الرسول قلنا لعلهم اعتقدوا ان ما علم الله من حالهم أعلم رسوله به فلما لم يعلمه الرسول كان غير عالم به فيكون اعلامهم الرسول فى الحقيقة اعلام الله على زعمهم الفاسد (قوله لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه) أى لا يطلب الثواب والعوض معطيها ممن ينقل النعمة اليه (قوله أو تضمين الفعل معنى الاعتداد) فيكون المعنى قل لا تمنوا على معتدين اسلامكم أى معتبرين اياه (قوله وفى سياق هذه الآية لطف) أى نكتة لطيفة وهى جعل ما سموه ايمانا اسلاما ونفى كونه ايمانا الخ قال (قوله من المن) وهو عبارة عن رطلين لان المن يقبل الوزن (قوله على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء) لك أن تقول هذان الكلامان متناقضان فان زعمهم دال على ان الهداية غير حاصلة حقيقة وقوله مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء دال على ان الهداية حاصلة لكنها لا تستلزم الاهتداء والجواب ان قوله على ما زعمتم بالنظر الى أحد معنيي الهداية وهى الدلالة الموصلة وأما قوله مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء بالنظر الى المعنى الآخر للهداية وهو الدلالة على ما يوصل ﴿سورة ق﴾ (قوله كما مر فى ص الخ) فيكون الجواب ماذكر فى ص من أنه محذوف دل عليه ما فى ق من الدلالة على التحدى أو الأمر بالمعادلة أى انه لمعجز الى آخر ما قال (قوله أو لانه كلام المجيد أو لان الخ) فيكون وصف القرآن بالمجيد بالاعتبارين المذكورين مجازا عقليا

أن يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) توقيت لقولوا فانه حال من ضميره أى ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من أعمالكم) لا ينقصكم من أجورها (شيأ) من لات يليت ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما أوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بامرها (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه به بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية (يمنون عليك أن أسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لا تمنوا على اسلامكم) أى باسلامكم فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتداد (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو أنهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى أنه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير أن يمن به عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ق والقرآن المجيد) الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب أو لانه كلام المجيد أو لان من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد (بل عجبوا أن جاءهم منذر

(قوله أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم) أى أحد من بنى آدم أو أحد من قومهم (قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره الخ) قد يقال وجه الاشعار ان تكرار ذكرهم لا بد له من نكتة ولا يناسب فى هذا المقام الا هذا والوجه أن يقال ان وضع الكافرين موضع الضمير اشعار بانتعنت لان هذا شأن الكافرين (قوله أو عطف لتجبهم من البعث على تجبهم من البعثة الخ) هذا عطف على قوله حكاية تجبهم والمعنى لتجبهم من البعث الذى هو الحشر على البعثة التى هى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا (قوله أو مجملا الخ) المراد بالمبهم ما لا تعين له بوجه من الوجوه بان ليس فى الكلام ما يدل على تعينه بوجه ومن الجمل ما يكون فى السابق ما يدل عليه بوجه والمراد من التفسير والتفصيل هو قوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا واعلم انه اذا كان هذا اشارة الى الأمر المخوف مطلقا كان قوله أئذا متنا الخ تفسيرا له وان كان اشارة لى البعث كان قوله تعالى أئذا الخ تفصيلا (قوله لانه أدخل) علة لعطف تجبهم من البعث على تجبهم من البعثة قيل انما كان أدخل فى الانكار لان الاجمال ثم التفسير أوقع فى النفس والوجه أن يقال زيادة الانكار لزيادة التقريع والتوبيخ فكانه قيل انهم تجبوا من فضل النبى صلى الله عليه وسلم عليهم مع كونه واحدا من جنسهم وهذا تجب فاسد اذ الله تعالى

منذر منهم) انكار لتجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) حكاية لتجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمد اللرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أو عطف لتجبهم من البعث على تجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده أو مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره أو تفصيله لانه أدخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا متنا وكنا ترابا) أى أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله (ذلك رجع بعيد) أى بعيد عن الوهم أو العادة أو الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ما تأكل من أجسادهم وناهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ماهو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات أو النبى صلى الله عليه وسلم أو القرآن (لما جاءهم) وقرئ لما بالكسر (فهم فى أمر مريج) مضطرب من مرج الخاتم فى أصبعه اذا حرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج) أى من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الأخير (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات) أشجارا وأثمارا (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالبر والشعير (والنخل باسقات) طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لانبتنا أو مصدر فان الانبات رزق (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضا جدبة لا نماء فيها (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده (واخوان لوط) اخدانه لانهم كانوا أصهاره (وأصحاب الايكة وقوم

أن يفضل واحدا من قوم على آخرين باعطاء الفضل والكمال له دون غيره فهذا أمر علم بالعقل بل هم تجبوا من أمر كان ماهو محسوس لهم أشد منه اذ الاعادة أيسر وأسهل من الابداء وحاصل الكلام أن تجبهم الاول يعلم فساده بالعقل وتجبهم الثانى يعلم فساده بالحس فالثانى يكون أبلغ اذ الترقى من الأمر العقلى الى الحسى يفيد زيادة الانكار فى الصورة المذكورة بخلاف ما لو عكس كما لا يخفى على المتأمل (قوله وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه) أى هو رد لاستبعادهم البعث بازالة ما هو الاصل فى الاستبعاد ومنشؤه لانهم

تبع) سبق فى الحجر والدخان (كل كذب الرسل) أى كل واحد أوقوم منهم أو جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الاول) أى أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) ماتحدثه به نفسه وهو مايخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أى ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت أدنى لى من الوريد * والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) مقدر باذكر أو متعلق بأقرب أى هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أى يتلقن الحفيظان مايتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه أعلم منهما ومطلع على مايخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى مافيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير (مايلفظ من قول) مايرمى به من فيه (الالديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معد حاضر ولعله يكتب عليه مافيه ثواب أو عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر أو الموعود الحق أو الحق الذى ينبغى أن يكون من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له أو مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها الشدة تها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها جاءت به أو على أن الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله أو ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ماهو فى حكم

استبعد والبعث بسبب أن من يعيد الميت يحتاج الى أن يعلم أجزاءه المنتشرة المتفرقة فى أقطار الارضين حتى يقدر على جمعها (قوله أوقوم) بالجر عطف على واحد (قوله أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة) معناه لم نعجز عن الابداء فلا نعجز عن الاعادة لكن الظاهر ان معنى قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول لم نعجز بسبب الخلق الاول والبعث فيه عن الخلق الثانى (قوله والاشعار الخ) لان التنكير دال على عدم التعارف (قوله وللانسان ان جعلت مامصدرية والباء للتعدية) فيكون المعنى ونعلم وسوسة نفس الانسان اياه (قوله تجوز بقرب الذات لقرب العلم) فيكون معنى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وعلمنا أقرب منه من علم من كان أقرب اليه من حبل الوريد (قوله بالوتين) هو عرق من القلب اذا انقطع مات صاحبه (قوله ولعله يكتب الخ) انما اختار ذلك لان كتب مالاثواب له ولا عقاب عليه ليس فيه فائدة ظاهرة لكن أكثر المفسرين على انهما يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه فان قيل قد علم من قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان الآية انهما يحفظان أعماله فما فائدة قوله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد قلنا يعلم من الآية الثانية ان الملك معد لذلك بخلاف الاولى فانه لايعلم منها وأيضا يعلم صريحا من الآية الثانية ان الملك يضبط كل لفظ له ولا يعلم من الاولى (قوله بتحقيق قدرته وعلمه عزوجل) اما القدرة فمن قوله تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم الخ الآيات وأما العلم فمن قوله تعالى قد علمنا ماتنقص الارض منهم (قوله لاضافته الى ماهو فى حكم المعرفة) لان هذا الحكم عام فهو فى حكم المحلى بلام الاستغراق

(قوله اذما من أحد الخ) جواب سؤال وهو أن المسلم ليس فى غفلة من البعث بل هو مؤمن به فأجاب بأنه ليس المراد من

المعرفة (لقد كنت فى غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة أو لكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام والمعنى كنت فى غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا ما لدىّ عتيد) هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدىّ أو الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدل لها أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

أو الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه عنه (معتد) متعد (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما أطغيته) كان الكافر قال هو أطغانى فقال قرينه ربنا ما أطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان فى ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغواء الشياطين انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال) أى الله تعالى (لا تختصموا لدىّ) أى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى أى لا تختصموا عالمين بأنى أوعدتكم والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم ويجوز أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (ما يبدل القول لدىّ) أى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس لى تعذيبه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى لاملأن جهنم أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم وقرأ نافع وأبو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد أو مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف (وأزلفت الجنة للمتقين) قربت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف أى شيأ غير بعيد أو على زنة المصدر أو لان الجنة بمعنى البستان (هذا ما توعدون) على اضمار القول والاشارة الى الثواب أو مصدر أزلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل

الغفلة انكار البعث بل عدم التوجه اليه ولو فى بعض الاحوال (قوله أو خبر بعد خبر أو خبر محذوف) يعنى لدى خبر أول وعتيد خبر آخر بعده أو لدى خبر وعتيد خبر محذوف والتقدير هذا ما لدى هو عتيد (قوله ويؤيده الخ) أى يؤيد أن يكون ألقيا خطابا للواحد أنه قرئ ألقين بصيغة الواحد (قوله ويجوز أن يكون بالوعيد حالا الخ) والمعنى وقد قدمت اليكم مخبرا بالوعيد ما يبدل القول لدى (قوله فان دلائل العفو الخ) أى دلائل العفو مشتملة على تخصيص الوعيد مثلا اذا دل دليل على عقوبة من عمل عملا قبيحا فهو فى التقدير مخصص بان العقوبة واقعة اذا لم يعف الله عنه واذا كان معنى الوعيد ذلك فاذا عفا عنه لسبب لم يبدل القول لدى (قوله فيكون ذلك اشارة اليه الخ) أى ذلك فى قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى اليوم لان المعنى ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم هل امتلأت ذلك يوم الوعيد وعلى هذا لا حاجة الى تقدير مضاف فى ذلك يوم الوعيد لان المعنى ذلك اليوم أى الذى يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت يوم الوعيد هذا اذا كان ذلك اشارة الى اليوم أما اذا لم يكن كذلك كان صحة الكلام محتاجة الى تقدير مضاف بان يقال التقدير يوم ذلك يوم الوعيد أى يوم نفخ الصور يوم الوعيد (قوله وتذكيره الخ) يعنى ينبغى أن يقال غير بعيدة حتى يطابق ذا الحال فتذكيره لاحد الأمور المذكورة

أوّاب) رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أوّاب ولا يجوز أن يكون في حكمه لان من لا يوصف به أو مبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع و بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أو صفة لمصدر أي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو العقاب بعد غيب أو هو غائب عن الاعين لا يراه أحد وتخصيص الرحمن للاشعار بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه أو بأنهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم من الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشا) قوة كعاد وثمود وفرعون (فنقبوا في البلاد) فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها أو جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب وأصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه (هل من محيص) أي لهم من الله أو من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة أي ساروا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم و يؤيده أنه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم (ان في ذلك) فيما ذكر في هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) أي قلب واع يتفكر في حقائقه (أو ألقى السمع) أي أصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره و ينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) مر تفسيره مرارا (وما مسنا من لغوب) من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش (فاصبر على ما يقولون) ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما أنعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) أي وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر من أدبر وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما أخبرك به من أحوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادي المنادي) اسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء و يوم نصب بما دل عليه يوم الخروج (يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد (انا نحن نحيي ونميت) في الدنيا (والينا المصير) للجزاء في الآخرة

(قوله ولا يجوز أن يكون في حكمه الخ) أي لا يجوز أن يكون من خشي في حكم أواب حتى يكون صفة لموصوف لان من لا يصح أن يكون صفة (قوله والفاء على الاول للتسبب الخ) اذا فسر نقبوا بتصرفوا كان الفاء في فنقبوا للتسبب لان التصرف في البلاد سبب القوة واذا فسر بالجولان في الارض حذر الموت كان الفاء لمجرد التعقيب (قوله في بلاد القرون) أي في بلاد القرون الماضية (قوله بما دل عليه يوم الخروج) فيكون المعنى يخرجون من القبور يوم ينادي المنادي

(يوم تشقق) تتشقق وقرئ تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف وأبو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال الله تعالى ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما أنت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ماتريد وانما أنت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته والله أعلم

﴿سورة والذاريات﴾ مكية وآيها ستون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح تذرو التراب وغيره أو النساء الولود فانهن يذرين الاولاد أو الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار أو الرياح الحاملة للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا أو الرياح الجارية فى مهابها أو الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف أى جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو مايعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث أمرت به فتقسم المطر (انما توعدون لصادق وان الدين لواقع) جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث للجزاء الموعود وما موصولة أو مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف أو النجوم فان لها طرائق أو أنها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون أو فى القرآن أو القيامة أو أمر الديانة ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من أفك) يصرف عنه الضمير للرسول أو القرآن أو الايمان من صرف اذ لا صرف أشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه أو يصرف من صرف فى علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من أفك عن القول المختلف وبسببه كقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ أفك بالفتح أى من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) الكذابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أجرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أى فيقولون متى يوم الجزاء أى وقوعه وقرئ ايان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب للسؤال أى يقع

بها الخ) فالفاء يفيد أن القسم بالذاريات ليس فى الظهور كالقسم بالحاملات وقرا لان حمل السحاب بالمطر أقوى فى الدلالة على القدرة من ذرو السحاب ثم الجاريات يسرا أدل على القدرة مما تقدم لان جرى السفن المشحونة بالاثقال على البحر وعدم رسوبها فيه مع ان واحدا من تلك الاثقال لو ألقى فيه لرسب فى غاية الغرابة ثم ان تقسيم الامور الواقعة فى جميع العوالم أدل على القدرة مما تقدم (قوله والا فالفاء لترتيب الافعال) وهى الذرى والحمل والجرى والتقسيم (قوله فكأنه لا صرف بالنسبة اليه) أى قوله تعالى يدل ظاهرا على أن من أفك وصرف لابد ان يكون صرفه عن واحد من الامور المذكورة اذ كل صرف هو غير الصرف عن واحد منها كأنه غير صرف بالنسبة الى الصرف عن أحد الامور المذكورة (قوله أو يصرف عنه من صرف الخ) انما قال ذلك لان من افك يدل على وقوع الافك فى الزمان الماضى ويؤفك يدل على زمان المستقبل وهو تحصيل للحاصل فأول بأن المراد يصرف فى الواقع من صرف فى علم الله ومن هذا يعلم ان الانسب هو هذا الوجه لا الاول

يوم هم على النار يفتنون أو هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن و يدل عليه أنه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولا لهم هذا القول (هذا الذى كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون و يجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته (ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لما أعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) تفسير لاحسانهم وما مزيدة أى يهجعون فى طائفة من الليل أو يهجعون هجوعا قليلا أو مصدرية أو موصولة أى فى قليل من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه ولا يجوز أن تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الفرار من النوم وزيادة ما (و بالاسحار هم يستغفرون) أى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم أحقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه (وفى أموالهم حق) نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) أى فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوانات أو وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف أجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة أو لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق) وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعد (مثل ما أنكم تنطقون) أى مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق أو الوصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وأن بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق و يؤيده قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر بالرفع (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه أوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) أى مكرمين عند الله أو عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو الضيف أو المكرمين (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) أى أنتم قوم منكرون وانما أنكرهم لانه ظن أنهم بنو آدم ولم يعرفهم أو لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذرا من أن يكفه الضيف أو يصير منتظرا (فجاء بعجل سمين)

(قوله وفتح يوم الخ) أى اليوم على هذا التفسير خبر المبتدا الذى هو هو وفتحه لما ذكر و يؤيد خبريته انه قرئ بالرفع (قوله مقولا لهم) هذا القول حال من ضمير يفتنون (قوله وزيادة ما) لان الحرف الزائد يوجب التأكيد (قوله وتنبيه على انه أوحى اليه) لان هل أتاك نفى للاتيان فدل على ان علمه به لا يكون الا بسبب انه تعالى ذكره فى القرآن (قوله وهو كالتعرف عنهم) أى طلب المعرفة عنهم أى المقصود من قوله قوم منكرون عرفونى حالكم

لانه كان عامة ماله البقر (فقربه اليهم) بأن وضعه بين أيديهم (قال ألا تأكلون) أى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله أول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما رأى اعراضهم (فأوجس منهم خيفة) فأضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق عليه السلام (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فأقبلت امرأته) سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال أو المفعول ان أول فأقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت بأطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى بشرنا به (قال ربك) وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم أيها المرسلون) لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين متحجر (مسومة عند ربك) مرسلة من أسمت الماشية أو معلمة من السومة وهى العلامة (للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور (فأخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير أهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة (للذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن (وفى موسى) عطف على وفى الارض أو تركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو معجزاته كالعصا واليد (فتولى بركنه) فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه أو فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) سماها عقيما لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور أو الجنوب أو النكباء (ما تذر من شئ أتت) مرت (عليه الا جعلته كالرميم) كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) أى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو اذكر ويجوز أن يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى بالجر (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان (والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو ما

(قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين الخ) أى بعد ارادة اهلاكهم أخرجنا من كان فيها من المؤمنين ثم بعد ارادة الاهلاك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قوله من أن يكفه الضيف) اى يمنع الضيف المضيق عن الضيافة (قوله وتردد الخ) فان كان باختياره فهو ساحر وان كان بغيره فهو مجنون وانما حمل كلام فرعون على ذلك لان الجزم بنسبة موسى الى الجنون بمعنى عدم العقل مع ظهور تلك الخوارق مما لا يتفوه به عاقل (قوله أن يكون عطفا على محل فى عاد) لان فى عاد مفعول به فيكون فى محل النصب ويكون الفعل المقدر عليه مثل أغرقنا فيكون من قبيل ما ذكر من قوله * علفتها تبنا وماء باردا *

بينهما وبين الارض أو الرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة (انى لكم منه) أى من عذابه المعد لمن أشرك أو عصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات أو مبين ما يجب أن يحذر عنه (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) افراد لاعظم ما يجب أن يفر منه (انى لكم منه نذير مبين) تكرير للتأكيد أو الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) أى الأمر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا أو مجنونا وقوله (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى أو ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها (أتواصوا به) أى كأن الاولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن أن التواصى جامعهم لتباعد أيامهم الى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد (فما أنت بملوم) على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولا تدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه أو من آمن فانه يزداد بها بصيرة (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيابها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة أو ليكونوا عبادا لى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى ما أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل أن يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا (ان الله هو الرزاق) الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى أنا الرزاق (ذو القوة المتين) شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة (فان للذين ظلموا ذنوبا) أى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة أو يوم بدر * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

﴿ سورة والطور مكية وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية أو ما طار من أوج الايجاد الى حضيض المواد أو من عالم الغيب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ أو ألواح موسى عليه السلام أو فى قلوب أوليائه من المعارف والحكم أو ما تكتبه الحفظة (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج

(قوله ولا يجوز نصبه بأتى أو ما يفسره لان ما بعد ما النافية الخ) هذا الدليل فى الصورة الاولى وهى ما اذا كان نصبه بأتى وأما فى الصورة الثانية ففيه نظر اذ لا يجب فيما يفسره تقدم كذلك على ما ولذا لم يذكر الصورة الثانية صاحب الكشاف واقتصر على الاولى (قوله مع أن الدليل يمنعه) لان معنى ظاهر الآية ان المراد من خلقهم العبادة وخلاف مراد الله تعالى محال (قوله لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم الخ) لان ظاهره ان المراد من خلق كثير من الجن والانس دخولهم فى جهنم هذا مناف لكون المراد من خلقهم العبادة وانما قال لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا الخ لانه يمكن الجمع بجعل اللام لجهنم للعاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا (قوله كالمخلوقين له) نظرا الى التفسير الذى ذكر أولا بقوله لما خلقهم

﴿ سورة الطور ﴾

والمجاورين أو الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) أى المملوء وهو المحيط أو الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها نار جهنم أو المختلط من السجير وهو الخليط (ان عذاب ربك لواقع) لنازل (ماله من دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق أخباره وضبطه أعمال العباد للمجازاة (يوم تمور السماء مورا) تضطرب والمور تردد فى المجىء والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) أى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) أى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم فى خوض يلعبون) أى فى الخوض فى الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها دفعا بعنف وذلك بان تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر محكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك (أفسحر هذا) أى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفهذا المصداق أيضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) هذا أيضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم أو أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت أبصارنا (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا) أى ادخلوها على أى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها (سواء عليكم) أى الامران الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية أو فى جنات أو حال باضمار قد من المستكن فى الظرف أو الحال أو من فاعل آتى أو مفعوله أو منهما (كلوا واشربوا هنيئا) أى أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيأ والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن أو لما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حور أى قرناهم بأزواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير أو الذرية أو منهما وتنكيره للتعظيم أو الاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى أصل الايمان (ألحقنا بهم ذريتهم) فى دخول الجنة أو الدرجة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم (وما ألتناهم) وما نقصناهم (من عملهم من شئ) بهذا الالحاق فانه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو باعطاء الابناء بعض مثوباتهم ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وواتناهم من وات يلت ومعنى الكل واحد

(قوله أفهذا المصداق أيضا سحر) أى هذا الذى يوجب صدق الوحى الذى قاله النبى فى الدنيا لكم سحر أيضا (قوله والظرف لغو) أى اذا كان فاكهون خبرا لان كان فى جنات متعلقا بفاكهين فيكون ظرفا لغوا وأما اذا كان فى جنات خبرا لان كان التقدير ان المتقين كائنون فى جنات فيكون ظرفا مستقرا (قوله ان جعل ما مصدرية) اذ لو كانت موصولة لزم أن يكون التقدير فاكهين بالذى آتاهم ووقاهم ولا معنى له (قوله أو فى جنات) أى عطف على فى جنات فيكون المعنى ان المتقين وقاهم ربهم (قوله اعتراض للتعليل) أى لتعليل الحاق الذرية المؤمنين بهم (قوله والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير) فى كونه تصريحا نظر اذ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الذريات جمع الجمع (قوله أو الاشعار الخ) لك أن تقول لو عرف باللام لكان مشعرا بما ذكر والظاهر أن المراد منه حقيقة الايمان (قوله يتعاطون هم الخ) انما فسره لان التنازع بمعنى التخاصم لا يقع بينهم

(كل امرئ بما كسب رهين) بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكه والا أهلكه (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من أنواع التنعم (يتنازعون فيها) يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا) خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير فى قوله (لالغو فيها ولا تأثيم) أى لايتكلمون بلغو الحديث فى أثناء شربها ولا يفعلون مايؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله تعالى لافيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح (ويطوف عليهم) أى بالكأس (غلمان لهم) أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أووجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (أنا كنا من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده أونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن وقرأ نافع والكسائى أنه بالفتح (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما أنت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) مايقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الاحلام به مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم (أم يقولون تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز أن يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد (أم خلقوا من غير شئ) أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لايعبدونه أو من أجل لاشئ من عبادة ومجازاة (أم هم الخالقون) يؤيد الاول فان معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله (أم خلقوا السموات والارض) وأم فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لايوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم خزائن ربك) خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته (أم هم المصيطرون) الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة (أم لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لايعد من العقلاء فضلا أن يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب (أم تسألهم أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك (أم عندهم الغيب) اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات (فهم

يكتبون)

(قوله أولادهم الذين سبقوهم) أى سبقوهم بالموت ودخول الجنة (قوله أنه بالفتح) فيكون المعنى لانه البر الرحيم

يكتبون) منه (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم (فالذين كفروا) يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور (هم المكيدون) هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أم لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) عن اشراكهم أو شركة ما يشركونه به (وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه أو أصعقه (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) أى شيأ من الاغناء فى رد العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (وان للذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) أى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة فى الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك بأعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من أى مكان قمت أو من منامك أو الى الصلاة (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل (وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خفيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

﴿سورة والنجم مكية وآيها احدى أو ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنجم اذا هوى) أقسم بجنس النجوم أو الثريا فانه غلب فيها اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل أو النبات اذا سقط على الارض أو اذا نما وارتفع على قوله (ماضل صاحبكم) ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش (وما غوى) وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ما ينسبون اليه (وما ينطق عن الهوى) وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ما القرآن أو الذى ينطق به (الا وحى يوحى) أى الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بانه اذا أوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) أفق السماء والضمير لجبريل (ثم دنا) من النبى عليه الصلاة والسلام (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى

(قوله يحتمل العموم والخصوص) أى يحتمل ان يكون المراد من الذين ظلموا مطلق الظالمين ويحتمل أن يكون المراد كفار قريش

﴿سورة النجم﴾

(قوله اذا غرب الخ) لا يخفى أن غروب النجم وطلوعه دليل على كمال قدرة الخالق اذ هو دال على أن له التصرف فى السموات فبارادته تغرب الكواكب وتطلع فبهذا الاعتبار أقسم به تعالى (قوله واحتج به الخ) أى احتج به من جعل هو راجعا الى ما ينطق به لانه اذا كان كل ما نطق به وحيا لا يكون للاجتهاد مجال وقوله يكون بالوحى لا الوحى أى يكون ما يسند الى الاجتهاد بسبب الوحى لا نفس الوحى

الثمر المعلق (فكان) جبريل عليه السلام كقولك هو مني معقد الازار أو المسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (أو أدنى) على تقدير كم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي اليه بنفي البعد الملبس (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (ما أوحى) جبريل عليه السلام وفيه تفخيم للموحى به أو الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام أو الله تعالى أي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا و يدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرأ هشام ما كذب أي صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة أخرى) مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التي ينتهي اليها أعمال الخلائق وعلمهم أو ما ينزل من فوقها و يصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التي يأوي اليها المتقون أو أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (ما زاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف أي شيأ من آيات ربه أو من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن و يطعم الحاج والعزى بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه أو الاخرى من التأخر في الرتبة (ألكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء

كما

(قوله كقوله على ظهرها) وهو في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فانه لم يجر ذكر الارض لكنه معلوم (قوله وفيه تفخيم للموحى به) أي عدم بيان الموحى به تفخيم له وفيه ايماء بأنه لعظمته لم يقدر على تبيينه (قوله فان الامور القدسية الخ) فان الامر القدسي اذا أدركه القلب يتمثل في البصر صورة مناسبة له كما يتمثل جبريل للانبياء (قوله من مرى الناقة) يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها (قوله لانهم يجتمعون تحت ظلها) أي العرب يجتمعون في ظل السدرة اذ لا شجرة لهم في البادية ظلها كظل السدرة فوجه الشبه اجتماع الاشياء فكما أن السدرة تجمع العرب كذلك تجتمع الاعمال الصالحة عنده وما ينزل من فوق عند سدرة المنتهى (قوله المعنية بما رأى) أي قيل المقصود بما رأى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى الآيات والعجائب (قوله ويجوز أن يكون الكبرى الخ) غرضه ان الكبرى لا يجب أن تكون صفة للآيات بل يحتمل أن يكون المفعول محذوفا أو يكون من مزيدة و يحتمل أن تكون الكبرى مفعولا ومن آيات ربه بيانا لها

كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به (ان هى الا أسماء) الضمير للاصنام أى ماهى باعتبار الالوهية الا أسماء تطلقونها عليها لانهم يقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية أو للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء أو للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها) سميتم بها (أنتم وآباؤكم) بهواكم (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم أن ماهم عليه حق تقليدا او توهما باطلا (وماتهوى الانفس) وماتشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول أو الكتاب فتركوه (أم للانسان ماتمنى) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل مايتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوهما (فلله الآخرة والاولى) يعطى منهما مايشاء لمن يريد وليس لاحد أن يتحكم عليه فى شئ منهما (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ) وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم شيأ ولاتنفع (الامن بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له (ويرضى) ويراه أهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان يسموه بنتا (ومالهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيأ) فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات ومايكون وصلة اليها (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا) فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل (ذلك) أى أمر الدنيا أو كونها شهية (مبلغهم من العلم) لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض أى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلاتتعب نفسك فى دعوتهم اذ ماعليك الا البلاغ وقد بلغت (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ماعملوا من السوء أو بمثله أو بسبب ماعملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ماقبله أى خلق العالم وسوّاه للجزاء أو ميز الضال عن المهتدى وحفظ أحوالهم لذلك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) ما يكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب عليه الوعيد بخصوصه وقيل ماأوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) الا ماقل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة أو المدح أو الرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر أو له أن يغفر ماشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولايتوهم وجوب العقاب على الله تعالى (هو أعلم بكم) أعلم بأحوالكم منكم (اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام (فلاتزكوا أنفسكم) فلاتثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير أو

(قوله فان فعلى بالكسر الخ) أى انما قيل ان أصله فعلى بالضم وكسر فاؤه لما ذكر وماقيل انه فى الأصل بكسر الفاء لان فعلى بالكسر لم يأت وصفا فى لغة العرب (قوله أى ماهى باعتبار الالوهية الخ) أى ماالالوهية الا أسماء وفيه انه راجع الى المعنى الثانى فالاولى الاقتصار على الوجهين الأخيرين

بالطهارة عن المعاصى والرذائل (هو أعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام (أفرأيت الذى تولى) عن اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلا وأكدى) وقطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله تعالى فضمن أن يتحمل عنه العقاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم أن صاحبه يتحمل عنه (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) وفر وأتم ما التزمه أو أمر به أو بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمروذ حتى أتاه جبريل عليه السلام حين ألقى فى النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذبح الولد وأنه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى عليه الصلاة والسلام لان صحفه وهى التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أن هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل ما فى صحفهما فأجاب به والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره (وأن ليس للانسان الا ما سعى) الا سعيه أى كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء فى الاخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون مصدرا وأن تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله (وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه منقطع عما فى الصحف وكذلك ما بعده (وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق فى الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى اذا قدر (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنشاءة بالمد وهو أيضا مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها أشرف الاموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) يعنى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أبى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وان وافق أبا كبشة فى مخالفتهم خالفه أيضا فى عبادتها (وأنه أهلك عادا الاولى) القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وأبو عمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام التنوين وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة فى موضع الواو (وثمودا) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الالف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف (فما أبقى) الفريقين (وقوم نوح) أيضا معطوف عليه (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت بأهلها أى

(قوله وقرئ بالكسر على انه منقطع الخ) يعنى اذا قرئ ان بالكسر لا يدل على ان الى ربك المنتهى وما بعده داخل فيما فى الصحف (قوله فان القاتل ينقض البنية الخ) جواب سؤال وهو ان القاتل يميت المقتول بسبب نقض بنيته فلا تنحصر الاماتة فى الله تعالى كما هو المفهوم من انه أمات وأحيا وأجاب بأن القاتل سبب لنقض البنية وتفريق أجزائها وعنده يحصل الموت بفعل الله تعالى على سبيل العادة (قوله أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية عطف على وأعطى القنية) فيكون على هذا معنى أقنى أرضى وتحقيقه أى توضيح معنى أقنى على هذا انه بمعنى جعل الرضا للراضى قنية أى مدخرا فكما ان المقتنى يدخر شرائف الأموال كذلك يحصل للفقير الشاكر الرضا وصبره (قوله لان ما بعدها لا يعمل فيها) أى لا يعمل فما أبقى فى ثمود اما لاجل ان الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها واما لاجل ان ما النافية يمنع العمل فيها لصدارتها أى لصدارة ما

انقلبت وهى قرى قوم لوط (أهوى) بعد أن رفعها فقلبها (فغشاها ماغشى) فيه تهويل وتعميم لما أصابهم (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول أولكل أحد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل مافى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا نذير من النذر الاولى) أى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة أوهذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين (أزفت الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الاالله لكنه لا يكشفها أوالآن بتأخيرها الاالله أوليس لها كاشفة لوقتها الاالله اذ لا يطلع عليه سواه أوليس لها من غيرالله كشف على انها مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) تحزنا على مافرطتم (وأنتم سامدون) لاهون أومستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه أومغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واعبدوه دون الآلهة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

﴿ سورة القمر ﴾ مكية وآيها خمس وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول أنه قرئ وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك أومحكم من المرة يقال أمررته فاستمر اذا أحكمته فاستحكم أو مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أومار ذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) وهو مازين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة (وكل أمر مستقر) منته الى غاية من خذلان أونصر فى الدنيا وشقاوة أوسعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح أى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة (ولقد جاءهم) فى القرآن (من الانباء) أنباء القرون الخالية أوأنباء الآخرة (مافيه مزدجر) ازدجار من تعذيب أووعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما أوخبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة أومخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أواستفهام انكار أى فاى غناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أوالمنذر منه أومصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك بان الانذار لا يغنى فيهم (يوم يدع الداع) اسرافيل ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون أوباضماراذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث) أى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا أبصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر

(قوله على كشفها) أى رفعها (قوله أوالآن بتأخيرها الاالله) عطف على اذا وقعت أى ليس لها الآن كاشفة أى مؤخرة لها الى وقتها المعين الاالله فالكشف فيه بمعنى الرفع وأما قوله أوليس لها كاشفة لوقتها الاالله فالكشف فيه بمعنى الايضاح

﴿ سورة القمر ﴾

(قوله وذكرهما بلفظ الماضى الخ) هو أن يقال وتكذبوا وتتبعوا لكونهما معطوفين على يقولوا لكنهما ذكرا بلفظ الماضى (قوله وقرئ بالفتح) أى بفتح القاف فيكون مصدرا (قوله وبالكسر والجر) أى قرئ بكسر القاف وجر الراء (قوله ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر الخ) أى يجوز أن لا يكون المقصود بالدعاء حقيقته بل المراد تمثيل حاله فى التوجه الى المبعوثين وبعثهم من القبور وسرعة انبعاثهم منها بحال الداعى المطاع واقبال المطيعين اليه

وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا (كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموج والانتشار فى الامكنة (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب (كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل (وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه أنى) بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله تعالى فى الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح) ذات أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته ويجوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر (فهل من مدكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذارى أتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم فى تعذيبهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردا أو شديد الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) أى استمر شؤمه أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدا أو اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت أجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله أعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال أيضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات والمواعظ أو الرسل (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ

(قوله لانه ليس على صيغة تشبه الفعل) به يدخل مايدل على معنى الجمع والتنبيه عليه كما ان القائلين كذلك بخلاف خشعا فلما لا يحسن يقدمون غلمانه لا يحسن قائمون غلمانه (قوله وهو تفصيل بعد اجمال) لان تكذيب قوم نوح يحتمل أن يكون تكذيبهم لنوح ولغيره لكن كذبوا عبدنا تفصيل وتوضيح لهذا المجمل (قوله فقد روى الخ) أى يدل على أن هذا الدعاء عند الياس قوله فى شأنهم اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون اذ ما ذكر يدل على غاية شفقته لهم (قوله وهو مبالغة الخ) أى فتح أبواب السماء تمثيل لكثرة الامطار لان بفتح الابواب يسهل خروج الخارجين ويكثر (قوله فغير للمبالغة) لانه بعد التغير يدل على كون الارض كلها عيونا (قوله ويجوز أن يكون الخ) فيكون الاصل لمن كفر به فحذف الباء واستتر الضمير فى كفر

بالرفع على الابتداء والاول أوجه للاستفهام (واحدا) منفردا لاتبع له أومن آحادهم دون أشرافهم (نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر) جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (أألقى الذكر) الكتاب أو الوحى (عليه من بيننا) وفينا من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) حمله بطره على الترفع علينا بادعائه اياه (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح عليه السلام أم من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر والأشر أى الابلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير (انا مرسلو الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) امتحانا لهم (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم و بينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته أو يحضره عنه غيره (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف (فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (الا آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل أو مسحرين (نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فأعماهم (فذوقوا عذابى ونذر) فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار معين (عذاب مستقر) يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك منهم (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا معشر العرب (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوة وعدة أو مكانة ودينا عند الله تعالى (أم لكم براءة فى الزبر) أم نزل لكم فى الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو فى أمان من العذاب (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام أو منتصر من الاعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أى الادبار وافراده لارادة الجنس أو لان كل واحد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه لما نزلت قال لم أعلم ما هو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته (بل الساعة موعدهم) موعد

(قوله والاول أوجه للاستفهام) لما تقرر فى النحو من ان المختار فى مثل هذا الاسم النصب اذا كان بعد الاستفهام (قوله فرتبوا على اتباعهم اياه الخ) لان نبيهم رتب على ترك اتباعهم اياه كونهم فى ضلال وسعر أى أنواع النار المسعورة وهم عكسوا الامر فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه نبيهم على ترك الاتباع (قوله أو مسحرين) فتكون الباء للملابسة اذ المعنى نجيناهم ملتبسين بسحر وهذا هو المراد من المسحرين (قوله أو ظاهر الحال) يعنى لم يكن قول من الله ولا من الملائكة بل المراد انه فعل بهم ما يدل على توبيخهم الذى هو مضمون ذوقوا عذابى ونذر (قوله كرر ذلك الخ) أما قوله اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب فهو علة تكرير ذوقوا عذابى ونذر لان هذه العبارة أو ما هو قريب منه كرر فى السورة فى كل قصة وأما قوله واستماع كل قصة مستدع للادكار والايقاظ الخ فنكتة تكرير ولقد يسرنا القرآن (قوله والتوحيد على لفظ الجمع) يعنى توحيد لفظ منتصر وان كان موصوفه جميعا فى المعنى الا أن لفظه مفرد

عذابهم الأصلى ومايحيق بهم فى الدنيافن طلائعه (والساعة أدهى) أشد والداهية أمر فظيع لايهتدى لدوائه (وأمر) مذاقامن عذاب الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) يجرون عليها (ذوقوامس سقر) أى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على أن كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لمافيه من النصوصية على المقصود (وما أمرنا الاواحدة) الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة أو الا كلمة واحدة وهو قوله كن (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم فى الكفر ممن قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه فى الزبر) مكتوب فى كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) أنهار واكتفى باسم الجنس أو سعة أوضياء من النهار وقرئ نهر بضم الهاء جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى أمره فى الملك والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الافهام * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو أصل النعم الدينية وأجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحى وأعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه قوله (خلق الانسان علمه البيان) ايماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما أدركه لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب (والنجم) والنبات الذى ينجم أى يطلع من الارض ولا ساق له (والشجر) الذى له ساق (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ماقبلهما ومابعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على أن مايحس به من تغيرات أحوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض أوما

(قوله وعلى هذا فالاولى الخ) لانه اذا جعل خبرا كان المعنى اثبات المخلوقية لكل شئ وأما اذا جعل وصفا كان المعنى اما كل شئ صفته انه مخلوقنا ملتبسين بقدر فيتوهم انه فى الواقع شئ ليس مخلوقه تعالى (قوله لمافيه من النصوصية على المقصود) وهو النص على ان كل شئ مخلوق لله تعالى (قوله أبهمه ذووالافهام) أى نسبوه الى الابهام والخفاء

﴿سورة الرحمن﴾

(قوله لتلقى الوحى الخ) خبر لان فى قوله بأن خلق البشر ومايميز به عن سائر الحيوان يعنى ذكر خلق الانسان وتعليم البيان بعد ذكر تعليم القرآن للدلالة على ان خلقه وتعليمه للبيان لاجل تعلم القرآن (قوله لمجيئها على نهج التعديد) لعل مجيئها على النهج المذكور للاشعار بأن كل واحد منها مستقل بكونه خبرا لايحتاج الى الجمع بينهما بخلاف مالو يجىء بها على طريق العطف فانه لااشعار للعطف بما ذكر

يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار أراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب (ألا تطغوا فى الميزان) لئلا تطغوا فيه أى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه فان من حقه أن يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وتخسروا بفتحها على أن الأصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوة (للانام) للخلق وقيل الأنام كل ذى روح (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) أوعية التمر جمع كم أو كل ما يكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر (والحب ذو العصف) كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعنى المشموم أو الرزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالخفض ماعدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله أيها الثقلان (خلق الانسان من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه (وخلق الجان) الجن أو أبا الجن (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب المشرقين ورب المغربين) مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى أو من الارض (لا يبغيان) لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الأحمر وان صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب أو لانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) أى السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

(المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج أو السير (فى البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات أو المركبات

(قوله بالرفعة التى هى من حيث انها الخ) أى بالرفعة التى هى أى تلك الرفعة من حيث انها مصدر قضايا الله تعالى فى الخلائق وأقداره (قوله وقرئ لا تطغوا فى الميزان) فيكون لا للنهى (قوله على أن الاصل لا تخسروا فى الميزان الخ) انما كان الاصل ما ذكر لان معنى خسر لازم اذ هو بالفارسية زكان كارشد فلا بد من تقرير فى (قوله أو أخص) يعنى يكون المقدر هو أخص (قوله حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات) الاول ينتظم والثانى فيه نظر لان الملائكة من الكائنات فلا يصح أن يقال ان الجن خلاصة الكائنات ومن جملتها الملائكة الا أن يقال المراد الكائنات التى تركبت من العناصر (قوله كالمخرج منهما) لا يخفى انه اذا لم يخرج من مجتمعهما الا يلائم أن يقال يخرج منهما ولا يرد عليه انه خلاف المشاهد لان عدم مشاهدتنا لا يصادم ظاهر القرآن فان قيل قد قال تعالى جعل القمر فيهن نورا مع أن القمر فى احداهن قلنا لما لم تكن السموات متميزة بعضها من بعض فى الحس فكان السموات واحدة فهو فى الظاهر فى المجموع لانها واحدة ظاهرا (قوله فكلها ثمان) حذف الياء من ثمانى ورفع النون لان الحسان أيضا مرفوع

ومن للتغليب أومن الثقلين (فان و يبـقى وجه ربك) ذاته ولواستقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الاوجه الله أى الوجه الذى يلى جهته (ذو الجلال والاكرام) ذوالاستغناء المطلق والفضل العام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء مالا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا أو مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم (يسئله من فى السموات والارض) فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم و يعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشئ فى ذواتهم وصفاتهم نطقا كان أو غيره (كل يوم هو فى شان) كل وقت يحدث أشخاصا و يجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا (سنفرغ لكم أيه الثقلان) أى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشئ كان أقوى عليه وأجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم أى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أولرزانة رأيهما وقدرهما أولانهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا (لاتنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الابسلطان) الابقوة وقهر وأنى لكم ذلك أوان قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بافكاركم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلا (يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال

تضئ كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

أوصفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه أبو عمرو و يعقوب فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام الكفار فى عداد الآلاء (فاذا انشقت السماء فكانت وردة) أى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

ولئن بقيت لارحلن بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم

(كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم و يحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة و بالاقدام أخرى

(قوله أى الوجه الذى يلى جهته) هى من كل جهة وحيثية فانية الا من الوجه أى الحيثية التى استفاد من فيض الله تعالى وهو جهة كونه موجودا و يمكن أن يقال المراد من الوجه الذى ذكر العمل الصالح الذى أريد به وجه الله فقط فان كل شئ يتعلق بالعبد فهو فى حد ذاته باطل هالك الاما ذكر (قوله فالتحذير) فان التحذير لطف ونعمة كما سيجئ فى قوله فان التهديد لطف (قوله تعالى فاذا انشقت السماء) يمكن أن يكون معطوفا على قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان والاظهر أن يقال ان الفاء فاء السببية وهى باعتبار ان الفراغ للجزاء سبب لقيام القيامة فكان سببا لما وقع فيها ومن جملته انشقاق السماء (قوله فيكون من باب التجريد) وهو أن ينزع من أمر ذى صفة أمرا آخر مثله فى تلك لكمالها فيه جود من السماء شيأ يسمى وردة كما جرد الشاعر من نفسه صفة الكرم لكمالها فيه (قوله والهاء للانس الخ) ظاهر هذا الكلام يدل على ان المراد انه لا يسأل انس ولا جان ذنب الانس لكن المراد انه لا يسأل انس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه

(فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف الى الرب تفخيما وتهويلا أو ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

(جنتان) جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أنواع من الاشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف في معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين أو فيهما من الاماكن والقصور أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وهو الجنة (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء وهو أيضا أقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به أبو حنيفة رضي الله عنه على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبا أو رمانا لم يحنث (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) أي خيرات فخففت لان خيرا الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن (فبأي آلاء

موقف الخائف عند ربه للحساب أي لمن خاف موقفا خاف القائم فيه عند ربه للحساب فالمقام بمعنى الموقف لا بمعنى الآخر ولذا قال بأحد المعنيين (قوله ذعرت به القطا الخ) القطا اهدى الطيور الى الماء والذئب أهدى السباع والرجل اللعين شئ أنصب وسط الزرع يستطرد به الوحوش والاستشهاد في ان المقام في مقام الذئب مقتحم والمراد نفيت عنه الذئب (قوله فان جنتان يدل على جنان هي للخائفين) لان لمن خاف مقام ربه جنتان يدل على ان لكل خائف جنتين وللكل جنان (قوله وفيه دليل على ان الجن يطمثون) لا يخفى ان المراد من يطمثهن يجامعهن يدل على ان الجن يطمثون أي يجامعون والغرض بيان ان لذة الجن تحصل بالجماع كالانس (قوله المنبسطة على وجه الارض) الانبساط على وجه الارض انما علم من ان الانبساط يوجب زيادة الخضرة في النظر (قوله وهو أيضا أقل الخ) لانه يمكن أن تكون العين فوارة لكن لا تجري كالقدرة المغلي (قوله لم يحنث) لانه تعالى عطفهما على الفاكهة فيدل على انهما ليسا بفاكهة لان العطف يدل على التغاير وأجاب المصنف بأنه بهو تخصيص بعد تعميم لما ذكر

ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كحور الاولين وهم أصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف) وسائد أو نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض (خضر وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة أو مقحم كما فى قوله

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * (ذى الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما أنعم الله تعالى عليه

﴿سورة الواقعة مكية وآيها ست وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى أو ليس لاحد فى وقعتها كاذبة فان من أخبر عنها صدق أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته أو سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم أزواجا) أصنافا (ثلاثة) وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنيئة من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (والسابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات أو الانبياء فانهم مقدمو أهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبى النجم

* أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أو الذين سبقوا الى الجنة (أولئك المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة وأعليت مراتبهم (ثلة من الاولين) أى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليه الصلاة والسلام (وقليل من الآخرين) يعنى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان أمتى يكثرون سائر الامم لجواز أن يكون سابقو سائر الامم أكثر من سابقى هذه الامة وتابعو هذه أكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى أكثرية أحدهما

(قوله لانهما يدلان عليهم) أى أصحاب الجنتين وان كانوا غير مذكورين لكن ذكر الجنتين يدلان عليهم

﴿سورة الواقعة﴾

(قوله أو تكذيب فى نفيها ووقعتها) فيكون اللام بمعنى فى كما فى قدمت لحياتى (قوله من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل) يعنى ذكر أصحاب الميمنة وأراد به أصحاب المنزلة السنية مأخوذ من تيمن العرب بالميامن (قوله ومعناهما التعجب من حال الفريقين) فالمعنى فأصحاب الميمنة يستحقون أن يتعجب من حالهم وقس عليه الجملة الاخرى (قوله هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم) هذا معنى السابقون الثانى الذى هو خبر الاول أى المعنى السابقون هم الذين عرفت حالهم ومآلهم كقول أبى النجم شعرى شعرى اذ معناه ان شعرى معروف مشهور بالفصاحة والبلاغة

وروى مرفوعاً أنهمامن هـذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع (على سرر موضونة) خبرآخر للضمير المحذوف والموضونة المنـ وجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى على سرر (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم (با كواب وأباريق) حال الشرب وغيره والكوب اناء بلاعروة ولاخرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر (لايصدعون عنها) بخمار (ولاينزفون) ولاتنزف عقولهم أولاينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى لايصدعون بمعنى لايتصدعون أى لايتفرقون (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور عين) عطف على ولدان أومبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أوولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أى هم فى جنات ومصاحبة حور أوعلى أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا (كامثال اللؤلؤ المكنون) المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء (جزاء بما كانوا يعملون) أى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم (لايسمعون فيها لغوا) باطلا (ولاتاثيما) ولانسبة الى الاثم أى لايقال لهم أثمتم (الاقيلا) أى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله لايسمعون فيها لغوا الا سلاما أوصفته أومفعوله بمعنى الا أن يقولوا سلاما أومصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) لاشوك فيه من خضد الشوك اذا قطعه أومثنى أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز أوأم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين (منضود) نضد حمله من أسفله الى أعلاه (وظل ممدود) منبسط لايتقلص ولايتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا بلاتعب أومصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين فى التنعم باعلى مايتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين باكمل مايتمناه أهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة الاجناس (لامقطوعة) لاتنقطع فى وقت (ولاممنوعة) لاتمنع عن متناولها بوجه (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أومنضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها أنها على الارائك ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) أى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء أواعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (فجعلناهن أبكارا عربا) متحببات الى أزواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وأبو بكر وروى عن نافع وعاصم مثله (أترابا) فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن (لاصحاب اليمين) متعلق بانشأنا أوجعلنا أوصفة لابكارا أوخبر لمحذوف مثل هن أولقوله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهى على الوجوه الاول خبر محذوف (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود يفعول من الحمة (لابارد) كسائر الظل (ولاكريم) ولانافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاستروح (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى الشهوات (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تاثم (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا

(قوله وروى مرفوعا انهمامن هذه الامة) أى روى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ان الثلة والقليل أيضا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله خبر آخر للضمير المحذوف) والخبر الاول ثلة من الاولين اذ التقدير هم ثلة من الاولين على سرر موضونة (قوله حالان من الضمير فى على سرر) اذ التقدير مستقرين على سرر فالمراد من قوله من الضمير فى على أنهما حالان من الضمير المستتر فيما يتعلق به الجار والمجرور (قوله اشعارا بالتفاوت بين الحالين) أى بين حالى السابقين وأصحاب اليمين فان حال أصحاب المدن أعلى من حال أهل البوادى (قوله ابتداء أواعادة) الاول على أن تكون الحور هى التى خلقت ابتداء فى الجنة من غير أن يكون لها سبق وجود فى الدنيا والثانى على أن تكون هى النساء اللاتى وصفت فى الحديث (قوله أولقوله ثلة الخ) فتكون اللام فى قوله لاصحاب اليمين بمعنى من وقد أثبته صاحب المغنى واستشهد بشاهدين أحدهما نحو قوله سمعت له صراخا الثانى قول جرير لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغم * ونحن لكم يوم القيامة أفضل لكن فى الاستشهاد الاول ضعف (قوله وهى على الوجوه الاول خبر محذوف) اذ التقدير هم أصحاب اليمين ثلة من الاولين (قوله للدلالة

على انكار البعث مطلقا) يعنى لولم يكرر الهمزة لدل على انكار بعث التراب والعظام ولايدل على انكار البعث مطلقا فاذا أورد همزة الانكار على البعث دل على انكاره مطلقا أعم من أن يكون بعث التراب والعظام أو بعث

ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله (أو آباؤنا الأولون) للدلالة على أن ذلك أشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لاهو للفصل بان والهمزة (قل ان الأولين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ماوقت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له (ثم انكم أيها الضالون المكذبون) أى بالبعث والخطاب لاهل مكة وأضرابهم (لآكلون من شجر من زقوم) من الأولى للابتداء والثانية للبيان (فمالئون منها البطون) من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها (فشاربون شرب الهيم) الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين (هذا نزلهم يوم الدين) يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعدما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب أليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أو بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (أفرأيتم ماتمنون) أى ما تقذفونه فى الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها (أأنتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (ومانحن بمسبوقين) لايسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على أن نبدل أمثالكم) على الاول حال أو علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم جمع مثل بمعنى صفة (وننشئكم فيما لاتعلمون) فى خلق أو صفات لاتعلمونها (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس (أفرأيتم ماتحرثون) تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (أم نحن الزارعون) المنبتون (لونشاء لجعلناه حطاما) هشيما (فظلتم تفكهون) تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه أو على ما أصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل (انا لمغرمون) لملزمون غرامة ماأنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ أبو بكر أئنا لمغرمون على الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا رزقنا أو محدودون لامجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) أى العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا أو من الأجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب مايتمحض للشرط ومايتضمن معناه لعلم السامع بمكانها أو الاكتفاء بسبق ذكرها أو يختص مايقصد لذاته و يكون أهم وفقده أصعب بمزيد

أو آباؤنا الأولون فكأنهم قالوا انا ننكر أن نكون مبعوثين فبعث الآباء الاقدمين أولى بالانكار (قوله وقرأ نافع وابن عامر بالسكون) أى بسكون الواو (قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه الخ) اذ يمكن أن يكون شرب الحميم على الزقوم من غير أن يكون الشرب المذكور شرب الهيم و يمكن أيضا أن يكون شرب الهيم من غير شرب الحميم على الزقوم و يمكن اجتماعهما (قوله وعلى الاول حال أو علة الخ) أى على أن يكون مسبوقين بمعنى لايسبقنا أحد يكون على أن نبدل حالا والمعنى قادرين على أن نبدل أو علة لقدرنا اذ لا يصح تعلقه بمسبوقين وعلى الثانى هو متعلق بمسبوقين اذ المعنى ومانحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم (قوله على ان أمثالكم جمع مثل) بالتحريك بمعنى الصفة (قوله وفيه دليل على صحة القياس) فانه تعالى أشعر فى كلامه على قياس صحة الاعادة بصحة الابداء (قوله أو محدودون لامجدودون) الاول بالحاء المهملة يعنى الممنوع من الحظ والثانى بالجيم بمعنى

التأكيد (فلولا تشكرون) أمثال هذه النعم الضرورية (أفرأيتم النار التى تورون) تقدحون (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن) يعنى الشجرة التى منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة فى أمر البعث كما مر فى سورة يس أو فى الظلام أو تذكيرا وأنموذجا لنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها (فسبح باسم ربك العظيم) فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أو للتعجب من أمرهم فى غمط نعمه أو للشكر على ما عدها من النعم (فلا أقسم) اذ الأمر أوضح من أن يحتاج الى قسم أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى لئلا يعلم أو فلا أنا أقسم فحذف المبتدا وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه (بمواقع النجوم) بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائى بموقع (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى فى جنسه (فى كتاب مكنون) مصون وهو اللوح المحفوظ (لا يمسه الا المطهرون) لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة أو لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أو لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والالهام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أى نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم أى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وتكذبون أى بقولكم فى القرآن انه سحر وشعر أو فى المطر انه من الانواء (فلولا اذا بلغت الحلقوم) أى النفس (وأنتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن أقرب) أى ونحن أعلم (اليه) الى المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذى هو أقوى سبب الاطلاع (ولكن لا تبصرون) لا تدركون كنه ما يجرى عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين من دانه اذا أذله واستعبده وأصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته (ان كنتم صادقين) فى أباطيلكم فلولا ترجعون الأرواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فأما ان كان من المقربين) أى ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) ذات تنعم (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك) يا صاحب اليمين (من أصحاب اليمين) أى من اخوانك

هوان وما يتضمن معناه لو وحاصل ما قال انه حذف ههنا اللام التى تدخل على جواب لو ههنا لكثرة وقوعها فى هذا الموقع فاذا لم تذكر علم انها مقدرة أو لسبق ذكرها فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما أو لتخصيص ما يقصد لذاته ويكون فقده أصعب وهو هلاك الزرع بذكر اللام لمزيد التأكيد فى الهديد والحذر عما يوجب هلاك الزرع (قوله فلا أقسم) الفاء للتعقيب أى بعدانى عددت النعم والرحمات المذكورة لا احتاج الى القسم بأن القرآن كريم حتى لا يتردد فيه (قوله والدلالة على وجود مؤثر لا يزول) كما قال ابراهيم عليه السلام عند غروب الكوكب لا أحب الآفلين واستدل بالافول على ان الكوكب لا يصلح للربوبية فوجب موجود مؤثر لا يزول تأثيره أصلا (قوله والمحضض عليه بلولا الأولى) فان التحضيض المستفاد من لولا واقع على ترجعون فان المقصود التحضيض على الرجع (قوله وهى بما فى حيزه دليل جواب الشرط) أى جملة ترجعونها بما تعلق بها دال عليه اذ المعنى ان كنتم غير مدينين ارجعوا النفس الى مقرها

يسلمون عليك (وأما ان كان من المكذبين الضالين) يعنى أصحاب الشمال وانما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما أوجب لهم ما أوعدهم به (فنزل من حميم وتصلية جحيم) وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) أى الذى ذكر فى السورة أو فى شأن الفرق (لهو حق اليقين) أى حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لا يليق بعظمة شأنه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله ما فى السموات والارض) ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما أسند اليه أن يسبحه فى جميع أوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجىء المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل أبلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهو العزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والمتصرف فيها (يحيي ويميت) استئناف أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور فى له (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أو هو الاول الذى تبتدأ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات أو الاول خارجا والآخر ذهنا (والظاهر والباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين (وهو بكل شئ عليم) يستوى عنده الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض) كالبذور (وما يخرج منها) كالزروع (وما ينزل من السماء) كالامطار (وما يعرج فيها) كالابخرة (وهو معكم أينما كنتم) لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات والارض) ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما (والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم أو التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق

لا بد أن يكون كذلك على ما هو حكم البداهة بخلاف الفناء فى الواقع بزوال الوجود عنها فان عروضه لكل ممكن يحتاج الى دليل وأما قوله تنتهى اليه المسببات فباعتبار انا اذا اعتبرنا سلسلة من المسببات وابتدأنا من السبب الآخر حتى انتقلنا الى آخر السلسلة التى هى السبب الاول كان الذى بعد تلك السلسلة هو واجب الوجود وقوله أو الاول خارجا والآخر ذهنا فمعناه انه يقال أول الموجودات فى الخارج اذ هو الفاعل الحقيقى لكل ممكن وهو الآخر ذهنا باعتبار ان العقل ينتقل من الممكنات الى الواجب لانه يعلم ان الممكن ليس وجوده من ذاته فيجب انتهاء سلسلة الممكنات الى ما هو وجوده من ذاته وهو الواجب تعالى (قوله فالواو الاولى والاخيرة الخ) انما قال ذلك لانه لا مناسبة ظاهرة بين الاول والآخر و بين الظاهر حتى تفيد الواو الجمع بينهما لكن اذا اعتبر مجموع الاولين ومجموع الأخيرين ظهرت بينهما مناسبة باعتبار اشتمال كل منهما على صفتين متقابلتين (قوله ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه) أى الخلق دليل على العلم لانا بعد ان نعلم وجود الكائنات نعلم ان مبدعها عالم بها (قوله لانه كالمقدمة لهما) أى لان ذكر خلق السموات والارض كالدليل على الاعادة لان العقل يحكم على أن من خلق السموات والارض قادر على الاعادة والبعث كما قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم (قوله وفيه حث على الانفاق الخ) لانه لما قال تعالى ان الاموال ليس لكم فى الحقيقة وأنتم

والانفاق و بناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (ومالكم لاتؤمنون بالله) أى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير تؤمنون والمعنى أى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد أخذ ميثاقكم) أى وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لامزيد عليه (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم) أى الله أو العبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية (ومالكم ألاتنفقوا) وأى شئ لكم فى ألاتنفقوا (فى سبيل الله) فيما يكون قربة اليه (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما فلا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة مابعده عليه والفتح فتح مكة اذعز الاسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق (من الذين أنفقوا من بعد) أى من بعد الفتح (وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) أى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله ليطابق ماعطف عليه (والله بما تعملون خبير) عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى من الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات له (فيضاعفه له) أى يعطى أجره أضعافا (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى أن يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف أضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وقرأ ابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أو فيضاعفه أو مقدر باذكر (يسعى نورهم) مايوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين (بشراكم اليوم جنات) أى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم أى المبشر به جنات أو بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) الاشارة الى ماتقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف أو انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم وقرأ حمزة أنظرونا على أن اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه (قيل ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها أو الى الموقف فانه من ثمة يقتبس أو الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لاسبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو الملائكة (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط (له

مستخلفون فى التصرف فيها كان تأكيدا فى الانفاق لان المالك للجميع أمر بالانفاق (قوله و بناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر) أى الحكم بان الأجر الكبير لهم بتقديم الضمير يفيد المبالغة وافادة التنكير اياها لان التنكير يدل على التعظيم (قوله بموجب ما الخ) بموجب ما للايمان والتصديق أى ان كنتم مؤمنين بالرسول لدليل قاطع فآمنوا به لهذا الموجب الخاص الذى هو أخذ الميثاق (قوله ليطابق ماعطف عليه) أى ليطابق قوله تعالى أولئك أعظم درجة عند الله الخ فى كون كل منهما جملة اسمية (قوله بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى) انما قال باعتبار المعنى لان شرط النصب ان يقع الاستفهام على الفعل وههنا ليس كذلك بل يقع على الاسم وهو ذا الذى

وانزاله انزال أسبابه والامر باعداده وقيل أنزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز أن يراد به العدل (ليقوم الناس بالقسط) لتقام به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلاتها (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة لمحذوف أى أنزله ليعلم الله (بالغيب) حال من المستكن فى ينصره (ان الله قوى) على اهلاك من أراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة وانما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به و يستوجبوا ثواب الامتثال فيه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم أرسلنا (مهتد وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل الملقى بهم من الذرية (وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لانه أعجمى (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رآفة على فعالة (ورحمة ورهبانية ابتدعوها) أى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان (ما كتبناها عليهم) ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها أولا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم (فما رعوها) أى فما رعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليها (فآتينا الذين آمنوا) أتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا حقوقها (منهم) من المتسمين باتباعه (أجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حال الاتباع (يا أيها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره (ويجعل لكم نورا تمشون به) يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم أو الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس (ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب) أى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون فى الياء (ألا يقدرون على شئ من فضل الله) أن هى المخففة والمعنى انه لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به أو لا يقدرون على شئ من فضله فضلا عن أن يتصرفوا فى أعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن أرادوا ويؤيده قوله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه

بالنسبة الى الملائكة اذا أريد بالرسل اياها والمعجزات بالنسبة الى الانبياء اذا أريد بها أممها (قوله فانه حال يتضمن تعليلا) أى فيه بأس شديد حال من الحديد يدل على تعليل مقدر مثل لتتخذ آلات الحرب منه فيكون وليعلم الله معطوفا على هذا المحذوف (قوله والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم الخ) أى ظاهر المقابلة منهم مهتد ومنهم ضال لكن عدل الى ماذكر للمبالغة فى الذم بدلالة الكثرة وذكر الفسق مقام الضلال وجمع الفاسق (قوله وهو يخالف قوله ابتدعوها) يعنى جعل الاستثناء المذكور متصلا يفيد انه جعلهم متعبدين بها لطلب رضوانه وهذا ينافى أن يكونوا مبتدعين لها من تلقاء أنفسهم الا أن يفسر الابتداع بما ذكر (قوله بضم التثليث والقول بالاتحاد والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليه) أى بما ابتدعوه من الرهبانية (قوله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم ببركة الاسلام) غرضه ان قوله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين يدل على أنهم ان آمنوا بمحمد آتاهم الله أجر عملهم على دينهم ببركة الاسلام وان كان عملهم بدينهم فى زمان محمد صلى الله وسلم ونسخ دينهم

فيكون

(قوله فيكون ان الفضل عطفا على أن لايعلم) فالمعنى ولان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله وأدغم النون فى اللام ثم أبدلت ياء) انما أدغمت أولا ثم أبدلت ولم يبدل أولا لان علة الابدال القياس على ديوان وقيراط فان الديوان فى الاصل الدوان والقيراط أصله القراط قلبت الواو فى الاولى الى الياء والراء فى الثانى اليها فلما كان هذا القياس علة للابدال فلابد منه

فيكون وأن الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغمت النون فى اللام ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله أجمعين

﴿سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الأول مكى والباقى مدنى وآيها اثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ماطلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام أو المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وأدغم حمزة والكسائى وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال (الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء أنثى محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان أهل الجاهلية وأصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ماهن أمهاتهم) أى على الحقيقة (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة الامن ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة بنى تميم وقرئ بامهاتهم وهو أيضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع أنكره (وزورا) محرفا عن الحق فان الزوجة لاتشبه الام (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه مطلقا أو اذا تيب عنه (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما أفسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ماينتقض به وعند أبى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع أو بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى أو بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية أو معنى بان يحلف على ماقال وهو قول أبى مسلم أو الى المقول فيها بامساكها أو استباحة استمتاعها أو وطئها (فتحرير رقبة) أى فعليهم أو فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه أو أن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) أى ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه (والله بما تعملون خبير) لاتخفى عليه خافية (فمن لم يجد) أى الرقبة والذى غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فان أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان أفطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما (فمن لم يستطع) أى الصوم

﴿سورة المجادلة﴾

(قوله وقد يشعر الخ) لان قد حرف التوقع وهو من الله محال لان التوقع يفيد عدم العلم فبقى أن يكون التوقع من غيره فهو اما من النبى صلى الله عليه وسلم أو من المرأة المجادلة (قوله وهو أيضا على لغة من ينصب) أى من ينصب خبر ما وهم أهل الحجاز يزيدون الباء (قوله اذ الشبه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه) أى التشبيه بظهر الأم شامل لحرمة امساك المظاهر فى النكاح الزمان المذكور اذ يصح استثناء الحرمة المذكورة عن الظهار اذ يصح ان يقال أنت على كظهر أمى الا فى الامساك فى النكاح (قوله وبالظهار فى الاسلام) قوله على نقض مايقتضيه أى العود امابنقض مايقتضيه الظهار أو بالظهار فى الاسلام (قوله ومن فوائدها الدلالة الخ) لان الفاء تفيد ان العود فى الظهار سبب الكفارة فيفيد انه مهما وجد هذا السبب وجد المسبب الذى هو التحرير (قوله لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه) أى اللفظ الذى هو كظهر أمى عام فى جميع الاستمتاعات من الجانبين والتشبيه أيضا يقتضى عموم

لهرم أو مرض مزمن أو شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للأعرابى المفطر أن يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه أقل ماقيل فى الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين أو لجوازه فى خلال الاطعام كما قال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه (ذلك) أى ذلك البيان أو التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) أى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) لايجوز تعدّيها (وللكافرين) أى الذين لا يقبلونها (عذاب أليم) هو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعادين فى حد غير حد الآخر أو يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) أخزوا أو أهلكوا وأصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعنى كفار الأمم الماضية (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وماجاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين أو باضمار اذكر (جميعا) كلهم لايدع أحدا غير مبعوث أو مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) أى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يغب منه شئ (ونسوه) لكثرته أو تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لايغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) كليا وجزئيا (ما يكون من نجوى ثلاثة) أى مايقع من تناجى ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ماارتفع من الارض فان السر أمر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل أحد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله يجعلهم أربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من أعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (الا هو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين أو لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة أوّل الاوتار أو لان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون أو تاويل نجوى بمتناجين (ولا أدنى من ذلك) ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين (ولا أكثر) كالستة ومافوقها (الا هو معهم) يعلم مايجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل لا أدنى بان جعلت لا لنفى الجنس (أينما كانوا) فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وهو يفتعلون من النجوى وروى عن يعقوب مثله (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون فى أنفسهم) فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) جهنم (يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا (وتناجوا بالبر والتقوى) بما

حرمة الاستمتاع (قوله أو لجوازه فى خلال الاطعام) أى لجواز التماس فى خلاله (قوله ويجوز أن يقدر مضاف الخ) أى التركيب بحسب الظاهر يفيد ان الله تعالى رابع نجوى ثلاثة وهو صحيح لكن يجوز باحد الوجهين المذكورين (قوله والاستثناء من أعم الاحوال) والمعنى مايكون من نجوى ثلاثة على حال من الاحوال الا على حال أن يكون الله تعالى رابعهم (قوله فان الآية نزلت الخ) وكان تناجيهم على العددين المذكورين (قوله باضمار يتناجون) فيكون المعنى ما يكون من نجوى يتناجون ذلك النجوى ثلاثة فيكون حالا من ضمير تناجوا (قوله ان جعلت لا لنفى الجنس) أى ان جعل لا لنفى الجنس كان أدنى مبنيا على الفتح فى اللفظ ومبتدأ فى المعنى والاصل فيكون مرفوعا محلا ولا فى لا أكثر تأكيد للاولى فيكون أكثر مرفوعا عطفا على محل لا أدنى

يتضمن

يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فيما تأتون وتذرون فانه مجاز يكم عليه (انما النجوى) أى النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان) فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين آمنوا) بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم (وليس) أى الشيطان أو التناجى (بضارهم) بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) الا بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم (ياأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى أى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه (فافسحوا يفسح الله لكم) فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد أو ارتفعوا عن المجلس (فانشزوا) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين أوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر أو استكرهه (ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على كرم الله وجهه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) أى ذلك التصدق (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أى لمن لم يجده حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة التناجى (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أو ان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة) فلا تفرطوا فى أدائهما (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر الأوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (ألم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود (ما هم منكم ولا منهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى أنه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال عليه الصلاة والسلام له علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) أى التى حلفوا بها وقرئ

(قوله مستعار لمن له يدان) أى استعير هذا اللفظ من شخص له يدان واستعمل بمعنى القدام اى القبل (قوله فى مدة بقائه) أى فى مدة بقاء الحكم المذكور وهو الامر بالتصدق عند نجواه صلى الله عليه وسلم اذ روى ان الحكم المذكور لم يبق الا عشرة أيام أو ساعة (قوله وهو يشعر بالندبية) لان قوله تعالى ذلكم خير لكم وأطهر صريح فى ان التصدق أحسن فعدم التصدق ليس بآثم لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم يدل على الوجوب لان الغفران يناسب التجاوز عن ترك المؤاخذة بالواجب

بالـكسر أى ايمانهم الذى أظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فصدوا الناس فى خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قد سبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله تعالى على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا ويقولون انهم لمنكم (ويحسبون أنهم على شئ) فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة أن الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما روجه عليكم فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة و يحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم من حدت الابل وأحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل (فأنساهم ذكر الله) لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم (أولئك حزب الشيطان) جنوده وأتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب الخالد (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله كتب الله فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء (ان الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لا يغلب عليه شئ فى مراده (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أى لا ينبغى أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد أنه لا ينبغى أن يوادوهم (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) ولو كان المحادون أقرب الناس اليهم (أولئك) أى الذين لم يوادوهم (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت فيه (وأيدهم بروح منه) أى من عند الله وهو نور القلب أو القرآن أو بالنصر على العدوّ وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه أو بما وعدهم من الثواب (أولئك حزب الله) جنده وأنصار دينه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر

﴿ سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة وحالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا أكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله تعالى عنه اياهم من خيبر اليه أو فى أول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو أن نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع

من مكان الى آخر (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى أن حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجلة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز أن تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم (فاتاهم الله) أى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم الله أى العذاب أو النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) وأثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بايديهم) ضنابها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وأيدى المؤمنين) فانهم أيضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجلة حال أو تفسير للرعب وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا ياأولى الابصار) فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس حجة من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه فى الكتب الاصولية (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من أوطانهم (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف معناه أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وماهو معدلهم أو الى الاخير (ماقطعتم من لينة) أى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على أصولها) وقرئ أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو أو على أنه كرهن (فباذن الله) فبامره (وليخزى الفاسقين) علة لمحذوف أى وفعلتم أو وأذن لكم فى القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا قد كنت يامحمد تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم (وما أفاء الله على رسوله) وما أعاده عليه بمعنى صيره له أو رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين (منهم) من بنى النضير أو من الكفرة (فما أوجفتم عليه) فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) مايركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فىء بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا أو حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب فى قلوبهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل مايريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسم الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة السلام الى الامام على

شدة اهتمامهم بالمنع وأما الدلالة على اعتقادهم فى أنفسهم الخ فلان اسناد الجلة المذكورة الى الضمير الذى هو عبارة عنهم يدل على ايقاع الحكم المذكور صريحا على أنفسهم بخلاف مالوقيل ان حصونهم تمنعهم من الله فانه لايقع الحكم على أنفسهم صريحا انما يعلم ضمنا (قوله من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها) أى حمل حال على حال أخرى فى حكم لان المراد من اعتبروا لامر بالعبور من حال الى حال أى من حال الكثرة المذكورة الى حال أنفسهم ولايخفى ان القياس المجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فيكون القياس مأمورا به فيكون حجة وانما قال استدل بصيغة التضعيف لان الاستدلال به ضعيف قد بينه المصنف فى منهاج الاصول (قوله اكتفاء بالضمة عن الواو الخ) أى يكون أصل فى الاصل أصول فحذف الواو اكتفاء بالضمة أو على انه جمع أصل كرهن بضمتين جمع رهن (قوله فانه كان حقيقا بان يكون له الخ) المذكور حقيق بان يكون للرسول لانه جدير بان يكون للطيعين لماذكر

قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك و يصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) أى الفىء الذى حقه أن يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء (دولة بين الاغنياء منكم) الدولة ما يتداوله الاغنياء و يدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفىء ذا تداول بينهم أو أخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة أى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما أعطاكم من الفىء أو من الامر (فخذوه) لانه حلال لكم أو فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) عن أخذه منه أو عن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده أو الفىء بفىء بنى النضير (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) فان كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (و ينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم (والذين تبوّؤا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام أو تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوّؤا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) فى أنفسهم (حاجة) ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما أوتوا) مما أعطى المهاجرون من الفىء وغيره (و يؤثرون على أنفسهم) و يقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم (ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهى فرجه (ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال و بغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا حين قوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أى لاخواننا فى الدين (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) فحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يريد الذين بينهم و بينهم أخوة الكفر أو الصداقة والموالاة (لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) فى قتالكم أو خذلانكم (احدا أبدا) أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاوننكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان كذلك فان ابن أبى وأصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم أخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) انهزاما (ثم لا ينصرون) بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين أو نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين (لانتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم

كانوا

(قوله كالغنيمة) فانها الخمس والخمس منها المذكورين فى الآية والاخماس الاربعة للمقاتلين وهو تعليل للفىء الذى هو فى الاصل بمعنى العود فكانه قيل انما عبر بالاعادة التى هى فى الاصل عبارة عن تحصيل شئ لشئ بعد ان حصل له أولا لانه صلى الله عليه وسلم حقيق به فكانه حصل له أولا ثم أعيد اليه (قوله أو الفىء بفىء بنى النضر) يعنى من أعطى أغنياء ذوى القربى من الفىء فاما ان يجعل للفقراء المهاجرين بدلا من اليتامى الخ حتى يكون ذوى القربى باقيا على عمومه شاملا للاغنياء واما ان يجعل الفىء المخصوص بفقراء ذوى القربى والمذكورين بعدهم فى النضير وأما فى غيرهم فيعطى الاغنياء ذوو القربى أيضا (قوله كان يقسم خمس كذلك) أى تقسيم الخمس الفىء كما ذكر والاخماس الاربعة الباقية من الفىء خاصة له لكن الآن تلك الاخماس على الخلاف المذكور (قوله اذ ضمير الفعلين الخ) المراد من الفعلين ليولون ولا ينصرون فان كانا راجعين الى اليهود كان المعنى هو الاول وان كانا راجعين الى المنافقين كان المعنى هو الثانى

كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب
لاظهار رهبة الله (ذلك بأنهم قوم لايفقهون) لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته
و يعلموا أنه الحقيق بان يخشى (لايقاتلونكم) اليهود والمنافقون (جميعا) مجتمعين متفقين (الافى
قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أومن وراء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار
وأمال أبو عمرو وفتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) أى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا
حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله
ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف
مقاصدهم (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) مافيه صلاحهم وأن تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين
من قبلهم) أى مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع ان صح أنهم أخرجوا قبل النضير أو المهلكين
من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال
أمرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) أى مثل
المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) أغراه على الكفر
اغراء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) تبرأ عنه مخافة أن يشاركه
فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين)
والمراد من الانسان الجنس وقيل أبو جهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى
جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرىء عاقبتهما وخالدان على أنه خبران
وفى النار لغو (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه
أولان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم وأما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر
فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الاول
فى أداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون)
وهو كالوعيد على المعاصى (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم أنفسهم) فجعلهم
ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ماأنساهم أنفسهم
(أولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) الذين
استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به أصحابنا على
أن المسلم لايقتل بالكافر (أصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم (لوأنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله
(وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فان الاشارة اليه والى أمثاله والمراد توبيخ الانسان
على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرىء مصدعا على الادغام
(هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة) ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها
وماحضر له من الاجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم
والموجود أو السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لااله الا هو الملك
القدوس) البالغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرىء بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به
على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شىء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز
الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراده أو جبر حالهم بمعنى أصلحه (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما

(قوله على مايظهرونه نفاقا) أى على الطريق الذى يظهرونه نفاقا لان استبطان أى اخفاء رهبة المؤمنين سبب لاظهار رهبة الله أى لما خافوا من المؤمنين نافقوا وأظهروا الايمان والرهبة من الله فكان رهبتهم من المؤمنين أشد من رهبتهم من الله امالان الاول باطنى والثانى أمر ظاهرى والاول أقوى من الثانى وامالان الاول سبب والثانى مسبب والسبب أقوى من المسبب (قوله اذ التقدير لوجود مثل) أى حصوله فيكون العامل فى قريبا معنى مصدريا (قوله وفى النار لغو) أى ظرف لغو وهو الذى متعلقه مذكور لان المعنى انهما خالدان فى النار فيها حتى يكون الثانى تأكيدا للاول والتقديم لافادة الاختصاص وأما على النصب فهو ظرف مستقر لان متعلقه أمر مقدر هو كائنان اذ المعنى انهما كائنان فى النار (قوله فلاستقلال الانفس النواظر الخ) أى للاشعار بان الانفس الناظرة قليلة وتقليلها كأنها نفس واحدة

يوجب حاجة أونقصانا (سبحان الله عما يشركون) اذ لا يشركه فى شئ من ذلك (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها بريئا من التفاوت (المصور) الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء وأخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى (له الاسماء الحسنى) لانها دالة على محاسن المعانى (يسبح له ما فى السموات والارض) لتنزهه عن النقائص كلها (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء) نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فانه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة كتب اليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل كتابه مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام فأعلم رسول الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع فسل على رضى الله تعالى عنه السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره (تلقون اليهم بالمودة) تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لاولياء جرت على غير من هى له ولا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل أحد الفعلين (يخرجون الرسول واياكم) أى من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه (أن تؤمنوا بالله ربكم) بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن أوطانكم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون أو استئناف معناه أى طائل لكم فى اسرار المودة أو الاخبار بسبب المودة (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية (ومن يفعله منكم) أى من يفعل الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) أخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) ما يسوءكم كالقتل والشتم (وودّوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجىء ودّوا وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودّوا ذلك قبل كل شئ وأن ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما عرا كم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قد كانت لكم أسوة حسنة)

﴿سورة الممتحنة﴾ (قوله للتعليق) أى لتعليق الجزاء المقدر بالشرط يعنى تعليق النهى عن اتخاذ الكافرين أولياء بالخروج بسبب الجهاد وابتغاء مرضاة الله

قدوة اسم لما يؤتسى به (فى ابراهيم والذين معه) صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا الاسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء ألفة ومحبة (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) استثناء من قوله أسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى أن يأتسوا به فانه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها اياه (وما أملك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) متصل بما قبل الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله (واغفر لنا) ما فرط منا (ربنا انك أنت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة) تكرير لمزيد الحث على التأسى بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) من لكم فانه يدل على أنه لا ينبغى لمؤمن أن يترك التأسى بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وأنجز اذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء (والله قدير) على ذلك (والله غفور رحيم) لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله (أن تبروهم) بدل من الذين (وتقسطوا اليهم) وتفضوا اليهم بالقسط أى العدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين (أن تولوهم) بدل من الذين بدل الاشتمال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى غير موضعها (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن فى الايمان (الله أعلم بايمانهن) فانه المطلع على ما فى قلوبهن (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) أى الى أزواجهن الكفرة لقوله (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) والتكرير للمطابقة والمبالغة أو الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن

ومستثنى صح أن يقال المجموع مستثنى اذ استثناء الكل يحصل باخراج جزء واحد لانه يوجب خروج المجموع من حيث المجموع (قوله فانه يدل على انه لا ينبغى لمؤمن أن يترك التأسى بهم الخ) لان المفهوم من الآية ان من آمن بالله واليوم الآخر لهم أسوة حسنة فى ابراهيم فمن ترك الاسوة الحسنة كان مؤذنا بسوء عقيدته (قوله لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم) وجهان أحدهما أن يكون المعنى غفور لما فرط منكم من الميل لان الميل الى الكفار غير مرضى والثانى أن يكون المعنى رحيم لكم لاجل ما بقى فى قلوبكم من الرحمة على ذوى الارحام فهذه الرحمة طبيعية غير مؤاخذ بها والاول اختيار وعلى الاول حمل قول الزمخشرى لما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد رحمهم ووعدهم بتيسير ما تمنوه (قوله لقوله

(١٧ - (بيضاوى) - خامس) لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) أى المراد من الكفار الازواج والا لم يكن لقوله تعالى ولاهم يحلون لهن الخ فائدة اذ من المعلوم ان غير الازواج ليس بينهم وبينهن حل (قوله للمطابقة) هى ان يذكر شيآن بينهما تقابل فى الجملة فان حكم الرجل يقابل حكم المرأة (قوله أو الاول لحصول الفرقة الخ) أى عدم حل الزوجات لهم لحصول الفرقة بالاسلام وعدم حل الازواج لهن للدلالة على منع الاستئناف للنكاح وغرضه انه ليس هنا تكرير معنى واحد بل معنى الجملة الاولى حصول الفرقة بين الزوجين المذكورين ومعنى

الاستئناف (وآتوهم ماأنفقوا) مادفعوا اليهن من المهوروذلك لان صلح الحديبية جرى على أن من جاءنامنكم رددناه فلما تعذر عليه ردّهن لورود النهى عنه لزمه ردّ مهورهن اذروى أنه عليه السلام كان بعد الحديبية اذجاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبالها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ماأنفق وتزوجها عمر رضى الله تعالى عنه (ولاجناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن و بين أزواجهن الكفار (اذا آتيتموهن أجورهن) شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ماأعطى أزواجهن لايقوم مقام المهر (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) بمايعتصم به الكافرات من عقدوسبب جمع عصمة والمرادنهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولاتمسكوا بالتشديد (واسئلوا ماأنفقتم) من مهورنسائكم اللاحقات بالكفار (وليسئلوا ماأنفقوا) من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم حكم الله) يعنى جميع ماذكر فى الآية (يحكم بينكم) استئناف أوحال من الحكم على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ماتقتضيه حكمته (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ من أزواجكم) أحدمن أزواجكم وقرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم أوشئ من مهورهن (الى الكفار فعاقبتم) فجاءت عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بامر يتعاقبون فيه كمايتعاقب فى الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا) من مهر المهاجرة ولاتؤتوه زوجها الكافر روى أنه لمانزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضى التقوى منه (ياأيها النبىّ اذاجاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيأ) نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لمافرغ من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء (ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك فى معروف) فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لايأمر الابه تنبيه على أنه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق (فبايعهن) اذابايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفوررحيم ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوماغضب الله عليهم) يعنى عامة الكفار أواليهود اذروى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوايواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قديئسوا من الآخرة) لكفرهم بها أولعلمهم بانهم لاحظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات (كمايئس الكفار من أصحاب القبور) أن يبعثوا أويثابوا أوينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر آيسهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون) روى أن المسلمين قالوا لوعلمنا أحبّ الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله ان الله يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفا فولوا يوم أحد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه (كبرمقتاعند الله أن تقولوا مالاتفعلون) المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة

على

الثانية منع الزوج عن استئناف النكاح (قوله أبى المشركون أن يردوا مهر الكوافر فنزلت) أى فنزلت الآية فأفادت ان المؤمنين يعطوا مهر الكوافر الى أزواجهن المؤمنين قال العلامة الطيبى ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة من المشركين مهرها مثل مهر زوجته الفائتة أعطى من مهر هذه المهاجرة ليكون كالعوض له زوجته الفائتة الى الكفار ولايجوز أن يعطى مهر هذه المهاجرة الى زوجها الكافر (قوله وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير الخ) لان الكافر بسبب كفره يئس من البعث لاعتقاده عدم وقوعه

﴿سورة الصف﴾

(قوله واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه) أى اتصالهما وتوافقهما فيه أى لمااتصلا وتوافقا فيه ناسب ان يجعلا فى صورة حرف واحد

على أن قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به (كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) مقدر باذكر او كان كذا (ياقوم لم تؤذوننى) بالعصيان والرمى بالأدرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لا يهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق أو الى الجنة (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل) ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا) فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه فذكر أول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ما جاء به أو اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على أن الاشارة الى عيسى عليه السلام (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى لا أحد أظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادّعاه كلمسه والتمسه (والله لا يهدى القوم الظالمين) لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم (يريدون ليطفؤا) أى يريدون أن يطفؤا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفؤا (نور الله) يعنى دينه أو كتابه أو حجته (بأفواههم) بطعنهم فيه (والله متم نوره) مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة (ولو كره الكافرون) ارغاما لهم (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جميع الاديان (ولو كره المشركون) لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك (ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جىء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك (ذلكم خير لكم) يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل أدلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطيكم أو تحبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل أو بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل أو الاختصاص أو المصدر (وفتح قريب) عاجل (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل

(قوله لا الجار الخ) أى ليس العامل فيهما حرف الجر الذى هو الى فى اليكم اذ هو صلة الرسول فلا يعمل وانما يعمل اذا كان مستقرا بتقدير عامل (قوله وانما جىء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك) يعنى لو جىء بلفظ الامر لكان ظاهرا فى انه لم يكن حاصلا لكنه يطلب حصوله واذا أورد بلفظ الخبر كان ظاهرا فى أنه حاصل ولم يترك (قوله وعلى قول النصب خبر محذوف) أى على القول بان أخرى منصوبة يكون نصر من الله خبر محذوف (قوله وقرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل) أى الاختصاص أو المصدر فالاول على تقدير أن يكون أخرى منصوبا والثانى بتقدير أعنى والثالث بتقدير نصر نصرا من الله وفتحا قريبا

يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على تؤمنون فانه فى معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى بن مريم أو كونوا أنصارا كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) أى بعيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالحجة أو بالحرب وذلك بعد رفع عيسى (فأصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن (رسولا منهم) من جملتهم أميا مثلهم (يتلوا عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها (وآخرين منهم) عطف على الاميين أو المنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز) فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة (الحكيم) فى اختياره وتعليمه (ذلك فضل الله) ذلك الفضل الذى امتاز به عن أقرانه فضله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا أو نعيم الآخرة أو نعيمهما (مثل الذين حملوا التوراة) علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بها أو لم ينتفعوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل أو صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ويجوز أن يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لا يهدى القوم الظالمين قل ياأيها الذين هادوا) تهودوا (ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على أعمالهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم (فانه ملاقيكم) لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز أن يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة (ثم تردون الى

(قوله ليطابق قوله الخ) أى يجب أن يكون الى بمعناها والتقدير ما ذكر لا أن يكون بمعنى مع لانه لا يناسب قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله (قوله والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر الخ) أى اضافة أنصارى الاضافة المذكورة وأما الاضافة الثانية وهو أنصار الله فمن اضافة اسم الفاعل الى المفعول

﴿سورة الجمعة﴾

(قوله وازاحة لما يتوهم ان الرسول يعلم ذلك من معلم) لانهم لما كان كلهم فى ضلال مبين لم يكن بينهم من يعلم النبى منهم (قوله والعامل فيه معنى المثل) والتقدير كمثل الحمار مماثلته حاملا اسفارا (قوله مثل الذين كذبوا) يعنى ان المخصوص محذوف وأقيم المضاف اليه مقامه

عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) أى اذا أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤى لاجتماع الناس فيه اليه وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم المدينة نزل قباء فاقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى واد لبنى سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها (وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من المعاملة فان نفع الآخرة خير وأبقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم من أهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واذكروه فى مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عليه عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته أو للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو أولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه (وتركوك قائما) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما (والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا أيمانهم) حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل والسبى (فصدوا عن سبيل الله) صدا أو صدودا (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدم أى ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أو الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب أنهم آمنوا ظاهرا (ثم كفروا) سرا أو آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر فاستحكموا فيه (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم (كأنهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم أى تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى

﴿سورة المنافقين﴾
(قوله ولذلك صدق المشهود به) لا يخفى ان كون الشهادة ماذكر لا يوجب تصديق المشهود به وانما هو سبب لتكذيبهم فى الشهادة

يخرجوفهاشهوابهافى حسن المنظر وقبح الخبر وقرأ أبو عمرو والكسائى وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف أوعلى انه كبدن فى جمع بدنة (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون و يجوزأن يكون صلته والمفعول (هم العدو) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على أن الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهما كهم فى الكفر والنفاق (هم الذين يقولون) أى للانصار (لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين (ولله خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى أن اعرابيا نازع أنصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكى الى ابن أبى فقال لاتنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القرا آت مصدرا وحال على تقدير مضاف كخروج أواخراج أومثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوات وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذا قال (ومن يفعل ذلك) أى اللهو بها وهو الشغل (فأولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) بعض أموالكم ادخارا للآخرة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى يرى دلائله (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أمهلتنى (الى أجل قريب) أمد غير بعيد (فأصدق) فأتصدق (وأكن من الصالحين) بالتدارك وجزم أكن للعطف على موضع الفاء ومابعده وقرأ أبو عمرو وأكون منصوبا عطفا على فأصدق وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولن يمهلها (اذا جاء أجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعملون) فمجاز عليه وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ماقبله فى الغيبة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض) بدلالتها على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره موجه اليه مايحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب أعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوركم

(قوله وجمعه بالنظر الى الخبر) أى الظاهر ان يقال كل صيحة عليهم هى العدو لانه راجع الى كل صيحة لكنه جمع بالنظر الى الخبر لان العدو كثير ذو عقول (قوله وجزم أكن للعطف على موضع الفاء ومابعده) لان التقدير ان أمهلتنى لاجل القريب أصدق فيكون أصدق مجزوما محلا بجواب الشرط

﴿سورة التغابن﴾

(قوله من حيث الحقيقة) انما قيد بذلك ليفيد ان جميع النعم مخلوقة له تعالى واعطاؤها منه حقيقة لا من غيره وليس لغيره مدخل فيه فى الحقيقة لان المتبادر من التركيب ان جميع الملك والمحامد له حقيقة والتخصيص بالبعض باعتبار انه لما كان خالق القدرة العبد وارادته فكان كل مافعله العبد من الفعل الجميل بسبب فعل الله فحمد العبد راجع الى حمد الله تعالى بهذا التأويل خروج عن الظاهر ولا حاجة اليه (قوله ثم شرع فيما ادعاه) وهو قدرته تعالى على كل شئ

فأحسن صوركم) فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم كليا كان أو جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء (ألم يأتكم) يا أيها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام (فذاقوا وبال أمرهم) ضرر كفرهم فى الدنيا وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا وتعجبوا من أن يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن التدبر فى البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنى) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على حمده كل مخلوق (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما فى حيزه (قل بلى) أى بلى تبعثون (وربى لتبعثن) قسم أكد به الجواب (ثم لتنبؤن بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فمجاز عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقى وهو التغابن فى أمور الآخرة لعظمها ودوامها (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة أى يسكن (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب وأحوالها (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم فى أمر الدين أو الدنيا (فاحذروهم) ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (انما أموالكم وأولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) فى وجوه

(قوله فانه باعجازه ظاهر بنفسه الخ) هذا بيان معنى النور (قوله لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء الخ) هذا غبن فى الحقيقة فان الغبن أخذ الامر النافع من الغير وأما نزول الاشقياء منازل السعداء لو كانوا أشقياء فغبن على طريق التهكم كما صرح صاحب به فى الكشاف (قوله كأنها والآية المتقدمة الخ) لانه يفهم من الاثنين منازل السعداء والاشقياء وفيها اشعار بالتغابن

الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) أى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) تصرفوا المال فيما أمره (قرضا حسنا) مقرونا باخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) لايعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه شئ (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة والله أعلم

﴿سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة أو احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام أمته فنداؤه كندائهم أولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) أى فى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالاطهار وأن طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وأنه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لايستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضا أمره النبى صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة والاضرار بهن (لاتخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولايخرجن) باستبدادهن أما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لايعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا أن تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها أو الا أن تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها أو من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على أن خروجها فاحشة (وتلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرضها للعقاب (لاتدرى) أى النفس أو أنت أيها النبى أو المطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وهو الرغبة فى المطلقة برجعة أو استئناف (فاذا بلغن أجلهن) شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب (أو فارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة أو الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة (وأقيموا الشهادة) أيها الشهود عند الحاجة (لله) خالصا لوجهه (ذلكم يوعظ به) يريد الحث على الاشهاد والاقامة أو على جميع ما فى الآية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به والمقصود تذكيره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا أو ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله مخرجا مما فى شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من

(قوله والمعنى اذا أردتم تطليقهن) انما أول بذلك لان المتبادر من ظاهر الكلام اذا طلقتم النساء فطلقوهن مرة أخرى وهو غير مراد (قوله فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتوقيت) هذا الحكم فيما يشبهها صحيح وأما فى الاوقات أنفسها فلا اذ يلزم تكرار الوقت مرتين أحدهما اللام دلت على الوقت والثانى نفس الوقت والظاهر أن يقال ان اللام فى الاوقات بمعنى فى وقد مر من المصنف فى قوله تعالى قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو ان اللام فى لوقتها للتوقيت وتكلمنا عليه (قوله وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار الخ) لانه لو كانت بالحيض لاحتيج الى تقدير وهو خلاف الظاهر واذا كانت العدة بالاطهار ينبغى أن يكون الطلاق فى الطهر اذ لو كان فى الحيض لزم تطويل العدة وكذا يدل على انه يحرم فى الحيض لانه تعالى أمر بالطلاق فى الطهر فلزم النهى عنه فى الحيض لما ذكر (قوله صريحا أو ضمنا) فالثانى هو الاتقاء عن الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة لانهما منهيان عنهما ضمنا لا صريحا وأما الاول وهو ما نهى عنه صريحا فالاخراج من المسكن وتعدى حدود الله

وجه لم يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى أن سالم بن عوف بن مالك الاشجعى أسره العدو فشكا أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفى رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ أمره أى نافذ وبالغا على أنه حال والخبر (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا أو مقدارا أو أجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن (ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن أى جهلتم (فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللاتى لم يحضن فنزلت (واللائى لم يحضن) أى واللائى لم يحضن بعد كذلك (وأولات الاحمال أجلهن) منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا لان عموم أولات الاحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح أن سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه فى العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه (ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يجعل له من أمره يسرا) يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك أمر الله) اشارة الى ما ذكر من الاحكام (أنزله اليكم ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يكفر عنه سيآته) فان الحسنات يذهبن السيآت (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم) أى مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم أى مما تطيقونه أو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجؤهن الى الخروج (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان أرضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) على الارضاع (وائتمروا بينكم بمعروف) وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له أخرى) امرأة أخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية) أهل قرية (عتت عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه اعراض العاتى المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق (فذاقت وبال أمرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة أمرها خسرا) لا ربح فيه أصلا (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله (فاتقوا الله يا أولى الالباب) ويجوز

بسبب انها مشتملة على الوعد بالاتقاء المذكور والوعد هو أن يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج أو بسبب الوعد لعامة المتقين (قوله لان عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض) لان الجمع المعرف موضوع للعموم دون المنكر فانه عم فبسبب شئ آخر (قوله والحكم معلل ههنا بخلافه ثم) أى الحكم بأن أولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن علته معللة لان عند وضع الحمل تتيقن براءة الرحم واما تربص أربعة أشهر وعشرا فلا يتيقن منه البراءة (قوله فتقديمه تخصيص الخ) أى ترجيح هذه الآية واعتبار عمومها تخصيص للآية السابقة فى النزول وترجيح الآية السابقة على الآية اللاحقة مستلزم لبناء العام الذى هو أولات الاحمال أجلهن الخ على الخاص الذى هو والذين يتوفون منكم الخ أى بأن يجعل العام مرادا منه بعض الافراد الذى هو غير المتوفى عنها زوجها لكن الاول راجح لان التخصيص متفق عليه بخلاف بناء العام على الخاص فانه مما يختلف فيه العلماء

أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن أو لانه مذكور فى السموات أو ذا ذكر أى شرف أو محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكرا مصدر ورسولا مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) حال من اسم الله أو صفة رسولا والمراد بالذين آمنوا فى قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذين آمنوا بعد انزاله أى ليحصل لهم ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه يؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن) أى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) علة لخلق أو ليتنزل أو مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى نوبة عائشة رضى الله تعالى عنها أو حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغى مرضات أزواجك) تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف لبيان الداعى اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما أحله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا أو تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولى أمركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثا) تحريم مارية أو العسل أو أن الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما (فلما نبأت به) أى فلما أخبرت حفصة عائشة رضى الله تعالى عنهما بالحديث (وأظهره الله عليه) واطلع النبى عليه الصلاة والسلام على الحديث أى على افشائه (عرف بعضه) عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) عن اعلام بعض تكرما أو جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم

بالانزال ترشيحا لان الترشيح ذكر ما يلائم المستعار منه (قوله أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه) أى عبر عن ارساله بالانزال لعلاقة ان الارسال سبب عن انزال الوحى اليه (قوله والمراد بالدين) أى المقصود من رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات رسولا بالدين أى ملتبسا به مبينا له كقوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فراده بقوله بالدين ملتبسا به فيكون يتلوا عليكم آيات الله قائما مقام ملتبسا بالدين وفى بعض النسخ والمراد به الدين وهو الاصح

﴿سورة التحريم﴾

(قوله وقيل شرب عسلا) ظاهره يدل على ان الاصح فى سبب النزول قصة مارية لكن فى بعض التفاسير ان العلماء على ان الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح وقال العلامة الطيبى ان قصة العسل رواها البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن عائشة وأما حديث مارية فما وجدته فى الكتب المشهورة (قوله فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث الخ) لا يخفى ان قصة العسل لا تناسب اخبار حفصة عائشة بالحديث (قوله لكن المشدد من باب اطلاق

المسبب للسبب الخ) أي اذا قرئ عرف بالتشديد وأريد المجازاة بالتطليق كان من باب اطلاق المسبب للسبب لان الطلاق سبب للتعريف لانه اذا طلقت الزوجة بسبب مافعلت عرفت بانه صلى الله عليه وسلم اطلع على مافعلت واذا قرئ بالتخفيف وأريد المجازاة المذكورة كان من باب اطلاق اسم السبب على المسبب لان معرفته صلى الله عليه وسلم لما فعلته الزوجة كانت سببا للطلاق المذكور) انما قال أوفق لامكان أن يكون المراد بنبأها معناه الحقيقي (قوله فانه أوفق للاعلام ويكون المراد من عرف المجازاة

العليم الخبير) فانه أوفق للاعلام (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله عليه الصلاة والسلام بحب مايحبه وكراهة مايكرهه (وان تظاهرا عليه) وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صالح من المؤمنين أتباعه وأعوانه (والملائكة بعد ذلك ظهير) متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ماينصره الله تعالى به (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه مايدل على انه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لاينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو يبدله بالتخفيف (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعات (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات لامر الرسول عليه الصلاة والسلام (سائحات) صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد أو مهاجرات (ثيبات وأبكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلي أمرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لايعصون الله ماأمرهم) فيما مضى (ويفعلون مايؤمرون) فيما يستقبل أولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون مايؤمرون به (ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لاعذر لهم أو العذر لاينفعهم (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ماخرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله تعالى عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم

(قوله رئيس الكروبيين) قال العلامة الطيبي قال بعضهم فيه ثلاث مبالغات احداها ان كرب أقرب من قرب حين وضع موضع كاد تقول كربت الشمس أن تغرب كقولك كادت الشمس أن تغرب والثاني انه على وزن فعول وهو للمبالغة والثالث زيادة الياء للمبالغة كاحمري (قوله على التغليب أو تعميم الخطاب) أراد ان لفظة أن تفيد عدم طلاق الكل فيتوجه السؤال بأنه صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فأجاب أولا بأن يراد على سبيل التغليب بأن غلبت من لم يطلقها على من طلقها وثانيا بأن الخطاب على العموم أي بأن الخطاب مع الكل من حيث الكل وكون طلاق واحدة واقعا لاينافي تعليق طلاق الكل (قوله والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه) جواب سؤال آخر وهو ان الجملة الشرطية المذكورة تدل على ان في الدنيا نساء خيرا منهن فأجاب بأن ابدال أزواج خير منهن على تقدير طلاقهن لايستلزم حصولهن اذ المقدر لم يقع فلا يجب وقوع ماترتب عليه لتنافيهما (قوله أي الصفات المذكورة يجتمعن في ذات واحدة) فكأنهن شئ واحد فلا حاجة الى العطف وأما هاتان الصفتان فتتباينتان فهما شيئان مستقلان فلذا ورد العاطف (قوله ولانهما في حكم صفة واحدة) أي قدر عليهما صفة واحدة هي مشتملات فلابد من العطف (قوله فيكون أنفسكم أنفس القبيلين الخ) يعني اذا قرئ أهلوكم مرفوعا كان الاهل تحت خطاب قوا فتكون الانفس شاملة لأنفس المؤمنين ولانفس الاهلين بتغليب المخاطبين الذين هم المؤمنون على الاهلين الذين هم الغيب

وان تعزم على أن لاتعودوأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء (يوم لايخزى الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره (نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم) أى على الصراط (يقولون) اذاطفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (ياأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به اذا بلغ الرفق مداه (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أومأواهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط) مثل الله تعالى حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولايحابون بمابينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج شيأ أغناءما (وقيل) أى لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لاوصلة بينهم و بين الانبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لاتضرهم بحال آسية رضي الله عنها ومنزلتها عندالله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله (اذقالت) ظرف للمثل المحذوف (رب ابن لى عندك بيتا في الجنة) قريبا من رحمتك أوفي أعلى درجات المقربين (ونجني من فرعون وعمله) من نفسه الخبيثة وعمله السيئ (ونجني من القوم الظالمين) من القبط التابعين له في الظلم (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التي أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) في فرجها وقرئ فيها أى في مريم أوفي الجملة (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة أو بما أوحى الى أنبيائه (وكتابه) وما كتب في اللوح المحفوظ أو جنس الكتب المنزلة وتدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى عليه السلام والانجيل (وكانت من القانتين) من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصرعن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أومن نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

﴿سورة الملك﴾ (مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي قارئها وتنجيه من عذاب القبر وآيها ثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك الذي بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل مايشاء قدير (الذي خلق الموت والحيوة) قدرهما أوأوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فأحيا كم ولانه أدعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون (أيكم أحسن عملا) أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا

(قوله اذابلغ الرفق مداه) أى بلغ الرفق منتهاه ولما لم يفد وجب الغلظ والشدة (قوله ولايحابون الخ) أى لاتقع المحاباة لهم والتجاوز عن ذنوبهم لما بينهم و بين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من النسبة بحال تينك الزوجين فانهما لايحابان بسبب النسبة الى زوجها (قوله بحالهما) متعلق بمثل أى مثل حالهم بحالهما (قوله أومن نسلهم) عطف على قوله من عداد المواظبين

﴿سورة الملك﴾

(قوله أوأوجد الحياة فازالها حسبما قدره) ههنا نظر وهوانه اماأن يكون خلق بمعنى أوجد فيكون المعنى أوجد الموت وهو باطل أو يكون بمعنى أزال فيكون المعنى أزال الموت والحياة لانه أوجد الحياة وأزالها ثم ان قوله ازالها لايناسب قوله كنتم أمواتا فأحيا كم لان الموت فيه ليس زوال الحياة (قوله وجاء مرفوعا) أى رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم

أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا الفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طابقا على طبق وصف به أو طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرحبة ورحاب (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأن فى ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب أى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك أجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) أقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بالكواكب المضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذ التزيين باظهارها فيها (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة أخرى وهى رجم أعدائكم والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشيطان وغيرهم (عذاب جهنم و بئس المصير) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى فكذبنا الرسل وأفرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا و بالغنا فى نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف أى أهل انذار أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب أو اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أو على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول من الله فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أوعقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا فى أصحاب السعير) فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن

(قوله لانه يخل به وقوع الجملة خبرا الخ) أى يخل بكون هذا من باب التعليق كونه خبر المبتدأ الذى هو المفعول الاول لان شرط التعليق أن يقع الاستفهام داخلا فيما هو قائم مقام المفعولين (قوله وصف به) صفة لقوله مصدر طابقت النعل (قوله ولذلك أجاب الامر بقوله الخ) أى لان المثنى فيه للتكثير والتكرير أجاب الامر بتمام الآية اذ يفهم من قوله تعالى وهو حسير ان التثنية للتكثير اذ لا يحصل الكلال من النظر مرتين (قوله المسببة عنها) اى عن الرجوم فان خلق الشهب شبيه الرجم (قوله أو الواحد) عطف على الجمع (قوله والخطاب له ولامثاله على التغليب) أى الخطاب فى ان أنتم الا فى ضلال كبير للنذير المذكور ولامثاله على تغليب الخطاب (قوله أو اقامة تكذيب الواحد الخ) يعنى قال كل فوج قد جاءنا نذير فكذبنا فكأنهم كذبوا كل النذر لان تكذيب الواحد كتكذيب جميع النذر فلذا قالوا ان أنتم الا فى ضلال كبير

معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر أو المراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فاسحقهم الله سحقا أى أبعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالمخفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) تصغر دونه لذائذ الدنيا (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا أو جهرا (ألا يعلم من خلق) ألا يعلم السر والجهر من أوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته (وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى ماظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى أن يكون ليعلم مفعول ليفيد روى أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها (فامشوا فى منا كبها) فى جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى منا كبها لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم (أأمنتم من فى السماء) يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم أو الله تعالى على تاويل من فى السماء أمره أو قضاؤه أو على زعم العرب فانهم زعموا أنه تعالى فى السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ماقبلها وآمنتم بقلب الثانية ألفا وهو قراءة نافع وأبى عمرو ورويس (أن يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال (فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردد فى المجىء والذهاب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه المشركين (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه (ما يمسكهن) فى الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم تنظروا فى أمثال هذه الصنائع فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب أم لكم جند ينصركم من دون الله ان أرسل عليكم عذابه فهو كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا فى غرور) لا معتمد لهم (أمن هذا الذى يرزقكم) أم من يشار اليه ويقال هذا

هو النار الموقدة فيفيد الكلام ان للكل النار الموقدة والتعليل اى التعليل السحق والبعد من الرحمة لان من هو من أصحاب السعير المستحق للخلود فيه استحق البعد من الرحمة (قوله وقرأ الكسائى بالتثقيل) أى بضم حاء سحق (قوله والتقييد بهذه الحال الخ) أى التقييد بها يقتضى أن يكون لقوله تعالى يعلم مفعول مقدر ليفيد هذا التقييد لان علمه تعالى يستفاد من الخلق لان الخالق للشئ لابد أن يكون عالما فلا فائدة لجعل قوله تعالى وهو اللطيف الخبير حالا فوجب تقدير مفعول له مثل أن يقال التقدير ألا يعلم سر من خلق فيكون وهو اللطيف الخبير مفيدا لعلمه بسر من خلق وحالاته الخفية (قوله صففن قوادمها) أى جعلها اصفا قال فى الصحاح قوادم الطير مقادم ريشه وهى عشر فى كل جناح والغرض من قوله فانهن الخ بيان علاقة استعمال الصف للبسط للتفرقة بين الاصيل فى الطيران والطارئ عليه فان صيغة فعل المضارع الدال على الحدوث والاستقبال يدل على طرو القبض على الصف (قوله الا انه أخرج مخرج الاستفهام الخ) أى ليس ههنا بحسب الظاهر مقام أن يسأل عن تعيين من ينصرهم بل محل أن يسأل هل لكم ناصر من دون الله من غير تعيين لكنه عدل الى السؤال عن تعيين الناصر للاشعار

هذا الذى يرزقكم (ان أمسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى) يقال كببته فاكب وهومن الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق أنهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله (أمن يمشى سويا) قائما سالما من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ماعليه المشرك لايستأهل أن يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ماتشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجلها (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون) للجزاء (ويقولون متى هذا الوعد) أى الحشر أوماوعدوا به من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) أى علم وقته (عند الله) لايطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) والانذار يكفى فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) أى الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) ذا زلفة أى قرب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدعون أن لابعث فهو من الدعوى (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) أماتنى (ومن معى) من المؤمنين (أورحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لاينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون (قل هو الرحمن) الذى أدعوكم اليه مولى النعم كلها (آمنا به) للعلم بذلك (وعليه توكلنا) للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لايضر ولاينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا فى الارض بحيث لاتناله الدلاء مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ن) من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أو البهموت وهو الذى عليه الارض أو الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف (والقلم) وهو الذى خط اللوح أو الذى يخط به أقسم به تعالى لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص (وما يسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم أو بالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى أولى العلم لاقامته مقامهم أو لاصحابه أو للحفظة وما مصدرية أو موصولة (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة

بأنهم قرروا ان لهم جندا ينصرهم فلا حاجة الى الاستفهام عنه بل مقام أن يسأل عن تعيين ذلك الجند

﴿سورة ن﴾

(قوله ويؤيد الاول سكونه الخ) يفهم منه ان الاحتمالات الأخر جائزة لكن الاول أولى والمفهوم من كلام الزمخشرى ان غير الوجه الاول غير جائز لانه قال وأما قولهم هو الدواة فما أدرى أهو وضع لغوى أوشرعى ولايخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أوعلما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب

وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون الباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى (وان لك لاجرا) على الاحتمال والابلاغ (غير ممنون) مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تتحمل من قومك مالا يتحمل أمثالك وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (فستبصر و يبصرون بأيكم المفتون) أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو أعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه أحيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتى تدهن أو للسببية أى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والايقان والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلاظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيم) دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان ذا مال و بنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله و يجوز أن يكون علة للا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر أن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أى ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على أن شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد أو أن شرطه للمخاطب أى لا تطعه شارطا يساره لانه اذا أطاع للغنى فكأنه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالكى (على الخرطوم) على الانف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقى أثره وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الاذلال كقولهم جدع أنفه ورغم أنفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر أو نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا أهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط (كما بلونا أصحاب الجنة) يريد البستان الذى كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام و يترك لهم ما أخطأه المنجل وألقته الريح أو بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أو لان معنى لا أخرج ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما

(قوله والعامل فى الحال معنى النفى) والمعنى انتفى عنك الجنون منعما عليك (قوله وفيه نظر من حيث المعنى) لان المعنى حينئذ ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوّة فيفهم ان الجنون فى حال النبوّة ينتفى والنفى متوجه الى القيد فيوهم ثبوته فى غير تلك الحال لكن الغرض نفى الجنون مطلقا (قوله أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون) الفرق بين هذا المعنى و بين ما تقدم عليه ان هذه السببية باعتبار الوجود الذهنى أى يتصوّرون ادهانك و يودونه فيصير هذا سببا لادهانهم حتى يترتب عليه ادهانك وأما المعنى الذى تقدم عليه فالسببية فيه باعتبار الوجود الخارجى أى ودوا ادهانك حتى يترتب على ادهانك ادهانهم (قوله على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة) النهى عن الطاعة شرط الغنى للدلالة على انها ينتهى عنها عند الفقر أولى بل لانه لا يحتاج الى النهى لان طاعة الفقر لو وجدت كان فى النادر وفى حكم المعدوم (قوله والمخرج بالاستثناء عينه) فان قلت ليس المخرج بالاستثناء عين المذكور لان زيدا فى مثل قولك جاء القوم الا زيدا وهو المستثنى غير المذكور الذى هو القوم قلنا القوم عبارة عن زيد وعمرو وغيرهما فاذا قيل جاء القوم الا زيدا فكأنه قيل كان جاء زيد وعمرو وغيرهما فزيد مذكور وفيه نظر فتأمل والاولى أن يقال ان المستثنى منه كالقوم مثلا شامل للمستثنى الذى هو زيد مثلا

كان يخرج أبوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فأصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول أو كالليل باحتراقها واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم) أن اخرجوا أو بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون الا على النكد أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال

أقبل سيل جاء من أمر الله ＊ يحرد حرد الجنة المغله

أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل علم للجنة (فلما رأوها) أول ما رأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وما هى بها (بل نحن) أى بعد ما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن (محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) رأيا أو سنا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) أى لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم أو لانه تنزيه عن أن يجرى فى ملكه ما لا يريده (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم أبدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة لعذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) أى فى الآخرة أو فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (ما لكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لانه المدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافا وتخير الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم

بخلاف الاستثناء الذى هو ان شاء الله فان المستثنى به خلاف المذكور فان قولك فعلت ذلك ان شاء الله يفيد اخراج عدم الفعل عند عدم المشيئة (قوله وقيل علم للجنة) أى الحرد علم لها (قوله فان منهم من أشار بذلك الخ) أى منهم من أشار الى حرمان المساكين ومنهم من يستصوبه (قوله أحد الظرفين) أى لكم وعلينا

(قوله على نفى جميع ما يمكن أن يتشبثوا به) فنفى الاستحقاق هو المفهوم من قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ونفى الوعد هو المفهوم من قوله تعالى أم لكم كتاب فيه تدرسون ونفى التقليد مفهوم من قوله أم لهم شركاء وقوله من عقل المراد منه حكم العقل وقوله اونقل يدل عليه أى يدل على حكم العقل ويؤيده قوله لاستحقاق علة للتشبث أى هم يمكن أن يتشبثوا بأن أحالهم فى الآخرة كحال المؤمنين لانهم مستحقون للنعم كما انهم ينعمون فى الدنيا اولان الله وعدهم به أو لانهم مقلدون للعقلاء فيما قالوا (قوله توبيخا على تركهم السجود) أى ليس الامر بالسجود التكليف والتعبد اذ ليس الوقت وقته بل المراد التوبيخ (قوله مزاحو العلل فيه) أى مزالوها فيه أى فى التعبد بالسجود (قوله وحسن تذكير الفعل للفصل) أى حسن تذكير تدارك مع كون فاعله مؤنثا لكون ضمير المفعول فاصلا بينهما (قوله بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه) يعنى لولا ان كان فى زمان كونه فى بطن الحوت صح أن يقال فى شأنه تتداركه بعد ذلك نعمة من ربه (قوله وهو حال يعتمد عليها الجواب) يعنى جواب لولا يجب أن يكون منفيا غير موجود لكن النبذ موجود فالاعتماد فى الجواب على قوله تعالى وهو مذموم اذ الذم ليس بموجود ويمكن أن يقال انه ٧ يعتمد عليها جواب لولا وهو قوله تعالى لنبذ بالعراء اذ قوله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه دال على ان جوابه الطرد من الرحمة فلم يكن فى الجواب لنبذ بالعراء اذ هو لا يدل بمجرده على الطرد فالاعتماد فى جواب لولا على هذه الحال (قوله وفيه دليل على خلق الافعال) أى فى قوله تعالى فجعله من الصالحين دليل على انه تعالى خالق الافعال أى أفعال العباد لانه صريح فى ان صلاح العبد أى

(ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (سلهم أيهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم بدعيه ويصححه (أم لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يعنى الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا أن تكون مما يشاركون الله به (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أو يوم يكشف عن أصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف وتكشف بالتاء على بناء الفاعل أو المفعول والفعل للساعة أو الحال (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة أو يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) تلحقهم ذلة (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا أو زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون منه مزاحو العلل فيه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) كله الىّ فانى أكفيكه (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (وأملى لهم) وأمهلهم (ان كيدى متين) لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته (أم تسألهم أجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) بحملها فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان رد الوحى اليه أو استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من أن يفعل ما تركه أولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حل به ما حل فاراد أن يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك

اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أوانهم يكادون يصيبونك بالعين اذروى أنه كان فى بنى أسد عيانون فاراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك أى ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) أى القرآن أى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى أمره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا وأميزهم رأيا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة مكية وآيها اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) أى الساعة أو الحالة التى يحق وقوعها أو التى تحق فيها الامور أى تعرف حقيقتها أو تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدأ خبرها (ما الحاقة) وأصله ما هى أى أى شئ هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه أهول لها (وما أدراك ما الحاقة) وأى شئ أعلمك ما هى أى أنك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن تبلغها دراية أحد وما مبتدأ وادراك خبره (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر (عاتية) شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أو صفة جئ به لنفى ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء أولان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أصول نخل (خاوية) متآكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) من بقية أو نفس باقية أو بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط والمراد أهلها (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) أى فعصت كل أمة رسولها (فاخذهم أخذة رابية) زائدة فى الشدة زيادة أعمالهم فى القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد أو طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) أى آباءكم وأنتم فى أصلابهم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة)

عمله الصالح بخلقه تعالى
﴿سورة الحاقة﴾

عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير تعيها
بسكون العين تشبيها بكتف والوعي أن تحفظ الشئ في نفسك والايعاء أن تحفظه في غيرك (أذن
واعية) من شأنها أن تحفظ مايجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه
والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع
أذن بالتخفيف (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين
بها تفخيما لشأنها وتنبيها على مكانها اعاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده
وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة
الاولى التي عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة
أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجلتان بعضها ببعض ضربة واحدة
فيصير الكل هباء أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لاعوج فيها ولا أمتا لان الدك سبب للتسوية
ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لاسنام لها وأرض دكاء للمتسعة المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة)
قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهي يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية (والملك)
والجنس المتعارف بالملك (على أرجائها) جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب
البنيان وانضواء أهلها الى أطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك
(ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء أو فوق الثمانية لانها في نية
التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية أملاك لما روى مرفوعا أنهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم
الله بأربعة آخرين وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم الا الله ولعله أيضا تمثيل لعظمته بما
يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال (يومئذ تعرضون)
تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن
لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لاتخفى منكم خافية) سريرة على الله تعالى حتى يكون
العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل أو على الناس كما قال الله تعالى
يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل (فأما من أوتي كتابه بيمينه) تفصيل للعرض
(فيقول) تبجحا (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاء اسم لخذ وفيه لغات أجودها هاء يارجل وهاء ياامرأة
وهاؤما يارجلان أو امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا
لانه أقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث أمكن والهاء
فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها
في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل (اني ظننت أني ملاق حسابيه) أي علمت ولعله عبر عنه
بالظن اشعارا بانه لايقدح في الاعتقاد ماهجس في النفس من الخطرات التي لاتنفك عنها العلوم
النظرية غالبا (فهو في عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وذلك
لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في جنة عالية) مرتفعة المكان لانها في السماء
أو الدرجات أو الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر
(دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول وجمع الضمير للمعنى (هنيأ) أكلا
وشربا

هذا شأنه أي شأنه الوعي للامر المذكور فباعتبار ان الوعي المذكور لابد له من فائدة هي انذاره للخلائق بمثل القصة المذكورة حتى يحترزوا عما يوجب الفعلة التي هي اغراق الكافرين و بقاء المؤمنين والاحتراز عنه موجب لانجاء الجم الغفير و بقاء نسلهم (قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده) أي لتقييده بالصفة وهي واحدة (قوله ولعله تمثيل لخراب السماء الخ) أي ليس الغرض من الكلام ماهو ظاهره بل المراد مجرد خراب السماء فلا ينافي موت الملائكة حال خراب السماء واما اذا كان الكلام محمولا على ظاهره فيفيد ان الملائكة أحياء قائمون على أرجائها فيكون هلاك الملائكة بعد ذلك (قوله اشعار بأنه لايقدح في الاعتقاد الخ) أي لما عبر عن العلم بالظن أشعر ظاهرا بأنه يكفي الظن في اعتقاد القيامة واذا كان كذلك لايقدح في الاعتقاد ماهجس في النفس من الخطرات التي لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا لان تلك الهواجس لاتخرج العلم عن كونه علما فتأمل (قوله ذات رضى على النسبة بالصيغة) أي المراد من الراضية ليس معنى اسم الفاعل فيكون الرضى قائما بالعيشة بل المراد من الصيغة النسبة فالمراد من الراضية ماله نسبة الى الرضا كما يقال لابن وتامر أي ذو لبن وتمر

وشربا هنيأ أو هنئتم هنيأ (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول) لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة (ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم أبعث بعدها أو ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق فيها حيا (ما أغنى عنى ماليه) مالى من المال والتبع ومانفى والمفعول محذوف أو استفهام انكار مفعول لاغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقرأ حمزة عنى مالى عنى سلطانى بحذف الهاء ين فى الوصل والباقون باثباتها فى الحالين (خذوه) يقوله الله تعالى لخزنة النار (فغلوه ثم الجحيم صلوه) ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) أى طويلة (فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لايقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها فى الشدة (انه كان لايؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك (ولايحض على طعام المسكين) ولايحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلا عن أن يبذل من ماله ويجوز أن يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لايأكله الا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطىء الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المضاد للصواب وقرىء الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلا أقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث وأقسم مستأنف (بما تبصرون ومالاتبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها (انه) ان القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لايقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام (وماهو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ماتؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولا بقول كاهن) كما تدعون أخرى (قليلا ماتذكرون) تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لاينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحوال الرسول ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كانه جمع أفعولة من القول كالاضاحيك (لأخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع مايفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده وقيل اليمين بمعنى القوة (فما منكم من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس (وانه) وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم

(قوله أو ياليت حياة الدنيا كانت الموتة) فالمراد من القاضية الموت وانما سمى بها لانه القاطع للحياة (قوله والمفعول محذوف أو استفهام انكار الخ) أى ما ما نافية فيكون المعنى مادفع مالى ونفى شيأ من عذاب القبر أو الاستفهامية فيكون فاعل أغنى ضميرا مستترا راجعا الى ما و مال مفعولا (قوله فمن تعظم فيها) أى فى الدنيا (قوله والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها الخ) نقل الطيبى عن صاحب الانتصاب هو معنى غريب عن قياس التصريف ويحتمل أن يكون الاقاويل جمعا كالاناعيم جمع أقوال وأنعام

مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) اذارأوا ثواب المؤمنين به (وانه لحق اليقين) لليقين الذى لاريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

(سورة المعارج مكية وآيها أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع) أى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل هو النضر ابن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية أو أبو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء أو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو امامن السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

أومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال وادبعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه امافى الدنيا وهو قتل بدر أوفى الآخرة وهو عذاب النار (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أوصلة لواقع وان صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم (ليس له دافع) يرده (من الله) من جهته لتعلق ارادته (ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم أوفى دار ثوابهم أومراتب الملائكة أوفى السموات فان الملائكة يعرجون فيها (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لوقدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطع الانسان فيها لوفرض لأن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره ألف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع أوسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته امالشدته على الكفار أولكثرة مافيه من الحالات والمحاسبات أولانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل عليه السلام وافراده لفضله أوخلق أعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لايشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء أوتعنت وذلك ممايضجره أوعن تضجر واستبطاء للنصر أوبسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب أو يوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه أومن الوقوع (يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا أى يمكن يوم تكون أولمضمر دل عليه واقع أو بدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات أودردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسئل على بناء المفعول أى لا يطلب من حميم حميم أولا يسال منه حاله (يبصرونهم)

(سورة سأل)

(قوله والمعنى انها بحيث لوقدر قطعها فى زمان الخ) أى لوقدر قطعها بالحركة الجسمانية لكان فى الزمان المذكور (قوله لان ما بين أسفل العالم الخ) يعنى معنى التقدير بالزمان المذكور ماذكر وليس التقدير به من حيث ان ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لانه خطأ لان ما بين مركز الارض الخ وهذا الحساب يقتضى أن يكون من مركز العالم الى محيط العرش خمسة آلاف سنة واعلم ان فى بعض النسخ وقع موضع لان المشتمل على لا النافية وان المشبهة للفعل لا لان المشتمل على لام التعليل والحروف المشبهة وهو خطأ والصواب الاول

استئناف أوحال تدل على ان المانع من هذا السؤال هو التشاغل دون الخفاء أو مايغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه) حال من أحد الضميرين أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدى باقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله و يسال عنها وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) وعشيرته الذين فصل عنهم (التى تؤويه) تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين أو الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدى أى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه (انها) الضمير للنار أو مبهم يفسره (لظى) وهو خبر أو بدل أو للقصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص أو الحال المؤكدة أو المنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذى الرمة * تدعو أنفه الربب * مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا أهلكه (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا (ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) يبالغ بالامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذ الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها (الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) كالزكوات والصدقات الموظفة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى لا يسأل فيحسب نفسه غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم وهو ان يتعب نفسه و يصرف ماله طمعا فى المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم (ان عذاب ربهم غير مامون) اعتراض يدل على أنه لا ينبغى لاحد أن يأمن عذاب الله وان بالغ فى طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعنى لا يخونون ولا ينكرون ولا يخفون ماعلموه من حقوق الله وحقوق العباد (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلاتهم يحافظون) فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى (أولئك فى جنات مكرمون) بثواب الله تعالى (فمال الذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا و يستهزؤن بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لوصح مايقوله لنكونن فيها أفضل حظا منهم كما فى الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع

(قوله و يسأل) عطف على قوله يسال والاول من السؤال والثانى من السيلان (قوله على ان لظى بمعنى متلظية) انما قال ذلك لحصول العامل وصاحب الحال (قوله أحوال مقدرة أو محققة الخ) فالاولى بالنظر الى ان الهلع والجزع والمنع غير حاصلة حال خلق الانسان والثانى بالنظر الى أن الاوصاف جبل الانسان عليها وان كان آثارها غير ظاهرة فى بدء الخلق (قوله باعتبارين) الاعتبار الاول الدوام والثانى المحافظة (قوله وفى نظم هذه الصلاة مبالغات) تقديم الضمير و بناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات و بعضها فعلية مفيدة للاستمرار التجددى كقوله تعالى يحافظون

(اناخلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة مذرة لاتناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها أوانكم مخلوقون من أجل ماتعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ فى منازل الكاملين أوالاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها افرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه (فلا أقسم برب المشارق والمغارب انالقادرون على أن نبدل خيرامنهم) أى نهلككم ونأتى بخلق أمثل منهم أونعطى محمدا بدلكم من هو خيرمنكم وهم الانصار (ومانحن بمسبوقين) بمغلوبين ان أردنا ذلك (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) مرفى آخر سورة الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كانهم الى نصب) منصوب للعبادة أوعلم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص الى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ بالضم على أنه تخفيف نصب أوجمع (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) مرتفسيره (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وآيها تسع أوثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر) أى بان أنذرأى بالانذار أوبان قلناله انذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرأن على ارادة القول (قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أوالطوفان (قال ياقوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) مرفى الشعراء نظيره وفى أن يحتمل الوجهان (يغفرلكم من ذنوبكم) يغفرلكم بعض ذنوبكم وهوماسبق فان الاسلام يجبه فلايؤاخذكم به فى الآخرة (ويؤخركم الى أجل مسمى) هوأقصى ماقدرلكم بشرط الايمان والطاعة (ان أجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذاجاء) على الوجه المقدر به آجلا وقيل اذاجاء الاجل الاطول (لايؤخر) فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير (لوكنتم تعلمون) لوكنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهما كهم فى حب الحياة كانهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) أى دائما (فلم يزدهم دعائى الافرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان (لتغفرلهم) بسببه (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدوامسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهة دعوتى أولئلا أعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصروا) وأكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذا صرأذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى دعوتهم مرة بعدأخرى وكرة بعدأولى على أى وجه أمكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أولتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه أحدنوعى الدعاء أوصفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا به أوالحال فيكون بمعنى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكانهم لماأمرهم بالعبادة قالوا ان كناعلى حق فلانتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بمايجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ماهوأوقع فى قلوبهم وقيل لماطالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطرأربعين

﴿سورة نوح﴾

(قوله بغيرها على ارادة القول) أى بغيران (قوله وفى أن يحتمل الوجهين) حق العبارة أن يقال وفى أن الوجهان أوفى ان احتمال الوجهين (قوله والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة) أى التعبير باستغشوا الذى هومن باب الطلب للمبالغة لاللطلب وانمادل على المبالغة لان من طلب شيأبالغ فى تحصيله (قوله من أصرالحمار على العانة) العانة هى القطيع من حمرالوحش (قوله فان الجهار أغلظ من الاسرار الخ) يعنى يعلم من قوله ثم انى دعوتهم جهارا أن الدعوة السابقة هى بالاسرار فأفاد ثم التفاوت بين الجهار والاسرار السابق وأفاد ثم الثانية ان الجمع بينهما أغلظ من افراد كل منهما (قوله ولذلك وعدهم عليه ماهو واقع فى قلوبهم) وهوارسال السماء عليهم مدرارا والامداد بالاموال والبنين

سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ولذلك شرع الاستغفار
في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء
المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أي تعظيما لمن
عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار
أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة
(وقد خلقكم أطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم أطوارا أي تارات
اذ خلقهم أولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما
ثم أنشأهم خلقا آخر فانه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم
القدرة تام الحكمة ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب اليهن لما بينهن من
الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج
عما حوله (والله أنبتكم من الأرض نباتا) أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لأنه أدل على الحدوث
والتكون من الأرض وأصله أنبتكم من الأرض انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية
(ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على
أن الاعادة محققة كالابداء وأنها تكون لا محالة (والله جعل لكم الأرض بساطا) تتقلبون عليها
(لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم
عصوني) فيما أمرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم
المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاهة
حصلت لهم بالأموال والأولاد وأدت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده
بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن والحزن أو جمع كالأسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن
وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين
وتحريش الناس على أذى نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا) ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا
صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع
صرفهما للعلمية والعجمة (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء أو للأصنام كقوله انهن أضللن كثيرا
(ولا تزد الظالمين الا ضلالا) عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم
ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (مما خطيئاتهم)
من أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان
(فأدخلوا نارا) المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال
أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع وتنكير النار للتعظيم أو لأن
المراد نوع من النيران (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر
على نصرهم (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي أحدا وهو مما يستعمل في
النفي العام فيعال من الدار أو الدور وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال والا لكان دوارا

(قوله ولو تأخر لكان صلة للوقار) أي لا يكون صلة له حال التقدم لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه (قوله وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع الخ) المبالغة باعتبار أن التركيب ينفي أدنى الظن (قوله لما بينهن من الملابسة) أي ملابسة الكلية والجزئية فالسماء الدنيا جزء من السموات وما حصل في الجزء حصل في الكل كما يقال زيد في البلد وان كان في بعض أجزائه (قوله عطف على رب انهم عصوني) وعطف الانشاء على الاخبار في مثل هذا جائز لأن كلا منهما في محل لا اعراب (قوله ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم الخ) انما قال ذلك لأن الدعاء بالضلال عن طريق الآخرة لا يناسب النبي لأنهم مبعوثون للهداية

(انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (رب اغفر لى ولوالدى) لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) منزلى أومسجدى أوسفينتى (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين الا تبارا) هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

﴿سورة الجن﴾ مكية وآيها ثمان وعشرون آية ﴿

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أوحى الى) وقرئ أحى وأصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (أنه استمع نفر من الجن) والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أوالهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وأبو بكر الا فى قوله وانه لما قام على أنه استئناف أومقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا أى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم أوسلطانه أوغناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أولسلطانه أولغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك وقرئ جدا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (وانه كان يقول سفيهنا) ابليس أومردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد أوهو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان أحدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول أوالوصف المحذوف أى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه (فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوا أوفزاد الجن الانس غيا بان أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن أوبالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أواستئناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (أن لن يبعث الله أحدا) ساد مسد مفعولى ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء أوخبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب

﴿سورة الجن﴾
(قوله على انه استئناف أو مفعول) فالاول بأن لا يكون تحت لقول والثانى بأن يكون تحت قل

أو صالحة للترصد والاستماع والسمع صلة لنقعد أو صفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات (وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون (كنا طرائق) ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الاحوال أو كانت طرائقنا طرائق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (أن لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء أو لن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) أى القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم (بخسا ولا رهقا) نقصا فى الجزاء ولا أن يرهقه ذلة أو جزاء بخس لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المؤمن بالقرآن أن يجتنب ذلك (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن أسلم فاولئك تحروا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وأن لو استقاموا) أى أن الشان لو استقام الجن أو الانس أو كلاهما (على الطريقة) أى على الطريقة المثلى (لأسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أن لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به (وأن المساجد لله) مختصة به (فلا تدعوا مع الله أحدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى عليه الصلاة والسلام مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة أو السجدات على انه جمع مسجد (وأنه لما قام عبد الله) أى النبى عليه الصلاة والسلام وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) مترا كمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته أو كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال أمره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود (قال انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا) فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أو اطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبى عليه الصلاة والسلام ليوافق ما بعده (قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) ولا نفعا أو غيا عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه اشعارا بالمعنيين (قل انى لن يجيرنى من الله أحد) ان أرادنى بسوء (ولن أجد من دونه ملتحدا) منحرفا أو ملتجأ وأصله المدخل من اللحد (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أو من

(قوله أو كانت طرائقنا طرائق) فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن) لان الاول خبر فيفيد تحقيق عدم الخوف بخلاف الثانى فانه طلب عدم (قوله من جعل ان مقدرة باللام ألغى فائدة الفاء) اى جعل الفاء لغوا لان الفاء ههنا لا تكون الا للسببية وهى مستفادة من اللام (قوله على انه جمع مسجد) هو بفتح الجيم حتى يكون مصدرا (قوله فانه واقع موقع كلامه عن نفسه) أى هو واقع موقع كلام النبى عن حال نفسه (قوله بضم اللام جمع لبدة وهى لغة) وقرئ لبدا (قوله عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه اشعارا بالمعنيين) فالاول بالنظر الى أن يكون الضر على معناه الحقيقى ويكون المراد بالرشد الذى هو سببه فيكون التعبير عن الآخر بالسبب الذى هو الرشد لان الرشد سبب النفع والثانى أن يكون المراد بالضر الغى والرشد بمعناه الحقيقى فان الغى سبب الضر فيكون التعبير عن المسبب الذى هو الغى بالضر الذى هو سببه

ملتحدا أو معناه ان لا أبلغ بلاغا وماقبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولو آية (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فان على فجزاؤه أن (خالدين فيها أبدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا مايوعدون) في الدنيا كوقعة بدر أو في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني أو لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) هو أم هم (قل ان أدرى) ماأدرى (أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا مايوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لامحالة ولكن لا أدرى ماوقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) أى على الغيب المخصوص به علمه (الامن ارتضى) لعلم بعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدى المرتضى (ومن خلفه رصدا) حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم (ليعلم أن قد أبلغوا) أى ليعلم النبي الموحى اليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي أو ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هي محروسة من التغيير (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل (وأحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا أو كذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة أو عشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها المزمل) أصله المتزمل من تزمل ثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها أى الذى زمله غيره أو زمل نفسه سمى به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما أو مرتعدا مما دهشه من بدء الوحي متزملا في قطيفة أو تحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة رضي الله تعالى عنها فنزلت أو تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل أو من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل أى الذى تحمل اعباء النبوة (قم الليل) أى قم الى الصلاة أو داوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع أو التخفيف (الاقليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف أو للنصف والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وان يختار أحد الامرين من الاقل والاكثر أو الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه (ورتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قوله ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه

من الله صلة بلاغا لان صلته عن لا من (قوله واستدل به على ابطال الكرامات) أى استدل المعتزلة على ابطال كرامات الاولياء بالآية فانه تعالى خصص العلم بالغيب بالرسول فلا يكون للاولياء علم بالغيب أصلا وأجاب بما ذكر ويمكن أن يقال المقصود ان الكلام يفيد اختصاص علم الغيب بالرسول وهذا لاينفى مطلق الكرامة عن الاولياء اذ الكرامة فعل خارق للعادة سواء كان علم غيب أو غيره

﴿سورة المزمل﴾

(قوله أو تحسينا له الخ) فكأنه قيل ياأيها المزمل في الصلاة (قوله أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه) أى من النصف فكانه قيل قم نصف الليل الاقليلا فيكون التخيير بينه أى بين الاقل من الليل وبين الاقل من النصف وبين الاكثر من الاقل من النصف كالنصف فانه الاكثر من الاقل منه (قوله والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وان يختار أحد الامرين) والمعنى عليك أن تقوم أقل منه البتة ولا تجاوز عن الاقل الى الاكثر فان أردت أن تتجاوز البتة فانت بالخيار (قوله اذا كان مفلجا) الفلج في الاسنان تباعد مابين الثنايا والرباعيات (قوله والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه) أى القرآن مشتمل على

أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته عليه الصلاة والسلام ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس مابه تعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا انهض وقام قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * والصق منها مشرفات القماحد

أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت (هى أشد وطأ) أى كلفة أو ثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وألف ممدودة أى مواطأة القلب اللسان لها أو فيها أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والاخلاص (وأقوم قيلا) أى وأسد مقالا أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل مايذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر محذوف أو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضى أن توكل اليه الامور (واصبر على مايقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم الى الله فانه يكفيكهم كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى واياهم وكل الى أمرهم فان بى غنية عنك فى مجازاتهم (أولى النعمة) أرباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا أو امهالا (ان لدينا أنكالا) تعليل للامر والنكل القيد الثقيل (وجحيما وطعاما ذا غصة) طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم (وعذابا أليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله تعالى ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى أنوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى ان لدينا أنكالا من معنى الفعل (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر (انا أرسلنا اليكم رسولا) يا أهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به (فعصى فرعون الرسول) عرفه لسبق ذكره (فأخذناه أخذا وبيلا) ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (فكيف تتقون) أنفسكم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض أو التمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع الشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تاويل السقف أو اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها

التكاليف الشاقة عليك وعلى أمتك فسهل على نفسك التهجد حتى تعتاد بالعمل بالتكاليف الشاقة (قوله والجلة على هذه الاوجه للتعليل) أى لتعليل الامر بالتهجد أى انما أمرت بالتهجد للتسهيل عليك لحمل القول لان التهجد يعد للنفس (قوله نشأنا الى خوص برى فيها السرى الخ) الخوص جمع خوصاء وهى الناقة وبرى معناه ذهب والى السمن وألصق بمعنى تكسر والمشرفات الاعالى والقماحد جمع القمحدة وماخلف الرأس وغرض الشاعر انا قصدنا الى ناقة مهزولة بسبب السير فارتحلنا (قوله مواطأة القلب اللسان لها أو فيها) توضيحه نه ان أريد بالناشئة النفس كما هو التفسير الاول يكون المعنى أشد مواطأة القلب اللسان لها أى للنفس وان أريد المعانى الأخر كان المعنى أشد مواطأة القلب اللسان فيها (قوله ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل الخ) أى مصدر تبتل تبتلا فالعدول الى التبتيل الذى هو مصدر باب التفعيل للاشارة الى معنى التجريد المفهوم من التبتيل وللمراعاة موافقة أواخر الآيات (قوله ولم يعينه الخ) أى لم يعين موسى لان المقصود ههنا غير متعلق بعينه (قوله أو باضمار شئ) بان يقال سطح

واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل أو لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) أى الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) أن يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) أى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم أن لن تحصوه) أى لن تحصوا تقدير الاوقات وان تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس أو فاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم (علم أن سيكون منكم مرضى) استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر فى سائر الانفاقات فى سبل الخيرات أو بأداء الزكاة على أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد أو فصل لان أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وآيها خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها المدثر) أى المتدثر وهو لابس الدثار روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هى أول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا أو كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية أو المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أى الذى دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وجد (فانذر) مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين أو قوله وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك أو الدلالة على أن المقصود الاول من الامر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك فطهر) من

النجاسات

ماء السماء أو جنسها (قوله والترغيب فيه بوعد العوض) لان القرض فى أصل الشرع يوجب العوض (قوله أو فصل لان أفعل من كالمعرفة) أى ضمير الفصل يفصل بين الخبر المعرف وبين الصفة لكن خبر ليس معرفة فلا حاجة الى ضمير الفصل ههنا فأجاب بان خبرا أفعل من لانه فى الاصل أخبر من كذا وافعل من حكم المعرفة

﴿سورة المدثر﴾

(قوله وقرئ المدثر) هو بصيغة المفعول فى باب التفعيل ومعناه الذى دثر هذا الأمر أى النبوة وعصب أى قوى به (قوله أو الدلالة على ان المقصود الاول الخ) لا يخفى ان قوله تعالى قم فأنذر دال على ان المقصود الاول من الأمر بالقيام أن ينذر ثم يكبر ربه وأما ما ذكره فخلاف الظاهر

النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة أو طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون أمرا باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ طامعا فى عوض أكثر نهى تنزيه أو نهيا خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة أو لا تمنن على الله تعالى بعبادتك مستكثرا اياها أو على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم أو مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أو الابدال من تمنن على أنه من من بكذا أو تستكثر بمعنى تجده كثيرا و بالنصب على اضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع (ولربك) لوجهه أو أمره (فاصبر) فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (فى الناقور) فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير و يومئذ بدل أو ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير (غير يسير) تأكيد يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه و يشعر بيسره على المؤمنين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) نزلت فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه أو من التاء أى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد أو ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما أو ارادة أنه وحيد ولكن فى الشرارة أو عن أبيه فانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (و بنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج الى أن يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه أو فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين أو أكثرهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) و بسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد أى باستحقاقه الرياسة والتقدم (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما أوتى أو لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا انه كان لآياتنا عنيدا) فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزاء به أو لانه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم قتله الله ما أشجعه أى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى أنه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال

(قوله يثاب من هبته) أى بدل حقيقة (قوله أو مستكثرا اياه) أى مستكثرا التبليغ (قوله اذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير) لا يخفى انه اذا قدر الوقوع على يوم عسير يجب تقديره فى المبتدأ فيكون المعنى وقوع ذلك الوقت وقوع يوم عسير فى وقت النقر فلزم أن يكون وقت النقر ظرفا لوقوع يوم عسير فلزم أن يكون يوم عسير غير وقت النقر اذ لا معنى لوقوع شئ فى نفسه فالوجه فى الاعراب ما قاله أولا (قوله ويشعر بيسره على المؤمنين لتخصيص ذكره بالكفار) ويمكن ان يقال على الكافرين يتعلق بغير يسير فيفيد التخصيص فان قيل قد منع النحاة ان يفعل المضاف اليه فيما تقدم على المضاف قلنا انهم جوزوا اما أنا زيدا غير ضارب باعمال ضارب فى زيدا مع تقدمه عليه حملا على انا زيدا لا ضارب

لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فناداهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا عنه متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها (ثم نظر) أى فى أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ما يقول أو نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو الرسول عليه الصلاة والسلام (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (وما أدراك ما سقر) تفخيم لشأنها وقوله (لا تبقى ولا تذر) بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه (لواحة للبشر) أى مسودة لاعالى الجلد أو لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا أو صنفا من الملائكة يلون أمرها والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع أو أن لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف أو ان الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى حركات فيما هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن أى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم أو جمع عشر فتكون تسعين (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم أقوى الخلق بأسا وأشدهم غضبا لله روى ان أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على أنه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به وبتصديق أهل الكتاب له (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون فى التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين (وما يعلم جنود ربك) جموع خلقه على ماهم عليه (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر

(قوله والعامل فيها معنى التعظيم) والمعنى عظم السقر حال كونها لا تبقى ولا تذر (قوله أو لائحة للناس) أى ظاهرة لهم كقولهم لاح البرق (قوله بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشر) وهى الحواس العشر والقوتان الشهوية والغضبية وأما الطبيعية السبع فالجاذبة والماسكة والهاضمة والغاذية والدافعة والنافية والمولدة (قوله فنزلت) يعنى نزلت الآية لافادة ان أصحاب النار ملائكة (قوله فقواهم ليست من جنس قوى البشر) لتباين أحدهما الآخر (قوله تنبيها على انه لا ينفك عنه) أى لا ينفك المؤثر من أصحاب النار التى هى الملائكة عن الاثر الذى هو الفتنة (قوله لعل المراد من يجعل بالقول) أى ما قلنا ان تسعة عشر أصحاب النار الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الآية فان قيل انه اذا أريد بالجعل القول لا يناسبه قوله الا فتنة للذين كفروا اذ لا يصح التركيب المذكور كما لا يخفى قلنا هذا القول أيضا سبب الفتنة بل هو سببه القريب لانه اذا قيل ذلك استهزأ الكفار باستقلالهم واستبعادهم توليهم عذاب الثقلين

الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة (وماهى) وماسقر أو عدة الخزنة أو السورة (الاذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أو انكار لان يتذكروا بها (والقمر والليل اذا دبر) أى أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذأدبر على المضى (والصبح اذا أسفر) أضاء (انها لاحدى الكبر) أى لاحدى البلايا الكبر أى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييزأى لاحدى الكبر انذارا أو حال عما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا أو خبرا لمحذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر أى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدر كالشكيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أو الاطفال (فى جنات) لا يكتنه وصفها وهى حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أى دعوناه وقوله (ماسلككم فى سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين أجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) أى ما يجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض) نشرع فى الباطل (مع الخائضين) مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أخره لتعظيمه أى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى أتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لوشفعوا لهم جميعا (فما لهم عن التذكرة معرضين) أى معرضين عن التذكير يعنى القرآن أو مايعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة) شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى أسد فعولة من القسر وهو القهر (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم (انه تذكرة) وأى تذكرة (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره (ومايذكرون الا أن يشاء الله) ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو أهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لعباده سيما المتقين منهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بمكة شرفها الله تعالى

﴿سورة القيامة﴾ مكية وآيها أربعون آية ﴿

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرىّ * لا يدعى القوم أنى أفر

وقدمر الكلام فيه فى قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير ألف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم

(قوله ولو كانت صفة لقيل رهين) لان الفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث (قوله أخره لتعظيمه) اى أخره عن قوله وكنا نخوض مع الخائضين (قوله ليكون تخصيصا بعد تعميم) لان الخوض فى الباطل عام لتكذيب يوم الدين

﴿سورة القيامة﴾

(قوله وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها) أى لان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس فلذا أقسم بها بعد الاقسام بيوم القيامة (قوله لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام) فعلى الاول يكون استفهاما

القيامة على تقصيرها أو التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة أو بالجنس لماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ياليتنى كنت قصرت أو نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ماخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب أو الذى نزل فيه وهو عدى بن أبى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ أن لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على أن نسوى بنانه) بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى بنانه الذى هو أطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع أى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن يكون ايجابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل أيان يوم القيامة) متى يكون يوم القيامة استبعادا له أو استهزاء (فاذا برق البصر) تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح (وخسف القمر) ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب أو بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لاوزر) لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) بما قدم من عمل عمله وبما أخره لم يعمله أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه أو باول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على أعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر (لاتحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل أن يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه) قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة

لانه اضراب عن مستفهم الى مستفهم آخر وعلى الثانى يكون ايجابا لان الاضراب عن الاستفهام يوجب عدم بقائه (قوله ولا ينافيه الخسوف لانه مستعار للمحاق) أى جمع الشمس والقمر لا ينافى خسوف القمر المعنى ههنا وهو مجرد عدم الضوء نعم الجمع المذكور ينافى خسوفه بالمعنى الاصطلاحى الذى هو زوال ضوء القمر لحيلولة الارض بينه وبين الشمس (قوله والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب) فالمعنى جمع الشمس الذى هو الروح والقمر الذى هو الحاسة لانه كما ان نور القمر تابع للشمس كذلك الحاسة تابع للروح (قوله وقرئ بالكسر وهو المكان) أى قرئ المفر بكسر الفاء (قوله لانه شاهد بها) أى لان الانسان شاهد بالأعمال لان جوارحه تدل عليه كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم (قوله وذلك أولى) أى جمع معذرة على المعاذير أولى من جمع المنكر على المناكير لان التغيير من الاول أقل من التغيير فى الثانى لان الميم فى الاول على حاله دون الثانى وكذا الدال فى الاول باق على كسره والكاف تغير من الفتح الى الكسر (قوله وفيه نظر) لعل وجه النظر ماقاله فيما صاحب الكشاف ان المعاذير ليس جمع معذرة بل اسم جمع لها (قوله وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العاجلة) أى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الى قوله بيانه اعتراض بين كلامين متصلين فى أحوال الآخرة لان قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة فى حال الآخرة

فماهو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها فى غيره أو بذكر ماتفق فى أثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع مافيه من أعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار أو التأمل فيه ثم ان علينا بيان أمره بالجزاء عليه (كلا) ردع للرسول عن عادة العجلة أو للانسان عن الاغترار بالعاجل (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة (الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لايتعدى بالى وقول الشاعر

وإذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع أربابها (أن يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس أعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به من الرقية أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقىّ (وظن أنه الفراق) وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلا صدق) مايجب تصديقه أو فلا صدق ماله أى فلا زكاه (ولا صلى) مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه (أولى لك فاولى) ويل لك من الولى وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كأدنى من أدون أو فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فاولى) أى يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى (أيحسب الانسان أن يترك سدى) مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لايتحقق الابالمجازاة وهى قد لاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى) فقدره فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على مامر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) * عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا به

﴿سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل كقوله

وكذا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وهو توكيد التوبيخ على حب العاجلة لان حبها منشأ فى العجلة (قوله ويؤيده قراءة ابن كثير الخ) أى يؤيد هذه القراءة أن يكون الخطاب للانسان لانه اذا أورد بصيغة الغيبة كان الضمير له (قوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر) أى تفسير الوجه بجملة الشخص حتى يصح اسناد الانتظار اليه خلاف الظاهر لان الوجه حقيقة العضو المخصوص لاجملة الشخص ومجموعه وان المستعمل بمعناه) لا يعدى بالى (قوله فان الانتظار لايستعقب العطاء) أى لايستلزم الانتظار العطاء فلا يحسن ترتب الجزاء الذى هو زدتنى نعماء على الشرط الذى هو الانتظار بل المناسب حمل الانتظار على السؤال لان السؤال عن الكريم يترتب عليه العطاء

﴿سورة الدهر﴾

* أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم * (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير
المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة
والجملة حال من الانسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا
الانسان من نطفة) أو آدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلقه بنيه (أمشاج) أخلاط جمع مشج أو مشج أو مشيج
من مشجت الشئ اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلف
الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كأعشار وأكياش
وقيل ألوان فان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أو أطوار فان النطفة تصير علقة
ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موضع الحال أى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له
من حال الى حال فاستعير له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع
الآيات فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه
السبيل) أى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل
أو التقسيم أى هديناه فى حاليه جميعا أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف
الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران
غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (وأغلالا) بها يقيدون
(وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه
بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائى وأبو بكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع برّ
كارباب أو بار كاشهاد (يشربون من كأس) من خمر وهى فى الاصل القدح تكون فيه (كان
مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه
الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل
من كافورا ان جعل اسم ماء أو من محل من كأس على تقدير مضاف أى ماء عين أو خمرها أو نصب على
الاختصاص أو بفعل يفسره ما بعدها (يشرب بها عباد الله) أى ملتذا بها أو ممزوجا بها وقيل الباء
مزيدة أو بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجراء
سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو
أبلغ فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه لله تعالى كان أوفى بما
أوجبه الله تعالى عليه (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى
(ويطعمون الطعام على حبه) حب الله تعالى أو الطعام أو الاطعام (مسكينا ويتيما وأسيرا) يعنى
أسراء الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن
اليه أو الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك أسيرك فاحسن الى أسيرك
(انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال أو المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة
للاجر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا
فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)
أى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم أو لا نطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم
(عبوسا) تعبس فيه الوجوه أو يشبه الاسد العبوس فى ضراوته (قمطريرا) شديد العبوس كالذى

بجمع

(قوله بحذف الراجع) فالتقدير لم يكن شيأ مذكورا فيه (قوله فهو كالمسبب فى الابتلاء) أى جعل الله الانسان سميعا بصيرا كالمسبب عن الابتلاء لان المقصود من جعله سميعا بصيرا ان ينظر الدلائل ويستمع الآيات فيختبر هل ينتفع بها أولا وانما قال كالمسبب لان سبب جعله سميعا بصيرا القصد الى ما ذكر من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات (قوله ولذلك الخ) أى ولاجل انه كالمسبب عن الابتلاء عطف قوله جعلناه على خلقنا المقيد بنبتليه ورتب عليه ما ذكر لانه متضمن للاهتداء الى هداية السبيل وذلك يستلزم الابتلاء (قوله واما للتفصيل أو التقسيم) الاول باعتبار تعدد الحال والصفة وان كانت الذات واحدة والثانى باعتبار تعدد الذات بان يكون بعض الافراد شاكرا وبعض آخر كفورا (قوله واشعارا الخ) أى عدم ذكر الكافر فى مقابلة الشاكر اشعار بان كل انسان لا يخلو عن كفران فلا مقابلة ولا تنافى بين الكافر والشاكر حتى يجعلا قسيمين لانهما قد يجتمعان بل المقابل للشاكر الكفور (قوله وفيه اشعار الخ) لان حسن العقيدة

يجمع مابين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك (متكئين فيها على الارائك) حال من هم فى جزاهم أو صفة لجنة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طيئ قال راجزهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان هواءها مضىء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) حال أو صفة أخرى معطوفة على ماقبلها أو عطف على جنة أى وجنة أخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال أو صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ماقبله أو حال من دانية وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) وأباريق بلا عروة (كانت قواريرا قواريرا من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قواريرا من فضة على هى قوارير (قدروها تقديرا) أى قدروها فى أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به (عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت ثم) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك أينما وقع (رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضىء بانوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم أو حسبتهم أو ملكا على تقدير مضاف أى وأهل ملك كبير

والاجتناب عن المعاصى مترتبان على الخوف (قوله وفى الحديث الخ) الغرض منه ان الغريم أيضا داخل فى الاسير

عاليهم وقرأ نافع فى عاليهم وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائى بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على و يطوف عليهم ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الابرار (ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى لك اليه وأو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى أن تكون المطاوعة فى الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيماليس باثم ولا كفر غير محظور (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وداوم على ذكره أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له) و بعض الليل فصل له تعالى ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم) أمامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) وأحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم تبديلا فى الخلقة وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جىء باذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة أو الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) وما تشاؤن ذلك الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل أحد (حكيما) لايشاء الا ماتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين أعد لهم عذابا أليما) نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿سورة المرسلات مكية وآيها خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) أقسام بطوائف من الملائكة أرسلهن الله تعالى بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال أمره ونشرن الشرائع فى الارض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل

(قوله حملا على سندس بالمعنى) لان الخضر جمع والسندس مفرد فجعله صفة لكون السندس جمعا فى المعنى لانه اسم جنس (قوله والفتح) أى على فتح القاف باعتبار انه فى الاصل فعل ثم جعل علما (قوله ولا يخالفه قوله أساور من ذهب) يعنى انه تعالى قال أساور من ذهب (قوله التقسيم باعتبار مايدعونه اليه) أى التقسيم الى الآثم والكفور باعتبار الاثم والكفر الذى يدعو الكفار النبى صلى الله عليه وسلم اليهما (قوله وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه) لان الكلام يفيد تهديد محب العاجلة والترغيب الى حب الآجل والاول علة للنهى عن طاعة الآثم والكفور والثانى علة للامر بالطاعة

﴿سورة المرسلات﴾

فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحققين ونذرا للمبطلين أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن أثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الاوجهه فالقين ذكرا بحيث لايكون فى القلوب والالسنة الاذكر الله تعالى أو برياح عذاب أرسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا أى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا مانقيض النكر وانتصابه على العلة أى أرسلن للاحسان والمعروف أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال (عذرا أونذرا) مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف أوجمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية أى عذرا للمحققين أونذرا للمبطلين أوالبدل من ذكرا على أن المراد به الوحى أومايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محقت أوأذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف (واذا الرسل أقتت) عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله أو بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ أبو عمرو وقتت على الاصل (لاى يوم أجلت) أى يقال لاى يوم أخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز أن يكون ثانى مفعولى أقتت على أنه بمعنى أعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما أدراك مايوم الفصل) ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله (ويل يومئذ للمكذبين) أى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أوصفته (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) أى ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا وكذا ان أطلق التكذيب أوعلق فى الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) فقدرنا على ذلك أوفقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أوعلى الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت أى يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع أومصدر نعت به أوجمع كافت كصائم وصيام أوكفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار أقطارها (أحياء وأمواتا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم أولان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات أوالحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس أو بنجعل على المفعولية وكفاتا حال أوالحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالاينبت (وجعلنا فيها رواسى شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم أوالاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير (وأسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار

(قوله أومايعم التوحيد والشرك الخ) فيكون القاء التوحيد للعذر أى بالحق الاسناد القاء الشرك فى القلوب للانذار والتخويف منه (قوله بحصوله) أى بحصول ذلك الوقت أى التعيين المذكور عبارة عن الحصول (قوله فيومئذ ظرفه أوصفته) أى ظرف ويل أوصفته (قوله ككفار مكة) كون الآخرين كفار مكة مستفاد من نتبعهم بصيغة المضارع واذا كان معطوفا على نهلك كان لم مقدرا عليه فيفيد هلاك الامم المتأخرة عن الاولين المتقدمة على زمانه صلى الله عليه وسلم (قوله وليس تكريرا) لان العبارة الاولى مقيدة بماذكروهو قوله بذلك وهذه العبارة مقيدة بقيد آخر (قوله أجرى على الارض باعتبار أقطارها) أى وصفت بالجمع المذكور باعتبار أقطارها لان الارض واحد لايوصف بالجمع الا باعتبار الاجزاء (قوله منتصبان على المفعولية) أى على مفعولية كفاتا (قوله أو لان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات) لان أحياء الجن وأمواتهم بعض آخر وهذا فى بعض المواقف لان فى البعض الآخر ينطقون (قوله ولو جعله جوابا) هذا يكون بجعله مجزوما

والمنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) أى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا (الى ظل) يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث امالان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل (ولا يغنى من اللهب) وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (انها ترمى بشرر كالقصر) أى كل شرارة كالقصر فى عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر جمع قصرة وهى أصل العنق والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) أى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين) عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الاذن فأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاولين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذلا حيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) عن الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى أنواع الترفه (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم اركعوا) أطيعوا واخضعوا أو صلوا أو اركعوا فى الصلاة اذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبى أى لا نركع فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لا يركعون) لا يمتثلون واستدل به على أن الامر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

﴿سورة النبأ مكية وآيها احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم يتساءلون) أصله عما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه

﴿سورة عم﴾

لفخامته

لفخامته خفى جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أى يدعونهم ويرونهم أو للناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه (الذى هم فيه مختلفون) بجزم النفى والشك فيه أو بالاقرار والانكار (كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثانى أشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة أو الاول للبعث والثانى للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أى انها لهم كالمهد للصبى مصدر سمى به ما يمهد لينوم عليه (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها أو موتا لانه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به أو حياة تنبعثون فيها عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا أضاءت أو بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو من الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب أو الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر أخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه (لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

أو لفيف كشريف أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أو ملتفة بحذف الزوائد (ان يوم الفصل كان) فى علم الله تعالى أو فى حكمه (ميقاتا) حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ فى الصور) بدل أو بيان ليوم الفصل (فتأتون أفواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم فيسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت أبوابا) فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أو فصارت ذات أبواب (وسيرت الجبال) أى فى الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها

(قوله ويدل عليه قراءة يعقوب) وجه الدلالة ان الهاء فى عمه هاء السكت وهو علامة الوقف ولو كان عم متعلقا بيتساءلون المذكور بعده لم يكن محل الوقف (قوله بجزم النفى والشك فيه الخ) الخلاف فى البعث اما لان بعضهم جزم بنفيه وبعضهم شك فيه وهذا اذا أريد بالمختلفين الكفرة واما لان بعضهم مقر وبعضهم منكر وهذا اذا أريد الناس (قوله لانه أحد التوفيين) هو مأخوذ من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (قوله ذوات الاعاصير) جمع اعصار وهو ريح ينثر الغبار ويرفع الى السماء (قوله مغدق) المغدق الناعم

(ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى تضمر فيه الخيل أو مجدة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى (لابثين فيها) وقرأ حمزة وروح لبثين وهو أبلغ (أحقابا) دهورا متتابعة وليس فيها ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكن فى لابثين أو نصب أحقابا بلا يذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا أخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار أو النوم وبالغساق ما يغسق أى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا أنه أخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد (جزاء وفاقا) أى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم أو موافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لا يرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزاء (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وانما أقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم أو المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكأن بينهم مكاذبة أو كانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر أى تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ أحصيناه) وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا فى اللوح أو صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا أو موضع فوز (حدائق وأعنابا) بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال أو البعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (أترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملأى وأدهق الحوض ملأه (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) وقرأ الكسائى بالتخفيف أى كذبا أو مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا (جزاء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به (حسابا) كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى أو على حسب أعمالهم وقرئ حسابا أى محسبا كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وأبو عمرو على الابتداء (الرحمن) بالجر صفة له وكذا فى قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قراءة أبى عمرو وفى قراءة حمزة والكسائى بجر الأول ورفع الثانى على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره (لا يملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض أى لا يملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب أو عقاب لانهم مملوكون له على

(قوله وهو أبلغ) لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت (قوله وانما أقيم مقامه للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم) أى انما أقيم الكذاب الذى هو بمعنى الكذب ليدل على ما ذكر فيكون كذابا (قوله ويؤيده انه قرئ كذابا الخ) كذابا بضم الكاف أى يؤيد انه حال قراءة كذاب لانه حال البتة ويجوز أن يكون الكذاب للمبالغة وصفة لمصدر محذوف فالمعنى تكذيبا بالغا ذلك التكذيب الى نهاية الكذب فيكون الكذاب على هذا مفرد الاجمعا كحسان (قوله بدل الاشتمال أو البعض) فالاول بتقدير أن يكون المفاز غير الحدائق والاعناب والثانى بأن يكون بعض الحدائق (قوله وقيل منتصب به نصب المفعول به) هذا قول صاحب الكشاف واعترض عليه بأن المصدر انما يعمل اذا لم يكن مفعولا مطلقا

الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافى الشفاعة باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الامن أذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون أولايتكلمون والروح ملك موكل على الارواح أوجنسها أوجبريل أو خلق أعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن لامحالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهوآت قريب ولان مبدأه الموت (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يرى ماقدمه من خير أوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وماموصولة منصوبة بينظر أواستفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه (و يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوفى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿سورة النازعات مكية وآيها خمس أوست وأربعون آية﴾

﴿سورة النازعات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقا أى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من أقاصى الابدان أونفوسا غرقة فى الاجساد و ينشطون أى يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها و يسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار الى النار و بأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ماأعد لها من الآلام واللذات أوالاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها أى يسرعون فيه فيسبقون الى ماأمروا به فيدبرون أمره أوصفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد و يسبحن فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه أسرع حركة فيدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا أوصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا أى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس وتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات أوحال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات أوصفات أنفس الغزاة أوأيديهم تنزع القسى باغراق السهام و ينشطون بالسهم للرمى و يسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أوصفات خيلهم فانها تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى حربها فتسبق الى العدو فتدبر أمر الظفر أقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة مابعده عليه (يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض

والجبال أوالواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتشر أوالنفخة الثانية والجملة فى موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة لقلوب والخبر (أبصارها خاشعة) أى أبصار أصحابها ذليلة من الخوف ولذلك أضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته أى طريقه التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه على النسبة كقوله فى عيشة راضية أوتشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) بالية وقرأ الحجازيان والشامى وحفص وروح نخرة وهى أبلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران أوخاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أى لايستصعبوها فما هى الاصيحة واحدة يعنى النفخة الثانية (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة أولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم لجهنم (هل أتاك حديث موسى) أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قدمر بيانه فى سورة طه (اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة لقول وقرئ أن اذهب لما فى النداء من معنى القول (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفته (فتخشى) باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) أى فذهب و بلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل أو مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله عزوجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم أدبر) عن الطاعة (يسعى) ساعيا فى ابطال أمره أوأدبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه (فحشر) فجمع السحرة أوجنوده (فنادى) فى المجمع بنفسه أو بمناد (فقال أنا ربكم الاعلى) أعلى كل من يلى أمركم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أخذا منكلا لمن رآه أوسمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق أوعلى كلمته الآخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى أوللتنكيل فيهما أولهما ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية (أأنتم أشد خلقا) أصعب خلقا (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض أوثخنها لذاهب فى العلو رفيعا (فسواها) فعدلها أوفجعلها مستوية أوفتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره اذا أصلحه (وأغطش ليلها) أظلمه منقول من غطش الليل اذا أظلم وانما أضافه اليها لانه يحدث بحركتها (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها ومهدها للسكنى (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد أو بيان للدحو (والجبال أرساها)

(قوله التابعة وهى السماء الخ) أى المراد من الرادفة التابعة للراجفة الاجرام المتحركة وهى السماء والكواكب (قوله ولذلك أضافها اليه) أى لان ذل الابصار حاصل بسبب الخوف العارض للقلب أضاف الابصار اليها (قوله على النسبة) فيكون المعنى الطريق ذوالحفر كما ان عيشة راضية ذورضا (قوله أو بيان الدحو) لايخفى ان الدحو البسط وهو غير اخراج الماء والمرعى ثم الدحو سبب لهما

أنبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية (متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التى تطم أى تعلو على سائر الدواهى (الكبرى) التى هى أكبر الطامات وهى القيامة أو النفخة الثانية أو الساعة التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ماسعى) بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أو طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة أو مصدرية (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء بحيث لاتخفى على أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد أو أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر أو مابعده من التفصيل (فامامن طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هى المأوى) هى مأواه واللام فيه سادة مساد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل أو مبتدأ (وأمامن خاف مقام ربه) مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدا والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هى المأوى) ليس له سواها مأوى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها واثباتها أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه (فيم أنت من ذكراها) فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم أى ماأنت من ذكرها لهم وتبين وقتها فى شئ فان ذكرها لايزيدهم الاغيا و وقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف ومعناه أنت ذكر من ذكرها أى علامة من أشراطها فان ارساله خاتما للانبياء أمارة من أماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها (انما أنت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن أبى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) فى الدنيا أو فى القبور (الا عشية أو ضحاها) أى عشية يوم أو ضحاه كقوله لاساعة من نهار ولذلك أضاف الضحا الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿سورة عبس مكية وآيها ثنتان وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس وتولى أن جاءه الاعمى) روى أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آأن بهمزتين و بالف بينهما بمعنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه أحق بالرأفة والرفق أو لزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه أعمى كالالتفات فى قوله (ومايدريك لعله يزكى) أى وأى شئ يجعلك دار يابحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (أو يذكر فتنفعه

(قوله لان العطف على فعلية) أى الراجح نصبهما ورفعهما مرجوح لانه اذا كانا منصوبين كان عطف الفعلية على الفعلية وهو قوله وأخرج ضحاها واذا رفعا لزم عطف الاسمية على الفعلية والاول أولى للتناسب

﴿سورة عبس﴾

(قوله على اختلاف المذهبين) أى على اختلافهما فى تنازع الفعلين (قوله كأنه قال تولى لكونه أعمى) أى لاينبغى ذلك لان الاعمى يستحق الالتفات دون التولى (قوله كالالتفات الخ) لان العتاب بطريق الخطاب أشد من طريق الغيبة

الذكرى) أو يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر أى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل (أما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض له بالاقبال عليه وأصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى أى تعرض وتدعى الى التصدى (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك باس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو أذية الكفار فى اتيانك أو كبوة الطريق لانه أعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه أو اتعظ به والضميران للقرآن أو العتاب المذكور وتانيث الاول لتأنيث خبره (فى صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة أو خبر ثان أو خبر لمحذوف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) القدر (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة من الملائكة أو الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو لوحى أو سفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله أو الامة جمع سافر من السفر أو السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) أعزاء على الله أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) أتقياء (قتل الانسان ما أكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أو ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) وعد الامانة والاقبار فى النعم لان الامانة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض ما أمره) لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما أمره الله باسره اذ لا يخلو أحد من تقصير ما (فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (ثم شققنا الارض شقا) أى بالنبات أو بالكراب وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد أخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لانها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أب اذا أم لانه يؤم وينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) أى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه أو للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته

(قوله للمبالغة فى التيسير) لانه تكرر اسناد الفعل لان السبيل منصوب بيسر المقدر (قوله وعد الامانة والاقبار من النعم) يعنى ان الموت والاقبار ليسا من النعم كما لا يخفى لكنه تعالى عدهما منها كما فهم من قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره فاجاب بأنهما وصلة أى سبب للوصول الى الحياة الاخروية (قوله غير متعين فى نفسه) أى ليس له وقت يقتضى نظر الى ذاته أن يكون النشور فيه كما زعم بعض المنجمين بل الامر مفوض الى مشيئته أى هو تعالى عين فى علمه وقتا يحصل فيه النشور

وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه أى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفار الصبح (ضاحكة مستبشرة) لما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (أولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أو لف ضوؤها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال أثره أو ألقيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره مابعدها أولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل (واذا النجوم انكدرت) انقضت قال * أبصر خربان فضاء فانكدر * أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض أو فى الجو (واذا العشار) النوق اللواتى أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء (عطلت) تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم اذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت) أحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) قرنت بالابدان أو كل منها بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن (سئلت باى ذنب قتلت) تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية (واذا الصحف نشرت) يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذا الجنة أزلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما أحضرت) جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا أقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر (والليل اذا عسعس) أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا أدبر (والصبح اذا تنفس) أى أضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله شديد القوى (عند

﴿سورة التكوير﴾

(قوله لان الثوب اذا أريد رفعه لف) كالسفر اذا أريد رفعها من بين القوم لفت (قوله فانكدر) أى شط (قوله والتركيب للارادة والجمع) أى تركيب كلمة من الكاف والواو والراء دال عليهما (قوله أو شدة التطاير) يعنى شدد شين نشرت لان نظائر نشرت كحشرت وسجرت قرئت مشددة (قوله لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها) أى الزمان الذى وقع فيه هذه الامور الاثنا عشر زمان واحد طويل وقع فى بعض أجزائه علم النفوس لما أحضرت فصح ان فى ذلك الزمان وقع العلم المذكور

ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم أمين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (وما صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) ولقد رآى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد عليه الصلاة والسلام (على الغيب) على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين بالضاد من الضن وهو البخل أى لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (وما هو بقول شيطان رجيم) بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم أن يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) الاستقامة يا من يشاؤها (الا أن يشاء الله) الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار﴾ مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ما قدمت) من عمل أو صدقة (وأخرت) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء أو معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوان (فى أى صورة ما شاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو

الاسلام

(قوله وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده) اى يحتمل أن يكون المراد ان جبريل مطاع ثم أى عند ذى العرش وأمين صفة أخرى ويحتمل أن يكون المراد ان جبريل أمين ثم أى عنده تعالى وقرئ ثم بحرف العطف للدلالة على شرف الامانة لان ثم ههنا للترتيب بحسب الشرف

﴿سورة الانفطار﴾

(قوله وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة) أى الراء التى فى الاثارة لتى هى التهييج ضم الى بعث فصار بعثر كما ان بسمل مركب من بسم واللام التى فى الكلمات الباقية (قوله فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم الخ) لان الكرم اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى وهذا لا يقتضى اهمال الظالم وما ذكره بعده (قوله والدلالة على ان كثرة كرمه الخ) لان الكرم وهو الاعطاء وايصال النفع الى الغير يقتضى الشكر عليه لا عصيان المعطى (قوله والظرف صلة عدلك) اعترض بأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله وأجاب العلامة الطيبى بأن التقدير فعدلك فيما يقال فى حقه فى أى صورة ما شاء ركبك

الاسلام (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه ومايغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور (وماأدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين) تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أى كنه أمره بحيث لاتدركه دراية دار (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) تقرير لشدة هوله وفخامة أمره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين أو الخبر المحذوف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة والله أعلم

﴿سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل للمطففين) التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان مايبخس طفيف أى حقير روى أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الاسلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماأنزل الله الافشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الافشا فيهم الموت ولاطففوا الكيل الامنعوا النبات وأخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما أبدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس أو اكتيال يتحامل فيه عليهم (واذا كالوهم أو وزنوهم) أى اذا كالوا للناس أو وزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك أو كالوا مكيالهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ولايحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لافى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كماهو خط المصحف فى نظائره (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم مايكون فيه (يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون أو بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه (كلا) ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (ان كتاب الفجار) مايكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم (لفى سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال (وماأدراك ماسجين كتاب مرقوم) أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس أو لانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ماكتاب السجين أو محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (ويل يومئذ للمكذبين) بالحق أو بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة (ومايكذب به الاكل معتد)

على تعظيم جزائها اذ لولم يكن مايترتب على الاعمال عظيما لم يكن ضبطها وكتبها عظيما (قوله تعالى يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) بالنصب ظرف لما يستفاد من الكلام أى يعظم الامر ويشتد الهول يوم لاتملك

﴿سورة المطففين﴾

(قوله أو اكتيال يتحامل فيه عليهم) يقال تحامل على فلان اذا لم يعدل (قوله ولايحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل الخ) أى انما ألزمنا حذف الحرف أو المضاف ولم نقل بأن هم تأكيد للواو فى كالوا ووزنوا لان الضمير المنفصل لايحسن أن يجعل تأكيدا للمتصل ههنا لان المقصود بيان حالهم فى الاخذ على الناس والدفع اليهم وليس المقصود مجرد مغايرة الكيل والوزن (قوله وعظمه لعظم مايكون فيه) اذ لامعنى لعظمة اليوم الاذاك (قوله ويؤيده القراءة بالجر) فيه ان القراءة بالجر تناسب أن يكون بدلا من المجرور لامن الجار والمجرور (قوله لانه سبب الحبس أو لانه مطروح الخ) يعنى ان تسمية الكتاب بالسجين اما لتسمية السبب الذى هو الكتاب

(٢٣ - (بيضاوى) - خامس) باسم المسبب الذى هو السجن والحبس أو تسمية الحال الذى هو الكتاب أيضا باسم المحل الذى هو ماتحت الارضين يعنى المطروح الكتاب المذكور فيه سمى باسمه (قوله صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة) فالاول بالنظر الى ان

متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة (أثيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها (اذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم الى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أوقدر مضافا مثل رحمة ربهم أوقرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) تقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب الاول بوعيد الفجار اشعارا بأن التطفيف فجور والايفاء برّ أو ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه ما مر فى نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة (ان الابرار لفى نعيم على الارائك) على الاسرّة فى الحجال (ينظرون) الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على البناء للمفعول ونضرة بالرفع (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) أى مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته أوالذى له ختام أى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء أى ما يختم به ويقطع (وفى ذلك) يعنى الرحيق أوالنعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا على المدح أوالحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله (ان الذين أجرموا) يعنى رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مرّوا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين) متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما أرسلوا عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلوبين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) أى هل أثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) واستمعت له أى انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد

المطواع

المكذبين عام والثانى بالنظر الى ان المراد من المكذبين المكذبون بيوم الدين (قوله اشعارا بأن التطفيف فجور) يعنى عقب كلا بوعيد الفجار فى قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين للاشعار بأن التطفيف فجور ولان كلا هذه ردع عن التطفيف واتصل بوعيد الفجار (قوله مكان الطين) وفى الصحاح الختام الطين الذى يختم به

﴿سورة الانشقاق﴾

المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له (وحقت) وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدت) بسطت بان تزال جبالها وآكامها (وألقت مافيها) ما في جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ في باطنها (وأذنت لربها) في الالقاء والتخلي (وحقت) للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام أو الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار أو لدلالة قوله (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه أي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه أو فملاقيه ويا أيها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لا يناقش فيه (وينقلب الى أهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) يتمنى الثبور ويقول ياثبوراه وهو الهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامي ويصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى لقوله ونصله جهنم (انه كان في أهله) أي في الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن أن لن يحور) ان يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا أقسم بالشفق) الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة (والليل وما وسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * أو طرده الى أماكنه من الوسيقة (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها أو هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ أو الرسول عليه الصلاة والسلام على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أو طبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أو حال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق أو مجاوزين له (فما لهم لا يؤمنون) بيوم القيامة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون أو لا يسجدون لتلاوته لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) أي بالقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب أليم) استهزاء بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع أو متصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم أجر غير ممنون) مقطوع أو ممنون به عليهم * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون آية

(قوله أو فملاقيه) أي الجواب فملاقيه والمعنى فهو ملاقيه أي الانسان يلاقي جزاءه

(قوله فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد) وأجاب الشافعي رضي الله عنه بأن الذم لانكارهم السجود والطعن لانه بيان حال الكفرة لقوله تعالى فما لهم لا يؤمنون

(قوله والمراد من تاب وآمن منهم) هذا على تقدير الاتصال

سورة البروج

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو المبالغة فى الكثرة كانه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبى عليه الصلاة والسلام وأمته أو أمته وسائر الامم أو كل نبى وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر أو عرفة والحجيج أو يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له أو كل يوم وأهله (قتل أصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر أنه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن أصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود والخد وهو الشق فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس الملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا وأجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس برب الغلام فأمر باخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وعن على رضى الله تعالى عنه كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال ان الله أحل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فأمر باخاديد النار فطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودى من حمير فأحرق فى الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام فى الوقود للجنس (اذهم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما أمر وابه أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم (وما نقموا منهم) وما أنكروا (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به و يعبد (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) العذاب الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه

(قوله وأصل التركيب للظهور) أى التركيب من الباء والجيم والراء يتضمن لمعنى الظهور (قوله فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده) فلما كان تعالى مطلعا على خلقه كان شاهدا لان الشاهد بمعنى العالم والخلق مشهودا معلوما ولما كان الخلق دليلا على وجوده تعالى كان الخلق شاهدا عليه لان الشاهد بمعنى الدليل وهو تعالى مشهودا (قوله روى مرفوعا) أى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم

فان

فان البطش أخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائى صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) أبدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم أعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم (والله من ورائهم محيط) لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الافلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما شأنه (ان كل نفس لما عليها) أى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك أن الدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب (انه على رجعه لقادر) والضمير للخالق ويدل عليه خلق (يوم تبلى السرائر) تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه (فما له) فما للانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى أوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تتصدع عنه الارض من النبات أو الشق بالنبات والعيون (انه) ان

(قوله والمعنى قد عرفك تكذيبهم للرسل) يعنى ان اتيان حديث الجنود اياك عرفك تكذيبهم للرسل

﴿سورة الطارق﴾

(قوله وهو زحل) لان الثاقب أحد معانيه المرتفع العالى (قوله ولو صح الخ) سؤال وجواب أما السؤال فلان الاطباء قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع الخ فهو خارج من جميع الاعضاء لا اختصاص له بالصلب والترائب وأما الجواب فهو انا لا نسلم ما ذكره الاطباء لان كلامهم على الظن فلا يقابل القرآن الذى هو النص القاطع ولئن سلمناه فنقول أعظم الاعضاء معونة فى توليد النطفة هو الدماغ الخ ومحصل هذا الجواب ان بعض أجزاء المنى يخرج من بين الصلب والترائب فصح ان الانسان خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب

القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) فانه جد كله (انهم) يعنى أهل مكة (يكيدون كيدا) فى ابطاله واطفاء نوره (وأكيد كيدا) وأقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم من حيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) فلا تشتغل بالانتقام منهم أولا تستعجل باهلاكهم (أمهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوّى) خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه (والذى قدر) أى قدر أجناس الاشياء وانواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء أحوى) يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى أى أسود من شدة خضرته (سنقرئك) على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام أو سنجعلك قارئا بالهام القراءة (فلا تنسى) أصلا من قوة الحفظ مع انك أمى ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الا ماشاء الله) نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفى (انه يعلم الجهر وما يخفى) ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبريل عليه الصلاة والسلام وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض (فذكر) بعد ما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية أو لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم أو للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك أمر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى بأن يتأمل فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى (الاشقى) الكافر فانه أشقى من الفاسق أو الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه الصلاة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم أو ما فى الدرك الاسفل منها (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى من الزكاء أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) كقوله أقم الصلاة لذكرى ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة

(قوله والتكرير وتغيير البنية) أى ههنا تكرير بحسب المعنى لانه تعالى قال فمهل الكافرين من باب التفعيل ثم قال أمهلهم من باب الافعال والتكرير موجب لزيادة التسكين أى تسكين الغضب الذى فى صدر الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب الكفار وطلب التشفى منهم وأما مخالفة البنية فليخرج عن محض التأكيد فكان كل منهما كلاما مستقلا فيفيد زيادة التسكين

﴿سورة سبح﴾

(قوله اجعلوها فى ركوعكم الخ) لعل وجه جعله فى الركوع ان الركوع تواضع وتذلل فناسب ان يجعل فيه مقابله وهو العظمة لله تعالى ولما كان السجود غاية التسفل ناسب ان يجعل مقابله وهو العلو لله تعالى (قوله ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك) أى لافادة انك موفق لها قال نيسرك لا نيسر لك

والخطاب للاشقين على الالتفات أو على اضمار قل أو للكل فان السعى للدنيا أكثر فى الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء (والآخرة خير وأبقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له (ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ما سبق من قد أفلح فانه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى * قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة أو النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها أو عملت ونصبت فى أعمال لا تنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه لضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم أو المراد طعامهم ما تتحاماه الابل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال (لا يسمن ولا يغنى من جوع) والمقصود من الطعام أحد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) علية المحل أو القدر (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع (فيها لاغية) لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو القدر (وأكواب) جمع كوب وهى آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) بسط فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة (أفلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البوادى والمفاوز مع ما لها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات وأكثرها صنعا ولانها أعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (والى السماء كيف رفعت) بلا عمد (والى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لا تميل (والى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون الى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما أنت مذكر) فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمتسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام (الا من تولى وكفر) لكن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من تولى وأصر فاستحق العذاب الاكبر

﴿سورة الغاشية﴾

(قوله بالفتح والضم) أى بفتح النون وضم الراء (قوله ولانها أعجب ما عند العرب من هذا النوع) أى من نوع الحيوان من المركبات (قوله على الاستعارة) أى استعير الابل للسحاب ووجه الشبه سرعة السير وكثرة الحمل والمنافع وعظم الجرم (قوله ويؤيد الاول الخ) أى يؤيد كونه منقطعا لانهما مشتركان فى عدم الدلالة على كونه داخلا فى العدم

ومابينهما اعتراض ويؤيد الاول أنه قرئ ألا على التنبيه (ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم لثانية للادغام (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وآيها ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) أقسم بالصبح أو فلقه كقوله والصبح اذا تنفس أو بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك أو البروج والسيارات أو شفع الصلوات ووترها أو بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ماراه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا فى الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير و يعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم أو المقسم به (قسم) حلف أو محلوف به (لذى حجر) يعتبره ويؤكد به ماير يد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمى بنوهاشم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أى سبط ارم أو اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى أوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة أخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا أو لتعذيبه بالاوتاد (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع (فاكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما أعد لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فأما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من

﴿سورة الفجر﴾

(قوله ومن فسرها بالعناصر والافلاك الخ) فالعناصر شفع لانها أربعة والافلاك وتر لانها تسعة والبروج شفع لانها اثناعشر والسيارات وتر لانها سبعة وقوله ماراه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا فى الدين الاول ناظر الى تفسير الشفع بالاولين والثانى ناظر الى تفسيرهما بالآخرين (قوله أو مناسبة لما قبلهما) فان الافلاك والعناصر والبروج والسيارات يناسب أكثر مناسبة لما قبلهما أى لما قبل الشفع والوتر وهو الفجر وشفع الصلاة ووترها ويوم النحر وعرفة أكثر مناسبة لليال عشر (قوله أو أكثر منفعة موجبة للشكر) فان الفجر نعمة عظيمة وموجبة للشكر فانه سبب لتحصيل المقاصد والمعيشة وليال عشر سبب للثواب العظيم الموجب للشكر راعى حقها

الآخرة فلا يريد الا السعي لها فأما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربي أكرمني) فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير وأما الانسان اذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربي أهانني) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون (ويأكلون التراث) الميراث وأصله وراث (أكلا لما) ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (ويحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) أي دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا (وجاء ربك) أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت الارض والعامل فيهما (يتذكر الانسان) أي يتذكر معاصيه أو يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وأنى له الذكرى) أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أي لحياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن شيء قد يتمنى أن كان ممكنا منه (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له أو للانسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول (ياأيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو الى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بهما (ارجعي الى ربك) الى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس أو بالبعث (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله تعالى (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين (وادخلي جنتي) معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

(قوله المبدل من حرف الاطلاق) حرف الاطلاق الالف والواو والياء لان المراد ههنا الياء (قوله مع ان قوله الاول مطابق لأكرمه) أراد ان قوله غير ما فصله الله سبب الذم فلا يكون الردع بسبب القول الاول وهو أكرمني لانه مطابق لأكرمه (قوله ولم يقل فأهانه وقدر عليه) عطف على قوله ذمه أي ولذلك ذمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه أي ولاجل ان التغيير لا يستلزم الاهانة ذمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه (قوله لئلا يناقض ما قبله) أي ما قبل التوبة يدل على ثبوت التذكر فلو لم يقدر لمنفعة ههنا لكان نفيا للذكر في الاول (قوله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة الخ) انما كان استدلال لضعفه اما أولا فلانه يجوز ان يراد بالتذكر تذكر المعاصي وهو ليس بتوبة واما ثانيا فلانه لو سلم انه توبة فنقول عدم قبولها في الآخرة لا يستلزم عدم قبولها في الدنيا (قوله ويشعر ذلك الخ) لان الرجوع يدل على ان النفس كانت قبل ذلك موجودة لان الرجوع عود الشيء الى الحالة الاولى وقوله أو بالبعث عطف على بالموت

﴿سورة البلد مكية وآيها عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه اظهار المزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ماتريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم عليهما الصلاة والسلام (وما ولد) ذريته أو محمد عليه الصلاة والسلام والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله أعلم بما وضعت (لقد خلقنا الانسان فى كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى (أيحسب) لبعضهم الذى كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظى ويجذبه عشرة فيتقطع ولا تزال قدماه أو لكل أحد منهم أو للانسان (أن لن يقدر عليه أحد) فينتقم منه (يقول) أى فى ذلك الوقت (أهلكت مالا لبدا) كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول عليه الصلاة والسلام (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم بين ذلك بقوله (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى أمر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والاطعام فى قوله (وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدرك كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطفه على اقتحم أو فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا) وأوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على طاعة الله تعالى (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) اليمين أو اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى (عليهم نار موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء

﴿سورة البلد﴾

(قوله ولتعدد المراد بها الخ) أى لان المراد بما الواقعة فيما العقبة حسن وقوع لا فى فلا اقتحم العقبة مكان ولم يقل فلم يقتحم العقبة لان لا لا تكاد تقع الا مكررة والمراد من عدم وقوعها الا مكررة وقوعها على الفعل الماضى لكن ما قاله خلاف قول صاحب الكشاف لانه قال قلما تأتى لا الداخلة على الماضى الا مكررة وبين هذه العبارة وما قاله المصنف فرق ظاهر كما لا يخفى

﴿سورة الشمس﴾

بالفتح والمداذا امتد النهار وكاد يتنصف (والقمر اذا تلاها) تلاطلوعه طلوع الشمس أول الشهر أوغروبها ليلة البدر أوفى الاستدارة وكمال النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار أو الظلمة أوالدنيا أوالارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها (والليل اذا يغشاها) يغشى الشمس فيغطى ضوأها أوالآفاق أوالارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين (والسماء وما بناها) ومن بناها وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام فى قوله (والارض وما طحاها ونفس وما سواها) وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله (فألهمها فجورها وتقواها) بقوله وما سواها الا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما أو التمكين من الاتيان بهما (قد أفلح من زكاها) أنماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقد خاب من دساها) نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وأصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام ظرف لكذبت أو طغوى (أشقاها) أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أوهو ومن مالأه على قتل الناقة فان أفعل التفضيل اذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله) أى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) وسقيها فلا تذودوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسواها) فسوى الدمدمة بينهم أوعليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير أوثمود بالاهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والليل اذا يغشى) أى يغشى الشمس أوالنهار أوكل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد أوآدم وحواء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من

(قوله وكاد يتنصف) أى قرب أن تصل الشمس الى نصف النهار (قوله ولما كانت واوات العطف الخ) جواب سؤال وهو انه يلزم من عطف هذه الجمل العطف على عاملين مختلفين لان قوله والشمس وضحاها فى تقدير قوله أقسم بالشمس وضحاها فلزم العطف على عاملين مختلفين وهو أقسم والباء وأجاب بان الواو القسمية نائبة عن الفعل والباء فههنا عامل واحد وهو الباء والواوات العاطفة نوائب تلك الواو صارت سببا لربط المجرورات التى هى القمر والنهار والليل والظروف اذا تلاها واذا جلاها واذا يغشاها بالمجرور والظرف المقدمين اللذين هما الشمس وضحاها وانما جعل الضحى ظرفا مع انه فسره بالضوء لان له وقتا مخصوصا فكانه ظرف ولهما عامل واحد هو الواو فلا يلزم العطف على عاملين مختلفين كما أن بكرو خالد عطف على زيد وعمرو من غير عطف على عاملين مختلفين (قوله وقيل استطراد فذكر أحوال النفس الخ) أى ليس جواب القسم قد أفلح من زكاها بل استطراد لذكر أحوال النفس التى ذكر بعض أحوالها قبله وهو قوله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وعلى هذا فالجواب محذوف وهو قوله فدمدم الله على كل كفار مكة (قوله أوثمود بالاهلاك) أى الهاء فى فسواها اما راجع الى الدمدمة أو الى ثمود ﴿سورة والليل﴾

أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذاهيأه للركوب بالسرج واللجام (وأمامن بخل) بماأمر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار (ومايغنى عنه ماله) نفى أواستفهام انكار (اذاتردى) هلك تفعل من الردى أوتردى فى حفرة القبر أوقعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا أوان علينا طريقة الهدى كقوله سبحانه وتعالى وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء أوثواب الهداية للمهتدين أوفلا يضرنا تركهم الاهتداء (فانذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يلزمها مقاسيا شدتها (الاالاشقى) الاالكافر فان الفاسق وان دخلها لايلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) أى كذب الحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى الذى) اتقى الشرك والمعاصى فانه لايدخلها فضلا عن أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لايجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى أوحال من فاعله (ومالاحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد بايتائه مجازاتها (الاابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع أومتصل عن محذوف مثل لايؤتى الاابتغاء وجه ربه لالمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى أبوجهل أوأمية بن خلف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿سورة والضحى وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه أولان فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجدا أوالنهار ويؤيده قوله أن يأتيهم باسنا ضحى فى مقابلة بياتا (والليل اذاسجى) سكن أهله أوركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ماودعك ربك) ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهوجواب القسم (وماقلى) وماأبغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى أن الوحى تأخر عنه أياما لتركه الاستثناء كمامر فى الكهف أولزجره سائلا ملحا أولان جروا ميتا كان تحت سريره أولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين أنه سبحانه وتعالى لايزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ماهو أعلى وأجل من ذلك فى الآخرة أولنهاية أمرك خير من بدايته فانه صلى الله عليه وسلم لايزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لايعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لاللقسم فانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لامحالة وان تأخر لحكمة (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما

(قوله ولا يلزم ذلك صليها) أى لزومها مقاسيا شدتها فعدم التجنب لايخالف الحصر السابق وهو ان صلى النار لا يكون الاللكافر

﴿سورة والضحى﴾

(قوله باعتبار الاصل) لان الظلمة مقدمة فى الوجود لان النور حادث من الامور التى كلها حادثة فقبل وجودها كانت الظلمة

مفعوله الثانى أوالمصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك أبو طالب الى الشام أوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك أوجدك (ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فاغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس فى وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره (وأما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله سبحانه وتعالى له بعدد كل يتيم وسائل

(سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا أوألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسرنا لك تلقى الوحى بعدما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذى أنقض ظهرك) الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ماثقل عليه من فرطاته قبل البعثة أوجهله بالحكم والاحكام أوحيرته أوتلقى الوحى أوما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم أومن اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها وأى رفع مثل أن قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر) كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد أواستئناف وعده بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أوللجنس واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد يغاير ماأريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب) فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة أوفاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء (والى ربك فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

(سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة

(سورة ألم نشرح)

(قوله فكان غائبا حاضرا) فانه غيبة عن الخلق باعتبار مناجاته الى الحق والحضور معهم باعتبار دعوتهم (قوله ولعله اشارة الى نحو ما سبق) أى لعل شق الصدر واستخراج القلب الخ اشارة الى نحو ما سبق من انشراح الصدر وتفسحه بما أودع فيه من العلم والحكم (قوله مبالغة فى اثباته) لانه المدعى مع الدليل (قوله من فرطاته) أى من تقصيراته فى الطاعة (قوله وانما زاد ذلك ليكون ابهاما قبل ايضاح) لانه اذا قيل ورفعنا لك توجه السامع ان الرفع له متعلق باى شئ هو فاذا قيل لك وضح المقصود ويفيد المبالغة لانه يفيد ان الرفع له ثم يفيدان رفع الذكر له فيكون الرفع له

(سورة والتين)

و يفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير و ينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة أو مسجدا دمشق و بيت المقدس أو البلدان (وطور سينين) يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه (وهذا البلد الامين) أي الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) يريد به الجنس (في أحسن تقويم) تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه أسفل سافلين) بان جعلناه من أهل النار أو الى أسفل سافلين وهو النار وقيل هو أرذل العمر فيكون قوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطعا (فلهم أجر غير ممنون) لا ينقطع أو لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له (فما يكذبك) أي فاي شئ يكذبك يا محمد دلالة أو نطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب (أليس الله بأحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ باسم ربك) أي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالى أو مستعينا به (الذي خلق) أي الذي له الخلق أو الذي خلق كل شئ ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال (خلق الانسان) أو الذي خلق الانسان فابهم أولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالى نزل أولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة أو الاول مطلق والثاني للتبليغ أو في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد في الكرم على كل كريم فانه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذي علم بالقلم) أي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد (علم الانسان ما لم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ أمر الانسان ومنتهاه اظهارا لما أنعم عليه من أن نقله من أخس المراتب الى أعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته وأشار أولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل عليها سمعا (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أن رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) نزلت في أبي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بيني و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح

(قوله ونظائر سائر الممكنات) أي استجماع أمثال سائر الممكنات فان الرأس نظير سقف السماء والحواس كالكواكب (قوله وهو على الاول حكم مترتب على الاستثناء مقرر له) أي على تقدير جعل الاستثناء متصلا كان هذه الجملة مؤكدا له واما على تقدير الانقطاع فهي خبر المبتدا

﴿سورة العلق﴾

(قوله أو الذي خلق الانسان) عطف على الذي له الخلق يعني ان المراد من الذي خلق الذي خلق الانسان (قوله جمعه لان الانسان في معنى الجمع) يعني جمع العلق الذي هو مفرده علقة مع ان الانسان مفرد لانه وان كان مفردا في الظاهر فهو في معنى الجمع (قوله وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الانسان ومنتهاه) فبدؤه خلقه من علق ومنتهاه تعليمه ما لم يعلم (قوله لدلالة الكلام عليه) وهو قوله ان الانسان (قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي الخ) لان العبد شأنه ان يعبد صاحبه ويطيعه ولما كان تنكيره للتعظيم كان دالا على كمال عبودية لمنهي

النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي (أرأيت ان كان على الهدى أوأمر بالتقوى) أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه أوآمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أوان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه سبحانه وتعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكانه قال يا كافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله سبحانه وتعالى أمرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل أولان نهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسعفن وكتابته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى أن أبا جهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع أوزبنى على النسب وأصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء (كلا) ردع أيضا للناهى (لا تطعه) أى اثبت أنت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أنزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان أسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى أنزل فيه بقوله (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها أوأنزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها أن يحيى من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أولتقدير الامور فيها لقوله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الالف اما للتكثير أولما روى أنه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة القدر هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم الى الارض أوالى السماء الدنيا أوتقربهم الى المؤمنين (من كل أمر) من أجل كل

(قوله أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله الخ) المراد انه ما ذكر بعد أرأيت الذى ذكر ثانيا وثالثا متعلق بأرأيت الاول فهما يكونان لمجرد التأكيد (قوله أوان كان على التكذيب) وعلى هذا يكون أومحذوفة (قوله يخاطب هذا مرة والآخر أخرى) فأرأيت الذى ينهى على هذا خطاب للمنهى وكذا أرأيت ان كذب وتولى وأما أرأيت ان كان على الهدى فخطاب للكافر (قوله فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل) والامر دعوة بالقول لكن الدعوة بالفعل أقوى من الدعوة بالقول فلذا خص ذكره (قوله أولان نهى العبد اذا صلى الخ) أى نهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون للدعوة أى لاجل ان العبد شغله الدعوة ويحتمل أن يكون لغير الدعوة وغاية أحوال الدعوة أى ما يترتب عليها ينحصر فيما ذكر والنهى عن الامر بالتقوى يدرج فى نهى العبد اذا صلى (قوله وانما جاز لوصفها) أى انما جاز بدل النكرة من المعرفة لوصف البدل (قوله للمبالغة) لانه اذا كانت ناصية الشخص كاذبة كان كونه كاذبا أولى

﴿سورة القدر﴾

(قوله شهادة له بالنباهة المنفية عن التصريح به) أى القرآن لنباهته وعظمته اشتهر بحيث يستغنى عن التصريح باسمه

أمر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان (سلام هى) ماهى الا سلامة أى لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء أوماهى الا سلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت مطلعه أى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع أواسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

﴿سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله سبحانه وتعالى ومن للتبيين (والمشركين) وعبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم (حتى تأتيهم البينة) الرسول عليه الصلاة والسلام أو القرآن فانه مبين للحق أو معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بإفحامه من تُحُدِّى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أو مبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته أو خبره والرسول عليه الصلاة والسلام وان كان أميا لكنه لما تلا مثل مافى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه الصلاة والسلام وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتى مافيها أو انها لا يمسها الا المطهرون (فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم أو تردد فى دينه أو عن وعدهم بالإصرار على الكفر (الا من بعد ماجاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وافراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى (وما أمروا) أى فى كتبهم بما فيها (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به (حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) ولكنهم حرّفوا وعصوا (وذلك دين القيمة) دين الملة القيّمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) أى يوم القيامة أو فى الحال لملابستهم مايوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما (أولئك هم شر البرية) أى الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان مامنحوا فى مقابلة ماوصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة و وصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم (ورضوا عنه) لانه بلّغهم أقصى أمانيهم (ذلك) أى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن الذين كفروا كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال الا فى المضاعف (وأخرجت الارض أثقالها) مافى جوفها من الدفائن أو الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها)

(قوله أى وقت مطلعه) انما قدر كذلك لان المطلع مصدر

﴿سورة البينة﴾

(قوله أو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم باخلاقه) هذا مأخوذ من قول الامام حجة الاسلام ان مجموع الاخلاق الفاضلة كان بالغا فيه الى حد الاعجاز (قوله بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف) الاول على تقدير ان يكون المراد من البينة الرسول والثانى على تقدير ان يكون المراد القرآن والتقدير كتاب رسول من الله (قوله دين الملة القيمة) انما قدر ذلك لانه لو لم يقدر كان اضافة الشئ الى صفته وهو ممنوع عند البصريين

﴿سورة اذا زلزلت﴾

لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها (يومئذ تحدث) تحدث الخلق بلسان الحال (أخبارها) مالاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث أو أصل واذا منتصب بمضمر (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان أحدث فيها مادلت على الاخبار أو أنطقها بها ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى أو على أصلها اذ لها فى ذلك تشف من العصاة (يومئذ يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا أعمالهم) جزاء أعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة أو من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله أشتاتا والذرة النملة الصغيرة أو الهباء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت الارض أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات ضبحا) أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات أو ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى (فالمغيرات) يغير أهلها على العدو (صبحا) أى فى وقته (فأثرن) فهيجن (به) بذلك الوقت (نقعا) غبارا أو صياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع أى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضت أشهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كمالهن الموريات بأفكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا أو لعاص بلغة كندة أو لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور أثره عليه أو ان الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله سبحانه وتعالى ان ترك خيرا أى مالا (لشديد) لبخيل أو لقوى مبالغ فيه (أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث (وحصل) جمع محصلا فى الصحف أو ميز (ما فى الصدور) من خير أو شر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) وهو يوم القيامة (لخبير) عالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ أن وخبير بلا لام * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

(قوله بدل من اذا) أى اذا زلزلت الارض (قوله أو أصل) أى ليس ببدل فيكون العامل فيه غير العامل فى اذا واذا كان العامل فى يومئذ تحدث يحتاج اذا الى عامل يكون جواب الشرط وهو من جنس المذكور أو مناسبه (قوله بان أحدث فيها الخ) أى المراد من الايحاء المذكور هو الاحداث الذى ذكر (قوله اذ لها فى ذلك تشف من العصاة) أى اللام الذى يدل على النفع لاجل ان فى ذلك تشفيا لها من العصاة (قوله متفرقين بحسب مراتبهم) فالسعداء لهم أمكنة خاصة مناسبة لهم والاشقياء لهم أمكنة أخرى مناسبة لهم أيضا (قوله ولذلك قرئ يره بالضم) أى بضم الياء (قوله وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة) أى رؤية جزاء عمل الخير مشروطة بعدم الاحباط) أى عدم احباط المعاصى الكثيرة اياه ورؤية جزاء عمل الشر مشروطة بعدم العفو وانما أول بذلك لان الكافر لا يرى أثر عمل الخير عند هذا القائل لان عمله محبط والمؤمن العاصى قد يغفر له فلا يرى جزاء عمله الشر (قوله أو من الاولى مخصوصة بالسعداء الخ) هذا تأويل آخر وهو ان وجوب رؤية جزاء عمل الخير ألبتة مشروطة بان يكون للسعداء ووجوب رؤية جزاء عمل الشر مشروطة بان يكون للاشقياء أى للكافرين والا فالعاصى يمكن أن لا يرى الشر الذى عمله بسبب عفو الله

﴿سورة العاديات﴾

(قوله وتخصيصه لانه الاصل) أى تخصيص ما فى الصدور أى عمل القلب لانه الاصل (قوله لاختلاف شأنهم فى الحالين) لانه ما لغير العقلاء وهو مناسب لما فى القبور لان جادوهم أى لفظ هم لذى لذى العقل لان هذه الحالة بعد الخروج من القبر ﴿سورة القارعة﴾

فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها فى الجو (فأما من ثقلت موازينه) بان ترجحت مقادير أنواع حسناته (فهو فى عيشة) فى عيش (راضية) ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيآته على حسناته (فامه هاوية) فأواه النار المحرقة والهاوية من أسمائها ولذلك قال (وما أدراك ماهيه نار حامية) ذات حمى * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألهاكم) شغلكم وأصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل (التكاثر) التباهى بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو مايعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ماوراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على أن الثانى أبلغ من الاول أو الاول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون مابين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء (ثم لترونها) تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها أو المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسئل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

﴿سورة والعصر مكية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها أو بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الناس لفى خسران فى مساعيهم وصرف أعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) الثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد أو عمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى أو على الحق أو مايبلو الله

(قوله وانتصاب يوم بمضمر) دل عليه القارعة والتقدير يقرع قلوب الخلق يوم يكون الناس

﴿سورة الهاكم﴾

(قوله للتعظيم والمبالغة) أى حذف الملهى عنه للتعظيم أى هو لعظمته وشهرته لا حاجة الى ذكره وأما افادة المبالغة فلدلالته ظاهرا على ان التكاثر ألهاكم عن كل خير فتكون المبالغة فى الالهاء

﴿سورة العصر﴾

(قوله والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران) فكانه قيل والعصر الذى يضاف اليه الحوادث أى جعله الجاهلون فاعلا لها من جملتها الخسران ان الانسان لفى خسر الى آخر السورة فانه يعلم منه ان الخسر للاعمال القبيحة والربح للاعمال الصالحة فعلم منه ان الخسر ليس من الدهر

به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغه الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عدد يؤدى الى خسر ونقص حظا وتكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغيابا أو فى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى جمع مالا) بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) تركه خالدا فى الدنيا فاحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها (وما أدراك ما الحطمة) ما النار التى لها هذه الخاصية (نار الله) تفسير لها (الموقدة) التى أوقدها الله وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد ألطف ما فى البدن وأشده تألما أو لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته قال

تحن الى أجبال مكة ناقتى * ومن دونها أبواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمزة (فى عمد ممددة) أى موثقين فى أعمدة ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين

﴿سورة الفيل مكية وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فانها من الارهاصات اذ روى أنها وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قصتها أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج اليها فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى جهة أخرى هرول فارسل الله تعالى طيرا كل واحد فى منقاره حجر وفى رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر فى رأس الرجل

(قوله الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله) أى يراد من العمل المذكور فى قوله وعملوا الصالحات عمل مقصور على كونه كمالا للشخص لا يتعدى الى غيره فيكون التواصى خارجا عن العمل بالوجه المذكور

﴿سورة الهمزة﴾

(قوله وعدده على فك الادغام) أى العدد بالدالين من غير تشديد (قوله وفيه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة) التعريض مفهوم من تخصيص الانكار بأن ماله أخلده أى يحسب ان المال أخلده وهو خطأ بل المخلد شئ آخر هو السعى للآخرة (قوله تعلوا أوساط القلوب الخ) انما فسر بذلك ليلزم تأثير النار فى بواطن القلوب (قوله مثل المقاطر) المقطر هى الخشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوسين

﴿سورة الفيل﴾

(قوله وشرف رسوله) شرفه لانه ثبت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوجه اليه فى الصلاة والحج وكونه صلى الله عليه وسلم متولدا فى تلك السنة فكان هلاك أصحاب الفيل ببركته

فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ ألم تر جدا فى اظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) فى تعطيل الكعبة وتخريبها (فى تضليل) فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع أو اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير أو الاسجال وهو الارسال أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقى صفر امنه أو كتبن أكلته الدواب وراثته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

(سورة قريش مكية وآيها أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون أو بمحذوف مثل اعجبوا أو بما قبله كالتضمين فى الشعر أى فجعلهم كعصف مأكول لئيلاف قريش ويؤيده أنهما فى مصحف أبى سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير ياء بعد الهمزة (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع) أى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف أصحاب الفيل أو التخطف فى بلدهم ومسايرهم أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لئيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

(سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف (الذى يكذب بالدين) بالجزاء أو الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) يدفعه دفعا عنيفا وهو أبو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه أو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقرئ يدع أى يترك (ولا يحض) أهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم (ويمنعون الماعون) الزكاة أو ما يتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليها الويل أو للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق

أى قرئ ألم تر بسكون الراء مبالغة فى اظهار لم الجازمة (قوله وكيف نصب لفعل لا بتر الخ) أى كيف غير منصوب بتر المذكور لان كيف فيه معنى الاستفهام فله لصدارة فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه

(سورة قريش)

(قوله كالتضمين فى الشعر) التضمين هو ان يضمن الشعر شيأ من شعر الغير ولا يخفى ان هذا المعنى لا يتحقق فى القرآن من وجهين فوجه الشبه بين تعليق هذه السورة بما قبلها والتضمين ان فى كل منهما وصل كلام ظاهر الانفصال عما قبله به

(سورة أرأيت)

(قوله الحاقا بالمضارع) فان المضارع ليس فيه الهمزة (قوله ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء) وهى جملة فذلك الذى يدع اليتيم (قوله يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم) يرون من باب الافعال بصيغة المبنى للفاعل وكذا ليروهم والمعنى يقصدون ان الناس ترى أعمالهم ليرى الناس اياهم الثناء عليهم أى ليثنى الناس عليهم (قوله أو للسببية) يعنى ان الفاء اما جزائية أو سببية (قوله للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق) فالمعاملة مع الخالق أن لا يصلى ولا يعبده ومع الخلق أن لا يحض على طعام المسكين ويمنع الماعون والخلق

﴿سورة الكوثر﴾ (قوله خالصا لوجه الله) الخلوص يستفاد من اللام التي للاختصاص (قوله جامعة لاقسام الشكر) الشكر الفعلي بانواعه التي هي القيام والركوع والسجود والقولي هو القراءة والتسبيح والتعظيم (قوله ان من أبغضك لبغضه الله) أي من أبغضك بغضه بسبب الله يكون هو الأبتر ﴿سورة الكافرون﴾ (قوله في الحال أو فيما سلف الخ) يفهم من مجموع الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم غير عابد في وقت ما معبودهم ولا هم عابدون في وقت ما معبود النبي صلى الله عليه وسلم أما الاول فلانه يفهم من قوله لا أعبد ما تعبدون انه لم يعبد فيما يستقبل معبوداتهم ومن قوله تعالى ولا أنا عابد

والخلق * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن العظيم (فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من أبغضك لبغضه الله (هو الابتر) الذي لا عقب له اذ لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر العظيم

﴿سورة الكافرون مكية وآيها ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل يا أيها الكافرون) يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي فيما يستقبل لانه في قران لا أعبد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي في الحال أو فيما سلف (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت ما ما أنا عابده ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي أنتم عليه لا تتركونه (ولي دين) ديني الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء

ما عبدتم انه صلى الله عليه وسلم غير عابد اياها في الحال وفيما سلف و يفهم من قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد انهم لا يعبدون فيما يستقبل معبود النبي صلى الله عليه وسلم ومن قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد انهم ما عبدوا في الزمان الماضي ولا في الحال معبود النبي صلى الله عليه وسلم وانما جعلنا لا أنا عابد ما عبدتم على الزمان الماضي والحال معا لانه في مقابلة قوله تعالى لا أعبد ما تعبدون الذي للاستقبال فكانه قيل ولا أنا عابد ما عبدتم في غير الاستقبال ما عبدتم وعلى هذا فالظاهر أن يقال في الحال أو فيما سلف بالواو لا بأو (قوله ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ) اذ يجوز أن يراد لا أنا عابد في زمان ما عبدتم فيكون تأكيدا للا أعبد بطريق أبلغ لان لا أعبد ما تعبدون يدل على الزمان الاستقبالي كما ذكروا الا أنا عابد ما عبدتم فيحتمل ان يدل على الزمان مطلقا وكذا قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد المذكور أولا يدل على نفي العبادة في الاستقبال ولا أنتم عابدون المذكور ثانيا يدل على نفي العبادة في مطلق الزمان (قوله فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد) لان قوله تعالى لكم دينكم اخبار عن عدم ايمانهم في المستقبل ولا يدل على الاذن في الكفر ولا في المنع عن الجهاد (قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن) قال بعض العلماء في توجيهه مقاصد القرآن التوحيد والاحكام الشرعية وأحوال المعاد والتوحيد عبارة عن تخصيص الله بالعبادة والتخصيص انما يحصل بعبادته ونفي عبادة غيره صارت مقاصد

القرآن بهذا الاعتبار أربعة وهذه السورة مشتملة على ترك عبادة غيره تعالى والتبرى عن الاشراك فى العبادة فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن ثم قال فان قلت كما انها مشتملة على النهى عن عبادة الغير فهى مشتملة على عبادة الله تعالى لقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد فتكون مشتملة على نصف مقاصد القرآن بناء على ماذكرتم قلت ليس فيها دلالة على الامر بالعبادة كما لا يخفى كما انه ليس فيها الأمر بعبادة غيره فى قوله لا أعبد ما تعبدون والحاصل ان هذه السورة مشتملة على البراءة من الشرك بالله وليس فيها تصريح بعبادة الله تعالى فباعتبار معناه الصريح تكون ربع القرآن هذا كلامه أقول لا نسلم ان هذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة لغيره صريحا كما انها ليست مشتملة على الامر بعبادة الله صريحا فان (١٩٨) اعتبر التصريح فلم تكن السورة مشتملة على التوحيد مطلقا فان لم يعتبر بل

والدعاء والعبادة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿سورة النصر مدنية وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على أعدائك (والفتح) وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجىء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامدا له عليه أو فصل له حامدا على نعمه روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه تعالى عما كانت الظلمة يقولون فيه حامدا له على ان صدق وعده أو فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح على الحمد ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله (انه كان توابا) لمن استغفره مذ خلق المكلفين والاكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهى كقوله اليوم أكملت لكم دينكم أو لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

﴿سورة تبت مكية وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبت) هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك (يدا أبى لهب) نفسه كقوله ولا

المعتبر أعم من التصريح والضمنى فنقول السورة مشتملة على جزأى التوحيد والوجه ان يقال ان مقاصد القرآن مشتملة على أربعة أشياء صفات الله تعالى والنبوات والاحكام والمواعظ والثلاثة الأخيرة غير مذكورة فى السورة وأما الاولى فرأس الصفات ومقدمها فى الاعتبار التوحيد فكانها الصفات كلها لانها متفرعة عليها فلما اعتبر التوحيد السورة فكانت تعادل ربع القرآن

﴿سورة اذا جاء﴾

(قوله وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح سائر البلاد عليهم) المراد جنس فتح سائر البلاد لا فتح سائر البلاد اذ هو ليس فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم فلا يناسبه قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك أو يقال المراد فتح سائر البلاد المفتوحة فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم (قوله على طريقة تلقوا النزول من الخالق) فان سبح بحمد ربك توجه الى كمال الخالق والاستغفار توجه الى حال العبد وتقصيراته (قوله وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة) ان أراد ان الامر بالاستغفار دال على تمام الدعوة ففيه ان الامر بالاستغفار مشروط بان يكون بعد الفتح فلا يكون دالا على قرب أجله صلى الله عليه وسلم فلا يكون نعيا وان أراد ان نزول السورة دال على النعى ففيه ان مجرد نزول السورة لا يدل على تمام الدعوة بل الامر بالتسبيح والاستغفار الذى بعد الفتح والنصر أو الفتح والنصر أنفسهما دالان عليهما ويمكن أن يقال ان السورة دالة على انه صلى الله عليه وسلم يموت وهو المراد بالنعى

﴿سورة تبت﴾

تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع أقاربه فانذرهم فقال أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب (وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه انه قرئ وقد تب أو الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن عمل نفسه (ما أغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب أو استفهام انكار له ومحلها النصب (وما كسب) وكسبه أو مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع أو عمله الذى ظن انه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد فى طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه (سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه مايدل على انه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا وسيصلى مشددا (وامرأته) عطف على المستتر فى سيصلى أو مبتدأ وهى أم جميل أخت أبى سفيان (حمالة الحطب) يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه أو النميمة فانها كانت توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك أو الحسك فانها كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم (فى جيدها حبل من مسد) أى مما مسد أى فتل ومنه رجل ممسود الخلق أى مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها أو بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال أو الخبر وحبل مرتفع به * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة

﴿سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هى هو أو لما سئل عنه أى الذى سألتمونى عنه هو الله اذ روى أن قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا أيها الكافرون ولا يجوز فى تبت واعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول أو موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون منه وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعوا اليه أخرى (الله الصمد) السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها

(قوله ويدل عليه انه قرئ وقد تب) لان قد يدل على التحقيق (قوله ومحلها النصب) والمعنى أى شئ أغنى عنه ماله (قوله فهو اخبار عن الغيب قبل وقوعه) اذ يعلم لما وقع عليه انه لا ينفعه ماله وما كسبه (قوله وهو ترشيح) مشعر بان الحبل ليس بمعناه الحقيقى بل مجاز ولعل المراد السلسلة التى تكون فى جيدها فى جهنم والفتل ترشيح المجاز باعتبار ان الفتل مناسب للمعنى الحقيقى للحبل (قوله والظرف فى موضع الحال أو الخبر) يعنى يكون اما حالا عن امرأته أو خبرا عن امرأته وحبل مرتفع بانه فاعل الظرف

﴿سورة الاخلاص﴾

(قوله ولا حاجة الى العائد لانها هى هو) أى الخبر وان كان جملة لكن لا حاجة الى العائد لانها أى القصة هى أى الجملة هو أى ضمير الشأن (قوله على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال) المراد من صفات الكمال على مافهم من كلامه الصفات السلبية وبصفات الكمال الثبوتية (قوله وهو الموصوف على الاطلاق) لانه القادر على كل شئ وليس لغيره قدرة أصلا على شئ (قوله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية) أى للاشعار بان من لم يتصف بكونه مصمودا اليه فى الحوائج لم يستحق الالوهية أى المعبودية (قوله لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليها) أما الاول فباعتبار ان من هو

أحد منزه عن جميع سمات النقص لابد أن يكون صمدا مقصودا اليه فى الحوائج والثانى فلان من يكون صمدا على الاطلاق لابد أن يكون أحدا أى منزها عن جميع صفات النقص (قوله لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه الخ) لان الولد لابد أن يكون من جنس أبيه وهو تعالى لم يكن من جنس غيره (٢٠٠) لانه واجب بالذات وغيره ممكن ولان الولد مطلوب لاجل الاعانة وليكون خليفة للوالد بعد فنائه وهو تعالى منزه عن أن يعينه غيره وعن الفناء أيضا (قوله أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد) والمعنى ولم يكن أحد حال كونه مكافئا كائنا له (قوله لان المراد منها نفى أقسام الامثال) لان المثل للشخص اما ولده أو والده أو غيرهما فهذه الجمل الثلاث كجملة واحدة نبه عليها بتلك الجمل أو كانه قيل لا يكون له من أقسام المثل شئ لانه لم يلد الخ (قوله ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك) أى من عدلها بكل القرآن أراد به عدل المقصود بالذات من تلك الاقسام وهو العقائد

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) أى ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى أقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يارسول الله وماوجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه أى يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من أصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل وأصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه (اذا وقب) دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف (ومن شر النفاثات فى العقد) ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روى أن يهوديا سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى احدى عشرة عقدة فى وتر دسه فى بئر فمرض النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر فارسل عليا رضى الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى أنه مسحور لانهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل

﴿سورة الفلق﴾

(قوله فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد) أى فلق ظلمة العدم وأخرج منها الموجود بسبب نور الوجود فهو مفلوق عنه قال الطيبى ينشق الليل عن الصبح فالليل منفلق والصبح مفلوق عنه (قوله ومحاكاة فاتحة يوم القيامة) فانه كما ان فى فاتحة يوم القيامة تنشر الموتى من القبور ففى الصبح تنشر النيام من المراقد (قوله لان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم) الاولى ان يقال من قدر أن يزيل ظلمة الليل التى هى منشأ المخاوف فى هذا العالم الخ حتى يظهر ارتباط الفلق بالتعوذ (قوله خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه الخ) المراد من عالم الخلق عالم العناصر وما يتركب منها (قوله ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى أنه مسحور) يمكن أيضا ان يقال لا يوجب صدقهم لانهم أرادوا به انه مسحور بسبب دعوى النبوة فهو لكونه مسحورا لم يعلم ما يقول ويدعى ما لا يكون (قوله وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل) أى يبطلون عزائمهم الحسنة التى هى محض الخير

غاسق

غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

(سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ) وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من الاضرار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك أمورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفى هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم أولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق أنه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف أمره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير وتدرج فى وجوه الاستعاذة كما يتدرج فى الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) أى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة أو النصب أو الرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس أو للذى أو متعلق بيوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على أن المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا أن يراد به الناسى كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تبارك وتعالى

من شر كل نفاثة بخلاف غاسق وحاسد فان كلا منهما نكرة مفردة ليس فيهما معنى الاستغراق (قوله بل الحيوان غيره) أما حال الانسان فظاهر وأما الحيوان فلانه اذا رأى واحد من الحيوانات حيوانا آخر يأكل شيأ لذيذا عنده هجم عليه وقصد جبره ليأخذ منه ذلك الشئ ويأكله (قوله كالقوى) أى كالقوى الانسانية التى لا تكون سببا لكماله بل لنقصه

(سورة الناس)

(قوله دلالة على انه حقيق بالاعاذة الخ) لان الملك شأنه أن لا يمنع (قوله تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات) أى نزل وجوه الاستعاذة وهى الاستعاذة برب الناس وملك الناس واله الناس بحسب اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اذ لولم تعتبر هذه النكتة كفى ان يقال أعوذ برب الناس (قوله من جهة الجنة والناس) أما من جهة الجنة فباعتبار انه يجعل فى الخواطر ان الجنة لهم التأثير وايصال الشر والخير وأما من جهة الناس فباعتبار ان يجعل فيها أيضا اتباعها للضالين المضلين (قوله الا أن يراد به الناسى) أى يقال المراد من الناس الواقع فى قوله فى صدور الناس الناسى أى الذى ينسى حق الله تعالى والحمد لله وحده

(تم الكتاب)

قال المصنف رحمه الله تعالى وقد انفق اتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوى على فرائد فوائد ذوى الالباب المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الامة فى تفسير القرآن وتحقيق معانيه والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالى عن الاخلال والتلخيص العارى عن الاضلال الموسوم بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وأسأل الله تعالى أن يتم نفعه للطلاب ولا يخلى سعى من يتعب فيه من الاجر والثواب ويختم كل خاتمة امرئ يؤمه بتمحيص عن الآثام ويبلغنى أعلى منازل دار السلام فى جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيقا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وأتباعهم أجمعين

﴿يقول راجى غفران المساوى رئيس لجنة التصحيح (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) محمد الزهرى الغمراوى﴾

نحمدك اللهم مبدع الكائنات وان كنا لا نفى بواجب حمدك ونشكر على ما أنزلته من الآيات ونسألك الهداية لقربك والحماية من بعدك ونستمنحك اللهم دوام الصلاة والتسليم على من شرفته بخطاب ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم سيدنا محمد المخصوص بأبهر المعجزات وأوضح الآيات البينات وعلى آله ذوى الكمال وأصحابه الذين ناضلوا عن دينه أى نضال ﴿أما بعد﴾ فقد تم بحمده تعالى طبع تفسير الامام البيضاوى الذى هو مع دقة الاتقان لجميع محاسن التفاسير حاوى المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل الذى أطبقت أساطين المحققين وفضلاء المتأخرين انه التفسير الجامع لزبدة التأويل وانه المعول عليه فى فهم أسرار التنزيل ولذلك تنافس فى فهم عباراته الراسخون واستشهد بنصوص كلامه المتجادلون وبالجملة فشهرة الكتاب غنية عن التعريف وفضله يقصر أن يفى به تأليف وقد حليت طرره ووشيت غرره بحاشية العلامة المحقق والفهامة المدقق شيخ الاسلام أبى الفضل الصديقى المسمى بالكازرونى رحمه الله وأثابه رضاه وهى حاشية اشتملت على تحقيقات جليلة وفوائد هى درر عطايا جزيلة وقد جاء بها الشرح طبق المرام وأزاحت يد الطبع عنها خفاء اللثام وذلك (بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) فى أوائل شهر جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين



﴿فهرست الجزء الخامس من تفسير الامام البيضاوى﴾

﴿ تمت ﴾





